KÖPRÜLÜ KÜT.
130

KORRULU KUT
05 130

جلد الاول من الكشاف

١٢٠

المسجد الحرام قبلة المساجد كلها
زاده مهابة ٥

قال النبي ﷺ رايا المولاة غلول
الى خيانة وسرقة
في بيت المال ٥

قوله واما في حرب الجمل قال علي رضي الله عنه ثلث فرق من المسلمين على ما قال النبي ﷺ انك تقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين
فالناكثون هم الذين نكثوا العهد والبيعة وخرجوا الى البصرة ومقدمهم طلحة والزبير وقابلوا عليا بعسكر مقدمهم عائشة رضي الله عنها في هودج على جمل
اخذ لحطامه كعب بن سور فسمي ذلك الحرب حرب الجمل والمارقون هم الذين نزعوا اليد عن طاعة علي بعد ما بايعوه وتابعوه في حرب
اهل الشام زعما منهم انه كفر حيث رضي بالتحكيم وذلك انه لما طالب معاوية علي بدم عثمان واشتدت انفة الفريقان على الحكم
الى موسى الاشعري وعمرو بن العاص في امر الخلافة وعلى الرضا بما يرياه فاجتمع الخوارج على عبد الله وهب الراسبي وساروا الى النهروان
وساء الهم علي رضي عنه لعسكره وكسرهم وقتل الكثير منهم وذلك حرب الخوارج وحرب النهروان والقاسطون معاوية واتباعه الذين اجتمعوا عليه
وعدلوا عن طريق الحق الذي هو بيعة علي والدخول لجمع طاعته ذهابا الى انه مال على قتل عثمان حيث ترك معاونته وجعل قتلة خواصه وبطانته
فاجتمع الفريقان بصفين وهي قرية من قرى الروم على غلوة من العراب ودامت الحرب بينهم شهورا فسمي ذلك حرب صفين والذي
اتفق عليه اهل الحق ان المصيب في جميع ذلك علي رضي الله عنه من شرح المقاصد في آخره قبل ورقين

اذا اشتد الرعد قال رسول صلى عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك كساف في اوائل الرعد

يا راكب الذنب هذه ... واسجد فانك هذه ...

حواب يوسف ... صبوت ثم
راجرها عبرة تنفث بها خطوه

والعزاة بالخفة الرجل وليس بلازم في

ضمير الاشارة يجوز اسناده جارحة
فتنبه يجوز واضع مقدوده اشاره
او لفظه جملة دون يرى سويه اشاره
ولو شاء واسه ما فعلوه نظم كوشاره
واضع ولشدد نظرا والله

نقل عن بعض العلماء ان البراءة انما
تسقط عن الاسد لم يطلبها قبل
ظاهر اجازة قتله لانا العهد معقود بيننا
على ان لا يفترس فاذا افترس فقد نكث
عهده وخرج من الذمة ك ت
الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر

قوله واستثناء من امن ليس مراده بالاستثناء
ما هو المصطلح عليه لعدم اداته وانما المراد الاستثناء المعنوي
وهو المستفاد من تنكير فريقا ومن كلمة من البعضية اذ المعنى
منه ان فريقا آخرين منهم لا يعلمون الحق بل يغترون به ويتوبون
فالاستثناء متصل مستفاد من الكلام بطريق المفهوم لا المنطوق فتدبر
على مذهبه فان المنصوص عليه عند الشافعي والائمة الثلثة المذاهب
يذهبون بالمفهوم

الطاهر انه منقول من البيضاوي
لانه صاحب الكشاف حنفي

130

فاتحه	بقره	آل عمران	نساء	مائده	انعام	اعراف	انفال
	٥	٩٦	١٣٤	١٧٤	٢٠١	٢٢٢	٢٥٢ ~~٢٣٥~~
توبه	یونس	هود	یوسف	رعد	ابرهیم	حجر	نحل
٢٦٧	٢٩٢	٣٠٧	٣٢٥	٣٤٧	٣٥٤	٣٦٤	٣٧٠
بنی اسرائیل	کهف	طه	انبیا	حج	مؤمنون		
٣٨٥	٤٠١	ویتلوه فی الجلد الثانی ٢					

القراء من الصحابة سبعة عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب وابى بن كعب
وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وزيد بن ثابت وابو هريره كلهم
اخذوا عن النبى ﷺ والقراء من الائمة فى الامصار تابع امام اهل المدينة عن الاعرج
عن ابى هريره عن النبى ﷺ وعن ابى بن كعب وعبد الله بن كثير امام مكة عن مجاهد عن
عبد الله بن عباس عن النبى ﷺ وعن ابى بن كعب وعبد الله بن عامر امام الشام عن المغيره
بن ابى شهاب عن عثمان بن عفان عن النبى ﷺ وابو عمرو بن العلا امام البصرة عن مجاهد و
سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ وعن ابى بن كعب وعاصم امام الكوفة عن ابى
الرحمن السلمى عن عثمان وعلى وابن مسعود وابى عن النبى ﷺ وحمزه امام الكوفة عن ابن
ابى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ وعن ابى بن
كعب والكسائى على بن حمزه امام الكوفة عن ابن ابى ليلى وحمزه بن حبيب الزيات عن بن
خالد عن عيون التفاسير ﷺ

نافع بالمدينه	ابن كثير بمكه وهو من التابعين	ابن عامر بدمشق	عاصم بكوفه وهو من التابعين
سنه ١٢٩	سنه ١٢٠	سنه ١١٨	سنه ١٢٥

وحمزه بحلوان فى خلافه ابى جعفر المنصور بعد سنه ١٥٦	والكسائى بدنبويه قريه من قرى الرى حين توجه الى خراسان مع الرشيد سنه ١١٩	

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد ٭ وليس فيها لعمرى مثل كشاف ٭
ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته ٭ والجهل كالداء والكشاف كالشافى ٭

تم بعون الملك الوهاب هذا السفر بخط العبد العاصى
محمد الشهير بابن الفقى صاحب البلاد بمكه المكرمه
عفى عنهما ١٠٥٩ محرم

سعد تملك وتشرف برويته
فتشرف عنوانه وكمله العفو اسماعيل بن
احمد بن ابراهيم الناسبى
الى من يليه
ذهب بلا عوض
٢٢٠

قصه آدم فى اوائل البقره والاعراف وبنى اسرائيل وطه قصه هاروت وماروت فى البقره قصه شيطانه فى البقره والاعراف والحجر وبنى اسرائيل
والكهف قصه موسى ﷺ فى البقره والاحزاب والمائده والغافر والاعراف وزخرف ويونس وابرهيم وبنى اسرائيل والكهف ومريم
وطه والشعراء والنمل والقصص قصه طالوت فى البقره قصه ابراهيم فى البقره والانعام والحجر ومريم والانبياء والعنكبوت
والذاريات قصه مريم فى العمران ومريم وطه والنحل قصه زكريا فى آل عمران ومريم والانبيا قصه عيسى ﷺ فى آل عمران و
الزخرف والمائدة قصه هابيل وقابيل فى المائدة قصه هود ﷺ فى الاعراف وهود والشعراء والاحقاف قصه صالح ﷺ
فى الاعراف وهود والشعراء والنمل قصه نوح ﷺ فى الاعراف ويونس وهود والمؤمن والشعراء والعنكبوت وصن ونوح
قصه لوط ﷺ فى الاعراف وسود والحجر والشعراء والنمل والعنكبوت والذاريات والقمر قصه يونس ﷺ فى يونس
والانبيا والصافات قصه شعيب ﷺ فى الاعراف وهود والشعراء العنكبوت قصه يوسف ﷺ فى يوسف
قصه اصحاب الكهف فى الكهف قصه اسكندر فى الكهف قصه ياجوج وماجوج فى الكهف قصه اسمعيل ﷺ
فى مريم قصه داود ﷺ فى الانبيا وص وسبا قصه ادريس فى مريم قصه سليمان ﷺ فى الانبيا والنمل وص
قصه ايوب ﷺ فى الانبيا قصه عائشه رضى الله عنها فى النور قصه قارون فى القصص قصه عاد و
ثمود فى الحاقه تم بعون الله تعالى ﷺ

يقال العشره من طلب القفا لى
ومن طلب العلا سهر الليالى

قوله في الصفحة الاتية واوحاه الوحي الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام واوحيت وهو ان تكلمه بخفية

النصف الاول من الكشاف عن حقائق التنزيل

بجار الله العلامة فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري رحمه الله

صاحبه وكاتبه اضعف عباد الله الحكم العدل

محمد بن محمد بن ابي بكر بن سهل متعه الله به وبامثاله وانا له غاية امله

ثم انتقل هذا المجلد مع المجلد الثاني من العبد الفقير الحقير الى المولى الاعظم الاورع الاتقى الاعلم كمال الملة والدين حسين المولى المعظم قدوة الحفاظ المحدثين زبدة الفقهاء المتورعين عز الملة والدين يوسف الوسطاني ادام الله فضائله ومعاليه

قوله النبي الامي النبي فعيل اما من المعتل اللام من النباوة اي الارتفاع او من المهموز اللام من النباء وهو الخبر فان كان من المعتل اللام فهو بمعنى الفاعل اي المرتفع وان كان من المهموز اللام فيجوز ان يكون بمعنى الفاعل اي المخبر عن الله تعالى ويجوز ان يكون بمعنى المفعول اي المخبر يعني من اخبره الله تعالى وهو انسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما اوحى الله الى العباد والامي في اللغة منسوب الى الامة العرب وهي لم تكن تكتب ولا تقرا فاستعير لكل من لا يعرف الكتابة ولا القراءة من الكتاب ويجوز ان يكون الى ام القرى وهي مكة او الى الام اي هو على حاله كما ولد من الام لم يتعلم الكتابة

قوله المكتوب في التورية والانجيل اي المكتوب فيهما اسمه وصفته بحيث يمتاز عن غيره وهاتان الصفتان مختصتان به عليه السلام هذا مدح عليه السلام واما مدح اصحابه فقد بين بقوله وعلى آله الاطهار وهو عطف على قوله على خير من اوحي اليه قوله وعلى آله آل الشخص يطلق على اهل بيته والمراد به ههنا من ذكره الله تعالى في قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ولهذا وصفهم بالاطهار والخلفاء جمع الخليفة وهو النائب عن شخص وخليفته عليه السلام شخص يقوم مقامه عليه السلام في اقامة قوانين شريعته وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الامة قوله من الاختان والاصهار الاختان جمع ختن وهو زوج البنت وهما عثمان وعلي رضي الله عنهما والاصهار جمع صهر وهو اهل بيت المرأة عند الخليل وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما

قوله يجز نواصيهم قيل كانت العرب اذا وقع في ايديهم اسير وارادوا اطلاقه يجزون ناصيته وهذا امارة المذلة عند الاطلاق وهذا مثل ضربه المؤلف للعالم او الصانع المقلد الذي لا خلاص له من يد التقليد وبالغ فيه وافرط واطلاقهم عطف على جز اي وباطلاق التقليد اياهم يعني عامة العلماء والصناع يريد ان عامة العلماء والصناع اسارى في يد التقليد والتقليد لا ينعم عليهم ولا يحسن اليهم باطلاقه اياهم

قوله ان املاء اي اقدرها واغناها من ملؤ ملاءة اذا غنى واقتدر يقال غنى بكذا اي حصل له ذلك ويجوز ان يكون معناه اكثر العلوم امتلاء بالذي يغمر القرائح وهو غرائب نكت علم التفسير من قولهم ملأت الاملاء ملاءة فهو مملوء والقرائح جمع قريحة وهي اول ماء يخرج من البير فاستعملت في البير مجازا ثم استعملت في الطبيعة استعارة لانها مشابهة للبير من حيث صدور العلوم عنها كالماء من البير

قوله كما ذكر الحافظ اي ذكرت لك ههنا مثل ما ذكر الحافظ في كتاب نظم القرآن وهو كتاب الفه الحافظ في التفسير فانه ذكر فيه ما ذكرته هنا بمعناه وما ذكره الحافظ فيه يحتمل ان يكون ما ذكره المؤلف ههنا وهو ان املاء العلوم الى قوله كل ذي علم ويحتمل ان يكون قوله فالفقه الى آخره وعلى الاحتمال الثاني ما ذكره المؤلف هو معنى ما ذكره الحافظ في كتابه لا بلفظه بل عبر المؤلف عنه بعبارته

الحواشي المكتوبة في الفصول السبعة من شرح خطبة الكشاف للعلامة المرحوم السعيد شمس الملة والدين الخطيبي اعلى الله درجته

إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد

قول أبي بكر رضي الله عنه فأما الغنى الآية. إشارة منه رضي الله عنه إلى أن ذي القربى وإن كان مذكوراً في هذا الموضع من الآية مطلقاً لكن المراد به الفقراء منهم كما أن ابن السبيل ذكر مطلقاً في آية الزكوة. والمراد ابن السبيل الفقير وكما ذكر اليتامى في آية الآية التي يجب فيها مطلقاً والمراد الفقراء منهم.

عبد يقتضي اسم جمع يريد الرسول عليه السلام والمؤمنين.

في تفسير الآية دليل على أن الملائكة والفتح شاهد جمع الجمعة والجار

فقيركم وتزوج أيتكم وتخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئاً ولا يتيم موسر. وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصوراً ولا أن نركبه البراذين وخيل الحمس كلها للقرابة. وعن علي رضي الله عنه أنه قال إن الله تعالى قال وللشامي والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله أنه لولي الأمر من بعده وعن الكلبي أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في عز قريش يقسم بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة فإن قلت ثم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المقترن بالعمل والطاعة لأمر الله إن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما أنزلنا معطوف على بالله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وهو يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى فإن قلت كلتاهما من ذوات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب أسفل منكم يعني الركب الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكاناً أسفل من مكانكم وهو موضع الجلجلة أو نصب على الحال أي والركب أسفل منكم. فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم قلت الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين وانتفاء أمرهم وأن غلبتهم من مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من الله ودليلاً

ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم

على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بخوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا بأس بها ولا مساً بالعدوة الدنيا وسمي حشاد تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشجيهم في المقاتلة عنها نساءهم وأبناءهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والعيرة على الحرم على بذل مجهودهم في القتال وأن لا ينزكوا وآثارهم يا محمد نفوسهم أنفسهم بالأجبار إليه فجمع ذلك قلوبهم وبسط بأسهم ووطن نفوسهم على أن يبذلوا مواطنهم ولا يحلوا أمراكزهم وبذلوا المستهى بحدهم وقصارى شدهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمراً كان مفعولاً من اعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين منهم غير مبتئة حتى خرجوا للتأهب والعير أغيث في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لأموالهم حتى نفروا واستنفروا غيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هو بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى ووراءهم العير لحاموا عليها حتى فاتت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد لتخلفوا فيه للقتال لحالف بعضكم بعضاً فتخاطم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وتبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه ذكر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضاً عن بصيرة وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات العزاء المجلية التي من كفر بعدها كان من مكابرة النفس مغالطاتها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحي بإظهار التضعيف ليسمع عليم يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو ليسمع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصب بإضمار اذكروا أو معمول ثان ليقضي أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك

قيل إن الواو في الوحي بسبب الوعد لتقدمه عليه وأن الوحي بسبب الأمر لتأخره عنه والأصح أن الواو لا تفيد ترتيباً

هو بمنزع وظاهر كلامه هو الواجب في المصلحة والحكمة لا إيراد صيغة المجهول ليطابق العبارة القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاما منظما ولفاه منظما وزينه بحسب المصابيح منجما
وجعله بالتحدي مفتتحا وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على فمين متشابها ومحكما
وفصله سورا وسوره آيات وميز بينهن بفصول وعلامات وما بنى الاصفات مبتدا
ومبتدعا وسماه منشأ مخترعا فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ودثر كل شئ سواه
بالحدوث عن العدم أنشأه كلاما باطغا بيانه فاطعا برهانه وحبانا طفا بينات
مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا افاما بين بفصول وسورا
قرانا عربيا غير ذي عوج معجزا ناقضا دون كل معجز على وجه كل زمان
من سائر الكتب أيما من العرب العربا وأبلغ به من حدي به
من مصاقع الخطبا فلم يصد للاتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض
لمقدار أقصر سوره ناهض من بلغائهم على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحا وأوفر عددا
من رمال الدهنا ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالمراطغة المضادة والمضارة
والفاهم الشرا أثر على المعارة والمغارة ولفاهم دون المناصلة عن احسابهم الخطط
وزكوهم في كل باب ومونه الشطط
ان اتاهم أحد بمخرقة أنوه بمفاخرة وان رماهم
بمباهرة رموه بباهرة وقد حرد لهم الحجة أو لا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف
وحده على ان السيف الفاصب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة جده فما اعرضوا عن
معارضة الحجة الا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست
نور الكواكب والصلوة على خير من أوحي اليه حبيب الله ابي القسم محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب زهاشم ذي اللوا المرفوع في بني لوي ذي الفرع المنيف في عبد مناف
بن قصي المشيد بالعصبة المؤيد بالحكمة الشارح العزة الواضح التحجيل النبي الامي
المكتوب في التوراة والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاخيار والانصار وعلى
جميع المهاجرين والانصار اعلم ان من كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه
متدانية واقدام الصناع فيه متفارة او متساوية ان سبق العالم العالما لم يسبقه
الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع الصانعا لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي
تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم
التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى أمد من الوهم متباعد ورتبة الى ان عد الف
بواحد مبالغ العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان فيهما مباحث
للفكر ومن غوامض أسرار مجتحبة دراستار لا يكشف عنها من الخاصة الا أوحدهم
واخصهم والا واسطهم وقصيهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها ما حد انهم
يدا التقليد لهم على علمهم بحر نواصيهم واطلاعهم ثم ان املا العلوم بما يغر القرائح
بما يبهر الالباب الفوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق
سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كاذكى الجاحظ
في كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم
وان بذ اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ان الفرية
احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان اخا من سيبويه
واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق
ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم
المعاني وعلم البيان ويمهل في ارتياد مباديهما اونة وتعب في التنقير ازمنة وبعثة على تتبع
مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان
يكون اخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات
قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في جملة الكتاب
وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مستعل القريحة وقادها يقظان النفس
ذرا كا للفجة وان لطف شانها منتبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا
غليظا جافيا منصرفا اذا دزته بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير رتض بملفيح بنات
الفكر قد علم كيف ترتب الكلام وتؤلف وكيف ينظم وتوصف طالما دفع الى مضايقه
ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخر تناف الدين من افاضل الفيه
الناجية العدلية الجامعين من علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الى تفسير
آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والنعت واستطيروا شوقا
الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الى مفترحين ان املي عليهم في الكشف عن
حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين

بسم الله الرحمن الرحيم قرأ المدينة والبصرة والشام وفقيها وشاهي
ان التسمية ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء
بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا تجهر
بها عندهم في الصلاة وقرأ مكة والكوفة وفقيها وهما على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة
وعليه الشافعي رضي الله عنه واصحابه ولذلك تجهر وبها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع تجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها
فقد تركَ مائةً واربع عشرة آية من كتاب الله **فان قلت** لم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف
تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كان المسافر اذا ارتحل قال ارتحل
فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله ارتحل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل
يبتدأ في فعله بسم الله كان مضمرا اما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله
عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات الى فرعون وقومه وكذلك
قول العرب في الدعاء للعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي بالين والبركة بمعنى اعرست او تحثت
ومنه قوله ٥ فقلت الى الطعام فقال منهم فريق يحسد الوحش الطعاما ٥ **فان قلت**
لم قدرت المحذوف متأخرا **قلت** لان اسم من يعنى الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم
كانوا يبتدئون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص
اسم الله عز وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث
قدم المفعول وما قدم الا للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرساها على
فان قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها
اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن
اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله
عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر واما ان كان فعلا كالاكل جعل فعله مفعولا
باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الذهن بالاضمار في قوله تعالى وقال
اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للعرس بالرفاء والبنين معناه
اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله متبركا

الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده حمدا يكون له رضا بعد الرضا وله
بعظم الدين وعلما العدل والتوحيد والذي جداني على الاستعفا على علمي انهم طلبوا ما
الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من ثناة اهواله
وركاكة رجاله وتقاصر بهمم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان ترقى الى الكلام المؤسس على
على المعاني والبيان فاملت عليهم مسئلة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة
وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول وانما حاولت به التنبيه على عزارته
نكتبهذا العلم وان يكون لهم منارا ابتحيدونه ومثالا لاتحيدون عنه فلما صمم العزم على معاودة
جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي كل بلدة ممن فيه
مسكة من اهلها وقليل ما هم عطفتي الاكاد الى العثور عاذلك الملمي متطلعين على اثناءه
حراصا على اقتنائه فهنالك رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل
بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنة الامير الشريف الامام شرف الاصول
والفروع ابو الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والثمامة في بني الحسن
مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهمهم حشا واوفاهم رغبة حتى
ذكر انه كان تخدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع
الفيافي والمهامه والوفاد علينا فاخر اليوم لشوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد
ضاقت على المستفهي الحيل وعيت به العلل دراينني قد اخذت مني السن وتفعفع الشن
وناهزت العشر التي تمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة احصر من الاولى مع ضمان
التكثير من الفوائد والغض عن الزوائد ووفق الله وسدد ففرغت منه في مقدار مدة خلافة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا اية من ايات
هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله ان يجعل ما تعب
فيه منه سببا ينجيني ونورا الى على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية

لانها نزلت بكة مرة وبالمدينة اخرى وسميت ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن
من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز
والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون
فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق والآن منهم
من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس ٥

بسم الله اقرأ **قلت** هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك
قوله الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف
ينبغي أن يسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي
جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون لكونها كأنصاف الأسماء ولام الابتداء
وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الإضافة وبائها بنيا على الكسر **قلت** إنما فعلوا
ذلك فصلا بينها وبين لام الابتداء وإنما الباء فلكونها لازمة للجر فقط والجر والاسم أحد الأشياء
التي هو أولها على السكون فأطبقوا بها مستدبرين راء واسمه ليلا يقع ابتداء بالساكن إذ
كان حقهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة المعنيين من كل لكنة وشناعة ولوصمها
على غاية من الاحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم يقفوا الى زيادة شيء وهم من لم يكن يظن
واستغنى عنها بتحريك الساكن قال بهم وبهم قال **ه** باسم الذي في كل سورة سمه **ش** وهو من الأسماء
المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو
وهو العلو بسبب التسمية بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع
الصوت والنبز فتح الخلق الأعلى **فان قلت** لم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله
باسم ربك **قلت** قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة
الاستعمال وقالوا طولت الباء بعوضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال
لكاتبه طول الباء وأظهر السنات ودوروا الميم **والله** أصله الإله قال **ه** معاذ الإله
أن يكون كطبية **ه** ونظيره الناس أصله الأناس قال **ه** إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا **ه**
حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اللهم
والإله من إنما الحيارى كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود
بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذا السنة على عام القحط والبيت على
الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه **والله** أصله إلاه حذفت الهمزة فاختص بالمعبود بالحق ولم يطلق
على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق
من الناقة والحجر **فان قلت** أسم مشتق أم جامد **قلت** بل اسم غير صفة للاشتراك في الصفة
ولا صفة لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد ضد كما تقول رجل كريم
خبر وإضافة صفاته تعالى لا بد لها من موصوف جرى عليه فلو جعلتها كلها صفات لقلت

قوله فاكهة الكل ما يأكله الشيء أولا ثم صار اسما لكل مأكول بعد المصدر بمعنى الفتح
فالكاهة بمعنى الأكل ثم أطلق على أول الشيء المأكول
بمعنى المصدر لان الفتح معلق به أولا وهو مطلق معلق
بمجموعهما فهو المفتوح الأول قاله الفناري

فاكهة السعي أوله وغائبة آخره إذ بها الفوز والأوائل الأمور
والخواتم والجوامع منه ولعدم اختصاصها بالسورة ونحوها
كانت الواو للتفاوت بين الوصف الأسماء دون نائب الموصوف
لأن الأصل والكمال في الأسماء بعضهم والصفات إليه كالسبب
المفتاح الحمد مختص بالاستفادة فإنه هو المجموع الصحيح المفهوم
الكلي الصادق على الآحاد السورة كانت الإضافة بمعنى اللام كما في
ودين كل قائم عدد ورد يوم الكل ما هو وارد من الشيء حاصلا أو
الذي من كان نهارا جلا وفسادا وحين ثم ورد سمي السورة بناء
الكل على الفاتحة وسورة الحمد وسورة الصفات وسورة الثناء ظاهر فليتأمل

قوله منجما أصل معناه من النجم الذي هو الوقت
ثم أطلق على سبيل المجاز بمعنى الوقت إطلاقا للحال و
ارادة للمحل كما قال الشافعي رضي الله عنه أقل الحمل
بخمسة أي شهران أو ستان وذلك أن العرب كان
أكثر حسابهم وعدة أوقاتهم منوطا بطلوع الأنواء
وغروبها وهي المنازل الثمانية والعشرون ثم
نقل من هذا المجاز الى آخر وسواعطاء المال
دفعة بعد دفعة وذلك أن هذا الاعطاء لما كان
واقعا عند هذه النجوم أعني الأوقات أطلق التنجيم
وأريد به الاعطاء إطلاقا للمحل وارادة للحال
كما جاء في حديث عمر رضي الله عنه أنه حط عن مكاتب
له أول نجم أي أول حصة من المال ثم اشتقوا
من هذا المجاز الثاني أفعالا وقالوا نجم الدين
ونجم الكتابة ونجم الدين إذا أداه جمعا
ستعرفه هذا المعنى مذكورا في المغرب والمراد في هذا
الموضع هذا المعنى

غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى
الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير
ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود
وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه
قلت نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه
كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم
فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا
رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البنا لزيادة المعنى وقال الزجاج
في الغضبان هو الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف
وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل
اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد
في بنا الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل
في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة
وقول شاعرهم فيه ٥ وانت غيث الورى لا زلت رحمانا ٥ فباب من تعنتهم في كفرهم
فان قلت كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو
عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت فقد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون
فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر
ذلك ان يكون له مونث على فعلى كعطشى فقد حظر ان يكون له مونث على فعلانة كندمانة فاذن
لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص
وهو القياس على نظائره فان قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو
ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف
على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة
عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو
دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد
فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم كالتتمة

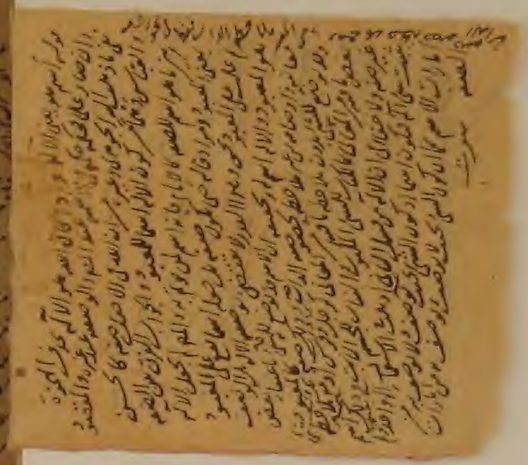

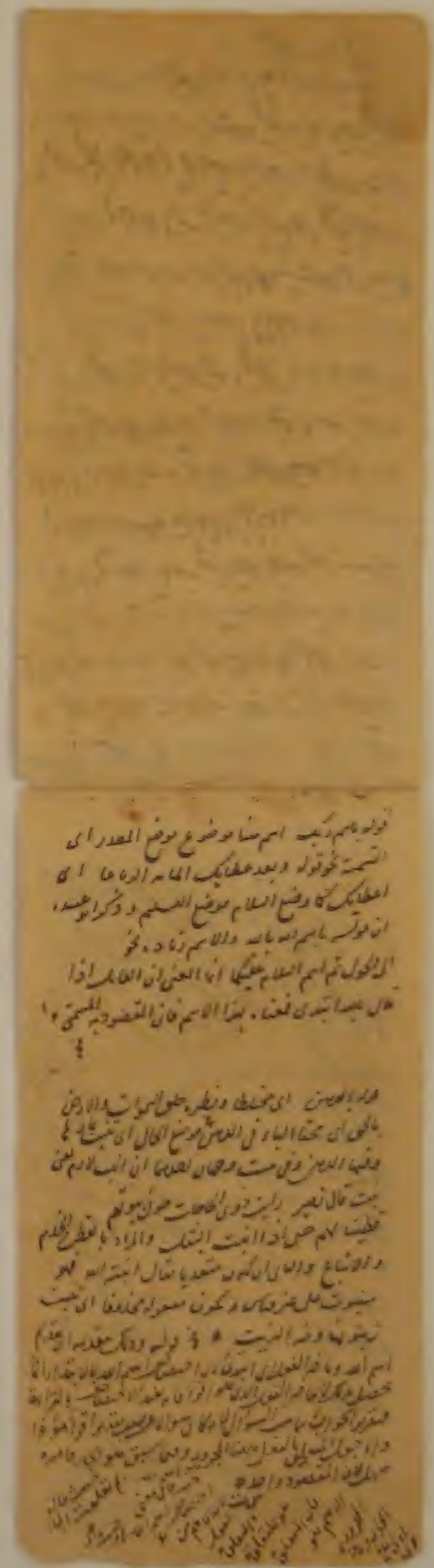

والرديف لينا وليا دق منها ولطف ۞ الجمد والمدح اخوان ومنه الثناء والتمدح اعلى الجميل
من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى
النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال ۞ افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني
والضمير المحجنا ۞ والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلم الحمد
راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على
موليها اشيع لها واذل على مكانها من الاعتقاد واداة الجوارح حفاء عمل القلب وما في عمل
الجوارح من الاحتمال خلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد
نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتدا وخبره الظرف الذي هو لله
واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي نصبها العرب بافعال
مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله
ثم لونها منزلة افعالها وسدوا بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها عوضا
كالمتراجعة المنوحة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتدا للدلالة على ثبات المعنى واستقراره
ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه
حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه
والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قبل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لمن حمدوا له كانه قيل كيف
نحمدون فقيل اياك نعبد فان قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في
اسامة العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو و
العراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي هو توكيد كثير من الناس وهم منهم و
قرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابو حنيفة بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام
لاتباعها الدال والذي حسن ذلك والمتاخ انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منخد
الجبل ومغيرة ثم نزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واتبع القرا بين
قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة التابعة للاعرابية التي هي اقوى خلاف قراءة الحسن
الرب المالك ومنه قول صفوان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني
رجل من هوازن يقول ربه يربه فهو رب كالقول ثم عليه يتم فهو مالك ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل فلم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره
على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي
وقرا زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل نادى عليه الحمد لله كانه قيل حمد
الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجناس
والاعراض فان قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فان قلت فهو اسم غير صفة وانما يجمع
بالواو والنون صفات العقلاء وما جرى مجراهم من الاعلام قلت جاء ذلك لمعنى الوصفية فيه
وهي الدلالة على معنى العلم ۞ قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رحمه الله
ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرا غيره
ملك وهو منصوب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين
ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس وملك الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم
الجزا ومنه قولهم كما تدين تدان وبئت اخاك ۞ ولم يبن سوى العدوان دينا يكادبه
فان قلت ما هذه الاضافة قلت هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع
وتجري مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه
مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فان قلت فاضافة اسم الفاعل اضافة غير
حقيقية فلا تكون مخطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت انما تكون
غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقديرها الانفصال كقولك
مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان ممتد
كقولك زيد مالك العبد كانت الاضافة حقيقية كقولك هو ولي العبد وهذا هو المعنى في مالك
يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله وناداى اصحاب الجنة وناداى
اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت
على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا خرج منهم شيئا من ملكوته وربوبيته ومن كونه
منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة
يوم الثواب والعقاب يعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه هو حقيق بقوله الحمد لله دليل
على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد اجق منه بالحمد والثنا عليه وما هو اهله ايا ضمير منفصل
للمنصوب والياء اجق التي تلحقه من الكاف والهاء والتاء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب
والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست اسما مضمرا وهو مذهب

الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب
فشيء شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تأمروني اعبد قل
اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك
بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل فهياك والامر الذي ان
تراجعت موارده ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه
ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه
مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فان قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى
لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب
الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلث التفاتات في ثلثة ابيات
تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه
ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا
للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع
انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان
حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون
الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به فان قلت لم قرنت
الاستعانة بالعبادة قلت ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون
اليه من جهته فان قلت فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة
قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت لتتناول
كل مستعان فيه والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله
اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان
احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن جبير نستعين بكسر النون هدى اصله
ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة
الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب
وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا الصراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه
يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء
كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي التابعة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق
والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم
وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال
للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين
انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم
بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده
كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك
هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا
تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا جامعا
للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين
انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق
نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء
وقرأ ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى
ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة
وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير
صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت
فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم
عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يأبى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم

هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت
ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم
ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فان قلت
اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها
الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل
لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب
لانه بمنزلة قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله
عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضالين بالهمز كما قرا عمرو بن عبيد ولا
جان وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شابة
ودابة امين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سمي
بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول الله عن معنى امين فقال افعل
وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله
ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه لقنني جبريل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب
وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها
الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها
وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وعند الشافعي رضي الله عنه يجهر بها
وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته
عن رسول الله صلى الله عليه انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل
والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه السلام قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع
عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها
الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم تسمى به ضه من ضرب اذا تهجيته

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك الكتاب لا ريب فيه

وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما
كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وجدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم
طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف
فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة
على المعنى التهليل والحولقة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز
موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل
ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تادية
ذاته فحسب قبل ان تحدث فيه بدخول العوامل شيء من تاثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا
ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف
تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا
فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين
قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف
الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها
كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته
على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية
الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها
متصرف فيها بالامالة كقولك يا تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير
والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل
على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا
بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد
في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من الحروف من اجل اليا فلان
يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي
قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو
وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف

وليس بينا انها لو بنيت لحذى بها حذ وكيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء
وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء
قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها
الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها
اسماء الحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها
على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء
السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور
وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب
وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس
ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتأتى فيها ان يفتح نونها وتصير ميم
مضمومة الى طاسين فتجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع
الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو يزيد بن اوفى
العنسي يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم فاعرب حاميم ومنعها
الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث
والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت
بالحمد لله وقرأت سورة انزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض
المعار وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا وقال الآخر
تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز
في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى
فان قلت فما وجه قراءة من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الاوجه ان يقال
ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها
بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حاميم وطاسين وياسين لو قرئ به
وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين
كما قرأ من قرأ ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم

نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة الا
رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر فذاك امانة الله الثريد قلت ان القرآن والقلم
بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا
ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان
الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد
وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى
فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر
فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق لافعلن والواو
الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا
بمنزلة الواو وهذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب
فان قلت فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف
حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده
ما رووا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه
قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي
يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي تآكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان
من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي
في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر
حرف القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب
المبين انا جعلناه واما قوله صلى الله عليه حاميم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب
جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت
كان المعنى في ذلك الاشعار بان القرآن ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات
هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف
على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات
الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء

والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم
وتراكيبها رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة
منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو
المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها
تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر
من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في
معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان
والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت
باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى
به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب
من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت
ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلثة احرف
والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على
عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم
على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت
فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه
والمبادي كلها في تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما
اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك
بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل آية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك
بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت
ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة
السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد
آية والر ليست بآية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم
آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلثتها لم تعد هذا مذهب الكوفيين

ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت
كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب
الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده
وذلك اذا لم تجعل اسما للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف
كقوله عز قائلا الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح
محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسما للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت
ما محلها من الاعراب قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما
مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسما للسور لم يتصور ان يكون
لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة فان قلت لم صحت الاشارة
بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي
في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب
الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما
علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك
وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت
لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب
خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في
التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما اشير به الى
الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان
او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
فان قلت اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التأليف
وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه
ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستأهل ان
يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات
الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك
الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا

على ان الكتاب صفة وان تكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة
الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته
والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب
وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا
حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة
وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا
صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من
نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل
الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا
للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان
يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما ابعد
وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا
قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه
مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول
في قوله تعالى لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات
انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما
يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل
خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها
من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة
ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم
انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب
لا بأس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل
كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع

هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون

المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه
فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت
هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته
كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس
التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد
احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكف الحاجة فسمي المشارف للقتل والمرض
والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور
والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على
الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين
على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين
الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا
فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني
بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية
فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض
ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي
ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها
تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا
عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف
او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب
على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن
هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل
البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها
متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة
والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت

بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب
فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل من ما للحق واليقين ولا نقص انقص من ما للباطل والشبهة
وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضال افتضاحا ثم اخبر
عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا
النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه
وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز
في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه
الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير
اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك
على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا
تاما فان قلت ما هذه الصفة او واردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد
غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان
ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات
وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها
وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما
الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام
والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم
اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي
اذا وجد لم تتوقف اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين
واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان
لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين
يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام

الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات
والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه
التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن
العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا
يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته
ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما
روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد
كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية
فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان
بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال تعالى
عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت
الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت
الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي
لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه
ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما
يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان
بمعنى الغيبة فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه
ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن
اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها
وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين
هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال
اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظت عليها كانت كالشيء
النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت
كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها

ولا تؤان من قوتهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وقاعد عنه اذا تقاعس
وتنبط أوآدا وهما تعبر عن الإدامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت
القيام وبالركوع والسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المجمل
والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين
لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطأ رأسه والحني
عند تعظيم صاحبه لأنه يثنى على الكاذبين وسماها كفرانا وقيل للداعي مصل تشبيها في خشوعه
بالراكع والساجد واسناد الرزق إلى نفسه للاعلام بأنهم ينفقون احلال الطلق الذي يشاكل
أن يضاف الى الله ويسمى زكاة منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير
المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اسم كاة قال وتخصون بعض المال احلال بالتصدق
وجاز أن تراد به الزكاة المفروضة لأنه يأخذ الزكاة وشفقتها وهي الصلاة وان تراد
هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لتجيء مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وانفق التي وانفقوه
أخوان وعن بعضهم نفق التي ونفد واحد وكل ياجاء ماضاه نون وعنه فاء دال على معنى الخروج
والذهاب ويحوذ لك اذا تأملت قال ولت والذين يؤمنون ايمم غير الأولين لم يم المؤلفون
وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله ماهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب قال ولت يحتمل أن يراد هو لاء مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة
ايقانا لا مزيد عليه من أنه لا يدخل الجنة الا من كان صودا او نصارى وأن النار
لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الأخرى واعادة الأرواح في
الأجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من فاز بالنعيم المقيم والملذ بالمطاعم والمشارب المشتهاة
على حسب مراتبهم في الدنيا ودرجته أعلون فزعموا أن ذلك انما أوجب اليه في هذه الدار
من أجل تلك الأجسام ولمكان التوالد والتناسل وأهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون
البتة بالنسيم والأرواح العبقة والتسامع اللذيذ والفرج والسرور واختلافهم في الدوام و
الانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسط
العاطف على معنى أنهم الكاملون من بين تلك الصفات وهذه قال لك فاذا أريد هو لاء غير

والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين الأول قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت
صفة التقوى مشتملة على الأمرين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا
وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما أنزل اليك قال ولت قوله بما أنزل اليك ان عنى
به القرآن بأسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي
وان أريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فما ايمان بعض المنزل واشتمال الايمان على
الجميع سالفه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان
بعضه منزلا تغليبا للموجود على المعدوم كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب
فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان لأنه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول
جعل كأن كله قد نزل وأنهي نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ولم
تسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما يذكر ونا ينظر به قولك كان ما خطب به
فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وسواد ولا يريد بهذا الماضي منه تحديد الأنى لكونه معطوفا
بعضه بعض ومربوطا آنيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك على
لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم ما آخرة وبالآخرة يوقنون على تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من
اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصاد عن ايقان وأن اليقين ما عليه
بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة نائبة الآخر الذي هو نقيض الأول ومن صفة الدار
بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها
بأن حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة لوض وقرأ أبو جعفر المنبري يوقنون
بالتشديد جعل الضمة في حكم الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو ووجوه ووقتت ونحوه قال
الموقدان الى مؤنثي وحقه اذ أضافهما الوقود أولئك على هدى الجملة في محل الرفع ان كان
الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين لك اذا أثبت الابتداء بالذين
يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين فاختص
المتقون بأن الكتاب لهم هدى أخذ له سائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله
الذين يؤمنون بالغيب الى عاقبته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها
خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليس على صفتهم
أي الذين هو لاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن هداهم الله ويعطيهم الفلاح وتظهر قولك

احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة
وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد
اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا
وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجيء تارة باعادة اسم من استونف عنه
الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك احسنت
الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها
على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرتفع
الثاني على الابتداء وخبره اولئك قلت نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا
باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون
الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون
قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا
فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله ۞ فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا
مذمما ۞ ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به
شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في
قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من
عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى
الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى
كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي ۞ فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد
لقد وقعت على لحم ۞ والنون في من ربهم ادغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد
وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي
عنه فيها روايتان وفي تكرير اولئك تنبيه على انهم كما تثبت لهم الاثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح
فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على
حيالها فان قلت لم جامع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل
اولئك هم الغافلون قلت قد اختلف الخبران ها هنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين
ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية

ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون

مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد
بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره او هو
مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت
من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين
وتحققوا ماءهم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك
هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز
من قائل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة
وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك
في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب
والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى و
احشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة ۞ والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي
انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي
بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق
وفلذ وفلا لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى
عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة
المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب
وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين
ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت
ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب
وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين
في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين
يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر
في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب
المتقين سبيله الاستيناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين وتابع

لفظ المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز
ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان
يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرجى معه بعده وعن يمن ودل على تناوله له
للعبرة الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم وسواء اثم بمعنى الاستواء وصف به كما
يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء
للسائلين بمعنى مستويه وارتفاعه على انه خبر لان وانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع المرتفع
به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستوى عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا
مختصم اخوه وابن عمه او يكون انذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما
بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان فان قلت الفعل اذا اخبر به لم يخبر عنه
فكيف صح ان اخبر عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس الكلام المنحى فيه جانب اللفظ
الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يعملون في مواضع من كلامهم المعاني مبلا بتا من ذلك
قولهم لا ناكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر
اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل وامهزه وام مجردة ان لمعنى الاستواء وقد
سلخ عنها معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على
حرف الاستفهام كما ان ذاك جرى على صورة الابتداء ولا ابتداء ومعنى الاستواء وما في علم المستفهم
عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا يعينه فكلاهما معلوم
بعلم غير معين وقرئ انذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وبتخفيف الثانية
بين بين وبتوسط الف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام
وبحذفه والفاء عوضه على الساكن قبله كما قرئ فذا فلا فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية
الفا قلت هو لحن خارج من كلام العرب حرج بين احدهما الاقدام على جمع الساكنين
على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله ولا الضالين
وهو بصة والثاني خطأ طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة الميتورة المفتوح ما
قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها
همزة رأس والانذار التخويف من عقاب الله المزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

قلت اما ان تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض الختم
والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه
ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء
كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت
لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة
والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل
اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء
اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة
ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل
بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي
كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاز بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية
وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الاله على
لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر
فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل
اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه
عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم
الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة
القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة
في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا
ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت
الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم
ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك
وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته
وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت
به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها

نحو قلوب الأغنام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها
أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها
عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير
الله لله فيكون الختم مسندا إلى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير
هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب
له فإسناده إلى الفاعل حقيقة وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة
وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جرأته فيستعار
له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر
شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر
جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الأمير المدينة وناقة ضبوث وحلوب
وقال إذا ردعا في القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا
أن الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب
ووجه رابع وهو أنهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر
ولا تجدي عليهم الألطاف المحصلة ولا المقربة إن أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بأنه
لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا واختيارا طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم يبق طريق
إلا أن يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن
ترك القسر والإلجاء بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه
إلى حد لا يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي
واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه
تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تأتيهم البينة فإن قلت اللفظ يحتمل أن يكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية
فعلى أيهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فإن قلت أي فائدة في تكرير الجار في قوله
وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد

للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك إذا أمن اللبس فإذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وأنت
تريد الجمع رفضوه ولك أن تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الأصل يدل عليه جمع
الأذن في قوله وفي آذاننا وقر وأن يقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن أبي عبلة
وعلى أسماعهم فإن قلت هلا منع أبا عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء
وهو الصاد قلت لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين
وذلك أعون شيء على الإمالة وأن يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي
ويدرك المرئيات كما أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران
لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للإبصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة
بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا
والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه
ومنه العذب لأنه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده ويدل عليه تسميتهم إياه
نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا لأنه يرقته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح
عذابا وإن لم يكن نكالا أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير
أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير
دون الصغير ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته
أو خطره ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعا من الأغطية غير ما يتعارفه الناس وهو
غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله اللهم
أجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا
دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر
تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية نعى عليهم

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم
اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص
ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه
وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر
احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر
زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار يخادعت على واحد وجه صحيح قلت
وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار
لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة
ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما
رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم
عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعن ما يطرقون به من سواهم
من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم
الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا
حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض
بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد
واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق
اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما
يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة
المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما
يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة
المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به
وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون
للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا

ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا
نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم
نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة
نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في
الامر واتجه له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجس
النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين
له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان
الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم
وآراءهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق
ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان
يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض
اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار
الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة
في نقائض ذلك والمراد به ههنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد و
البغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي
وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم
حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول
الله اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه
البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما
تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون
به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواؤه يخفق اياما ثم يفر فضعفت حين ملكها اليأس
عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجرأتهم وجسارتهم في
الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين
وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة
الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان

ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴿١٠﴾ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض

أليم فعيل بمعنى مفعول كالسميع بمعنى المسمع والنذير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع من الإيلام كالداعي السميع يؤلم قلبي وأعصابي بوجع داء أو احتقار المخصص يقلقني ويؤلمني ويؤرقني وأني لأعتقد أن الأليم بمعنى المؤلم على إبقاء المفعول ودفع بأن الإيلام لازم فالأليم إما لازم أو على النسب كما في حواشي العلامة الدواني لعبد الله الأليم هو المعذب وقد استظلام

الله هو الذي زادهم ما ازدادوه إسناد الفعل إلى السبب له كما أسنده إلى السورة في قوله

فزادتهم رجسا إلى رجسهم وإسناد الفعل إلى المسبب له كما أسنده إلى الله في قوله

الأرض ازدادت واحدا أو علا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به أحاشيهم

وجبنا وخورا ويحتمل أن مراده بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الأصمعي مرض ومرضا

بسكون الراء يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله جنة بهم ضرب وجيع

وهذا على طريقة قولهم جد جده والألم في الحقيقة للمؤلم كالجد للجاد والمراد بكذبهم

قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وقيه وتمرنهم إلى فتح الكذب وسماجته وتحيل أن العذاب الأليم

لأجلهم من أجل كذبهم ونحو قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفروا وإنما خصت

الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو

قبيح كله وأما ما روي عن إبراهيم صلوات الله عليه أنه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض

والكل لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا إياكم

والكذب فإنه مجانب للإيمان قرن الكذب بالخيانة في حديث آخر وهو أن تحدث أخاك حديثا

هو لك به مصدق وأنت له به كاذب وقال عليه السلام من كذب كذبة تباعد عنه الملك مسيرة

ميل من نتن ما جاء به وقال عليه السلام إن الرجل ليكذب الكذبة فتنتن بها أخلاف سبعين

من ورائه وقال عليه السلام إن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقال عليه السلام

إن الرجل ليكذب حتى يقال ما أكذبه وما أظرفه وما أجلده وما علمه بالرجال وما ذاك فيه

ومن كذب فاجر ومجانبة الإيمان فجور ومن الكذب الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذئب

والكذب فاجر مجانبة الإيمان فجور ومن الكذب الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذئب

مبالغة في كذبه كما تقول صدق صدق وفضل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص

أو معنى الكثرة كقولك موت الأبل وموت البهائم ومركب الأبل ومن قولهم كذب الوحشي إذا أجرى شوطا

ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال

عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة وإذا

قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل

لهم لا تفسدوا كان صحيحا والأول أوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه

منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الأرض

هيج الحروب والفتن كان في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الإستقامة عن أحوال الناس والروح

والمنافع الدنيوية والدينية قال الله تعالى وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث

والنسل أجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل للحرب كانت بين طيئ بحرب الفساد

وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمالئون الكفار ويطلعونهم على المسلمين بما فيه أسرارهم

اليهم واغراؤهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى

الفساد قيل لهم لا تفسدوا أي لا تفعلوا ما تفعلون من الأفعال المؤدية إلى الفساد إذا

قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون

إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما القصر الحكم على شيء كقولك إنما يطلق زيد أو القصر الشيء على حكم

كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصتهم وتحصنت من عرتها بأنه

قادح فيها من وجه من وجوه الفساد والأمر مركبة من همزة الإستفهام وحرف النفي لإعطاء

معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والإستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله ألست

ذلك بقادر وليكونها في هذا المنصب من التحقيق لكاد تقع الجملة بعدها الإمصدقة نحو ما إن

به القيم واختها التي هي أساس من مقدمات اليمين وطلائعها أما والذي لا يعلم الغيب علما

أما والذي أبكى وأضحك رد الله ما ادعوه من الإنتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على

تحظ عظيم والمبالغة فيه من جهة الإستئناف وما في كلتا الكلمتين ألا وأن من التأكيد

وتعريف الخبر ولو سيط الفصل وقوله لا يشعرون أنوبهم في النصيحة من وجهين أحدهما

تقبيح ما كانوا عليه بعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق

الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط

سفههم وجهلوهم لنادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فإن قلت كيف صح

أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل لا يصح قلت الذي لا يصح

هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم هذا

القول وهذا الكلام نحو قولك القصر من ثلثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب

وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس

للعهد أي كما آمن رسول الله ومن معه ومن ناس معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه

لأنهم من جلدتهم ومن إناثهم جنسهم أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون

في الإنسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز

بين الحق والباطل والإستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام في السفهاء مشارها إلى

الناس كأنهم قالوا لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول أو قد فعل السفيه ويجوز أن تكون

للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم أنهم عندهم أعرق الناس

في السفه فإن قلت لم سفهوهم واغتروا بإعتقادهم ومن العقلاء المراجيح قلت

لأنهم لجهلهم وإخلادهم بالهوى وانصراف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما

عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم وبسار

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون

وكان أكثر المؤمنين فقراء منهم موالي كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء لتحقير الشأنهم أو أرادوا
عبد الله بن سلام وأشياعه ومقاولتهم إياه وما ظهر من إسلامهم وتمسكهم في أعضادهم قالوا ذلك
على سبيل التجلد لتوقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة
الحلم قال قلت لما فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لأن أمر الديانة
والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر
المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر ديني
مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من
التخاور والتناجر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر السفه وسخر جهل
فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا لما سيق له أول قصة المنافقين
فلين نكر بأن تلك بيان مذهبهم والتزهة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يبطنون عليه مع
المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم فإذا
فارقوهم إلى شياطينهم صدقوهم بما في قلوبهم وروي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا إذا
يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم
فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين
الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا
فنزلت ويقال لقيه ولاقيته إذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ظاهري ومرا وفي
وقوا أبو حنيفة رحمه الله وإذا لقوا وخلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ويجوز أن
يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به
إذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان نعت به ومعناه وإذا انهوا السخرية بالمبطنين
إلى شياطينهم وصدقوهم بما كانوا يقولون أجمد البك فلانا وأدعه البك وشياطينهم الذين ماثلوا
الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان من موضع من كما به أصلية وفي آخر زائدة
والدليل على أصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن إذا بعد لبعده من الصلاح والخير
ومن شاط إذا بطل إذا جعلت نونه زائدة ومن أسمائه الباطل إنا معكم إنا مصاحبوكم ووافقوكم

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون

فإن قلت لما كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالإسمية محققة بأن قلت
ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأن يؤكد الكلامين وأن يؤكدا لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان
منهم وتشبثه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أو حدثوا في الإيمان غير منفوق فيه عباريهم و
ذلك أما لأن أنفسهم لم تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل
قول لم يقصد به عن أريحية وصدق رغبة واعتقاد وأما لأنهم لا يروجون عنهم لو قالوا على
لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطعنون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين
والأنصار الذين مثلهم في التوراة والإنجيل الآتي ذكرهم في حكاية الله قول المؤمنين لنا إنا آمنا
وأما مخاطبة أحوالهم بهم فيما أخبر به عن أنفسهم من التثاقل على الصلوات والقرار على اعتقاد
الكفر والبعد من أن يزل عنه على صدق رغبة وتوطين نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من
ذلك فهو رائج عندهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومنه للتوكيد فإن قلت إلى تعلق
قوله إنا معكم مستهزئون بقوله إنا معكم قلت على معنى التوكيد له لأن قوله إنا معكم معناه الثبات
على اليهودية وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع له منهم لأن المستهزئ بالشيء المستخف
به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو بدل عنه لأن من كفر
بالإسلام فقد عظم الكفر أو استيناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم آمنا معكم فقالوا إنما
بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أهل الإسلام فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية
والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ الهزأ مات على
المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت الهزأ أن علي مكاني وناقته هزأ به أي سرع
وتخف فإن قلت لم يجوز الاستهزاء على الله تعالى لأنه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث
والجهل الأنى إلى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه
بهم قلت معناه إنزال الهوان والاحتقار بهم لأن المستهزئ عرضه الذي يسخر منه هو طلب
الخفة والزراية بمن يهزأ به وإدخال الهوان والاحتقار عليه والاشتقاق كاذكرناه فهذا ذلك
وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وإزراء الأمر بهم والدلالة على أن مذاهبهم
حقيقة بأن تسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر من مجازاة دعون من
الله تجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل يجعل جزاء
الاستهزاء بإنابة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فإن قلت

والله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

كيف اسند قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاء وبهم اليه بالاستهزاء اولا بوعيده له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للهي يليق ان يتعاطى جنابه الاستهزاء بمثله فان قلت هلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون مطبقا لقوله انما نحن مستهزئون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء او تجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم او لانهم انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلصون في اكثر اوقاتهم من هتك استار ونكشف اسرار ونزول في ساحتهم واستشعارا لحذر من ان ينزل فيهم لحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم يمدهم مد الجيش ويمده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت البراج والارض اذا استصلحتهما بالرتب والتسميد ومده الشيطان في الغي وامده اذا اوصله بالوساوس حتى يتلاحق عنده ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت ان المد من المدد دون المد في العمر والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخواتهم يمدونهم على ان الذي يعني مملا انما مويد له مع اللام كاملي له فان قلت فكيف جاز ان يقولهم الله مدا في الطغيان وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطاقة التي يمتحنها المومنين وحد لهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه نقصا في قلوبهم مزايد الرين والظلمة مهاترا الى الانشراح والنورة في قلوب المومنين فسمي ذلك الزايد مددا واسندا الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية عنه وبين اغواء عباده فان قلت فما تصنع على تفسير المدة بالطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوعه عليه قلت استجرتهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسندوا الى الشياطين ولكل المعنى الصحيح ما يطابقه اللفظ وشهد لصحته واتى كان منه بمنزلة الازدواج من النعام وهن جنس مغترها كتاب الله الباهر وكلامه المعجز الذي تحداهم به فاعياهم نظما لالفاظه وبلاغة على حسنه والبلاغة على ما لها وسلموا وقوع به التحدي سلما من القادح فاذا لم يعارضوا وساغ اللغة فهم من معارضة النظم والبلاغة

اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

على مراحل وبعد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم بما دون وان هو لا من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنه بالكسر ومثلهما الغثيان والقيان وعثان وعثمان فان قلت اين مكنه في اضافتهما اليهم قلت فيهما ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله برئ منه ردا لاعتقاد الكفرة الضالين لولا ان الله ما اشركنا ونفر بهم من عسى ان يتوهم بعد اسناد المد الى انه لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان جعله فلما اسند المد اليه على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري ابن وجهه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم ولا درابة بالطرق وسلك اضاعتها لا مسارها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستحبابها عليه على سبيل الاستعارة لان الاشتراء انما يكون بين شيئين يعرض كل واحد منهما على صاحبه ويطلب كل واحد منهما بصاحبه اعطاء صاحبه ما اخذ واخذ ما اعطاه وبالنسبة الواضحة الدرر اه وبالطويل العمر عمر اجدرا اه كما اشترى المسلم اذ نصرا اه وعن وهب قال الله عز وجل فيما اتعب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتغون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا التمكن منه واعراضهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوا به وان الدين القيم منوطة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل درهمه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والتربح الفضل على راس المال ولذلك يسمى الشف من فوك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا اشف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كاتها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقوا ابن ابي عبلة تجارتهم فان قلت كيف اسند الخسران الى التجارة وهو من صفة اصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند الفعل الى شيء يلتبس بالذي هو في الحقيقة له كما التبست التجارة بالمشترين فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جارتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد المقدام او ان تقيم

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا

حال والالم يصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مشابعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التى تسلم بالمجاز الدرجة العليا وهو ان تشاكل كلمة مشاق المجاز ثم تفقى باشكالها واخواتها اذا لاحظت لم تر كلاما احسن ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كأن اذنى قلبه خطلا فانهم جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذكر رؤس النخل اذ هى اطول شىء فى البلادة فادعوا لقلبه اذنين واذ دعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة ممثلا يلحقها بالبلادة الحمارية مشاهدة معاينة ونحوه ولما رأيت النسر عز ان دايته وعشش فى وكريه جاش له صدرى لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر النعش والوكر ونحو قول بعض فتاكهم فى ابنه فما اتم الزهد فى وان اذلت بعائلة باخلاق الكرام اذا الشيطان قطع فى قفاها تنقفناه بالحبل النوآم اى اذا ادخل الشيطان فى قفاها تنقفناه بالحبل المتين الحكم بذاذا اخذته واثبات الياء فى اخذتنى احتذاء فى ازالة غضبها واماطة ما ينوبه من خلفها استعار النقض او لانه ضم اليه النفض ثم الحبل النوآم فكذلك ذكر سبحانه الترى انبعه ما ينسأ كله وبواجيه وما يتبل وبهم بانضمامه اليه تمثيلا لاختبارهم وتصويرا لحقيقته

فان قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيآن سلامة راس المال والربح وهو قد اضاعوا الطريقين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق فى ايديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا باعاظم ما يظفر به من الاعراض الدنيوية لان الضال خاسر دآئر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطريق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه وخسر لما جاء حقيقة بصفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظاير شان ليس بالخفى فى ابراز خبيات الغائب ورفع الاستار عن الحقايق حتى يريك المتخيل فى صورة المحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغايب كانه شاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابى ولا مر ما اكثر الله فى كتابه المبين وفى سايركتبه امثاله وقست فى كلام رسول الله وكلام الانبيا والحكما قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل فى اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السايرالممثل مضربه المورد ومثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه اهلا للتسيير والاجدر بالتداول والقبول

فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

استوقد فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه واحمى من التغيير فان قلت ما معنى تشبيه احد المثلين باحد قلت قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون اى وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ فى بيان عجايبها والله المثل الاعلى اى الوصف الذى له شان من العظمة والجلالة مثلهم فى النوادية اى صفتهم وشانهم المتعجب منه وليس فى المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة فى الخير والشر فاشتقوا منه صفة للتعجب الشان فان قلت كيف مثل الجماعة بالواحد قلت وضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا والذى سوغ وضع الذى موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا نحو من الصفات امران احدهما ان الذى لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكثر وقوعه فى كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك تهكموا بحذف ما يا ثم كثرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها فى انما الفاعلين والمفعولين والثانى ان جمع ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان اسم الموصول بلفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد تحسين المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذى استوقد نارا على ان المنافقين وذوا تهم لم يستنهوا ابدا المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحو قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل فى الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل منير ونور نفوس الظلمة واشفافها من نار يئور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وسى الآلة متعدية ولعل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والباعث على العدول عن المعنى الى ان ما حول المستوقد اماكن واشيآ تعضده قراءة ابن ابى عبلة ضآت وجه اخر وهو ان يسند فى الفعل ضمير النار وحظ اشراق ضوء النار وحوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة فى معنى الاماكنة وحوله نصب على الظرف وناليفة للدور والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت

Powered by Google

صم بكم عمي فهم لا يرجعون

ظلمات لا يبصرون

احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثانية محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به
وانما جاز حذفه لان سياق الكلام مع امن الالباس يدل عليه وكان الحذف اولى من الاثبات
لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما تولع من اللفظ في اداء
المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله حيث صفوا خايطين في ظلام متحيرين على قوب الضوء
خايبين بعد الكدح في احيا النار فان قلت فاذا قدرا لجواب محذوفا فاين يتعلق ذهب الله بنورهم
قلت يكون كلاما مستانفا كانه قيل فما شبهت حالهم حال المستوقد الذي طفئت ناره فاعترض
قايل يقال يا الهي قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا
من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه
في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده
في حوله فلحمله على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله
ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت النار بسبب سماوي كريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب
بنور المستوقد ووجه اخر ومعناه ان كون المستوقد في هذا الوجه مستوقدا نارا لم يرضها الله
ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متفاصرة مدة اشتعالها
قليلة البقا الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها
العوام ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المحاسن يهتدوا بها في طرق العيش فاطفاها الله
وحبب اماتهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت
هو جار على طريقة المجاز المرشح فاحسن ما يرد وقلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله
فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم
لكان موهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا وطمسه اصلا الا ترى
كيف ذكر عقيبه تركهم في ظلمات فان الظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف
نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة متبربرة لا يرى فيها شيء وهو قوله لا يبصرون
فان قلت لم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للشاطر صوله ثم تضمحل ولوخ
الصلالة عصفه ثم تخفت ونار الغرض مثل لزوجه كل طامح والفرق بين اذهبه وذهب به
ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا وبقال ذهب به اذا استصحبه ومعنى معه وذهب
السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا الذهب كل اله ما خلق منه ذهبته احيانا والمعنى

اخذ الله نورهم وامسكه وما امسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب
الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا اغلق بواحد كقولهم تركه كتركك ظبيا ظله فاذا اغلق بشيئين
كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقول عنترة فتركنه حزر السباع ينشنه ومنه
قوله وتركهم في ظلمات اصلهم في ظلمات ثم دخل تركك فنصب الجزءين والظلمة عدم النور وقيل
عرض يناقي النور واشفاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تفسد البصر
وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات بتخفيف اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط
من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى احضاره بالبال لا من قبيل المقدر
المنوي كان الفعل غير متعد اصلا بمعنى قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فان قلت
ايهم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت بالذين عبر عنهم بضمير الجماعة حيث قيل حولهم
فان قلت وان الاضاءة في حال المنافق وهو ابدا الدهر خابط في ظلام الكفر قلت المراد
بما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضائتهم بنور هذه الكلمة
ظلمة النفاق التي ترامى بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان تشبه بذهاب الله
بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واسموا به من سمة النفاق والاوجه
ان يراد الطبع لقوله ختم الله على قلوبهم وفي الاية تفسير اخر وسواتهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة
بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل لتمثل هذا الذي باعوه بالنار الضيئة بما حول المستوقد بالضلالة
التي اشتروها وطبع الله على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم
كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق ما معهم واوا ان ينطقوا به السنتهم و
ان ينظروا وينبصروا بعيونهم جعلوا كانما ايقنت مشاعرهم وانتفضت بناءا التي بنيت عليها للاختبار
والادراك كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكروا به وان ذكرت بشر عندهم اذيعوا به اصم عما
ساءه سميع اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريده فاصمت عمرا واعيته
عن الجود والفخر يوم الفخار فان قلت كيف طريقة عدم الابصار قلت طريقة قولهم
ثم لبوت للتحقيق ويجوز للاستحيا ان هذا في الصفات وذاك في الاثنا وقد جاءت الاستعارة
في الاثنا والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا وثبت فيما عن الخير ودحا الاسلام واضا
الحق فان قلت هل تسمى هذه الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على انها ليست

حذر المؤلف من ان الله محيط بالكافرين

قلت اخذ ذلك من قوله تعالى وما يشعرون

البحر ان هذا اعذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون

ورجلا سالما لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات

المركبة دون المفرقة لانه لا تكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفصل والمذهب

الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معرا ولا بعضها من بعض فيأخذ المجموع ذاك فتشبهها

بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وحافى القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت

حتى عادت شيئا واحدا اما حرفيا مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال

اليهود في حملها بما معها من التوراة وابائها الباهرة بحال الحمار في حمله مما يحمل من اسفار الحكمة

وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحملها ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بامر

يدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد فيه تقارب

زهرة الدنيا كقلة بقاء الحصر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض

ومتصيرة شيئا واحدا فلا فكل للما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خطوا فيه

من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما كابد من ظفيت ناره بعد ايقادها

في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السما في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت

الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وبقوله او كمثل ذوي صيب

هل تقدر مثله في المركب منه قلت لو طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم جاز

اليه لكنه مستغنى عن تقديره لاني ارى الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام دالة على اولى

حرف التشبيه مفردا بتاتي التشبيه به اما لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف

ولي الما الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالما ولا بمفرد آخر يحمل لتقديره وما هو من هذا

قوله ليبد وما الناس الا كالديار واهلها يهون جلوها وغدو البلاقع لم يشبه الناس

بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها وشك

نهوضهم عنها وتركها خالية قال قلت اي التمثيلين ابلغ قال قلت الثاني لانه ادل على

فرط الحيرة وشدة الامر فطاعنه ولذلك اخر وسيم يندرجون في نحو هذا من الهوين الى الاغلظ

قال قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت او في اصلها للتساوي

شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس

تشبيها بليغا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث

يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا

دلالة الحال او مجرى الكلام كقول الهذلي لدا اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتاسون التشبيه ويضربون عن لوثه صفحا قال ابو تمام

وبصعدة حبي الظبي الجهول بانه حاجة في السما ولبعضهم لا تحسبوا ان رحت عنه رحلا

فقد غبت وليت مثل مثل وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة لحذف المسند فانا نقول

بذلك الى تسميه استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من خاطب الحجاج اسد

على وفي الحروب نعامة فتخا تنفر من صفير الصافر ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى

الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها فتجيء لا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المخبرين

الذين هو اجامدين على ما كانوا عليه لا يبرحون ولا يدرون ان يستقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون

الى حيث ابتدأوا منه ثم شبه الله سبحانه في شانهم بمثل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف

واضاحت ايضاح وكاشف على البليغ في مطاني الايجاز ان يجمل ويوجز فذلك الواجب

عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع الناظر الحاذق يرتمون بالخطب الطوال

وناره وحي الملاحظ خيفة الرقباء ومما يشبه من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى

والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والاترى

الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرفوعه

قال قلت قد شبه المنافقين في التمثيل الاول بالمستوقدنار او باظهارهم الايمان بالاضاءة والانتفاع

انتفاعهم باظفاء النار وما شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق بالصواعق

قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حيوة الارض بالمطر

وما يغلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب

الكفرة من الصواعق والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق المعنى او كمثل ذوي صيب

والمراد كمثل قوم اخذتهم السما على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا قال قلت هذا تشبيه

اسنادا شاملا لذكر المشبهات وظلاصريح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا

وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قوله امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

القصد

الحسن او ان سيبرس يريد انهما يتهاديان في استصواب ان الحال لسانه منه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اى الآثم والكفور منهما وبان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية نصفه للنافض يشبهه بكيفيتي هاتين الفصتين وان الفصتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبانتهما مثلتهما فانت مصيب وان مثلتهما بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اى ينزل ويقع ويقال سحاب صائب وصيب قال الشماخ ٥ وانجم دان صادق الرعد صيب ٥ وتنكير صيب يدل على انه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقوى كصاب والصيب الخ والسماء هنا للمظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت فوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فتبقى ان تصوب من سماء اى من افق واحد من بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء وقوله واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ٥ ومن بعد ارض يمنا وسماء ٥ والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء صيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امثل ذلك بان جعلة مطبقا وفيه ان السحاب من السماء يتحدر ومنها يأخذ ما لكونه من جرم انه يأخذه من البحر ويوليده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت ثم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتساع لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدثها الرعد فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء يبرق اذا لمع فان قلت فقد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت ٥ اما ظلمات السحاب فاذا كان ايجم مطبقا فظلماته تجمعه وتطبقه مضمومة اليها ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسياحه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة بما فيه الا ترى تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يتعلق جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول النمر ٥ باعار ظهرا مثل فعا بزوده يحتال بين رؤوفه وزعوفه ٥ وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد الجنس ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا وعي بهما اصلهما ان تركب جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد

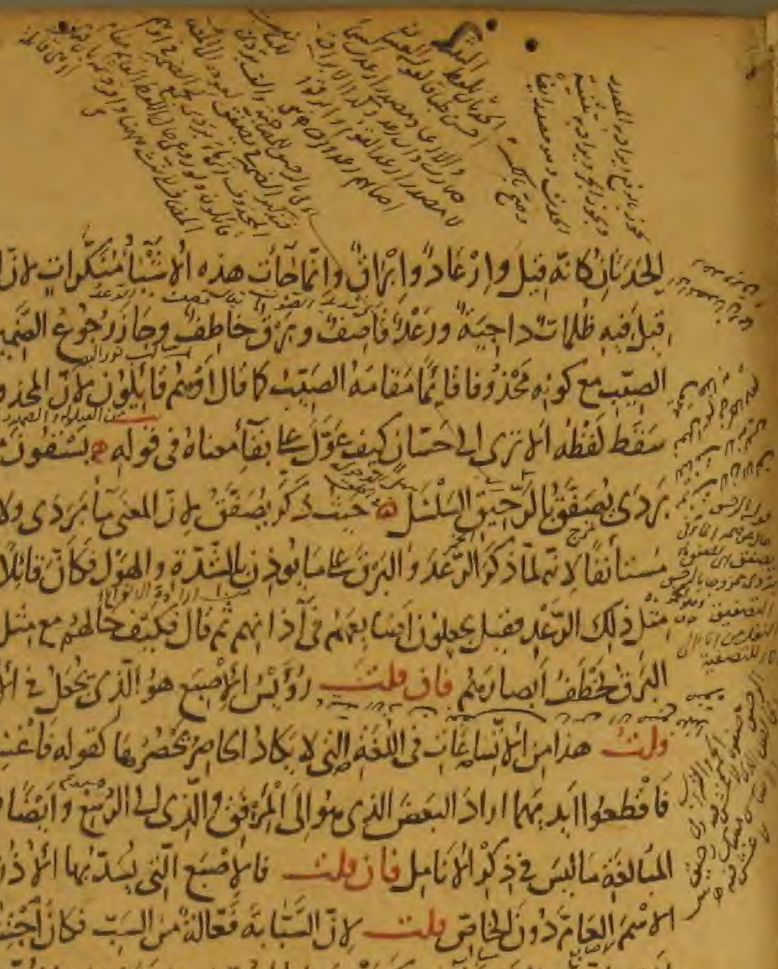

الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه مجرورا فافهما مقامه الصيب كما قال الاسم فاثبتوا لان المجرور باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى احسان كيف عول على بقاء معناه في قوله ٥ يشفون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل ٥ حيث ذكر يصفق لان المعنى ما بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يوذنان به من الشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤس الاصابع هو الذي يحاذي الاذن فلا فائدة انما يلهم قلت هذا من الاستعارات في اللغة التي لا يكاد احاصر تحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي في الرؤس والايصاء في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي يسدها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة ثم بنيت فيها النابغ ذلك العهد وانما احد نوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيبة والصاعقة صفة من الصعق سميت بذلك لانها تنقض معها شقة من نار فالوا انقض من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة جدية لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يخيل اليها انها سقطت على الحلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اى مات او بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواعق وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد منهما على حياله الا ترى انك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع فجمعهما خطبته ونظيره جذبه جذبا وجذب لبن بقليه لم يستويا في التصرف وبناء ما اما ان يكون صفة لفصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرئ ابى يبلى احذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله ٥ واغفر عوراء الكريم ادخاره ٥ والموت فتاد يبثه الحيوان وقيل عرض له بسبب معه احاطه الله بالكافرين مجاز

قال رضي الله عنه قد اتفق لي ليلة فيها صاعقة وزلزلة فاحترق بسببي من داخلها قال وكنا قد طهرت الصاعقة الزجاج وانطفيا فاذا الزجاج مسرج كما كان وفتيلها كما كان

كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم

والمعنى انهم لا يفوتونه كالا يفوت المحاط به المحيط حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها من الاعراب

الاخفش قرئ يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرها على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خوف البرق وخفيته وهذا مثل لشدة الامر على المنافقين بشدة على اصحاب الصيب وفيه من غاية التحير واشتمال ما يأتون وما يذرون اذا صادفوا مواضع البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انهز وانكل الخفقة في صيبه خطوا خطوات يسيره فاذا خفي وفتر لمعانه قاموا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واما اذا مستعد بمعنى كلما تولى عنهم ومشى وسلكا احدوه والمفعول محذوف واما غير مستعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوءه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما اضاء لهم والمشي حتى الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لان اضاءتهم جراءة على وجود ما هم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتلبث واظلم لحتمال ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ونشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس ما اظلما حالي ثمت اجلبا ظلامها عن وجه امرد اشيب وان كان محدثا لا يستشهد بشعره وفي اللغة هو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا كسدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد كاثر هذا الحرف في شاء واراد لانك لا تكاد تعثر في المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله فلو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بومبض البرق وقرأ ابي اذ ذهب بسمعهم وابصارهم على اذا الشرطية وجوابها محذوف تقديره لاذهب بسمعهم وابصارهم وانما حذف لان الكلام يدل عليه ويجوز ان يكون اذ بمعنى اذا كقوله قال سيبويه في باقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما خرج الثابت

من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان تعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكور وسواغ العام كان الله احص الخاص خبري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شيء قدير ومع الاشياء ما لا تتعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر قلت مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من ورآه منهم ولم تدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل من قادر ين فمختلف فيه فان قلت ثم اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار ما تقتضيه وآلته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصته كل فرقة مما يسعدها وينفعها ويحظيها عند الله ويردي بها اقبل عليهم بالخطاب ومن اللائق بالنفاق المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو من الكلام الجزل فيه هزة وتحريك من السامع كانك اذا قلت لصاحبك حاكا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت خطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك وموارد ك تتمته بالنفاق نحو فصل تنبيه واسند عنت اصغاه الى ارتيادك زيادة استدعاء واوجده بالانفعال من العثور الى المواجهة هازا من طنعه لاجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا في القرآن في الحديث والخروج فيه من تصنيف الى تصنيف يستفتح الاذان للاستماع وينبه النفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني وقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة وبا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت هتف به الرجل من دنا منه واستبعد القريب فله اي والهمزة ثم استعير في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتاكيد الموذن بان الخطاب الذي يليه معني به جدا فان قلت فما بال الداعي يقول في دعوات ربنا ربنا الله وهو اقرب به الله من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت

هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل
المقربين همما لنفسه واقرارا على بالتفريط في جنب الله مع فرط انهماكه على استجابة دعوته
والاذن لندائه وابتهاله واتى وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كالحارث والذى
وصلتان الى الوصف بأسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما
يوضحه وبين ابهامه فلابد ان يردفه اسم جنس او ما يجرى مجراه ينصف به حتى يتضح
المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه حرف النداء هو اى والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد
الظريف انما ان اتبعته يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفى هذا الترديد
من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المضمنة من الصفة
وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكافئته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا
مما يستحقه اى من الاضافة فان قلت لم كثر في كلام الله النداء على هذه الطريقة مالم
يكثر في غيره قلت لاشتماله بانواع من التاكيد واشتماله من المبالغة على كل ما ينادى
الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده وانتصاب
اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتبه انبيائه عظام وخطوب جسام
ومعان عليهم ان يحفظوها ويعملوا بقلوبهم وبصائرهم اليها ويمعنوا غافلون فانتصبت
الحال ان تنادوا بآيات الاكد الابلغ فان قلت لا تخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها
الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفارهم خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون
عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وما هو الا كقول القائل
* فلو اني فعلت كنت كمن سالة * وسوقايم ان يقوما * واما الكفار فلا يعترفون لله ولا يقرون
به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المؤمنين ازدياد هم منها وافنانهم وثباتهم
عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لابد لها منه وهو الاقرار بما يشترط على
المامور بالصلاة من شرائطها من الوضوء والنية وغيرها ومالابد للفعل منه فهو مندرج
تحت الامر به وان لم يذكر حتى يفعل الا به وكان من الواجب على ان مشركى مكة كانوا
يعترفون لله ويعترفون به ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله
اعبدوا امتالا لاستئنس معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت الازدياد من
العبادة عبادة وليس شيا آخر فان قلت لم المراد به قلت كان المشركون

معتقدين ربوبية الله وربوبية الهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم
يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التى كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذى خلقكم
صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للقرن جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذى
خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه فى خطاب الكفرة
خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء يقال خلق
النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وفرا ابو عمرو وخلقكم بالادغام وفرا ابو السميفع وقد
خلق من قبلكم وفى قراءة زيد بن على والذين من قبلكم وهى قراءة مشكلة ووجهها على
اشكالها ان يقال ان الموصول الثانى من الاول وصلتيه تاكيدا كما اخر جر بى فى قوله
* يا تيم تيم عدى لا ابا لكم * تيما الثانى من الاول وما اضيف اليه وكاخاهم لام الاضافة
بين المضاف والمضاف اليه فى لا ابا لك ولعل للترجى والاشفاق تقول لعل زيدا ياتينى
ولعله يهينى وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين
آمنوا مشفقون منها وقد جات على سبل الاطماع فى مواضع من القرآن ولكن لانه
اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لان محالة الجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم
وفائق به قال من قال ان لعل بمعنى كى ولعل لا يكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما القيت اليك
واقصا لمرديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم وزسومهم ان يقصروا فى مواعيدهم
التى يوطنون انفسهم على الجاز ها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلام او يخلوا
احالة او يظفر منهم بالزمرة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا غمر على شئ من ذلك منهم
لم يشق للطالب ما عندهم شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك
ذى العز والكبرياء او يجرى على طريق الاطماع دون التحقيق ليلا يمل العباد كقوله يا ايها
الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم فان قلت فما
التى فى الآية ما معناها وموقعها قلت التشبيه كما ذكرناه فى لعل فى قوله خلقكم لعلكم
تتقون لا يجوز ان يحمل على ظاهره لان الترجى لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وجملة
على ان خلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة فى الآية موقع المجاز
لا الحقيقة لان الله عز وجل خلق عباده للتعبد بهم بالتكليف وركب فيهم العقول
والشهوات وازاح العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى ايديهم

الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم

زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح
امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين ان يفعل وان
لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من يخفى
عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان قلت كما خلق المخاطبين
لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت
لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا
فان قلت فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم
قلت ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى
قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على
اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس
ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت
لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع قدم سبحانه من موجبات عبادته و
ملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها و
السبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي
لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومنقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي
كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد
النكاح من المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل
المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا
الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر
ويتفكرون في خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر
على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا
المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع
صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما
ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرا يزيد الشامي بساطا
وقرا طلحة مهادا ومعنى جعلها بساطا وفراشا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها

وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده فان قلت هل فيه دليل
على ان الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون
بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع
لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من اوتاد
الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او
قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته
ومشيته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق
الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة
حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا
صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة
من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات
وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى
البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا
هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل
الرزق كله في الثمرات ويجوز ان يكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا فان قلت فبم
انتصب رزقا قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة
كان مفعولا به لاخرج فان قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر
والثمار قلت فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت
ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة و
انما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائهما في الجمعية كقوله
كم تركوا من جنات وثلثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على
التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به
كانه قيل رزقا اياكم فان قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق

فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون

بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا تجعل لله يدا ولا شريكا أو بلغ على أن نصب فجعلوا اشتباه فاطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى آله موسى في رواية حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوا بخلقه أو بالذي جعل لكم أدار نعته على الابتداء أي هو الذي خلقكم فلهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تجعلوا له أندادا ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال حمزة أنتم تجعلون إلى ندا ومانعكم لذي حسبه ندية وناددت الرجل خالفته وناوأته من ندد ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي بأبلغ عبارة وأسدها وفي معانيه فإن قلت كانوا يسمون أصنامهم بآلهة ويعظمونها بأعظم ما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكأنهم لهم بلفظ الند شبع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين قارن دينه دينهم أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور وقرأ ابن محيصن السميفع فلا تجعلوا لله ندا فإن قلت ما معنى وأنتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الأمور وغوامض الأحوال والإصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكانه لا يصطلى بنار بهم في استحكام المعرفة بالأمور وحسن الإحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وأنتم من أهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد أي أنتم العرافون المميزون ثم إن ما أنتم عليه في أمر دينكم من جعل الأصنام لله أندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز أن تعدد وأنتم تعلمون أنه لا يماثل ولا ينافيه وبينهما من التفاوت أو وأنتم تعلمون أنها لا تفعل مثل أفعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لما احتج عليهم بما نصب الوحدانية وحققها وبطل الإشراك ونهد منه وعلم الطريق إلى إبطاله وتصحيحه وعرفهم أن من أشرك فقد كابر عقله وعطل عما أنيط عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأنا لهم كيف يتعرفون

وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله

هو من عند الله كما يدعي أم هو من عند نفسه كما يدعون بل شاهدتم إلى أن حرروا أنفسهم وبذلوا في إطفاء نوره وسعهم وسعى آباءهم وأهل جلدته فإن قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الإنزال قلت لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لكان التحدي وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجما نجما سورة وآيات عقب آيات على حسب النوازل وكما يكون الحوادث وعلى سنن ما يرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم متفرقا أحيانا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة والحاجات الناجمة لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لا على خلاف هذه العادة جملة واحدة قيل إن كنتم في هذا الذي وقع أنزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم سورة واحدة من نوبه وهلموا جما فرد من جوبه سورة من أصغر السور آية أو آيات شتى مقدر بذلك وهذه غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواو وها إن كانت أصلا فإما أن تسمى سورة المدينة وهي حائطها لأنها طائفة محوزة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

ولم أر سورة في المجد لبست على أحد سواءين لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي أيضا في نفسها مترتبة طوال وأواسط وقصار وأولى قعة ثانيها وجلالة محلها في الدين إن جعلت واوها منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة منه فإن قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت لعب القايلة في ذلك واحدة ولأمر ما أنزل الله التوراة والإنجيل والزبور وسائرها أو حاد إلى أنبيائه على هذا المنهاج سورة سورة منزجمة السور وبوئت المصنفون في كل فن كتبهم أبوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن وأدخل وأفخم من أن يكون بابا واحدا ومعنى أن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط وأهز للعطف وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر إذا علم أنه قطع

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين

وقد آه بالشاعليه انا دون هذا فدون نفسي في نفسك واتبع فيه فاستعمل في كل آحاد واحد الى حد
وتخطى حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا تخاذ وا
ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس مالك دون الله من واق اي الجاء وب
وغاية الله ولما تناليها لم يقلك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم
فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق
او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قولك انا دون زيد ثم تريد القدامى من ذوقها وسمي قدام القدامى
اي تريد القدامى قدامها وسمي قدام القدامى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بايحاد الذي
لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي
من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم ائتيتم بمثله وهذا من المباهلة وارخاء العنان
والى شعار بان شهدائهم وهم مدابرة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة
تابى عليهم الطباع وتجتنبهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بسجة الفاسد البتة
عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم اجالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز
وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله
يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من
الناس الذين شهادتهم بينة يصح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم و
الجزء لهم وان الحجة قد بهرتهم ولم يبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم
هذا لتجهل منهم على انفسهم من انهى التعجيز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه
فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم
يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وبينكم وبين اعمالكم واحلكم والجن
والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه العالم وحده
على ان اتى بمثله دون كل شاهد من شهدائكم تهوى معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية لما
ارشدهم الى الجهة التي منها يعرفون امر النبي صلى الله عليه وما جاءه حتى يعترفوا على حقيقته وانه
وانبياء حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم تستطيعوا له شيئا وبان لكم انه معجوز عنه
وقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فاسلموا وخافوا العذاب المخلد لمن كذب وفيه دلالة
على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله قال تعالى

فان لم تفعلوا ولن تفعلوا

اشقا أنا بهم بالتوبة واحث نهلا حتى باذا الذى للوجوب دون ان الذى للشك
فيه وجهان احدهما ان يكون القول معهم على حسب حسابهم وظنهم وان التحرز عن الخطأ فيه كان قبل
النازل كالممكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثانى ان تهكم بهم كما
يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاومه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه
غالبه ويتقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واى فائدة فى تركه اليه قلت
لانه افعل من الافعال تقول اتيت فلانا فقال لك لم تاتنا فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية
التى تطلبك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا
فى موضع كذا عاصفة كذا وشتمت وتكلمت به وبعد كيت وكيت وافعالا فتقول له ليس ما فعلت ولو
ذكرت ما اتيته عنه لطال عليك وكذلك لو لم تعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطال
ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله ولن تاتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها
قلت لا محل لها لانها جملة اعترضت فان قلت ما حقيقة لن فى باب النفى قلت
لا ولن احسان فى نفى المستقبل الا ان فى لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا افعم غدا فان انكر
عليك قلت لن افعم غدا كما تفعل فى انا نقيم وانى نقيم وسيعند الخليل فى احدى الروايتين عنه اصلها
لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مفتصب
لتاكيد نفى المستقبل فان قلت من اين لك انها اخبار بالغيب على ما هو به حتى تكون معجزة
قلت لانهم لو غارضوه بعد ان لم يمنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفا مثله بنا عليه مبنى العاد ومحال
لا سيما والطاعنون فيه اكثف عدد امن الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به
فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه فى انتفاء الفعل اتيانهم بسورة من مثله قلت
انهم اذا لم يأتوا بها وبتين عجزهم عن المعارضة عندهم صدق رسول الله واذا صح عندهم صدقه
لزمهم العناد ولم ينقادوا فلم يبق الا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استنكفتم الحق
فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث
ان من يتقى النار يترك العناد وبطريقه ان يقول الملك لجنده ان اردتم الكرامة عندى
فاحذروا سخطى وبادروا طاعتى وائتمروا امرى وافعلوا ما هو نتيجة حبى والتخطى من باب
الكناية التى هى شعبة من شعب البلاغة وفائدة الاخبار الذى هو من جملة القرآن وتهويل
شان العناد بانابة النار منابه وايراده فى صورته مستعادا لذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها

والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب
من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر
الهمدانى بالضم تشبيها بالمصدر كما يقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك
حياة المصباح السليط اى ليت حياة الابد فكان نفس السليط حبوبه فان قلت
صلة الذى والتى يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد
بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله
او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت
فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة فى سورة التحريم وهاهنا معرفة قلت تلك
الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه الصفة بالمدينة مشارا بها الى
ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار
ممتازة عن غيرها من النيران بان لها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد اجراء
الناس عليها واحماء الحجارة او قدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما اذا اجرائه او احماؤه ذلك
اعاذنا الله برحمته الواسعة توقد بنفس ما تحرق وبحر بالنار وبانها اضراطها حرها وبشدة دكاكها
اذا انصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة
بالناس والحجارة ام هى نيران شتى منها نار هذه الصفة قلت بل هى نيران شتى منها نار توقد
بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها فى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى
ولعل للكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان للكفرة الانس نارا وقودها حجارة
لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا
قلت لانهم قرنوا بها انفسهم فى الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها اندادا وعبدوها
من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية معبرة للحق فيه
فقوله انكم وما تعبدون من دون الله فى معنى الناس والحجارة وحصب جهنم فى معنى وقودها ولما
اعتقد الكفار فى حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم و
يستندفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها مجانسة فى نار جهنم الا غافى
ايلامهم واغراقا فى تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة
فتحموا بها ومنعوها من الحقوق حيث تحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار

من حجارة الكبريت وهي تخيس بغير دليل وذهاب عن ما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بعاني
التنزيل أعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة
من عاد يتعدى وعلا في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويتبع البشارة بالإنذار إرادة
التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأن عاقبتهم
بالعقاب فقارنه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات و
ترك المعاصي وجمعها من الإحاطة بالكفر والكبائر بالثواب فإن قلت من المأمور بقوله
وبشر قلت يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشر المشائين
إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به
وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يوذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق أن يشترك كل من
قدر على البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه
قلت ليس الذي اعتبر في العطف سوى الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتبر
في العطف سر جملة وصف ثواب المؤمنين نهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا
كما تقول بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد
على رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر
سروره ومن ثم قال العلماء إذا قال الرجل لعبده أنتم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه
فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال لكل من بشرني أخبرني
عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وبشاشة الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه
ولما بشر بهم بعذاب أليم من العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزإ به
وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله
فاعتبروا يا أولي الأبصار والصالحة نحو الحسنة هي جرتها مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء
وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل
العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين مجرى لام الجنس داخلة على المفرد
وبينها داخلة على الجمع قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس إلى
الخاطبة وأن يراد به بعضه إلى الواحدية وإذا دخلت على الجمع صلح أن يراد به الجنس

وأن يراد بعضه إلى الواحدية وإنما يصح في المجموع أن يراد به الجنس في الجنس وإن المفرد في تناول
الجنسية والجمعية في حمل الجنس إذا وجد به فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت
الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة
البستان من النخل والشجر المكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير تبصر خليل جنة سحقا
أي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة
من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما
فيها من الجنان فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول
إنها مخلوقة يستدل بنكثي آدم وحوا الجنة وبجمعها في القرآن على نحو الأسماء الغالبة اللاحقة
بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت
الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مراتبة على حسب استحقاق العاملين
لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت إنما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل
الصالح أن لا يحبطها المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة
وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والثناء
مختصة بمن هو كذلك وكون الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم
يتعقبه بما يفسده ويذهب حسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا وأعلم بقوله لنبيه
صلى الله عليه وسواكم الناس عليه وأعرفهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تبطلوا
له بالقول إخبركم بعضكم لبعض أن يحبط أعمالكم كان اشتراط حفظها من الإحباط والندم كالداخل
تحت الذكر فإن قلت كيف صورة جري الأنهار من تحتها قلت كأن ترى الأشجار النابتة على
شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين
وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري
من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض وإن كانت أنق شيء وأحسنه لا تروق
النواظر ولا تبهج النفس ولا تلذ إلا أن تحيى وتسقى والنشاط حتى تجري فيها الماء ولو كان الأنس الأعظم
فائتا والسرور الأوفر مفقودا وكأنك تسمع بأرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى
يذكر الجنات مشفوعا بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقا على قرائن واحدة كالتشبيب لأحد
الأحبين من صاحبه ولما فرغ منه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها

يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطأهم الطريق وصيت عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وأتوا به قلت الى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير

لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض تتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمان الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام قلت هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس

ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون

ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن وما ياخذنه من اعراق السوء والمناصب الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي فاتطهر به تطهرة فان قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذاك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان يكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحيي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطا حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا

وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا يغني استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذ لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله تعالى هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على

ما بعوضة فما فوقها

السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام ۞ من مبلغ أفناء يعرب كلها أني
بنيت الجار قبل المنزل ۞ وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد
عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة و
لولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل وإحاطته
بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد
مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه ۞ إذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد
وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون
استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن
وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله خاتما من ذهب وما هذه إبهامية وهي التي
إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي
كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة
هذا إذا نصبت بعوضة فإن رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف
صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي فيها معنى
الاستفهام لما استنكفوا من تمثل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي أن يضرب للأنداد
ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينارين
والمعنى أن لله أن يتمثل للأنداد وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ
وبما لا يدركه لتناهيه في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء
في العدد ولقد ألم به قوله تعالى إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة
بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن
وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها
عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين مجرى
ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض
وأنشد ۞ لنعم البيت بيت أبي دثار إذا ما خاف بعض القوم بعضا ۞ ومنه بعض الشيء لأنه قطعة
منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان

أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول
فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذلك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة
والثاني فما زاد عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بأدنى شيء فقال فلان يخل بالدرهم
والدرهمين هو لا يبالي أن يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم و
الدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم
عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما
يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا تضحكوا
إني سمعت رسول الله صلى الله عليه ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله
عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما
هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط فإن قلت كيف يضرب المثل بما دون
البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات
وقد ضربه رسول الله مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف
الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها
ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها
الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو
أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون
وأنشدت لبعضهم ۞ يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل ۞
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل ۞
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول ۞
وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد تقول
زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذاك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة
قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير
مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وأنه في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين

فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا

آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احتقاراً عظيماً لأمر المؤمنين واعتداداً بعلمهم انه الحق ويعنون على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحقا والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وما ذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة مبهمة على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتدا وخبره دامع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لوقوعه مفعولا به والاصوب في جوابه ان حمل على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرأى خير وفي جواب ما الذي رأيت خيرا اي رايت خيرا وقرئ قوله تعالى ويل لهم ماذا يفقهون بالرفع على العفو والنصب على التقدير من والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته لنفسك ومال اليه قلبك وفي حد المتكلمين الارادة تعني توجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله بعضهم على ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زايد على كونه عالما غنيا عن سواه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله منوا نه فاعلها وهو غني عن سواه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امرها والتصيير انه الحق المثل او المثل المضروب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لله دره فارسا ماذا اردت بهذا المثل اجوابا ولمن حمل بلاحار دنا كيف ينتفع بهذا اصلا حا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من جاب الهدى الذي ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجملة خبطا في ضلالهم فان قلت لم وصف المهتدون بالكثرة والفلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كاهل ما مكة لا جدها واجلة وجدت الناس اخبر تقله قلت اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بالقلة بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فنسوادها بالى الحقيقة كثيرا ان الكرام كثيرة البلاد وان قلوا كاغيهم فلوان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى

يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

وا هتدى قوم فنسب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس فراى عليه وقيدا فقال يا اباعبد الله ارى اثرا ما لحق فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها فانزل فاذا دجاج واحصنة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وتوازيد من يضل به كثيرا وكذلك وما يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من حدله هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطا رضي الله عنه وعن اشياعه وكونه بين بين ان حكمه في الدنيا حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس رحمه الله والزيدية ان الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاسم الا في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فتخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطايفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينتهوا بذلك الرمزة على مكانه ومن قولك لشجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثر بها لم تقل هذا الا وقد تنبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش والعبد الموثوق وعهد اليه في كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المنتحلون او منافقوهم او الكفار جميعا فان قلت فما المراد بعهد الله قلت ما اركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امرهم وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما قدمته من الكتب المنزلة عليهم كقوله واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين وما امروا به من الايمان بالانبياء اجمعين وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا لانه مذكور في كتبهم مبشر به فيها وقيل عهد الله ما ركز في العقول بشهادة دلايل العقل وقيل ما نصب في الفطر من الدلايل الشاهدة بوحدانيته وقيل ما ركب في العقول من التمييز بين الحسن والقبيح وقيل ما ركب في الفطر من الشهوة والنفور وقيل ما ركب في الفطر من الاقرار بالربوبية وقيل ما ركب في العقول من التمكن من معرفة الحق بالنظر الصحيح وقيل ما ركب في العقول من التمكن من معرفة الحق بالنظر الصحيح وقيل ما ركب في العقول من التمكن من معرفة الحق بالنظر الصحيح

وبقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون

النعم عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عقده اليهم وحسن صنعه
للذين آمنوا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصوا ايمانهم وكيف ابتز الله بنعمته الذين عدلوا او
نقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليهما من
التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يكفروا بنعمه ولا
يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى خلقه تلك عهود العهد الاول الذي
اخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين
ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وقيل
عهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا
يكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عند الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز
ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى
الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عندهم من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم
ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد
والاجتماع على الحق في ايمانهم بعض وكفرهم بعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل
ممن هو دونك وبعضه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه
من هو لاؤنك شبه بامر يأمر مرؤسه يفعل له امر نسبة للمفعول به بالمصدر كما هو مأمور به كما قيل
له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده ويم الخاسرون لانهم
استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعفا بها ثوابها معنى الهمزة
التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعلوم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان ويبعد الانكار
والتعجب وتنكيره قولك انظر بغير جناح وكيف تظر بغير جناح فان قلت قولك
انظر بغير جناح انكار للنظر لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما
ذكرت من الاسانيد والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر
والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها للانكار الفعل والابدان ما سبخالفه
في نفسه او لقوة الصارف عنه فما قولك في كيف حيث كان انكارا للحال التي وقع عليها كفرهم قلت
حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات بعد امتناع ثبوت الحال فكان انكارا لحال الكفر
لانها تبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وشأنها على طريق الكناية وذلك ابلغ في انكار

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون

الكفر وابلغ وخبر به انه اذا استقر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك
من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق
البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا
يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر فقد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا
وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم
انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت
ثم اليه ترجعون فان قلت بعض القصة ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح
ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا
قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وما دلها وآخرها
فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون فحال علمكم بهذه القصة فما وجه تخصيصه
قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال مستلزم لانكار الذات على
سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا
امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما
بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع
ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال لميت
يفارقه فيه الحياة من البشر قلت بل يقال ذلك لكل ما عدم الحيوة كقوله بلدة ميتا وآية لهم
الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس
فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور
وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب
بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء
والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر
فيه بكتبة العلم تراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور فان قلت من اين
انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على آيات بينات نصب لهم عن الكفر
ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات
وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لا خلق لكم ولا نفع لكم به في دينكم ودنياكم واما الانتفاع

هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم

الدنيوي ظاهر وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لأشباله على أسباب الأنس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالتبرز والصوارع والسباع والأحناش والسموم والمحاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها ولم يجر مجرى المحظورات في الفعل خلقت في الأصل مباحة مطلقا لكل أحد أن يتناولها وينتفع بها فان قلت هل يقول من زعم أن المعنى خلق لكم الأرض وما فيها وجه صحة قلت إن إذا بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء لأنك تقول السماء فوق إذا الجهات العلوية حاذ ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره إذا قام وأعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى إلى السماء أي قصد إليها بإرادته ومشيئته بعد خلق ما في الأرض من غير أن يتهيد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق والضمير في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الأول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما قرنت به معنى الاستواء إلى السماء بالقضاء ثم لإعطاء معنى التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على أنه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم مما اعتمد به لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم تحدث فيما بين ذلك أي في تضاعيف القصد إليها خلقا آخر فان قلت أما يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها قلت لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فشيء آخر وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان فلتزق بها فاتسعت الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله كانتا رتقا ومنه الرتاج وإذ نصب باضمار اذكر ويجوز أن ينتصب بقالوا والملائكة جمع

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ٢١

ملأى على الأصل كالشمائل في جمع شمال والخاف الثالثة ليجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما توكل في الأرض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصيرك في الأرض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض يخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف أو خلفاء قلت أريد بالخليفة آدم واستغني بذكره عن ذكرهم كما يستغنى بذكر الفصيلة في قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلفا يخلفكم فوجد ذلك وقولك خليفة بالألف ويجوز أن يريد خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي أنا جعلناك خليفة في الأرض فان قلت لأي غرض أخبرهم بذلك قلت لينشأ لوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم فتقل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ذوي أديانهم وصلاحهم وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة الجعل فيها تجب من أن يستخلف مكانا فاعل الطاعة أهل المعصية وسر الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير ولا يريد إلا الخير فان قلت من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما سوغ ذلك قلت عرفوه بإخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت في علمهم أن الملائكة وخدمهم هم المخلوق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أشكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل تكني الملائكة وهي تسبيك الشيء الذائب وصبه في القالب وسفكك من سفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول الحق بفلان وأنا أجر منه بالإحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها والعرب يجعلك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ونقدس لك لولا انعامك علينا بالتنبيه واللطف لم نتمكن من عبادتك أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو مخفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه قد بين لهم بعض ذلك بما أتبعه من قوله وعلم آدم الأسماء كلها واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض نحو اشتقاقهم يعفور من العفر وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس وما آدم الأبانيم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعابر وشالح وفالغ وأشباه ذلك والأسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما وما مد لوقوعه عليه بذكر الأسماء لأن الأنبياء لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس فان قلت هلا زعمت أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه

مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات
لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم بأسمائهم دل على ان التعليق بالاسماء لا بالمسميات
ولم يقل انبئوني لهؤلاء انبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت ما معنى تعليقه اسماء
المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا
اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم
اي عرض المسميات وانما ذكر كناية عن المسميات العقلاء تغليبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم
عن الانباء على سبيل التكيت ان كنتم صادقين بعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين
سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد
كلما يابسا يملون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر الصلاح في
استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضاره
لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون او انه جابه على وجه ابسط من ذاك واشرح وقوي وعلم ادم على
البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلبه الهمزة ياء وانبيهم حذفها والهائها كسوة ابنها
السجود لله تعالى على سبل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو اخوته ليوسف
ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع
ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله ثم
ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة معجونين بالطاعة فغلبوا عليه
في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحدا منهم ويجوز ان يجعل منقطعا الى امتنع مما امره به
واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله
كان من الجن ففسق عن امر ربه الشكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تكيد
للمكنة او اسكن لبعض العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا هنيا
رحبا للكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على جهة التوسعة
البالغة المزيحة للعلة حيث لا يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة لما كوامل
من الجنة حتى لا ينتفي لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت
الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر النون وهذي والشجرة بكسر

فالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
فكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين

الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال نقرأها بارئكم وسوداتها من
الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على فقربا او نصب جواب للنهي الصغير
في عنها للشجرة اي فحملها الشيطان على الزلة بسببها وحقيقته فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن
هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ما نهيتك عن اكل وشرب وقيل فازلهما عن الجنة
بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما يقول زل عني مزبلته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل الشهر كذا
وقرئ فازالهما كما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد
الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته
عنها فان قلت كيف توسل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت
يجوز ان يتمثل دخولها على جهة الوسوسة كما يجوز ان يتمثل دخولها على جهة النقرب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة

ذى وروى انه
ون قيل اهبطوا
نما وذريتهما لانهما
فاما اهبطا منها جميعا
فحرموا والذئب
ثم الناس كلهم ومعنى
والهبوط النزول

الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم
القيمة وقيل الى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان لقنه واتصلت به فان قلت ما معنى
قلت قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا
حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى
قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت ارا جعي انت الى الجنة قال نعم والكفي بذكر
توبة آدم دون توبة حوا انها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك

قوله ارادة مفعول له لقوله يا
استنبائهم والعرض نقل الكلام من
كون الاستنباء على سبيل التكيت
ان كنتم حال من فاعل صادقين
وكذلك ان قلتم عطف على قلتم
عطف على استنبائهم على الوجه
الكيت ارادة ان كنتم صادقين
في زعمكم ان قلتم ان قلتم
ان الاستنباء انما يصح عليهم
ان كانوا عالمين بالمسميات
وكان الاستنباء على سبيل
التكيت وانما يصح ان كانوا
جاهلين بها قلت الاستنباء
عطف على قال الم اقل لكم
على الوجه الاول وعلى
الثاني اعتراض

الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من
الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير
في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن
هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وشرب وقيل فازلهما عن الجنة
بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا
وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد
الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته
عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت
يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة
ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه
اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا
خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما
لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا
بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى
بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول
الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم
القيمة وقيل الى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها
وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن
قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا
حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى
قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال
الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر
توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك

وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت
لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى فان قلت
ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك
والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا
وكذبوا باياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن
لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال
الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من
العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها
آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من
نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان
ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال
قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى
تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا
واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة
وقرئ فمن تبع هدى على لغة هذيل وفلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب له و
معناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود
العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها
ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن
الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن
محمد صلى الله عليه المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا
يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما
عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي
كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
اوف بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا
عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف

بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا
بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به اول من كفر به واول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل
واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا
اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على
الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن
الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل
اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا
مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه
فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله
كما اشترى المسلم اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا والا
فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو
اصبحوا اتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي
كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم
من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم
ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا الباء التي في
بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في
التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم
وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم
الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو
بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت
لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل
فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبتهم في التوراة ما ليس
منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه

وتؤتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة

على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون يعني كاليهود وانتم تعلمون في حال علمكم انكم

يهود ومنوا فتح لهم لان الجمل بالفتح زينا عند رؤسائه واقيموا الصلاة يعني صلاة

المسلمين وزكاتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع

والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن

يكون امرا بان يصلي مع المصلين يعني في جماعة كانه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين

لا منفردين أتأمرون الناس الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف

ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من

تبعهم في الرشى أقاربهم وغيرهم باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا

تتصدقون واذا انوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني أن ناسا من

أهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم كنتم تأمروننا بأشياء فما بالكم فيها فقالوا

كنا نأمركم بها ونخالف إلى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم

تتلون الكتاب بكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد أو فيها الوعيد

على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون فتقبحوا

ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان

العقول تأباه وتدفعه ونحوه أتأتون لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا

على حوائجكم الى الله بالصبر والصلاة اي اجمعوا بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة

مخلصين لها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة

الآداب والاحتراس من اضدادها والخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين

يدي جبار السموات والارض ليذلك الرقاب عن بخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك

بالصلاة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة

عندوقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس

انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما ثم قام فمشى الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس

عن المفطرات وعنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز أن يراد بالصلاة الدعاء وان يستعان

على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعها وانها للضمير للصلاة او للاستعانة

وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم

نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون

ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امرتها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا

لكبيرة لثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر كبرا على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت

ما الهاء تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم يتوقعون ما اذخر للصابرين على

مشاقها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه و

قيل ما عهدوه ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء أجزاء

فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسرت بالظن يشتقون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب

كانت مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال

والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومصاحبة

الحاضر به كانه يتسلد مرارته بتحرة بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله

صلى الله عليه وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان يقول يا بلال أرحنا والخشوع والخشوع الاخبات

والتطامن ومنه الخشعة الرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت

بقولها اذ البينة وأني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا انعمي وتفضيلي على العالمين

على الجم الغفير من الناس كقوله يا بني آدم للعالمين يقال رأيت عالما من الناس اذا كثرة يوما

يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار وتجزي

عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي

الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزي من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته

الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السراج العتوي لا تجزي نفسه عن نفسه شيئا وهذه الجملة منصوبة

المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي

فيه ونحو ما انشده ابو علي ترى وحي اجدر ان تقيلي اي ما أحد ان تقيلي فيه ومنهم

من ينزل تقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول به فحذف اجاد ثم حذف الضمير كما حذف من قوله

ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء سوى

الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية كما لها

معادلة للفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة

ولا يقبل منها شفاعة على بنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقبل كانت اليهود

تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل

قلت نعم لانه نفى ان تقضى نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة
شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع قلت
الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان
جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل
شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت
عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس
اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم ولا يقال آل الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم
وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم
قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم
يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس
خسفا ابينا ان تقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم
سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل
يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى
سائره ويذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون قول الذين كفروا
وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون
وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر
نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة ان اشير بذلك الى صنيع
فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك
لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر
على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه وينفرق
الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم
وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على
طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل

بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت بها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون
الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم
كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر
ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله وعده الوحي
ووعد المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم
ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد ارتكابكم للامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم
تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه
كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث والليث
تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات
او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه
وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع
وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل
كان يبصر ولده ووالده وجاره وقرينه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا باقنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا
العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل
فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية
البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين
الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة
والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم
قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة
لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف
كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات
فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص
هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت ما ترى

عند انتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان يحنوا ويطأطئوا داخلين ليكون
دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا
مستخفين على اوزارهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والدكنة وهي خبر مبتدا محذوف اي شانا
حطة او امرنا حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة واتما رفعت ليعطى معنى الثبات
كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرا ان اي عبلة بالنصب
على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز
ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا بعد والاجود
ان تنصب باضمار فعلها وتنصب مجلا ذلك المضمر بقولوا وقرئ نغفر لكم على البناء للمفعول بالياء
والنون ونزيد المحسنين اي من كان منكم كاتنا من كان ومن كان منا كائنا ما كان له ان يتوبه ومغفرة
فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا
بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر
الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وسو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ
آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك
او اللهم اغفر عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا
شمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون
من اغراض الدنيا وفي ذكر الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم
لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم الطاعون وقرئ يظلمون الاولى
وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا عطشوا في
التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر والالف اما للعهد والاشارة الى
حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع
من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امروا ان يسقيهم وكانوا
ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة ضوارثوه حتى وقع الى
شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ دنوه بالادرة
فقربه قال له جبريل يقول الله تعالى ادفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فجعله في مخلاته
واتما للجنس اي اضرب التي الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال لهذا اظهر فجر

فقلوا انهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءو بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسال عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وانني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اين ما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتا بل احياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وات البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين

في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم
بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل
فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا
خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا
ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون وجاء منكم ان تكونوا متقين
او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل
الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا السبت مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه
من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت
في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها
الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم
قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها
وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها
واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما حضرها من القرى والامم وقيل
نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين
للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتل
ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا
بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ
او مهزوءا بنا او الهزء بنفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه
قرئ هزوا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفوا وكفأ وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو
وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها
وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة
العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة

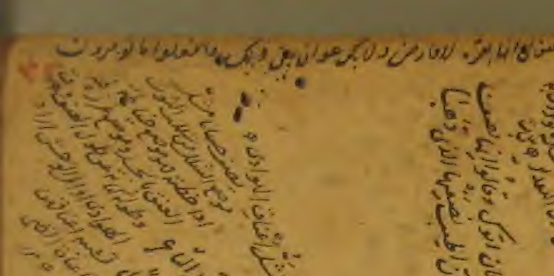

لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا لانها
فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين
ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت
لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان
يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر
وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت
وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد يجري الضمير مجرى
اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق
كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما
فقال اردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست
على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون
به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير الفقوع
اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك
وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قاني وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني
وارمك رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع تأكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا
عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس
بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي
فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل
شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها
خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري
صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة
وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي
صلى الله عليه لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء

شوم وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم ديارهم
فكتب إليه يا أيها المبدأ المقال أن قلت لك بقطع الشجر سالتني أي نوع منها أبدأ أو عن عمر بن عبد العزيز
إذا أمرتك أن تعطي فلانا شاة سالتني أصائلة أم ماعزا فإن بدأت بالأنثى فأنثى فإن أخرتها
قلت أسوداء أم بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شيء
لم يحرم فحرم لأجل مسألته إن البقر تشابه علينا أن البقر الموصوف بالتعويل والصفرة كثير
فاشتبه علينا أنها تذبح وقرئ تشابه بمعنى تشابه بطرح التاء وإدغامها في الشين وتشابهت و
متشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة إن البواقر بتشابه بالباء والتشديد حاكى الحديث لولم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد أي لولم يقولوا إن شاء الله والمعنى أنا المهتدون إلى البقرة المرادة
ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول بمعنى لا تذلل
للكراب وإثارة الأرض ولا سمى من النواضح التي يسقى عليها لسقي الحروث ولا الأولى للنفي والثانية
مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية وقرأ ابن عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هنالك أي حيث هي وهو نفي لذلها
ولأن توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا خيل ولا لجمان أي فيهم أو حيثهم
وقرئ تسقي بضم التاء أي تسقي سلمها الله من العيوب أو من الفساد من العمل سلمها أهلها منه كقوله
أو من عبر الظهر يقال بعير سليم عن القروح ما جرحت ذبته ولا أعجمها أو مخلصة اللون من سلم له كذا
إذا خلص له لم يشب صفرها شيء من الألوان لا شية فيها لمعة في لطيفتها من لون آخر سوى
الصفرة هي صفرا كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشيا وشية إذا خلط
بلونها لونا آخر ومنه توشى الفوائم الآن جئت بالحق أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي
إشكال في أمرها فذبحوها أي حصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها وقوله
وما كادوا يفعلون استقال لاستقصائهم واستبطائهم أو أنهم لبطء فهمهم المفرط وكثرة أسئلتهم
ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالهم وما كاد يتطرق حدس إليهم فيها وتعنتهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي أنه كان في بني
إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني أستودعكها لابني حتى يكبر وكان
بارا بأبويه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فاشتروها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء
مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة بأربعين سنة

فإن قلت كانت البقرة التي تناولها الأمر بقرة من جنس البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلو
وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الأمر الأول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم إلى البقر المخصوصة
والنسخ قبل الفعل جائز على أن الخطاب كان لا يتناوله ولا لهذه البقرة الموصوفة كانا أول غير
ولو وقع الذبح عليها لحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك إذا وقع عليها بعد التخصيص
وإذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها
لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزحمه إذا تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على
بعض فدفع المطرح عليه الطارح أو لأن الطرح في نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة
والتهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة ما كنتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما فإن قلت
كيف أعمل مخرج وهو بمعنى المضي قلت قد حكي ما كان مستقبلا في وقت الدارء وكما حكي الحاضر
في قوله بباسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وإذا ادارأتم
فقلنا والضمير في اضربوه إما أن يرجع إلى النفس والتذكير على تأويل الشخص والإنسان وإما إلى
القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون بعضها بعض البقرة واختلف في البعض الذي
ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي العرصوف وهو
أصل الأذن وقيل الأذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي لحذف ذلك لدلالة
قوله كذلك يحيي الله الموتى رؤي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله وأوداجه تشخب دما وقال
قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك
يحيي الله الموتى أما أن يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله
الموتى يوم القيمة ويريكم آياته ودلائله على أنه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعلمون على
قصته عقولكم وأن من قدر على إحياء نفر واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص
حتى لا تنكروا البعث وإما أن يكون خطابا للمكرمين من رسول الله فإن قلت هلا أحيا
ابتداء ولم شرط في إحيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الأسباب والشروط حكم ومصالح
وإنما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والاستعداد
لخص تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من التعنت بهم ولآخرين في تلك
التشديد والمسارعة إلى امتثال أوامر الله وإيثارها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الأولاد وتحصيل الهادي

الملك والرئيس والاخبار بالمغيبات وقرى وابدناه ومنه احمده باجيم اذا فرغ اه يقال الحمد لله
الذى امجد فى بعد ضعف واوحد فى بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود
ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقرب للكرامة
وقيل ملة لم تضفه الى صاحب ولا ارحام الطوائف وقيل لجبريل وقيل بالاجيل كما قال فى القرآن
روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا بانى اسرائيل
انبياءكم كما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به فريقا بين الفاء وما
تقتلون تمييز اى التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز ان يريد ولقد آتينا موسى ما آتيناهم ففعلتم بما
فعلتم ثم ختمهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم
قلت على وجه ان يزاد احكام الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره
فى القلوب وان يزاد وفريقا تقتلونهم بعد ذلك كما هو حول قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك
عجز نطق وسمميم لغة الثاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادنى فهذا اوان وما
قطعت ابهرى غلف جمع اغلف اى هى خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا تتوصل اليها ما
جاء محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن كقولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه
ثم رد الله ان يكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بأن
الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة
وتسببوا لذلك المنع الالطاف التى تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا
قليلا ما يؤمنون وما مزيدة ومعنى ايمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض وجواز ان يكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف
مخفف غلف جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروى عن
ابى عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لانخالفه
قرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص
فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو
كذبوا به واستهانوا بانجيه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على
المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته
وصفته فى التوراة ويقولون ادعائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يحكمون عليهم ويعرفونهم ان نبيا بعث منهم

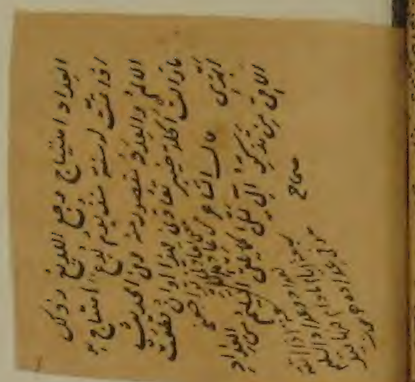

قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر
او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا
على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم
لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل
بئس بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا
وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من
فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء
بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم
عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله
من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال
انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم
لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم
الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم
العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم
وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما
امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت
طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله
في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئس ما يأمركم
به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال
قوم شعيب اصلواتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في
ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اي
سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها
وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي

كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يطوف بين الصفين فجاءه فقال له ابنه الحسن ما هذا يا ابتي
المحارب فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان
يتمنى الموت فلما اصيب قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين
الآن القى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة احب الموت واحن اليه وعن النبي
صلى الله عليه لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي
الا قدمت ايديهم ما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر
انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به
كقوله ولن يفعلوا فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل
سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من الذر
وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت
انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله
قالوا تمنى وليت كله التمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب و
تمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا
انهم لا يصدقون قلت كم خلى عنهم من اشياء قالوها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف
كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما يحمله الا الكذب البحت ولم يتالوا
فكيف يمسكون عن ان يقولوا ان التمني من اعمال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في
قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا
لانه امر خفي لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم متضمن وعدا بمعنى علم المتعدي
الى مفعولين في قولهم وعدت زيدا الخفاظ ومفعوله محذوف اي لمن اخرص قال فان قلت لم قال على حيوة
بالتنكير قلت لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة وذلك لان اكثر القرآء لها اوقع
من سواه الى على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى كان معنى احرص الناس احرص من الناس
فان قلت لم ادخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد
ويحق ان يراد والحرص من الذين اشركوا اخذ لا له احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان
الذين اشركوا اثرثوبتون بعاقبة وما يعمرون الا الحياة الدنيا اخرصهم عليها لانهم لا يرجون لها جنة
فاذا اراد عظيم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حريصا باعظم التوبيخ فان قلت

لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا بعلمهم حالهم انهم صائرون الى النار لا محالة
والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش
الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين
اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام
معلوم والذين اشركوا على هذا اشارة الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو
لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يوجد زحزحه من النار تعميره وقيل الضمير
للمادل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
البعد والانجاء فان قلت بود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لنوبادة حرصهم على طريق
الاستئناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هي حكاية لود ادهم ولو في
معنى التمني وكان القياس لو اعمر اتراه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف
بالله ليفعلن روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك جاء رسول الله وسأله عمن يهبط عليه
بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره من ملائكة لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه
انزل علينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا
فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى
اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يحول النبوة فيجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه
ارض بأعلى المدينة وكان يمره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر
قد اجبناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيكم لحبكم ولا انا لكم لراي شاك في ديني وانما
ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد واراي آثاره في كتابكم ثم يأتونه عن جبريل فقالوا ذاك
عدو نا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل الذي يجانبه والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو
لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما بهما عداوة ولا انتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما
كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي
صلى الله عليه لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقوي جبريل
بوزن يفعليل وجبرئل بحذف الياء وجبرئل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام
مشددة وجبرائل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبرا اعل ومع الصرف فيه للتعريف والعجمة

التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل ما تتلوا
الشياطين على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به أنفسهم أي باعوها
وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد
وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان أعجميان بدليل
منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان
من أعلم وقرئ من المرء بضم الميم وكسره مع الهمزة والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم
فرج وأجرى الوصل مجرى الوقف وقرأ الأعمش وما هم بضاري بطرح النون والإضافة إلى
أحد والفصل بينهما بالظرف فإن قلت كيف يضاف إلى أحد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار
جزءا من المجرور فإن قلت كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا لمن اشتراه على سبيل
التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم
حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه ولو أنهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا
ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة
كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك
العمل بالعلم فإن قلت كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من
الدلالة على إثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم لذلك فإن قلت
فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا
تمنيا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له كأنه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ
لمثوبة من عند الله خير كان المسلمون يقولون لرسول الله إذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا
رسول الله أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها
عبرانية أو سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول
وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره
إذا انتظره وقرأ أبي أنظرنا من النظرة أي أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا
على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج
أي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا إلى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لأنه لما أشبه قولهم راعينا
وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم

من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة
أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا أو واسمعوا
ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة وروي أن سعد بن معاذ
سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها
لرسول الله لأضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين
تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب أليم من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان
أهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة
لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله أهم يقسمون
رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم
شيء من الوحي والله يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء إلا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم
إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله إن فضله عليك كبيرا روي أنهم طعنوا في
النسخ فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا
ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها وقرئ
ننسها وننسها بالتشديد وننسها وننسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو
ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية إزالتها بإبدال أخرى مكانها وإنساخها
الأمر بنسخها وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها وتسوءها تأخيرها وإذهابها
لا إلى بدل وإنساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما توجبه
المصلحة من إزالة لفظها وحكمها معا أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل نأت بآية خير منها
للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب أو مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير
وما هو خير منه وعلى مثله في الخير له ملك السموات والأرض فهو يملك أموركم ويدبرها ويجريها
على حسب ما يصلحكم وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم أنه مالك أمورهم
ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم أراد أن
يوصيهم بالثقة به فيما هو أصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وأن لا يقترحوا على رسولهم ما
اقترحته آباء اليهود على موسى من الأشياء التي كانت عاقبتها وبالا كقولهم اجعل لنا إلها أرنا
الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالإيمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها

وافترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا
الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد عندكم قالوا شديد
قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما
انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من
عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم
ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من
بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا
منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من
الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية
عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة صلاة او صدقة
او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل
الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا
من كان هودا والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع
يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد
منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل
وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ
من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين
وقرا ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقوله لن يدخل
الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني
الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية

افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة
ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل
غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من
اسلم وجهه لله من اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه
فان قلت من اسلم وجهه كيف موقعه قلت يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من اسلم كلاما
مبتدا ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف
اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم على شيء على شيء
يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق
اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء
وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة
للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان
كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق
بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم
ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ
عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على
رسول الله صلى الله عليه اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى و
التوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب
الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ان يذكر ثاني مفعولي منع
لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف
حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس
مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا
التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
فان قلت فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام

قلت لا يأبى أن تجئ الحكم عامًّا وإن كان السبب خاصًّا كقول لمن آذى صالحًا واحدًا ومن أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الأخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر أو تخريب البنيان ويشبه أن يراد بمن منع العموم كما أيد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بانيها من أولئك النصارى أو المشركين أولئك الممانعون ما كان لهم أن يدخلوها أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال النهيب وإرتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلًا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين روي أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا مسكرًا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنك ضربًا وأبلغ إليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن راعبد الله إلا حنيفًا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه أبو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول فليتقوا الله في أمره ونهيه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله خبر في قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية وله المشرق والمغرب والأرض كلها لله مولاها ومتولي أمرها فأينما تولوا ففي أي مكان علمتم التولية يعني تولية وجوهكم شطره فالقبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ثم وجه الله أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا ابتغيتم أن تصلوا إلى المسجد الحرام أو إلى بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجدًا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها واعملوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا تختص إمكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان إن الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء نسخت القبلة على قوم فصلوا إلى الحائط مستقبلة فلما أصبحوا ابتدوا حائطهم فعبدوا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فأينما ولوا بفتح التاء من التولي يريد فأينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيهًا له

عن ذلك وتبعيدًا بل له ما في السموات والأرض ملكه وخلقه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف إليه أي كل ما في السموات والأرض ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولدًا إلا قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم فإن قلت كيف جاء بالذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخرنا لنا وكانوا عابدون من حجرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يقال بدع الشيء بدعا فهو بديع كقولك ذرع فهو ذريع والرحل فهو بريع وبديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي يبدع سمواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كالأليم بمعنى المؤلم وإذا قضى أمرًا أي إذا أحدث أمرًا من الأمور التي من جملتها خلق السموات والأرض وإنما خص القضاء بالذكر لأن الإحداث إنما يكون بعد القضاء فيكون من باب الكناية وقيل إذا قضى أمرًا أراد إحداثه من قولهم قضى البناء إذا أحكمه وقيل إذا أراد أن يقضي أمرًا فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه كقوله إذا قضاها مسيئون أي إذا أراد قضاءها وقيل إذا قضى أمرًا أراد كونه فإنما يكون كن فيكون من كان التامة أي أحدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما أن قول القائل لمقوله قم فقام لا قول ثم ولا مقول وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يكون قوله إذ فالة الإنشاء للمقتضى الحق وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه إلا بأسرع ما يكون هذا استعارة الولادة لأن من كان هذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها وقرئ بديع السموات جر وأعلى أنه بدل من الضمير في له وقرأ المسيحي بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجملة من المشركين وقيل من أهل الكتاب ونفي عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارًا منهم وعتوًا أو تنبيها أنه يجوز أن يكون بعض أتباعهم من أبناء الله آيات وأشباهه بها تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله أتواصوا به بل هم قوم طاغون قد بينا الآيات لقوم يصعدون فيوقنون أنها آيات نجب الاعتراف بها والإذعان لها والإكتفاء بها عن غيرها إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا للتخيير على الإيمان وهذه تسلية لرسول الله وتنزيه عنه لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغ جهدك في دعوتهم كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم وقرئ ولا تسأل على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأمرهم تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كأنه قيل كيف فلان لا يلام عن الواقع في بليته فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن التحسر

يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر
لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل ويعضد القراءة الاولى قراءة عبد
الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى
تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال
قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى
بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو
بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع بعد
الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب هم
مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله اولئك
يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا
الضلالة بالهدى ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر ونواه واختبار الله عبده
مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه
حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رحمه الله وهي قراءة ابن عباس ابرهيم ربه رفع
ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا فان قلت
الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر قلت
الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم فليس واحد
منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما
الثاني فابرهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا
ومعنى فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن حق
القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم الذي وفى وفي الاخرى
لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات
بما سأل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا
ربنا تقبل منا فان قلت ما العامل في اذ قلت اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتلاه
كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك فان قلت فما موقع قال قلت هو على الاول استئناف
كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة

على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة و
تطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات
هن خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس
في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه
من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب
ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون
وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه
بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام اسم من يؤتم
به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على
الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين
وقرئ الظالمون اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما
ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف
يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان
ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال اليه
والخروج معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت
له امرأة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان
ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما
فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام
انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب
ظلم والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون
عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن
كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والبادي
واتخذوا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه
الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام

ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فنزلت واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وفضله بالصلاة فيه بركاته وبيمنا بموطئ
قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله
استلم الحجر ورمل ثلثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه
وكفيش وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعا ومقام ابرهيم الحجر الذى فيه اثر
قدميه والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذى يسمى مقام ابرهيم
وعن عمر رضى الله عنه انه سأل المطلب بن ابى وداعة هل تدرى اين كان موضعه الاول قال نعم
فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والحرم كله مقام ابرهيم وقرى واتخذ والملفظ الماضى عطفا على جعلنا اى
واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذى وسم به لانتمامه به واسكان ذريته عنده فيلة يصلون
فيها عهدنا اليهم وامرناهما ان طهرا بيتى بان طهرا او اى طهرا معنى طهراه من الاوثان والارجاس
وطواف الجنب والحائض والجنابة كلها او اخلصاه لهو لا يشركا به غيرهم والعاكفين المجاورين
الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين
يعنى القائمين فى الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين
لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلى اى اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا
ذا امن كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن آمن منهم بدل من اهله يعنى
وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتى على الكاف
نجاها هلاك فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق
على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الامامة استخلاف استرعاء فلا تخلص لمن نصح للمرعى واعدل الناس
عن النصيحة الظالم فلا يكون اهلا لها والرزق فلكونه مرزوقا والزاما للحجة له والمعنى
وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه
جوابا للشرط اى ومن كفر فانا امتعه وقرى فامتعه فاضطره فالتوجه الى عذاب النار
لان المضطر الذى لا ملجأ له الا شئ واحد مما اضطر اليه وقرا التى فتمتعه قليلا ثم نضطره وقرا
لحمى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر
والمراد الدعاء من ابرهيم وعاد ذلك فان قلت فكيف تقدر الكلام على هذه القراءة قلت
قال ضمير ابرهيم اى قال ابرهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا

ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن

ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد فى الطاء كما قالوا اطجع وهى لغة مرذولة لان الضاد من الحروف المجهورة التى يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهى حروف
معجمة شفوية رفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس والاصل لما فوقه
وهى صفة غالبة وهى فى معناها الثابتة ومنه قعدك الله اى اسأل الله ان يقعدك اى يثبتك و
رفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع و
تطاولت بعد التفاوت ويجوز ان يكون المراد بها ما فات البناء ان كل بناء فله قاعدة للذى
بنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء اذا وضع بناء فوق بناء
فقد رفع البناءات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطأ
يعنى جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقى
واذ عرفنى وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من ارض الهند
اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام
وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام
الطوفان الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور ثم ان الله امر بناء ابرهيم وعرفه جبريل مكانه
وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودى ان ابن على ظلها فلا تزيد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة
اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود
من السماء وقيل تخوف ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه فى ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من
الجنة فلما مسته الحيض فى الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة ربنا
اى يقولان ربنا وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها
قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا العليم بضمائرنا وبنياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت
واى فرق بين العبارتين قلت فى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام مالا يخفى من الفخامة
لما فى الايضاح بعد الابهام من تخييم الشأن المبين مسلمين لك مخلصين لك او جهنا من قوله اسلم
وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا
او اذعانا لك وقرى مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجرا او اجريا التثنية على حكم الجمع
او لانهما امة وحدهما كما ان الواحد يسد مسد الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله

إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت

كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً

لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لهم حرصه على ملة الإسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية مسايفة لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن يكون أم متصلة على أن يقدر قبلها محذوف تقديره أتدعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء

إذ حضر يعقوب الموت يعني أن آباءكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ أراد بنيه على التوحيد وملة الإسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون أي شيء تعبدون وما عامة في كل شيء فاذا علم ذوو ما ومن وكفاك دليلاً قول العلماء من لا يعقل ولو قيل من تعبدون لم يجز إلا أولي العلم وحدهم ويجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات وإبراهيم وإسمعيل وإسحق عطف بيان لآبائك وجعل إسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لأن العم أب والخالة أم لأخوتها مع أحدهما في هلك واحد وهو الأخوة ولا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو أبيه أي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال لي العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي أبي فاني أخشى أن تفعل به قريش ما فعلت بثقيف

عروة بن مسعود وقرأ أبي وإله إبراهيم بطرح الآباء وقرئ إبيك وفيه وجهان أن يكون واحداً وإبراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعاً بالواو والنون قال وفدنا على الأبينا

الها واحداً بدل من إله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أي نريد بإله آبائك الها واحداً وعن له مسلمون حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لوجوه الها الله في آله

ويجوز أن يكون جملة معطوفة على نعبد وأن يكون جملة اعتراضية مؤكدة أي ونحن له مسلمون أي من حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون تلك إشارة إلى الأمة المذكورة التي مضت

ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموجدون والمعنى أن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك أنهم افتخروا بآبائهم وفي قول رسول الله صلى الله عليه يا بني هاشم لا يأتي الناس بأعمالهم وتأتون بأنسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم بل ملة

إبراهيم بل نكون ملة إبراهيم أي أهل ملته كقول عدي بن حاتم أتى من دين بعدنا من أهل دين وجعل بل نتبع ملة إبراهيم وقرئ ملة إبراهيم بالرفع أي ملته ملتنا أو أمرنا بملته أو نحن ملته بمعنى أنه ملته وحنيفاً حال من المضاف إليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل

قال أبو البقاء الحال في المضاف إليه ضعيف في القياس لأن العامل في الحال إنما يعمل لأنه يتضمن معنى الفعل الذي فيه حرف والمضاف ليس كذلك وهو كما قال إلا أن المضاف هنا لما كان مضافاً إلى فاعل المضاف صار كأنه هو العامل في الحال لأنه هو الفاعل في المعنى وهو المضاف حقيقة ولا يخفى ما فيه من التكلف

إلى دين الحق والحنف المائل إلى الأديان كلها إذا مال واشتد ولكنا حنفنا إذ حنفتم حنيفاً دينناه عن كل دين وما كان من المشركين تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلا منهم يدعي اتباع إبراهيم وهو على الشرك قولوا حطات للمؤمنين ويجوز أن يكون خطاباً للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة إبراهيم ويجوز أن يكون على إضمار اتبعوا أنتم ملة إبراهيم أو كونوا أهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله والأسباط حفدة بعض ذرية ابنيه الاثني عشر لا تفرق بين أحد منهم لأنهم من بعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وأحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه مثل ما آمنتم به من باب التكرير لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه فلا يوجد إذن دين آخر مماثل دين الإسلام في كونه حقاً حتى إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين وقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير أي فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم ما والته في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل له إنما الحق ودي ما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تكبت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وداه ويجوز أن لا تكون الباء صلة ويكون ما الإستعانة كقولك كتبت بالقلم وعلمت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وفسر ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وحرا أني بالذي آمنتم به وإن تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فانهم الآتي شقاق أي في مشاقة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء أو وإن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار رسول الله عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وهو السميع العليم وعيد لهم أي يسمع ما يبطنون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وموعد لهم عليه أو وعد لرسول الله بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم بتمكنك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كأنه قيل صبغنا الله صبغة وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي حالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون

سيقول السفهاء الخفاف الأحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون
النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا ان رغب عن قبلة آبائه
ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم قال رحمه الله اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه
قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا
وقع لما يشق منه من توطين النفس وان اجوبة العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه
وقيل الرمي براشر السهم ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس الى المشرق والمغرب
اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وسوما توجيهه
الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك جعلناكم
ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وعدولا صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء
لذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحو قوله عليه السلام وانظروا النبعة بيد
الوسطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالبعد وهو وسط الظهر لانه الحق بالثابت مراعاة
لمعنى الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف تتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط
محمية محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمى فاكتنفت لها الجوادث حتى اصبحت طرفا
وقد اكثرت بمكة حمل اعرابي لحج فقال اعطني من سطاتهته اراد من خيار الدنانير او عدولا
لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء على الناس روي
ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء البينة على انهم قد بلغوا
وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه فيسأل
عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا ان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم كالمزكي قلت لما كان الشهيد
كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فما
صح ان يشهد كرة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا عليكم فان قلت
لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم
على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم التي كنت عليها للبشت بصفة القبلة

او لاد هم في بدا اصفر يسمونه المغرة ويقولون هو تطهيرهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك
قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل
صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ
صبغكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يمرس الاشجار امرس كما يمرس فلان
يريد لا يصطبغ الكرام ومن احسن من الله صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من
اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله وهذا
العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على الاغراء يعني عليكم صبغة
الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن الشامه وانشائه واسنادها على انها مصدر مؤكد
هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام فرارا بن ثابت الحاجز تا بادغام النون والمعنى
اتحاجوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل
علينا وفينا احق بالنبوة منا ومنوديتنا ودينكم نشترك جميعا في انتنا عباده ومنوديتنا
ومنوبيت بر حمته وكرامته من يشاء من عباده ثم فوضى في ذلك الامر الى مشيته بحتمة دون غرض
اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو الذي يدور عليه الغرض وكان
لكم اعمالا يستحقون بها الكرامة ومنعها فتحكم كذلك ثم قال ونحن له مخلصون بخالصة هو
سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا نشبعد وا ان يؤتى احد اكمل اخلاصه لكرامته
بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق ان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان ام
تقولون تحتمل همزة ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة
في حكمة الله ام ادعاء البهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنها انكارهما معا وان
تكون منقطعة بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا ويمن قرا بالياء لا تكون الا منقطعة قل
انتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عند من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد
بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم
كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا
تكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة
من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله برآءة من الله ورسوله ٥

شهدا ٥

انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول
الله صلى الله عليه كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تالفا
لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها
اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه
ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا
الاية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل
الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي
كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه
وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به
الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده
وقيل معناه ليميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز
لان العلم به يقع التمييز وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير
في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة
ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين
في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم
على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد
وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى
الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله الى الكعبة
قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤوف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك
ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله
ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا
ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها
العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا

اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام
الاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد
قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله تقلب وجهك
تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه يتوقع من ربه ان
يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم
ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك
ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون
سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت
مشية الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك
وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه المدينة فصلى نحو
بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال
الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة
الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي
المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد
اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام
دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل
الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين يعملون
قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل اية بكل برهان
قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة
تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك انك على الحق
وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذا كانوا ماحوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم
على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في
شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس
والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق

أي وأنتم تعني عليكم في الآخرة بالثواب كما أنعمتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول أو بما بعده
أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب واشكروا لي ما أنعمت به
عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي أموات بل أحياء أم أموات بل هم أحياء ولكن لا تشعرون
كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرواحهم على أرواحهم فيصل
إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل إليهم
الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز أن يخلق الله
من أجزاء الشهيد جثة فيجيبها ويوصل إليها النعيم وإن كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في
شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر
هل تصبرون وتحتسبون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا بشيء قليل
من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المستقرين عند البلاء أن الاسترجاع
تسليم وإذعان وعن النبي صلى الله عليه من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي أنه طفئ سراج رسول الله فقال إنا
لله وإنا إليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وإنما قلل
في قوله بشيء ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل فهو قليل إليه ولخفف عليهم وبرحمهم
أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم وتنفض
عطف على شيء وعلى الخوف معنى شيء من نقص الأموال والخطاب في وبشر لرسول الله أو لكل من
يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان
والنقص من الأموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد
وعن النبي صلى الله عليه إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة قبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة أحنو
والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤوف
رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة أي رحمة وأولئك هم المهتدون لطرق الصواب
حيث استرجعوا وسلموا لأمر الله الصفا والمروة علمان لجبلين كالصمان والمقطم والشعائر
جمع شعيرة وهي العلامة أي من أعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة

قال الله تعالى هذا تنبيه على أن
حيوتهم ليست بالجسد ولا من
جنس ما يحس به من الحيوانات
وأنا هي أمر لا يدرك إلا بالكشف أو
الوحي وفيها دلالة على أن الكرامة
على الأعمال تزلف العامة منها لا الأماني
العامة لا يدان وأنها تبقى بعد الموت
دراكة وعلى جهود الصوفية الذين
وعلى هذا فتخصيص الشهداء إما لتفضيلهم
بالموت من الله ومزيد البهجة قال
الراغب وسبب بعض المعتزلة إلى
أن الميت لا يعلم الحساب لأن الحال
وقال ولا اختصاص لهم به بل إنما
خلق الحكم بهم الله في ذكرهم ولو
ذكر غيرهم لذكروهم

أن البلاء الذي أصاب الإنسان
نقله بالنسبة إلى البلاء الذي لا

فغلبا على فضل البيت وزيادة للتمكين المعرف بين وبما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان وأصل
يطوف يتطوف فأدغم وقوي أن يطوف من طاف فإن قلت كيف قيل إنهما من شعائر الله ثم قيل
لا جناح عليه أن يطوف بهما قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى
أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما للعبرة بهما فلما طالت المدة عبدا
من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوا بهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون
الطواف بينهما لأن جعل بعلا الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف
في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح ومائة من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح
عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا نهض خير له وروي ذلك عن أنس وابن عباس
وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وعن عائشة أنه واجب
ليس بركن وعلى تاركه دم وعند الأوزاعي يجبر بشيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه
اللام اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن تطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفي قراءة عبد الله
ومن تطوع خيرا إن الذين يكتمون من أحبار اليهود ما أنزل في التوراة من البينات من الآيات
الشاهدة على أمر محمد صلى الله عليه والهدى والهداية بوصفه إلى اتباعه وذكر الإيمان به من بعد ما
بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم يدع فيه موضع إشكال ولا اشتباه على أحد منهم
فعدوا إلى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الذين يتلقى منهم اللعن عليهم هم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا
ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم
بليغ في قبول توبة عبادي ورحمتهم إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو

فإن قلت كيف قيل إنهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه أن يطوف بهما قلت كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما للعبرة بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوا بهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأن جعل بعلا الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح ومائة من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو

كقوله فمن تطوع خيرا في رمضان

ما معنى قوله والناس أجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار وإنما أضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا ولأنهم ينظرون من الإنظار أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينظرون ليعتذروا ولا هم ينظرون إليهم نظر رحمة إله واحد فرد في الإلهية لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غيره إلها ولا إله إلا هو

تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء
سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك
فنزلت ان في خلق السموات وأختلاف الليل والنهار واختلافهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر
كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قلت
قوله وبث فيها عطف على انزل ام على احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة
لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل
وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر
الارض وبث فيها من كل دابة بعد ان لم تكن فيها لانهم يتموّن بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح
في مهابها جنوبا ودبورا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما
ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر للرياح تقلبه في الجو كيف شاء
الله بمطر حينا آخر بآيات لقوم يعقلون ينظرون بعقولهم ويعتبرون لانهم هم الذين ينتفعون
على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم
يتفكر فيها ولم يعتبر بها وتصريف الفلك بالتمتين وتصريف الريح على الافراد انداداً امتالاً
من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم ويتركون على اوامرهم ونواهيهم
واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى تحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم
تعظيم المحبوب حب الله تعظيم الله والخضوع له اي كحب الله على انه مضاف الى المفعول
وانما استغنى عن ذكر من تحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم
لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا كان يوم القيامة دعوا الله مخلصين له الدين
اتخذ حبنا الله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن انداده الى
الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت اهله
الا هما من جيئ عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى المتخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين اتخذوا الظلم
العظيم موضعه ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده ويعلمون شدة
عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم

والحسرة ووقوع العلم بظلمهم ومثلاهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو ان
فلانا والسياط ناخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا
عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ يرون الملك
من اذ يرون العذاب اي يرون المتبوعون منهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل
والثاني على البناء للمفعول اي يرى الاتباع من الرؤساء اذ يرون العذاب الواو للحال اي يرون
رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين
واحد ومن القرابة والمحبة والاتباع والاستتباع كقوله قد تقطع بينكم على معنى الفعل ولذلك
اجيب بالفاء الذي يجاب به الفعل كانه قيل لبئت لنا كرة فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات تالث مفاعيل اري ومعناه ان اعمالهم
تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم ومنهم بجاريجين بهم بمنزلته في قوله ٥ يهم
يقرسون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص حلالا
مفعول كلوا او حالا من ما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا
في حرام او شبهة او تحرموا حلالا او تحللوا حراما ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس مما يؤكل او لبيان
خطوات تضمين وخطوات بضمتين وسكون وخطوات بضمتين وممن جعلت الضمة غلبة كالطاغوت على
الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين
لدى الخاطي ونحوها كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطوات فلان وطأ على عقبه
اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لانه حقا انما يأمركم بأن لو جرى الامر على
عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم خيرا قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء ما تجاوز
احدكم في القبح من العظائم وقبل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه احد وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون ومنه قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز
عليه فان قلت كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه
وبعثه على الشر بالامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وحثته وامرني الى انكم بمنزلة المأمورين لطاعتكم
له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
وقال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيطيعها ما اشتهت لهم الضمير للناس
وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للتدا على ضلالهم لانه لا مثال اصل عن المقلد كانه يقول

ولكن البر من آمن بالله على تأويل حذف المضاف اى بر من آمن او بتأويل البر بمعنى ذى البر
او كما قالت فانما هى اقبال وادبار وعن المبرد لو كتب ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح
الباء وقوى ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله
أو القرآن على حذف مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضى الله عنه ان توتيه وانت صحيح
شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه وقدم ذوى
القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لها
صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح واطلق ذوى القربى والبتامى
والمراد الفقراء منهم لعدم الوليا ء والمسكن الدائم السكون الى الناس لانه لا شئ له كالمسكير
الدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل الملازمه له كما يقال للص
القاطع الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول
الله صلى الله عليه للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفى الرقاب وفى معاونة المكاتبين
حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك الاسارى فان قلت
قد ذكر ايتاء المال فى هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان فى المال حقا سوى الزكوة
قلت نحتمل ذلك وعن الشعبى ان فى المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ونحتمل ان يكون
ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفى الحديث تحت الزكوة
كل صدقة يعنى وجوبها وروى ليس فى المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن
واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن
القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر و
الشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا اولئك الذين جاهدوا فى الله حق جهاده عن عمر بن عبد العزيز
والحسن البصرى وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعى رضى الله عنهم ان الحر لا يقتل بالعبد
والذكر لا يقتل بالانثى احتجوا بهذه الآية ويقولون هى مقررة لما افهم فى قوله النفس بالنفس ولان
تلك واردة لحكاية ما كتب فى التوراة على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها
وعن سعيد بن المسيب والشعبى والنخعى وقتادة والثورى وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه
انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون

بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر فى الانفس بدليل ان جماعة
لو قتلوا واحدا قتلوا به وروى انه كان بين حيين من احياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما
طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى
رسول الله حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوءوا من عفى له من اخيه شئ معناه من عفى
له من جهة اخيه شئ من العفو على ان كفوك سير بريد بعض السير وطائفة من السير ولا يخفى ان
يكون شئ فى معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو والى المفعول
وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولى الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا
لمن بينه وبينه ادنى ملابسة اوذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو
ثابت بينهما من الجنسية والاسلام فان قلت ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفى
له قلت يتعدى بعن لما فى الجانى والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه فلا تقل
عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول
غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا فى الآية كأنه قيل فمن عفى له عن جنايته فاستغنى
عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفى بترك حتى تكون شئ فى معنى المفعول به قلت لان
عفا الشئ بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام اعفوا اللحى فان قلت
فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه واذا له فهلا جعلت معناه فمن محى له من اخيه شئ قلت
عبارة فلقة فى مكانها والعفو فى باب الجنايات عبارة مبتدأ وله مشهورة فى الكتاب والسنة
واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا
العلم يجترئ اذا اعضل عليه خرج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة واداء على العرب مالا
تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فان قلت لم قيل شئ من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفى
له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط
القصاص ولم يجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للعفو
عنه والعافى جميعا يعنى فليتبع الولى القابل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه المطالبة جميلة
وليؤد اليه القابل بذل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يحمد ذكر الحكم المذكور من العفو
والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ
الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين اثلث القصاص

كلمتها رتعت حتى اذا ادكرت هذا مجاز فى الحكم وذلك ان الخطاء لما ترد بالاقبال والادبار غير
معناها فتكون قد تجوزت فى نفس الكلمة وانما تجوزت فى ان جعلتها كثيرة ما تقبل وتدبر وتغلب
ذاكل عليها واتصالها منها وانه امكن لها حال عزمها كانها تعجمت من الاقبال والادبار
من الناطر فقال وتقول ناقته رتع زمانا فلا ذكرته تذكر الرتع وتقبل وتدبر

ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية

والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف قتلا وزما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعدما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة

الوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر

لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غيره الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء او ثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ

فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون

بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة
من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما
لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه
في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع
المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم
ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رضي الله عنه لا يفطر حتى يجهده الجهد غير
المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت
ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام
اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام
المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة
مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه
وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من
بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض
عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس
يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم
صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه
ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما فيعل وتفيعل من الطوق
فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو
معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم
هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير
له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون
او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان
ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم الرمضان مصدر رمض

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر
فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون
كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت
لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر
الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل
لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام
رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء
في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم
يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال كما اعيا النطاسي حذيما
اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من
الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر
رمضان او على الابدال من ايام معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن
ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض
نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا او في
علي كذا وعن النبي صلى الله عليه نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على
الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى
الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس
قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى الله به وفرق به بين الحق
والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم
الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر
والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة
لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم
الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم
فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى
زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول

ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم

عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يتهدى الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كنى عنه هاهنا

هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر

بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لمستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش وآتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبهها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود

ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون الى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون

فجعلتهما تحت وسادي فكنت أقوم من الليل فأنظر اليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود
فلما أصبحت غدوت الى رسول الله فأخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك
لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول
الله صلى الله عليه قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض
البدويات لبدوي عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه
فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال
اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل
ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز
تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة
ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من
لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم
هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب
ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز
النية بالنهار في صوم رمضان وتأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون
في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة
الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل
معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل
وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن
ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد وانه لا يختص به مسجد دون
مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلثة وقيل في مسجد جامع والعامة
على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا
تقربوها فلا تغشوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن
يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق
فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي
هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف

ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت
للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون

فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه
ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل
بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا
بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان
المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل
بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن
منه شيئا فان ما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي وقال اذهبا فتوخيا
ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه
الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون
انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن
جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم
يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت
مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد
نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من
الانصار اذا احرموا لم يدخل منهم احد حائطا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب
نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف
الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت
ما وجه اتصاله بما قبله قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها
وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده
فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها
برا ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم
في الحج ويجوز ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت
ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه ان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر
بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور

من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب
على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل
عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة في
سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال
دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن أنس هي أول
آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم
القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان أو النساء أو الكفرة
كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا
وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل
فيخلوا له مكة ثلثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا يفي لهم قريش ويصدوهم
ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم
في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال من
نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة
من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ
والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه قال فإما تثقفوني فاقتلوني فمن أثقف
فليس إلى الخلود ۞ من حيث أخرجوكم أي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح و
الفتنة أشد من القتل أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل
وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن
من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل ۞ لقتل بحد السيف أهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق ۞ وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك
أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين
فقيل والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد وفتنتهم إياكم بصدكم
عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم في الحرم أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم
وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال
قتلتنا بنو فلان وقال فإن تقتلونا نقتلكم ۞ فإن انتهوا عن الشرك والقتال كقوله إن ينتهوا

يغفر لهم ما قد سلف حتى لا يكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه
نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين
عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين
سمى جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان
تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية
في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك
في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة تجري فيها القصاص
من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا
بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم
مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة
بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك
فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك
او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس
او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو
فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الآية وانما
انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا
واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا
واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى
ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم
التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتنفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة
والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا
الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان
يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام جعل الوقوف عليها

فان احصرتم فما استيسر من الهدي

كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي
وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية
وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء
من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا
امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع
جميعا الا ان يقول الامر باتمامهما امر باداءهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر
للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو
ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة
مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له
اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت
مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما
وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في
ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله
اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرنا
اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة
من شوال في انك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع
كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا
منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة
وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول ٥ وحصر اذا حبسه عدو عن
المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما
بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي
حنيفة رحمه الله كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار
وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه من كسر او عرج فقد حل
وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب

ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم

والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية
ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل
ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت
ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رحمه الله يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم
امار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء
اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤوسكم الخطاب للمحصرين
اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل
الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فان النبي صلى
الله عليه نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة
وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف
الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى
من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على
ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول
الله صلى الله عليه قال له لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام
او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الآية وروي انه مر به وقد
قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع
نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن
وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب
بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه
الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند
الشافعي رضي الله عنه يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه
اذا احرم لحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين
الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم
التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يصام
الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا تفرقتم وفرغتم من

تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب الحج اشهر معلومات

افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة
بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما فان قلت ما فائدة القذلكة قلت الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن
سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا فقذلكت نفيا لتوهم الاباحة
وايضا ففائدة القذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين
فيتاكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد آخر وفيه زيادة توصية
بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره
به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام
ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن
والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعي رضي الله عنه اشارة الى الحكم
الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت
فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة تقصر فيها الصلاة
واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد
العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران
والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه
تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه
الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند
الشافعي رضي الله عنه في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض
الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض
الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما
راه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت
قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة
وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان

فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون
يا اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم

قوله تعالى فلا رفث الحكمة في ان الله تعالى ذكر هذه
الالفاظ الثلثة لا ازيد ولا انقص ومعنى قوله فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج من انه قد ثبت

اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل
من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات
عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء
مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي
حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام
ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال
ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل
حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب
انتفائها وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب والرفع وقرا ابو عمرو
وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن
رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج
وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة
وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف
الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث
والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته
امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر
وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال
الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما
نهوا عنه وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الآخرة
اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
ونحن حج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا
الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا
عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له
فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون
ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرى فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج

فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام

بالتجارة الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يقولون لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألك فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له كل كنتم تكرون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة ومنه افاض الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صببت في ذنوبان وهو اخر من يعبر بالحجيج ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كأذرعات فان قلت هلا منع الصرف وفيها السببان التعريف والتانيث قلت لم يخلوا التانيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء اختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر تاء التانيث في بيت لان التاء التي هي بدل من الواو لا اختصاصها بالمؤنث كنا التانيث فابت تقديرها وقالوا اتميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فانه اضيف عرفها وقيل ان جبريل كان يدور به في المشاعر كلها اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقبل صلاة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه المسجد وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس ما وراء ذلك بمشعر ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعاه وكبره وهلله ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله عند المشعر الحرام معناه جمعا

واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم

منا سككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا

على المشعر الحرام فيبتهل ويدعو ويقف الى الاسفار وذلك هو الافضل والوقوف من جبل الرحمة واقف المزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او خلف اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر العلم لانه معلم لعبادة وصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة جمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء او ازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه جمع فيها بين الصلوتين وبجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم افيضوا لكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظيمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت بكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غيرهم ثاني شتم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احدهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقوى من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناس وهو ادم من قبل فسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الوقوف وبحو ذلك كنتم جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون من ذكر آبائكم ومفاخرهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد الخيف وبين الجبل فيعدد دون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن آبائهم او اشد ذكرا انى موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم آباءكم او نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا بمعنى مذكور في الناس من يقول اللهم اعط عنا ابل فلان وغنمه وهم يجعلون الجنة ولا نصيب لهم فيها ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان اراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبصط واليه ترجعون الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب
خلاق وهو النصيب او لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا والحسنات
ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من
الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحور او عذاب
النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا
من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطاياهم
اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم
في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز
ان يكون اولئك للفريقين جميعا فان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب
يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه
بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر
منه روي انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة
الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار
وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق
وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين
بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة
اوفق لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل
لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس
واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه ويروى
عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث
والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه لا يجوز
فان قلت كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل والتأخر
مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا فان قلت اليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع
التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل
ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن

بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي
لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه اثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى
حذر متحرز عن كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ
بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من
سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك
ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي
رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو
عام في المنافقين كانت تحلو لي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان قلت بم يتعلق قوله في
الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة
للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في
الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن
له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد
على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد
الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم
ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت
الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو
اشد الخصوم خصومة واذا تولى واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق
سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة
السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه
القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل
والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يأبى وروي عنه ويهلك على
البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه
اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان
لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد

وقيل بالأمر بالمعروف ونهي عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان أراده المشركون
على ترك الإسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم أنفعكم وان كنت
عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا ماله وأتى المدينة والله رؤوف
بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء البلم بكسر الباء وفتحها وقرأ الأعمش بفتح
الباء واللام وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج أحدكم
يده عن طاعته وقيل هو الإسلام والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم أو
للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون كافة حالا من البلم لأنها نعت كافة لجزء حال
البلم تأخذ منها ما دمت به والحرب يكفك من لقائها جرع ه على أن الموجبين أمروا
بأن يدخلوا الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة أو في شعب الإسلام وشرائعه
كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن رسول الله أن يقيم على السبت
وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم
فإن زللتم عن الدخول في البلم من بعد ما جاءتكم البينات أي الحج والشواهد على أن محمدا نبي
الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم
إلا بحق وروي أن قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن وقال ان
كان هذا كلام الله فلا يقول هذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل بلغة أعرابية وقرأ عليه وقرأ
أبو السمال زللتم بكسر اللام وسمع لغتان نحو ضللت وضللت إتيان الله إتيان أمره وبأسه
كقوله أو يأتي أمر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز أن يكون الآتي به مجازا بمعنى أن يأتيهم الله بأسه
أو بملائكته للدلالة عليه بقوله فإن الله عزيز في ظلل من الغمام جمع ظلة وسمي بها الظلك وقوي
ظلال وسمي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا
أن يأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل أو على الغمام فان قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام
قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر
اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم كما أن الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا
جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك الصاعقة من العذاب المنقطع لمجيئها من حيث
يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون وقضي الأمر وأتم أمر اهلاكهم وتدميرهم ورفع مسه وتوا معاد جميل
رضي الله عنه ه

سبيل بني اسرائيل كلم انبياءهم ولم يكلم الناس ولقد فضلت بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا
والذين آمنوا هم الذين بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق
بإذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب
يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما
تفعلوا من خير فإن الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل
قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة
أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم
يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة ويسألونك عن
اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم
إن الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار
والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسألونك عن المحيض قل هو
أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم
واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم
وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن
يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك
إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم

وقضى الأمر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول
بالتاء والتذكير فيهما سل أمر للرسول أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة
يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على
صحة دين الإسلام ونعمة الله آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة
وتبديلها إياها أن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالهم كقوله فزادتهم
رجسا إلى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه ما بدلتم كم استفهامية
أم خبرية قلت لهذا الأمر بن معنى لاستفهام فيهما للتقرير ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكن من معرفتها أو عرفها كقوله ثم حرفوه من بعد ما عقلوه لأنه
اذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين هو
الشيطان زين لهم الدنيا وحببها الى أعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها
ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خلقهم حتى استحسنوها واحبوها أو جعل امهال المزين
مزينا وبدل عليه قراءة من قرأ زين الذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل وسخروا
من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين حظهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب
وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة لأنهم في عليين من السماء وهم في سجين من الأرض او حالهم عالية لحالهم لأنهم
كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم منطاولون يضحكون منهم كما سطاول هؤلاء عليهم في الدنيا
ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب
بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه
التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة
أولياءه المؤمنون احق بها منكم قلت لم قال الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت
ليريك أنه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان
الناس أمة واحدة متفقين على دين الإسلام فبعث الله النبيين يرشد فاختلفوا فبعث الله
وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس
أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا أمة واحدة
فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الوجه

فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين آدم
وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة
وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل
عليه فيما اختلفوا فيه في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف
فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي ازدادوا
الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه
بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا
فيه فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين
بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من
المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي
ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك
متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة ومستهم بيان للمثل وهو استئناف
كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا
شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال
الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه
طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة
وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم
يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب
على ارادة القول فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب
على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل
حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية فان قلت كيف طابق الجواب السؤال
في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف قلت
قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان
المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها

طريق المصنع

وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا و
اين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره
لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له
واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان
يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا
عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله
وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما
يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه عبد الله بن جحش على سرية
في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي
وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم
من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف
ويتذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما
نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله
الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر
وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة
قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل انها منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكبائر قريش
من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله
والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن
والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به
ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم
عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم
وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه

من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية كان فارتد خلق حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم ان الذين آمنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم يسألونك عن الخمر والميسر

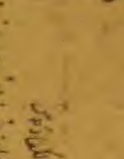

لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطأ وهم على ردته اليه فيمت على الردة فاولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة فلا يعود نفعها بها على المسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام
وبانسداد ابوابها والموت عليها من ثواب الآخرة ولها احبط الثاني دون الاول على ان الردة تحبط
الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا
روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم
اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء اجاهدوا هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء
كما تسمعون وانه من جاطلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا
ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما
اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
وسكروا فامّ بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم
سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قومًا منهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا
وتناشدوا حتى انتدب سعد شرافيه نحا الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة
فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله هل
انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة فلم اؤذن عليها ولو وقعت في خرء ثم جفت ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت
اصبعي فيه لم تتبعني وهذا سوء الايمان حقا يا من الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد
وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد فهو جائز وحل تركه ما دون السكر اذا
لم يقصد بتركه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقل مراتبه ان يحرم
الى ان اقل مرة وهو حرام ولان اخر من الزنا والقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه
قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها
العقل والميسر كل ما سمحت به نفوسهم مما يخرجونه على وجه القمار وكانوا يسمونه بالمصدر ومن جمزه جمزا
اذا اسرع وللمبالغة والميسر ايضا مصدر ومن قرأ للموعد والمرجع من فعلها يقال ليسرته
اذا المرته واشتقاقه من اليسر لانه احتمال الربح بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار

الا ترى انهما اثم كبير ومنافع للناس وكيف يوازن ما يتعقب من الاثم العظيم بما يتوقع من النفع اليسير
بالنسبة اليه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة

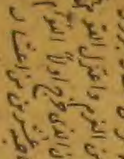

بالنسبة اليه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله فأيهما
أقول لهم بالشعب اذهبوا فبيروني اي تفعلون ما يفعل الباسور بالمبسور قلت كيف صفة
الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من
جزور تجزوها وتجزؤها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا للمسبل وهي المنيح والسفيح
والوغد وبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ذبح واسامي هن وغد وسفيح ومنيح
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى
سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده
فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم
به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور وكانوا
كانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل
فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما عن النبي صلى الله
عليه اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج
من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيها بدليل قوله
قل فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيها اكبر من نفعها وسوائل لذاذ بشرب الخمر
والقمار والطرب فيها والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم
ومشاربهم واعطيائهم وسلب الاموال بالقمار والاقتحام على الآثام وقرئ اثم كثير بالتاء
وفي قراءة ابي واثمها اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيها الآثام
من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ
الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو قرئ بالرفع
والنصب وعن النبي صلى الله عليه ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض
عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال ها انها منعضبا فاخذها فحذفه بها حذفا
لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما
الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون

فانوهن كما تأتون اراءكم التى تريدون ان تخرجوها من اى جهة شئتم لا تخطر عليكم جهة دون
جهة والمعنى جامعوهن من اى شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله من
اذى فاعتزلوا النساء حيث امركم الله فانوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتورية
المستحسنة وهذه واشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها
ويكلفوا اشباهها فى محاوراتهم ومكالماتهم وروى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهى مجنية
من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود وانزلت
وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب
الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجتروا على المناهى واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من
حيث امركم الله يعنى ان المأتى الذى امركم الله به هو مكان الحرث مرجعه اليه وتفسيره واذا كان
ذلك دل على ان الغرض الاصلى فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى
الذى يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال نساؤكم جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا
قلت كان سؤالهم عن ثلاث حوادث الاول وقع فى احوال متفرقة فلم يكن بحرف العطف بخلاف كل
واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وما الواو عن الحوادث الاخر وفى قراءة احد بحرف ايكم لزوجك كانه
قيل تختصون لكم من السؤال عن المحيض والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا الغرضة فعلة بمعنى
مفعول كالقبضة والغرفة وهى اسم لما تعرضه دون الشئ من عرض العود على الانا فتعرض دونه
وصبر حاجز او مانع تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعترض للامر قال
فلا تجعلوا فى عرضة لايمانكم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم
او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول احاف الله ان احنث فى يمينى فيترك تلك
البر ارادة البر فى يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وتحتاجون
المحلوف عليه ليتم لكم البر بالتيمن كما قال النبى صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك اى على تيمانك على ما حلفت عليه وقوله ان
تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اى للايمان المحلوف عليها التى هى البر والتقوى
والاصلاح بين الناس فان قلت ثم تعلقت اللام فى لايمانكم قلت بالفعل اى لا تجعلوا الله

ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من نسائهم
تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم

بايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان تعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اى لا تجعلوه شيئا يعترض
البر من اعترضنى كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اى ولا
تجعلوا الله لاجل ايمانكم عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم
فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من لزم فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشتمل المذام وجعل
الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا الا ترى الى الحلاف مجترئ
على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه فى وساطتهم واصلاح
ذات بينهم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به فى الدية
من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الايمان وهو الذى لا عقد
معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند
ابى حنيفه واصحابه هو ان يحلف على الشئ يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعى رضى الله عنه
هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يوكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد
منهم سمعتك اليوم حلفت فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان
احدهما لا يؤاخذكم اى لا يعاقبكم للغو اليمين الذى يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت
قلوبكم اى اقترفته من اثم القصد الى الكذب فى اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما
يقوله وهى اليمين الغموس والثانى لا يؤاخذكم اى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اى ما تواطأت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن
كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو فى ايمانكم فتوا عبد الله
آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم ان قلت كيف عدى عن وهو متعد
بعلى قلت قد ضمن هذا القسم المخصوص معنى البعد كأنه قيل يبعدون من نسائهم مولين
او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لى منك كذا او الايلاء من
المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على
الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر لما حكى عن ابراهيم النخعى وحكم ذلك انه اذا فاء
اليها فى المدة يا لوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفئ وحنث القادر ولزمته كفارة
اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت المدة بانت بتطليقة عند ابى حنيفة وعند
الشافعى رضى الله عنه لا يصح الايلاء اذا مضى اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولى فاما ان يفئ واما ان يطلق

فانوهن كانا تأتون او ايكم التى تريدون ان تخرجوها من اى جهة شئتم لا تخطر عليكم جهة دون
جهة والمعنى جامعوهن من اى شئ اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو
اذى فاعتزلوا النساء حيث امركم الله فانوا حرثكم اتى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات
المستحسنة وهذه واشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها
ويتكلفوا امثالها فى محاوراتهم ومكاتباتهم وروى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهى مجنية
من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه فقال كذبت اليهود وقد
علمتم انفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب
الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تخترقوا على المناهى واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا
ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المتوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات **فان قلت**
ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله **قلت** موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من
حيث امركم الله يعنى ان المأتى الذى امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة
لشبهة وجد لانه على ان العرض الاصلى فى الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى
الذى يتعلق به هذا الغرض **فان قلت** ما بال نساؤكم جاء بغير واو وثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا
قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول ومع كل واحد من السؤالات سؤال مستبد او سؤالا عن الحوادث الاخر متى وقت واحد فجئ لذلك كأنه
قيل يحتمون لكم السؤال عن المحيض والمسيس والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا الغرضة فعلة بمعنى
مفعول كالقبضة والغرفة وسمى اليمين بما تعرضه دون الشئ من عرض العود على الاناء فيعترض دونه
ويصير حاجزا او مانعا من قولهم فلان عرضة دون الخير والغرضة ايضا المعترض للامر قال
فلا تجعلونى عرضة للوائم **ومعنى الآية على الاول** ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم
او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول احاف الله ان احنث فى يمينى فنزل
البر ارادة البر فى يمينه فصل الحلف ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وتجعلوا
المحلوف عليه مما تلبسه بالتحرج كما قال النبى صلى الله عليه لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين
فرأيت غيرها خيرا منها فات الذى هو خير وكفر عن يمينك اى على تحرجك مما حلفت عليه وقوله ان
تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اى للايمان المحلوف عليها التى هى البر والتقوى
والاصلاح بين الناس **فان قلت** ثم تعلقت اللام فى لايمانكم **قلت** بالفعل اى لا تجعلوا الله

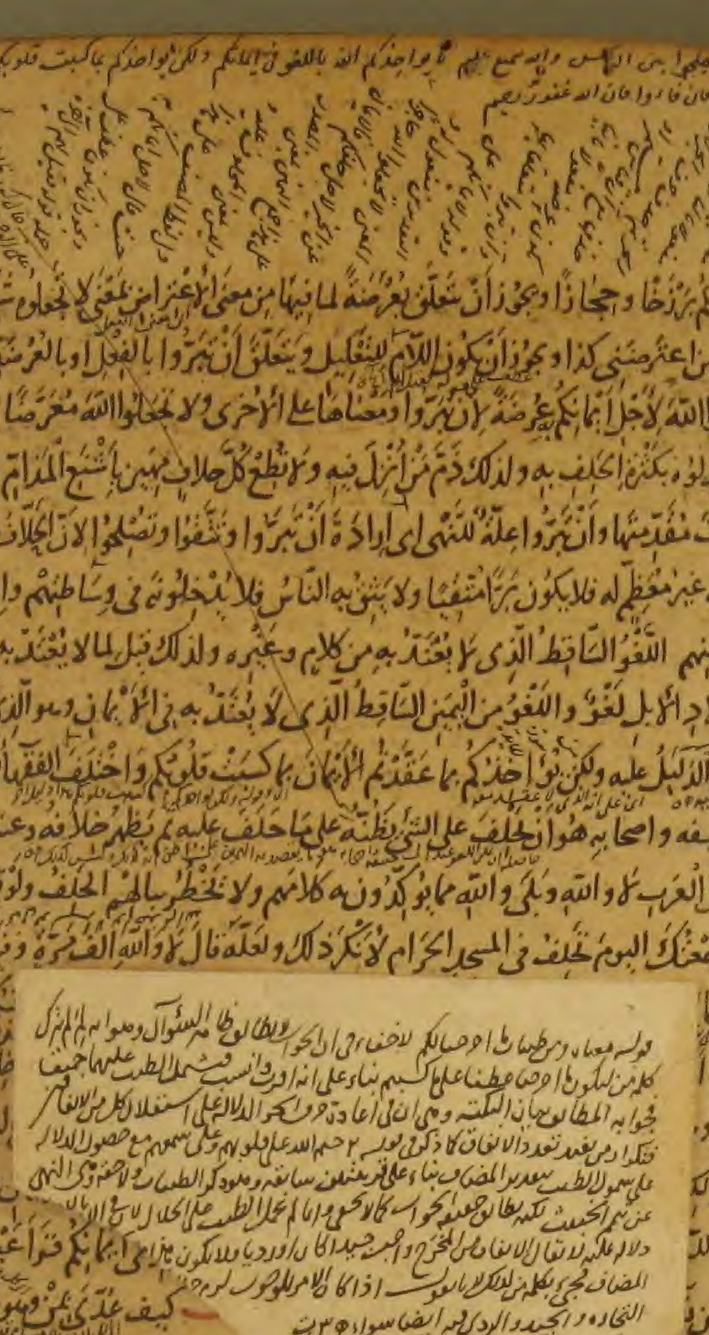

قوله معناه ومن طبعاتنا او حصاكم لا خفاء فى ان الجواب والطابق لما هو السؤال وهو انهم لم يتركوا
كلمة من لكم وانا او حصاكم عطفنا على كسبتم بناء على انه اريد بما كسبت ما يشمل الطمث عليها جميعا
فجوابه المطابق بيان البكتة وهى ان فى اعادة حرف الجر الدلالة على استقلال كل من الامرين
فتكرار من بعد تعدد الانفاق كما ذكره بقوله ٢ رحم الله على قلوبهم وعلى سمعهم مع حصول الدلالة
على سمو الطمث بسعد بن المضاف بناء على قرينتين سابقة ومذكور الطمث ولا حاجة فى النهى
عن تيمم الحيض لكنه يطابق جعلوه كما لا يخفى وانما عمل الطمث على الحلال لان الاباحة
دلالة عليه لان الانفاق من الحرام واجب جيدا كان او رديا بلا يكون بعض ما فى ايمانكم
المضاف مجئ بكلمة من لذلك لا يقال لو كان كذلك لقيل ما كسبتم اذ كان الامر للوجوب لم يحتج
الى التجاوز والتجديد والرد فيه ايضا سواء هـ س ت

ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم للذين يؤلون من نسائهم
تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم

لما بينهما من معنى الاعتراض لا تجعلوا شيئا يعترض البر من اعترضنى كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اى ولا
تجعلوا الله لاجل ايمانكم عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معترضا لايمانكم
فتعتذروا بكثرة الحلف به ولذلك ذم من اكثر منه ولا تطع كل حلاف مهين باشتمال المذام وجعل
الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا الا ترى الحلاف مجترئ
على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يبتذلوه فى وساطتهم واصلاح
ذات بينهم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به فى الدية
من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذى لا يعتد به فى الايمان وهو الذى لا عقد
معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند
ابى حنيفه واصحابه هو ان يحلف على الشئ يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعى رضى الله عنه
هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يجرى بدون ذلك على كلامهم ولا تخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد
منهم تحنث اليوم حلف فى المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معيار

قوله معناه ومن طبعاتنا او حصاكم لا خفاء فى ان الجواب والطابق لما هو السؤال وهو انهم لم يتركوا
كلمة من لكم وانا او حصاكم عطفنا على كسبتم بناء على انه اريد بما كسبت ما يشمل الطمث عليها جميعا
فجوابه المطابق بيان البكتة وهى ان فى اعادة حرف الجر الدلالة على استقلال كل من الامرين
فتكرار من بعد تعدد الانفاق كما ذكره بقوله ٢ رحم الله على قلوبهم وعلى سمعهم مع حصول الدلالة
على سمو الطمث بسعد بن المضاف بناء على قرينتين سابقة ومذكور الطمث ولا حاجة فى النهى
عن تيمم الحيض لكنه يطابق جعلوه كما لا يخفى وانما عمل الطمث على الحلال لان الاباحة
دلالة عليه لان الانفاق من الحرام واجب جيدا كان او رديا بلا يكون بعض ما فى ايمانكم
المضاف مجئ بكلمة من لذلك لا يقال لو كان كذلك لقيل ما كسبتم اذ كان الامر للوجوب لم يحتج
التجاوز والتجديد والرد فيه ايضا سواء هـ س ت

وان أبى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاؤا فان فاؤا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا
فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولي ما عسى يقدمون عليه من طلبه ضرار النسا بالايلاء وهو الغالب
وان كان يجوز ان يكون على ارضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الفتل او بعض الرجال الفيئة
التي من مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على
اصرارهم وتركهم الفيئة على قول الذين عزموا عن معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة
فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان
فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يولون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول اتاني
بنو تميم هذا الشهر فان أحدثتم امنة عندكم الى آخره والا فلم أجد بدا من التحول فان قلت ما تقول
في قوله فان الله سميع عليم وعزموا الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق
وتارك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ومدمدة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها
بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات اراد المدخول بهن
من ذوات الاقراء فان قلت كيف جاز ارادة بعض خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ
مطلق يتناول الجنس صالح للكل وللبعض فجاز ان يراد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى
الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات فاخرج
الامر في صورة الخبر تاكيدا للامر واشعارا بانه مما ينبغي ان تلقى اليه الداعية الى امتثاله فكانهن
امتثلن الامر بالتربص فهو خبر عنه موجود او نحو قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة
الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو خبر عنها وبناؤه على المبتدا بمعنى زاده ايضا فضل
تاكيد ولو قيل وتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل تتربص ثلثة قروء
كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وبعث
لهن على ان يتربصن فيما يشق منه فعلهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن
ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويحبسنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض
بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
ولم يقل طهران وقوله تعالى واللاتي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام
الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان العوض لا يسلم العدة استبرا الرحم والحيض
هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبرا امن الامة بالحيضة وقال اقراء

المرأة إذا حاضت وامرأة مقرئ وقال أبو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته إلى فلانة يقرئها
أي يمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فإن قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
والطلاق الشرعي إنما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلاث بقين
من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فإن قلت فما تقول في قول الأعشى
لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت أراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم
في الاعتداد بهن أي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته
عن أهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وأنه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة
لا يضاجعن فيها أو أراد من أوقات نسائك فإن القرء والقارئ جاءا في معنى الوقت ولم يرد
لا حيضا ولا طهرا فإن قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت على أنه مفعول به كقولك
المحتكر يتربص الغلاء أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على أنه ظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء
فإن قلت لم جاء المميز على جمع دون القلة التي هي الأقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية ألا ترى إلى قوله بأنفسهن وما هي إلا نفوس
كثيرة وبعل القروء كانت أكثر استعمالا في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال
منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قروء بغير همز ما خلق الله
في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا
ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي
حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من
الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه إن كن
يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم
والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة
المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن برجعتهن وفي قراءة أبي
بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فإن قلت كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء
حقا فيها قلت المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على
قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقا في الرجعة إن أرادوا بالرجعة إصلاحا لما بينهم وبينهن
وإحسانا إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال

مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس
لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب
في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن
يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل
وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين
التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك
من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء
بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق
الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها
حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها
الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سال رسول الله صلى الله عليه اين الثالثة فقال عليه
السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا
يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله قال له انما
السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي رضي الله عنه لا باس
بارسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله فلم ينكر عليه
روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها
فاتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه
في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته
اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها
حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل
لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله وان قلت للائمة
والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهن ولا بموتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب
للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة

والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والموتون مما آتيتموهن
مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة
حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المراة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا
جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت به من
بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امراة نشزت
على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف
وجدت مبيتك قالت ما بت مذ كنت عنده اقر بعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال
قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا وقرئ الا ان
يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد
تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان
تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق
ان يكون كذا يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان
واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى
تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كما التزوج
ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب
والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان امراة رفاعة
جاءت الى النبي صلى الله عليه فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني
وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني
فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله فاتت ابا بكر رضي
الله عنه فقالت اارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي
اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت
فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفين والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم
الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة
وعن النبي صلى الله عليه انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما

وعن عثمان رضي الله عنه لا إلا نكاح رغبة غير مدلسة فإن طلقها الزوج الثاني أن تراجعا أن رجع
كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج إن ظنا أن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يغلب على ظنهما أنهما
يقيمان لأن اليقين معتبر عنها لا بعلمه إلا الله ومن قدر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ دون
المعنى لأنك لا تقول علمت أن يقوم زيد ولكن علمت أنه يقوم ولأن الإنسان لا يحكم بما في الغد وإنما
يظن ظنا فبلغن أجلهن أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها
يقال عمر الإنسان أجل وللثوب الذي ينتهي إليه أجل وكذلك الغاية والأمد يقول البيع يتوب من ابتداء
الغاية إلى انتهاء الغاية وقال إذا انتهى أمده وينبغي في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد
إذا شارفه ودانا منه ويقال قد وصلت ولم يصل وإنما شارف ولأنه قد علم أن الإمساك بعد تقضي
الأجل لا وجه له لأنها بعد تقضيه غير زوجة له وهي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فإمساك
بمعروف فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة أو يسرحها بإحسان وإما أن يخليها حتى
تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب
انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الإمساك ضرارا للتعدي والتظلم
وقيل للتخيير هو قوله تعالى الأمر فقد ظلم نفسه يعرضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا
أي جدوا في الأخذ بها والعمل بما فيها وادعوا ما حث ودعا بها وإلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا
ويقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازئ ويقال كن لهوجا وإلا فلا تلعب بالتوراة
وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا عن النبي صلى الله عليه ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وبنبوة محمد
عليه السلام وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكروها مقابلتها بالشكر والقيام
بحقها بتعظيمه ما أنزل عليكم فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أيها الأزواج الذين
يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقهرا وجبية الجاهلية لأن كونهن بتزوج من شئن
من الأزواج والمعنى لا تمنعوهن أزواجهن الذين رضين بهم وصلحوا لهن وإما أن يخاطب به
الأولياء فيكون عضلهن أن يمنعن من رجوعهن إلى أزواجهن روي أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل
أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون
خطابا للأولياء لا يوخذ بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم ورضوا كانوا هم الحاكمين
والعضل الحبس والتضييق يقال عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم تخرج وأنشد ابن السكيت

مر لك وكذلك الناقة والأمة أي الناقة والأمة
تشق أن أضع على الأمة كلها وعلى أولادها أعطاني
على الكل الأمة ظاهر وإنما يقال على الكل
فتغلب العقلاء من الأنثى والأنثى والكل
فعلى هذا يجوز بالتاء والياء كما قال الكلابي
يجاء في الأمة وإنما يقال على الكل
قوله وعضل الأمة فوله أيضا على كل
أن الطلاق لا يحل على العدة كلها وعلى أولادها
دخلت على ما يكتب بعد والظاهر صحة ذلك
وإنما على ما يكتب بعد والظاهر صحة ذلك
قوله والعضل الحبس والتضييق يقال
عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها

اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن
اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف

وان قصائدي لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن
الشافعي رضي الله عنه رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى
الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي
حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في
قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله ولكل احد ونحوه ذلك خير لكم واطهر ازكى
لكم واطهر من ادناس الآثام وقيل ازكى واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء
والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه
يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه
مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس ان يكمل الرضاعة
وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل
تشبيها لان بما لتاء اخيهما في التأويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت هو
بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام
الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة
اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام
ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين
لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان
يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز
استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي رضي الله عنه
يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن
اولادهن قلت اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي
الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات
وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله
في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت
ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد
للمأمون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء آباء فكان عليهم ان

لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك

يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظار الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا
المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف
تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح
التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول
وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرأ
الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل للبنائين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر
بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر
او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة
زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل
قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك
ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها
ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول
فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد
ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان يكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه
وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان
ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده
قلت لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث
المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم
مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث
الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من
كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي رضي الله عنه لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته
مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان

فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون
بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير

مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت
الام على ارضاعها وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا
فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه
توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما
اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان اراد
استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى
مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول
اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما اتيتم
من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان
عن عاصم ما اوتيتم اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون
الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنا ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا
لشان الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا
بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري
الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن
والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن
وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون
آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف
جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي
الله عنه على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي
والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت
عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما
فاذا بلغن اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن
في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا

منكر كان على الائمة ان يكفروهن وان فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك
لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك
من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول
اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمن عن خالته
قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي
وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما
اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه على ام سلمة وكانت عند
ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير
في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض
قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء
لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا
وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح
لانه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن
ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت
اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره
علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي
هو الوطي لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا
ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا
وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم تعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي
لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا
اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان تقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري
بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث وافحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن
سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب

ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا

منكوحة كان على الائمة ان يكفوهن وان شرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو ان يقول لها انه جميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحدث نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحقي جدي على وفقهي في الاسلام فقلت غفر الله لك ما اخطبني في عدتي وانت بوجه عندك فقال اوقد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه على ام سلمة وكانت عند ان عمها اتى سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكرها منزلته من الله ومنه ويتحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكقولها انه يلوح منه ما يريده او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معترضين ولا مصرحين علم الله

ولا تصبروا عنه وفيه طرف

ابن المستذكر بقوله ولكن لا تو

علم الله انكم ستذكرونهن فاذكر

هو الوطء لانه ما يشق قال ا

ثم عبر به عن النكاح الذي هو ال

وهو ان تعزموا ولا تصرحوا ا

لا تواعدوهن خطبة تواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن سرا الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لا داعي له الى قوله لا تواعدوهن اذ التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحني كان كيت وكيت ويريد ما ذكر مستحب النكاح ان تقولوا قولا معروفا اي كلاما جميلا خاليا عن الريبة والخنا وكانت العرب في الجاهلية يقول الرجل لا تفوتيني بنفسك فاني محسن مجمل واصنع بالمرأة ما يصنع بالمحبوبة ونحو ذلك من الكلام الذي يعد رفثا وقيل هو ان يعاهدها على ان لا يتزوج غيرها ولا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى وقيل معناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من الجناب مهر ان طلقتم النساء مالم تمسوهن مالم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان يسمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي تمتعوهن ومتعة درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج عند ابي حنيفة ان كان مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها اعتقها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعن اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيدا لمتعوهن بمعنى متعا بالمعروف بالوجه الذي حسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وبتمام قبل الفعل محسنين كما قال علة اللهم من قتل قتيلا فله سلبه اتراه ان يعفون بعد المطلقات قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضمير هم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني لا اثر فيه لفظه للعامل ومحله النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني ان يعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رأى ولا خذ منه ولا اسمع بي فكيف آخذ منه شيئا ويعفو الولي الذي يلي عقد نكاحها

ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء مالم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح

ما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس ان قولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعقدوا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى وقيل معناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من الجناب مهر ان طلقتم النساء مالم تمسوهن مالم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان يسمى لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي تمتعوهن ومتعة درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج عند ابي حنيفة ان كان مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها اعتقها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعن اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب متاعا تاكيدا لمتعوهن بمعنى متعا بالمعروف بالوجه الذي حسن في الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وبتمام قبل الفعل محسنين كما قال علة اللهم من قتل قتيلا فله سلبه اتراه ان يعفون بعد المطلقات قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضمير هم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني لا اثر فيه لفظه للعامل ومحله النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني ان يعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رأى ولا خذ منه ولا اسمع بي فكيف آخذ منه شيئا ويعفو الولي الذي يلي عقد نكاحها

وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين

وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وقيل هو الوطء وعفوه ان يتركها حتى تحيض ولا يطالبها المهر كلا وهو مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على المهر عفوا بينهما فيه نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما سماه لها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعيد بن العاص فعرض عليه نشالة فترزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل له لم ترزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فابن الفضل هو الفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتتميموا او ولا تنسوا الاحسان او بعضوا الذي بكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانها اختاها وقرأ ابو عمرو ان يعفوا بالياء وقوى ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلاة الوسطى اي الوسطى من الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقرأها فاملت عليه والصلاة الوسطى صلاة العصر وروى عن عائشة وابن عباس والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو وفعل هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احداهما الصلاة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة اشد على اصحابه منها عن مجاهد هي الخمس لانها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار وانتصر في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطى وقرأت عائشة والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوضيطى وقوموا لله في الصلاة قانتين ذاكرين الله في جايكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم

فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا صلوا راجلين وهو جمع راجل كقايم وقيام او ارجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعدي الى حفظ ما يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الى الوقوف وعند الشافعي رضي الله عنه يصلون في كل حال وعن الراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن تقديره فمن فرط وصية بالدفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم ومن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية فحكمه انما انت سبيل الزيد باضما وتسيرا وو الزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قرأة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول كان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي متاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية اذا اضمرت يوصون فانه تنصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب متاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمدا الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحضرهم الموت بان يمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما تعلق في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف من غير تعنيف ولا ايذاء ان طلبت كيف نسخ الآية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الآية متقدمة في التلاوة ومتاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عم المطلقات بالحاق المتعة لمن بعدنا او وجها لواحد ومتاعا مصدر مؤكد وهي المطلقة غير المدخول بها وما حقا على المتقين كما قال ثم حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والذمي اتها واجبة لكل مطلقة وقيل قد نسخ وكذلك التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبارهم

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون
وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون الم تر
الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله

وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في التعجيب روي أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه تعجبا مما رأى فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم وهم ألوف فيه دليل على الألوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف متألفون جمع آلف كقاعد وقعود فإن قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت معناه فأماتهم وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كأنهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير إباء ولا توقف كقوله إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله واعلموا أن الله سميع لما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن إما المجاهدة في نفسها وإما النفقة في سبيل الله أضعافا كثيرة قيل الواحد بسبع مائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وإليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع أو شمعون أو اشمويل ابعث لنا ملكا أنهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره وروي أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال

قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم

أو استيناف كأنه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على أنه صفة لملكا وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كقوله تعالى هل أتى على الإنسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا أن لا نقاتل وأي داع لنا إلى ترك القتال وأي غرض لنا فيه وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين إلا قليلا منهم قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد أهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا أنى كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له فإن قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن أحق ولم يؤت قلت الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروي أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت قال إن الله اصطفاه عليكم يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد أوحي إليه ونبئ وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل مزدرى

وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين

غير منتفع به وان يكون خبيثا بلا عين جمادة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فتنال راسه بوتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كان فيها من زبرجد وياقوت لها راس كراس الهرة وذنب كذنبه وجناحان فكانت فيرف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر بثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ضاع الالواح وعصى موسى ونعلاه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى منزلا به الملائكة حملوه وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما عصرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم بلايا حتى هلكت حمر مدائن فقالوا اهذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرا الى وزيد بن ثابت التابوت بالهاء هي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت لا تخلو من ان تكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودع فلا يزال يرجع اليه ما خرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ التابوت فهو فاعول عند من جعل هاءه بدلا من الياء نحو اراق واصله اهراق والتمس واصله من حرف الزيادة ولذلك ابدلت من ياء التابيت وقرأ ابو الشمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ تحمله بالياء فان قلت من آل موسى وآل هرون قلت انبياء من بني يعقوب بعدهما لان عمران بن ماهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما وجوز ان يراد مما ترك كموسى وهرون والآل مقحم للتفخيم شانهما فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا وجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف ووصد وبحوهما

ولما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا تخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتنى الا الثابت النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن احتاز ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله لهم نهرا فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتم من النهر فمن شرب منه فض ابتداء اثره به من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما وبحوز ان يراد فليس من جلتي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا اذاقه وذاقه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا برد الا ترى كيف عطف عليه البرد ونقاخ الماء عذوبته والنوم ويقال ما ذقت غمضا ونحو من الابتلاء ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل مواظبة عليه واصعبه واتمه عرف ذلك طالوت بالخبر من النبي وان كان نبيا كما روي عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فان قلت ثم استثنى قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني واجعل الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرا ابن عامر والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من مثلهم مع المعنى والاغراب عن اللفظ حانا وبوبات جليل

[illegible] يطيعوه الا [illegible] يبن من [illegible] الذين آمنوا [illegible] واتقوه [illegible] ع اليقين [illegible] يظنون

ثم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تفاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر او لتباين عددهم في الاخراج ويرد عليهم هو لا ما يعتدون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيما تلثمائة رطل ونبت افداما وهبت لنا ما نبت به في مداجض

مدجاة وكانت بيضته فيما [illegible]

قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي كان لكم رسول الله اسوة حسنة على مذاهب النحويين

فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم
جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بنيانا لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا شيء الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع
اليه ممن احتاز ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا
فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتم من النهر فمن شرب منه لم يتبعني الا من اغترف غرفة بيده
فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما
ويجوز ان يراد فليس من جندي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه
طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا برد الا ترى كيف عطف عليه البرد

وهو النوم ويقال ساد يسود عما وصاد ونحو من الابنية التي يبنيها اهل البادية من ترك الصيلبة
مع اتيان الحيتان شرعا بل تواثبه واصعبه وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي
وان كان بنيانا كما يروى عن بعضهم فالوحي وقوي نهر بالسكون فان قلت
الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة
انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي
فلم يوافيه الا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المعروف وقرأ ابن
والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من مبهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل
من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا
قليل منهم ونحو قول الفي زرق لم يدع من المال الا مسحت او مجلف كأنه قال لم يبق من
المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا
يعني القليل قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين تيقنوا ان عبورهم لقاء الله وانقيادهم
والذين يتقنوا انهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين
وضوء البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين اخزلوا والذين يظنون
هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تفاءلوا بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عندهم في الاخزال
ويزيد عليهم هؤلاء ما يعتدون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته والذين
شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من اولاد عملوق
بن عاد وكانت بيضته فيما تلثمائة رطل ونبت افدامنا وهب لنا ما ثبت به في مداحض

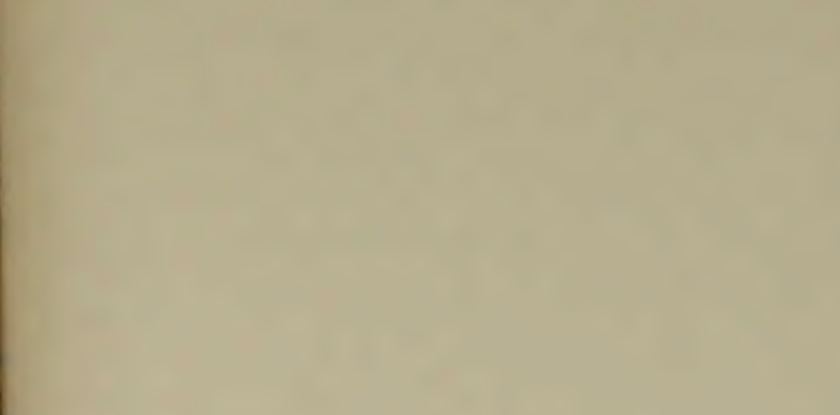

الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب كان ايشى ابو
داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى
الى اشمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة
احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت
فقتله وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق
الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة
وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس
ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض
وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله
ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لولم يدفعهم بهم لعم
الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من
حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت
من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم
كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك
الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله
فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله
الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم
الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من
رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه
اراد محمدا صلى الله عليه لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة
المرتقية الى الف آية واكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما
اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله
واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس
ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال
فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة

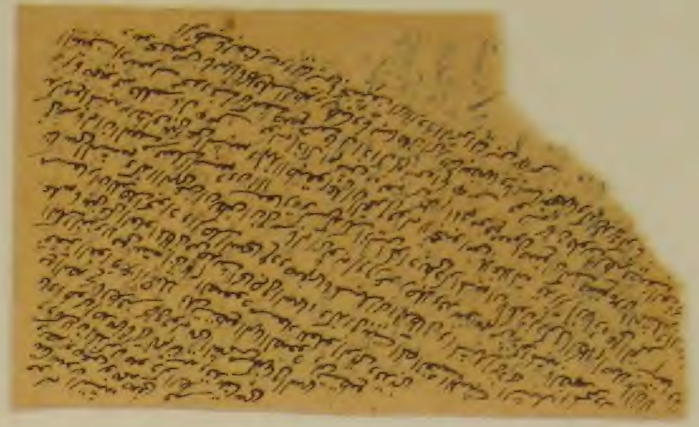

ثم قال خذ سيفك فاذهب فاقتلهما والقى الله عليه النعاس فضرب احدهما على الآخر فانكسر ثم اوحى اليه قل هو لا الى امسك السموات والارض بقدرتى فلو احذنى نوم او نعاس لزالتا من الذى يشفع عنده بغير اذنى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما فى السموات والارض لانه يعمهم العقلاء او لما دل عليه من الملائكة والانبياء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلمهم الكرسى ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفى قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لسطنه وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتجسيل فقط ولا كرسى ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة ويمين وانما هو تجسيل لعظمة شانه وتمثيل حسى الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثانى وسع علمه وسمى العلم كرسيا تسمية بالمكان الذى هو كرسى العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذى هو كرسى الملك والرابع ما روى انه خلق كرسيا بين يدى العرش دون السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شئ وعن الحسن الكرسى هو العرش ولا يقدره ولا ينقله ولا يثقل عليه حفظها حفظ السموات والارض وهو العلى الشان العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتيب الجمل فى آية الكرسى من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهى واردة على سبيل البيان لما قبلها فترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فاصل ولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونها كالبدل من الاولى لكونها مشتملة على ما اشتملت عليه من تدبير الخلق وعلمه بالمرتضى منهم والمنتوجين للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلالة المعلوم عظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد فى فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية فى دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا دخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا على علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن على رضى الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وذاكر الصحابة افضل ممن لم يذكر فان قلت

عن آبائه الكرام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه يا على سيد البشر آدم وسيد العرب محمد وما فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى

قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكر الله كان افضل من سائر الاذكار وهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه فان العبرة بقلتها محمدة

لا اكراه فى الدين اى لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقهر ولكن على التمكين والاختيار ونحو قوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اى لو شاء القسر منهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغى قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان والاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اى انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالمنظور والمستدل بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده وانشقه به وقيل نزلت فى معنى النهى اى لا تكرهوا فى الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو فى اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروى انه كان لانصارى من بنى سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصارى يا رسول الله ايدخل بعضى النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولى الذين آمنوا اى ادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اى صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك اولياؤهم الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبه الى الدين ان وقعت لهم ما يحيرهم ويقفهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم بما يلقون اليهم من الشبه عن نور البينات التى نظرهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر تعجب من محاجة نمرود فى الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة فى بدله موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول

عاد إلى فلان لأني أحسنت إليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ومنه
قوله تعالى وتخلقون إفكا إنكم تكذبون والثاني حاج وقت أن آتاه الله الملك قال قلت
كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم
والأتباع وأما التغلب والتسلط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده وإذ قال نصب حاج أو بدل
من آتاه إذا جعل معنى الوقت أنا أحيي وأميت زهدا عفى عن الفضل وأفضل وكان الأغنياء
عبيدا ولكن إبراهيم صلى الله عليه لما سمع جواب الأحمق لم يحاجه فيه ولكن اشتغل إلى ما لا بد منه
فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الاشتغال للمجادل من حجة إلى حجة
وقرئ فبهت الذي كفر أي غلب إبراهيم الكافر وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل
كانت هذه المحاجة حين كسر الأصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعونا إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أو كالذي معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف
لدلالة لم تر عليه كان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز أن تحمل على المعنى دون اللفظ كأنه قيل ألم تر
حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود
في سلك واحد ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى تحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى
ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم وقوله أني تحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياء واستعظام
لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها ألوف وهي
خاوية على عروشها تفسيرة فيما بعد يوما أو بعض يوم بناء على الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد
مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال
أو بعض يوم وروي أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب
كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير والحا أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة
على الوجهين لأن لامها هاء أو واو وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسن من
الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه
السنون التي مرت عليه يعني مواخاله لو كان كما تعلم بلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر
إلى طعامك وهذا إراءة لم يتسن وقرأ أبي لم يتسنه بإدغام النون في السين وانظر إلى حمارك
كيف تفرق عظامه وخر بت وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر إليه سالما في
مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن بعثه بعد مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ

قوله وقيل أصله يتسن
أجمع فيه علت نونات فحذفت الثالثة
كما حذفت الياء في لم يتسن

وأما كقولك إلى الذي من نون الأنطق الظاهر سقوط
نون الموصول لتوالي الأمثال في الكلام لأن الموصول لا يحذف منه شيء إلا في الشعر كقوله
فما أنا بالداعي الشبور ولا الذي ... إذا صاح شد وهو في الدرع مقنع
فحذف الياء وهو ضعيف والذي إذا ألف حذف منه ما حذف من الذي وقالوا الذ كما قالوا
في الجمع الذين والذي إذا أضيف حذف منه ما حذف من الذي

وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ٭

طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل
اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا عن ظهر
قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا احد قبل
عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث
قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام وهي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب
من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا
وقرئ بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان
الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم
ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين
له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان
كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك
كافرا ارني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت
ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى
آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه
التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك
فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة
القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن بضم الصاد و
كسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها قال
وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس
فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره
وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق
اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل
وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في
طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت

ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد

عنده الله زايدة في ذلفائم وحسن حالهم عنده وقوى كنتل جنة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين الهمزة في ابود للانكار وقرى له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن عمل الاعمال الحسنة ثم احتاج الى ثوابها فوجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من اهلي الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومتعيشهم فهلكت بالصاعقة

وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقرها كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصها بالذكر وجعل الجنة منها وان كان فيها سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اراد فيها ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل

فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان يكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا وودت لو كان كذا فجعل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد مكاسبكم وما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى تشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء حال من ضمير تنفقون لخصوصه بالانفاق ومعنى تحل الحال وقرأ عبد الله ولا تأموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء وتميمه وتأميمه وتأمموا سواء بمعنى قصده ولستم بآخذيه حالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بأن تسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا اغمض بصره ويقال للبائع اغمض لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح ولم ينقنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون الاغماض وقرأ

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير

الزهري تغمضوا وامض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكرهها من غمض وغمض وقرأ اخادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجدوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بخشف التمر وشراره فنهوا عنه اي تعدلكم في الانفاق الفقر وتقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرى الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا وايا مركم بالفحشاء ويعزيكم على البخل ومنع الصدقات فانه اغرا للامر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان تخلف عليكم افضل مما انفقتم او توانا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرى ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا كثيرا نكر تعظيما كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحض على العمل بما تضمنت الآية في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وتتوعدكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي او لا يفون بالنذور او يتذرون في المعاصي من انصار يمنعونهم من الله ويستنقذونهم من عقابه ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابدوها وقرى بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء او تصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض الجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها خمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف بالياسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرى بالنون مرفوعا عطفا على محل فهو خير منتصبا بجواب اي ان تخفوها وتؤتوها الفقراء نكفر عنكم ويكفر بالياء مرفوعا على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر وقرى بالجزم عطفا على لفظ فهو وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان نكفر عنكم ليس عليك يا محمد هدى الا ان الله يهدي من يشاء ويوفق لقبول الهدى وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا واحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم
لا تظلمون للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهتدين الى الايمان انما عليك ان تنهاهم عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث
وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطفه من يعلم ان اللطف
ينفع فيه فينهى عما نهى عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لا ينفعكم به غيركم فلا
تمنوا به على الناس ولا توذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون ولستم تنفقون الا ابتغاء وجه الله
والطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا
من خير توف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان تمنعوا عن انفاقه وان يكون
على احسن الوجوه واجملها وقيل جاءت امرأة ابنتان لها الى ابي بكر فانتهرها امهما وهي مشركة فامره ان
تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا القرابتهم من المشركين وروي ان
ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار من اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما
اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان ثم خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف
في الواجب فجوز ابو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وابا عبيد الجار
متعلق بمحذوف والمعنى اعجبوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز
ان يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقراء والذين احصروا في سبيل الله هم الذين احصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو
من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد
وهي بيفيئه يتعلمون القرآن بالليل ويخرجون للتوي بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها
رسول الله فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله
عليه يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة
فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل لخاملهم
اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة
الحال والانكسار الملحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه
اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض
البذي السائل الملحف ومعناه انهم ان سالوا الحفوا وقيل ينفي السؤال والالحاف
جميعا كقوله على لا تهتدي لسداده يريد نفي السداد والهداية بالليل والنهار سرا و
علانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة حرصهم على الخير فكلما تجدد لهم حاجة محتاج عجلوا

تصدقا ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين
تصدق بادبعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن
ابن عباس نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا
وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة
كان اذا امر بقوس من تمر فراهنه الآية الربوا كتب بالواو وعلى لغة من يفخم كما كتبت الصلاة والزكوة
وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط
الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء الخبط العسوا او ورد على ما كانوا يعتقدون
والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيخالط عقله ولذلك قيل
للرجل معناه ضربته الجن وروا انهم لهم في الجن تصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عند تم
كانكار المشاهدات فان قلت ثم بم تعلق قوله من المس قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس
الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى
انهم يقومون يوم القيمة مختلين كالمصروع من تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل
الذين يخرجون من الاجداث يوضعون لا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروع عين
لانهم اكلوا الربوا فاربا الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الانهاض ذلك العقاب
بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا
لا في البيع وجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى
الرجل بمائة درهم ما يساوي اثنا عشر درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على
طريقة المبالغة ومساواته قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل
حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتشبيههم بينهما ودلالة على ان
القياس هدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة
من ربه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ
بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم
شيء فلا تطالبوه بما مضى منه ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل
بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرا

يمحق الربوا ويربي الصدقات يذهبه ويهلكه او يذهب بركته ويمحقها او يمحق الربوا من حيث
يذهب به الى المهالك او يحرمه صاحبه بركة ماله ويعاقبه بانواع العقوبات ويربي الصدقات
يضاعف اجرها او يبارك في اموال اربابها او يزكيها ويكثرها والله لا يحب كل كفار في استحلال الربوا
اثيم في اكله او كفار بتحريمه اثيم بتعاطيه ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآتوا الزكوة
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا
ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما
ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين
الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يابى كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب
وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا
او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين
فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يابى الشهداء
اذا ما دعوا ولا تسئموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة
وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله
والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا
فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم
لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

سورة آل عمران مدنية وهي مائتان

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل
من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام

يمحق الربوا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون

انى والحسن فمن حقه ان يمحق الله الربوا ويذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه وعن ابن مسعود
الربوا وان كثر الى قل وهو الذى الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب وهو بذل المال
الذى اخرجت منه الصدقة ومباركة فيه وفى الحديث ما نقصت زكاة من مال قط كل كفار
اثيم تغليظ فى امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اجتنبوا ما شارطوا على
الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوها روى انها نزلت فى ثقيف وكان
لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقى بقلب الالفا
على لغة طيئ او عند ما بقى بيا ساكنة ومنه قول جرير ... يوا الخليفة قارضا امارضى لكم
ماضى العزيمة ما فى حكمه جنف ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعنى ان دليل صحة الايمان وثباته
امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا اجزم من الله فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرى فاذنوا
فاعلموها غيركم ومنوه من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا
امنوه دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى
فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى
لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المدينون بطلب
الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها ان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قلت قالوا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان
ذو عسرة وان وقع عسر من عوسائكم ذو عسرة اى ذو اعسار وقرا عثمان رضى الله عنه ذا عسرة
على وان كان الغريم ذا عسرة وقرى من كان ذا عسرة فنظرة فالكلام او فالامر نظرة وهى الانظار
وقرى فنظرة بسكون الظاء وقرا عطا فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اى منتظره او صاحب
نظره على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره
على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وبابره بها الى ميسرة الى يسار وقرى بضم السين كعسرة ومقبرة
ومشربة ومشربة وقرى منها مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذى
وعدوا وقوله تعالى واقام الصلاة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان تصدقوا بما برؤس اموالهم
على من اعسر من غرمائهم او بعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل الوجه بالتصدق الانظار
لقوله عليه السلام لا حل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه
خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرى تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء

ترجعون قرى على البناء للفاعل والمفعول وقرى يرجعون اليا على طريقة الالتفات وقرا
عبد الله ترجعون وقرا ابى تصيرون وعن ابن عباس انها آخر اية نزلت بها جبريل وقال ضعها
فى راس المائين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا
وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا يقال
داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا الا تقول بايعته اذا بعته او باعك قال الراجز
داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادانى بعضا والمعنى اذا تعاملتم بدين موجل
فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى واى حاجة الى ذكر الدين كما قال
داينت اروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر
لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى موجل
وحال قان قلت ما فايدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالنقد
بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية
وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن من النسيان وابعد من المجحود والامر للندب وعن ابن
عباس ان المراد به السلم وقال المحرم الله الربا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح
السلم المضمون الى اجل معلوم فى كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له
اى كاتب مامون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص
وينبغى ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه معدلا بالشرع وموامر للمتداينين
بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو
معنى تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو
كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اى نفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبى
هى فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بيكتب وبقوله فليكتب وان قلت
الوجه بين قلت ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب
يعنى تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من
الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذى عليه الحق ولا يكن الملى الا من وجب
عليه الحق لانه هو المشهود على اقراره به والاملال والاملاء لغتان قد نطق
بهما القرآن فمنى على عليه لا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرى شيئا بطرح الهمزة وشيئا

ترجعون او تاتى جمعون فان قال الله تعالى وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب
بالعدل والباب كله ان كتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا

فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله

والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرا ابي فان اومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء فتقول الذئتمن والذيتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء من استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن وقد وجد المسلمون

فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

٩٥

منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرا الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحب زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل آتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا يفرق وعن ابي عمرو لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار من عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

عه
حيث لا يجوز ان يدعو ان المقصود طلب دوامها على
في الحالة المذكورة والا فعدم المؤاخذة
حاصل من ترك المواخذة

الكلمة المنعة على زيادة لفظ

الإعمال أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطأ إن فرط منا فعلى تلك النسيان والخطأ منجاوز عنهما
فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما نشآ عنه
من التفريط والإهمال الآتي في قوله وما أنسانيه إلا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل
النسيان وإنما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منشؤه النسيان ولأنهم كانوا متعبدين
الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة إلا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك
إيذانا بمراعاة ما حتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل إن كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فاعفهم سببا
مؤاخذة إلا الخطأ والنسيان ويجوز أن يدعوا الإنسان بما علم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل
الله لا ستدامته وللاعتداد بالنعمة فيه إصرا العهد الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا
يستفل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل النفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب
وغير ذلك وقرئ أصارا على الجمع وفي قراءة أبي ولا تحمل علينا بالتشديد كما قلت أي ثقيلا

ما هذه التشديدة والتي في لا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل جملة من مفعول
واحد إلى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الإعفاء
من التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة
عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا أنكر لقوله لا تحملنا
اصرا مولانا سيدنا ومن عبدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا فانصرنا فمن حق المولى أن ينصر
عبده أو فان ذلك عادتك أو فان ذلك من أمورنا التي عليك تولاها وعن ابن عباس أن رسول
الله عليه اللهم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه اللهم من قرأ الآيتين
من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه اللهم أو نبئت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش
لم يؤتهن نبي قبلي وعنه أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبها الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق
بألفي سنة من قرأ بهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل فإن قلت هل يجوز أن يقال
قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة قلت نعم بأن يذكر ذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه
من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز
تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود أنه رمى الجمرة ثم قال من ها هنا رمى الذي
أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة
وإذا قيل قرأت البقرة لم يشكل أن المراد سورة البقرة كقوله وسل القرية وعن بعضهم أنه كره ذلك

السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه

وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس
وأنزل الفرقان

الباطلة قبل وما

وقف على ألف

ثبتت في رسم

فلم الوقف و

لتدل عليه

لحركة البناء

هيئة و

رسم مصحف

فيم يسئل بعضهم

قلت

يشكون الدال

حركتها هي

عبيد وجهه الله

راة والإنجيل

كوتها

في

نزل

هدى

أو كوكبا

الكسرات

وقف على الفتحة لأنها لا تحتمل الحركة فلا تحتمل الإشباع إلى
محل فاء وجد الوقف على الحركة
وسوا الهمزة موجود

حاصل الجواب انه قد
ورد في الحديث وفي غير سورة
البقرة ايضا اذا قيل قرأت البقرة
فهم انه اراد سورة البقرة

ولا يقال لم لا يجوز أن يكون المراد بالبقرة بعض سورة البقرة لأنا نقول لو كان كذلك لوجب أن يذكر ما يدل على ذلك البعض كما في قوله تعالى فاضربوه ببعضها فإنه لما كان المراد بالبعض لحم البقرة ذكر ما يدل عليه وهو قوله اضربوه بلحم البقرة

وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه

السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه

البطلة قبل وما

وقف على ألف

ثبتت في رسم

فلم الوقف و

لتدل عليه

لحركة البناء

هيئة و

رسم مصحف

فيم يسئل بعضهم

قلت

يشكون الدال

حركتها هي

عبيد وجهه الله

راة والإنجيل

كوتها

في

نزل

هدى

أو كوكبا

الكسرات

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

الاعمال اى لا تواخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرطنا مثال ذلك النسيان والخطأ منجاوزعنهما

من التفريط والاعمال الاترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل

النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذى منه النسيان ولانهم كانوا متقنين

الله حق تقاته فلما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ كان وصفهم بالدعاء بذلك

ايذانا بمراعاتهم عما يؤاخذون به كما قبل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فانهم سبب

مؤاخذة اما الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعوا الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء بفضل

الله لا ستدامته وللاعتداد بالنعمة فيه اصرا العبء الذى يأصر حامله اى يحبسه مكانه لا

يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب

وغير ذلك وقرئ اصارا على الجمع وفى قراءة ابى ولا تحمل علينا بالتشديد بقاء قلت اى فرق

بين هذه التشديدة والتى فى لا تحملنا قلت هذه للمبالغة فى تحميل عليه وتلك لتنقل جملة من مفعول

واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء

من التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عمائر لعليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة

عليها وقيل المراد به الشاق الذى لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا انكر بر لقوله لا تحمل علينا

اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر

عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التى عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول

الله عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس

وانزل الفرقان

وقال يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه السورة التى تذكر

البطلة قيل وما

وقف على الف

الهمزة اثبتت

ثبتت فى درج

حكم الوقف و

لتدل عليه

احركة البناء

هيم وداود

لام ميم

ميم ثم

قلت

بكسر الدال

خركتها هى

عبيد دعوة الله

راة والانجيل

ضع بعد كونها

نزة عذتم فى

القرآن نزل

كتاب هذى

فتحة هان قلت

والباء لما

والتاء لما من كتبه

موظاهر او كوا

الكسرات

حاصل الجواب انه قد

وقف على الالف ثم ابتدأ بالهمزة المكسورة فاحتيج الى اجتلاب همزة الوصل

وانما لم تجتلب همزة الوصل فى الابتداء بالهمزة المفتوحة لان همزة الوصل

انما اجتلبت لتوصل الى النطق بالساكن فحيث كانت الهمزة مفتوحة

استغنى عن همزة الوصل لان همزة القطع تكفى للابتداء بالساكن

وقد ذكر صاحب الكشاف هذا السؤال والجواب فى سورة البقرة

عند قوله تعالى الم ذلك الكتاب

هذا ما ورى عن عاصم من قطعه الالف فكانه قدر الوقف على الميم واستانف الله بقطع الهمزة للابتداء بها والجمع

بالجلالة وما بعدها وانتهم موعليه ايضا من ان الهمزة تسقط فى الوصل فاذا ابتدئت لم يجز ان يلتفت حركتها على ما قبلها

والله اعلم بالصواب ○ قال الشارح المحقق التفتازانى وقد يتوقف فى ان هذه الاسماء هل هى قبيل الحروف ان لم يسمها الا

العدد كما يوهم الاسماء قبل التركيب وسماها البعض مفيدا لعدم الاداء الى المقصود المقتضى لاعم التركيب والعامل وان سلم كون

اى اسماء مفردة وقف لان المسكون بناء اكيد فيما هو عريق فى البناء اعنى السكون عند لزوم البقاء الساكنين مثل اين

واحد وهؤلاء لكن هذا السكون الوقتى ليس بحيث يرجع الى حركة اصلية كما فى الوقف على الحركات الواقعة فى الدرج

الاعرابية ظاهرا اذ ليس الاعراب قبل التركيب واما البناء فمقدر انما معربة وغير منصرفة لشبهها بالفعل

على السكون فى مثل الف واحد وتحو ذلك الى الحركة حتى تغير الى السكون ولا خصوصية للحركات الثلاث

لما قيل بالبناء ان هذا السكون فى حكم الوقف ومن ادلته على ان من السكنات عند الوقفية الى حكم الوقفية الغير

فيها التقاء الساكنين مثلا الم ميم تؤنث واسم مثنت فيها التاء الوصلية مثل واحد اثنان والتعدد وفعل اسم وان التاء

فيها تلت مثال اربعة خمسة اذا التقى هذا فنقول كان مقتضى الوقف وكون هذه الالفاظ مقطوعة البعض

من البعض ان يقال الم الله ان الله بسكون الميم وفتح الهمزة لكن اطبق القراء الا ابى رواية يحيى عن ابى بكر عن عاصم على فتح الميم وطرح

همزة الله على ميم سيبويه وكثير من النحاة الى انه حركها بالفتح للتخفيف والمحافظة على السكون فى الوصل

فاصله ضربان همزة الوصل سقط فى الدرج والتخفيف وتنقل حركته اما كون فيها لها ثبوت وكتب لاثباتها او لا

والاطلاع وامحاب ما كان فى حكم الموقوف عليه ما كان همزة الدرج بدليل الابتداء واجتلاب همزة الوصل

والتقاء الساكنين فيقال الم الله بكسر الدال وحذف همزة الوصل كما فى قول الشاعر اقبلت من عند زياد كالخرف

تخط رجلاى بخط مختلف تكتبان فى الطريق لام الف وهذا ليس من اجراء الوصل مجرى الوقف فى شئ حتى يرد

بان قلت ذكر صدر الوقف تابع لبين يجعلونه من الالفاظ على التعديد ام فمن يجعلها اسماء السور فهى مسرودة

بعده اما قبل ان يوقف عليه واقعا لا الوقف قلت لك ان تقول انها على هذا التقدير محكية وفى الكلام على اصلها الاداء

الساكن بلا استفسار عن وجه العدد اعتدادا بالنعمة فيه سيبويه وابو على وكثير من النحاة وتبعهم الم فى الفصل

قالوا ولا بأس بانا بينا انها على حكم الوقف والتقاء الساكنين والتقاء الساكنين يغتفر فيه وتأتى بانه لو كانت

الالفاظ الساكنة لحرك كل واحد فقيل فى السور كذلك مثلا لام ميم صاد كما قاف فى نون وتحو ذلك ولم تعتد بان لفظ

ساكن بالنسبة الى ما بعده متحرك كالام من الله اعتراض المغترل الوقف التقاء الساكنين دون الثلاث ورده بابتداء

جاءت الحركة حتى لا يلتقى الساكن الذى لوقوعه فى الوقف ومهوان الحركة لو كانت للالتقاء الساكنين الساكن الثالث لما

كانت للالتقاء على الجر او الرفع حين لا التقاء اصلا وانما دعى الاعرض امكان النطق بساكن بعد ساكن الا ترى

ان الساكن الاول اذا كان حرف مد ولين حذف لاجل الثانى نحو قم الليل ولم يحذف الاول لان الثانى عارض

وان كان الاول حرف مد ولين يحرك لالتقاء الساكنين نحو الم الله بكسر الميم ولا وجه لما سموا الحركة لالتقاء

الساكنين قتيل الم الله بجار ومجرور غلط عند الزجاج من قبل ان الكسرات

مكسورة قبلها فتحتها الفتح تتصل

الحركة فالها لاحيها الى

محل فاذا وجد الحركة علم ان محلها

وسوا الهمزة موجود ○

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

الا عيما اى لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطا ان فرطنا فان قلت النسيان والخطا متجاوز عنهما ... فما معنى الدعاء ... من التفريط ...

رجع المصنف الى اسماء الحروف من نحو الف لام ميم وغير ذلك من الاسماء قبل التركيب فذهب الاكثرون الى انها مبنية لفقدان مقتضى الاعراب وبنيت على السكون واعتبر التقاء الساكنين فيها فرقا بين ما بني لعدم مقتضى الاعراب وبين ما بني للمانع من الاعراب واذا التقى ساكنا كما حرك فحركة ميم الم الله عندهم لملاقاة الساكن الثالث وانما حرك بالفتح لبقاء تفخيم لفظة الله وذهب بعضهم الى انها معربة وان سكونها سكون وقف وان الميم عندهم منقولة من الهمزة اذا عرفت هذا فنقول اعلم ان المصنف بنى الكلام على ان السكون فى الف ولام في اوائل هذه السورة وفي غيرها سكون وقف لعال حق الميم ان يوقف عليها وان يبدا بما بعدها فيقرا باسكان الميم وفتح الهمزة من الم الله ونسب هذه القراءة الى عاصم ثم ذكر ان القراءة المشهورة هي بفتح الميم لنقل حركة همزة الى لان الحال لما كان حال الوقف كانت الهمزة ثابتة غير مسقطة في الدرج فالقيت حركتها على الميم وحذفت الهمزة وشبهه بواحد اثنان بتحريك الدال بالكسر لنقل حركة الهمزة اليها وذكر ان حركة الميم لا يجوز ان تكون لالتقاء الساكنين لان الحال حال وقف والتقاء الساكنين فيه غير جائز والا لوجب تحريك الميم من لام وتحريك الميم من ميم في مثل قوله تعالى الم ذلك الكتاب الم غلبت الروم الى غير ذلك والا لو توقف على ملاقاة ساكن آخر كان في هذه الصورة على زعمكم ثم اشار الى سوال وجوابه تعالى نحن نسلم ان التقاء الساكنين في الوقف جائز لكن عرض هنا امر آخر وهو الساكن الثالث فلذلك حرك لكون التحريك لملاقاة سكون الميم سكون لام التعريف فاجاب بانه لو كان التحريك لملاقاة الساكن الثالث وامتناع التلفظ لوجب ان لا يحركوا الدال في واحد اثنان لانه كان يمكنهم التلفظ بواحد اثنان ساكنة الدال مع سقوط الهمزة بالتقاء الساكنين للوقف كما قالوا اصيم ومديق بالتقاء الساكنين حرف اللين وما لم يسكنوا الدال بل حركوا دل على ان الحركة منقولة ثم اشار الى سوال عرض وجوابه لو كانت الحركة من المنقولة من الهمزة فما وجه قراءة من قرا بكسر الميم فاجاب بانها على توهم ان الحركة فيه لالتقاء الساكنين هذا تمام كلام المصنف وفيه نظر لانه لو كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال وحذف الهمزة ولسلم ذلك باصيم ومديق غير صحيح لان التقاء الساكنين جائز فيها اذا كان الاول لينا والباقي مدغمين كما بين على التعريف في تصانيفهم وايضا لو كان الحال حال الوقف كما ذكره لكان همزة الله مبتدا بها فلا يجوز تخفيفها بالنقل والحذف وكذا نقول في واحد اثنان لو كان فيه وقف لكان اثنان مبتدا به فوجب ان تثبت همزته ولا تخفف لالتقاء الساكنين بنقل الحركة والحذف لان شرط تخفيف الهمزة ان لا يكون مبتدا بها فالصواب ان نقول تحريك الميم في الم الله انما كان لانه لما وصل التقى ساكنان فحرك الميم بالفتح ولم يحرك بالكسر ابقاء على تفخيم لفظة الله وقد صرح المصنف في المفصل بان حركة الميم في الم الله لالتقاء الساكنين في مواضع منها قوله في التقاء الساكنين متى التقى ساكنان في الدرج على غير حدهما وكان الاول غير مدة فالعمل تحريك الاول نحو الم الله فقد صرح بان تحريك الميم لسكونه وسكون اللام وقال ابن الحاجب في شرحه ساق المصنف الم هنا في ان حركة لالتقاء الساكنين وساقه في تفسيره على انها حركة الهمزة نقلت الى الميم فتوهمها في غير هذا الموضع من هذا الكتاب مصرح بان سكون الميم واشباهها سكون بناء ولذلك لما لاقى ساكنا لم يحكم بان الحركة لالتقاء الساكنين ولو كان السكون سكون وقف اجرى الوصل مجرى الوقف فسكون الميم باقية على نية الثبات مبتدا بها واذا اجرى الوصل مجرى الوقف جاز ان تعطى ايضا احكام الوصل لفظا ثم قال وفي ذلك تعسف لان الاسماء اذا جردت عن التركيب وجب بناؤها فسكون السكون في هذه المواضع سكون بناء وايضا فيما ذكروه حمل ما اجمع عليه القراء على الضعيف لان اجراء الوصل مجرى الوقف ليس بالقوي في اللغة واشار الشارح بقوله اجمع القراء الى ان القراء حركوا الميم واثبات الهمزة نقلا عن عاصم لم يثبت في السبعة وقال ابو علي الفارسي في الحجة قراوا كلهم الم الله مفتوحة الميم والالف ساقطة الا ما نقل عن يحيى بن آدم عن ابي بكر عن عاصم انه قرا الم ثم قطع وابتداء الله ثم قال آخر ما سقطت عنه الم الله مثل حمزة ثم قال والمعروف عن حفص عن عاصم الم الله مفتوحة الميم غير مهموزة ثم قال ابو علي في الحجة اتفاق الجميع على اسقاط الالف الموصولة في اسم الله وذلك ان الميم ساكنة كما ان سائر حروف التهجي مبنية على الوقف وقد التقت الميم الساكنة ولام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذي هو لام المعرفة على ان التحريك للساكن الثالث الساكن وقد نص سيبويه ان حروف التهجي يجتمع فيها الساكنان نحو كهيعص حمعسق لانها مبنية على الوقف كاسماء العدد ثم حركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما في من الله من المسلمين من العراقيين ... بعيد الالتفات على هذا الوجه

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان

وقال يقال فراث السورة التي يذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدا ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحاق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرا الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر

ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما

ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما
لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر
على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم عبر عنه بالسماء والارض هو متطلع على كفر من كفر وايمان من
آمن وسوء مجازاتهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وفرا طا وحسن تصوركم اي صوركم
لنفسه ولتعبده كقولك اتلت مالا اذا جعلته ابلة اي اصلا وتاثلته اذا اتلته لنفسك وعن
سعيد بن جبير هذا الحاج على مزعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد
كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه
متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد
اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار اليها ناظرة لا بارئها نحتا امرنا منتزعا فيها فان قلت
فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا
عما يحتاجون فيه الى النظر والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق
الذي به يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بمن الثابت
على الحق والمتزلزل فيه ولما في تفاوت العلماء وانتهابهم القرائح في استخراج معانيه وردّه
الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان
لا متناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى في بعض ما يتناقض في ظاهره وابهة طلب ما يوفق
بينه ويجريه على سنن واحد فيكد ويراجع نفسه وغيره فيحصل الله عليه ويثيبه على مطابقة المتشابه
المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع يتبعون
ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحملونه
ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلبا ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء
تاويله وطلبا ان ياولوه على ما يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في
العلم اي لا يهتدي لتاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم
اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ
والراسخون في العلم يقولون ونفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه
من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام منتظم موضح كال الراسخين
بمعنى هو لا العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه

وما يذكر الا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب

ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض
كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن
التامل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرا عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرا
ابي ويقول الراسخون لا يزغ قلوبنا بلا ان تقلبنا بعد اذ هديتنا فلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا
لديك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة
وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء واليا ورفع القلوب جامع الناس ليوم اي تجمعهم لحساب يوم او
لجزاء يوم كقوله يوم نجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد
معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد
قرا علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من اجد في استعمال الحركة على حروف اللين
من نحو قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من عذاب الله
او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد
اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه
قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود وقود بالضم بمعنى اهل وقود
والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وعن ابن عباس هم قريظة والنضير الدأب
مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف
مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان
ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن يغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم
النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان
فلانا لمجاور كدأب ابيه تريد كما جور ابوه كذبوا آياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل
بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا وهم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم
بدر وقتل منهم اليهود لما غلب رسول الله يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشر به
موسى وجدوا في اتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد
شكوا وقتل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سنين حتى قيل فناخ فقال يا معشر اليهود احذروا
مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك
انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس وغلبت

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم
رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك
سيغلبون فان قلت اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم
بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من
نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به
من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد
كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين
مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم
مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة
والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة
او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا
اولا في اعينهم حتى اجترأوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل
والتكثير في حالين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في
اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه
امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما
كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف
ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلثة امثالهم وقراءة
نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته
وقرئ فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال
من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات
والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين الله سبحانه للابتلاء
كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية
الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها حب الشهوات
جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها
والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم

والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
قائما بالقسط

من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر
اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون
اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند
الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد
جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار
للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة
او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور
متاع الحيوة للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير
من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام
بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وينصره قراءة من قرأ
جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين
اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر
صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة
منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب
الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في اول
الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شبهت دلالته
على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد
كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك
اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم
من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل
على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت
لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت
انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة
حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت
اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل

قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي
كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل
قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم
اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من
هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم
الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون
وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح
وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت
فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين
عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او
ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما
ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام
والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ
الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد
على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله

ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى
وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان
قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع
الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به
قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من
اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم
انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان
تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجويز لله بغيا بينهم اي ما كان
ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم
من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع
التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة
وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها
لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي
ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء
في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا

قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي
كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل
قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم
اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من
هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم
الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون
وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح
وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت
فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين
عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او
ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما
ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام
والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ
الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد
على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله

وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم

ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى
وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان
قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع
الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به
قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من
اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم
انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان
تكون النبوة فينا من قريش ... بينهم اي ما كان
ذلك الاختلاف وتظاهره ... منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع ... سلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد حيث ... بالانبياء فمنهم
من آمن بموسى ومنهم من آمن ... احتضر استودع
التوراة سبعين حبرا من ... قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد ... الدنيا والرياسة
وقيل هم النصارى واختلافهم ... سوله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين ... لم اجعل فيها
لغيره شركا بان اعبده ... القديم الذي
ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء يدفع حتى تجادلوني ... قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء
في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا

قوله تلمم اي تنزل وهو بدل من تأتنا والحطب الجزل
القوي الغليظ تأجج اي اشتعل قيل في تأججا ثلثة اوجه
احدها ان يجعل الالف للتثنية وهي الحطب والنار وذكر
لتذكير الحطب والثاني ان يكون للحطب والثالث ان
يكون للنار والنار في تأويل الشهاب فكانه قال وشهابا
تأججا ولا ينبغي ان تقول تأججت لان فيه ضميرا يعود الى النار
خلاصة المعنى انهم يوقدون غلاظ الحطب لتقوى نارهم
فينظر اليها الضيفان من بعد فيقصدونها واعلم ان ظاهر
كلام المصنف يدل على ان تجد بدل من تلمم لانه اورده مثالا
للبدل من الجزاء لكن الصواب ان تلمم بدل من تأتنا وتجد
هو الجزاء

قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي
وياوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي
كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو قلت لا يبعد فقد رايناهم يتسعون في الفصل بين الصفة
والموصوف فان قلت قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله
شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل
قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم
اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة
واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرا عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من
هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم
الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم
حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون
وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح
وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند
الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للجملة الاولى فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت
فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين
عند الله الاسلام فقد اذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه
فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او
ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما
ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام
والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ
الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد
على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرا عبد الله

ان لا اله الا هو وقرا ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى
وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله فان
قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع
الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل
للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به
قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من
اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم
انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان
تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجويز لله بغيا بينهم اي ما كان
ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع كل [illegible] سلام وقيل هو
اختلافهم في نبوة محمد حيث [illegible] بالانبياء فمنهم
من آمن بموسى ومنهم من آمن [illegible] احتضر استودع
التوراة سبعين حبرا من بني [illegible] قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد [illegible] الدنيا والرياسة
وقيل هم النصارى واختلا[illegible] وله فان حاجوك
فان جادلوك في الدين فقل [illegible] لم اجعل فيها
لغيره شركا بان اعبده وا[illegible] قديم الذي
ثبتت عندكم صحته كما ثبتت [illegible] قل يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبين [illegible] بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق [illegible] عطف على التاء
في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا

بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله

ومن يكفر بها فانها تضيء لكم وانتم انما تخفرون الحنث من الغدر لا تستطيعون ان تبروا في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه او تمنعه على نحو من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويولي العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم ومعنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجدون قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر محبة في الله وبغضا في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تتركوهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ ومن تولى الكفرة فليس من ولاية الله في شئ يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدو مناف فان قال تودد الى بعض اصدقائك ليس الموكل عنك بعاذب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا فحينئذ اتقاؤه وقرئ تقية فعلة للتقي تقاة وتقية كقولك ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بذلك الموالاة بمخالفته ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من فحوى الخطاب كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا وخذ ركز الله نفسه فلا تعرضوا للخطر بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يعني بتقوا ويحذركم اتقوا ويحذروا فيتعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله واتقوا الله حق تقاته ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه

وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا تخفى عليه منه شئ قط فلا تخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شئ قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا تختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا تجسر احد على قبيح ولا تقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلا تجوز به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله توكل به من يتجسس عن بواطن اموره ويأخذ جذره بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره ويأخذ جذره ينفظ في امره ويتقي كل ما يتوقع فيه الاستبرابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه ومطلع يعلم السر واخفى مهيمن عليه ومطلع اللهم انا نعوذ بك من اغفال ما يستوجب به سخطك يوم تجد كل نفس ما عملت من سوء منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرا تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم ومتوليه امدا بعيدا ونحو ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر او بقوله على ما عملت وجده وبر تقع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود لو تباعد ما بينهما وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت هل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الجزم على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف ما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة بعيدا ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ويحاسبون عليه ما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله بالبت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني ان حذرهم نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن ما رأيته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا العلة وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع

ويغفر لكم وعن الحسن نعم انوام على عهد رسول الله انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمله فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق يديه مع ذكرها ويطرب ويسر ويصفق فلا تشكن انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصفقته الا انه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصفق على تصورها وربما رأيت المتنى قد ملأ ازار ذلك المحب عند صفقته وحمى العامة حواليه قد ملأوا ازرتهم بالدموع لما رأوا قضم من حاله وقوى تحبون ويحبكم مرجبة تحبته قال

احبة اباتر وان من حبة تمره واعلم ان الرفق بالحاد الرفق ووالله لو لا تمره ما احببته ولكان ادنى ان تولوا احتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول للرسول لهم آل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمان مائة سنة وذرية بدل من آل ابرهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني ان الكل ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحاق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان سليمان بن داود بن ايشى هو ذا بن يعقوب بن اسحاق وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء ويعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول عمران وبنتها واذ منصوب به وقيل باذكر واذ قالت امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه هي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران موعمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول مما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا ايشاع اخت مريم وكان يحيى وعيسى ابنا خالة وروي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت حنا في ظل محرابها بضرب بطائر يطعم فوقه فحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا

نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فجملت مريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلي عليه ولا استخلصه منه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا يندرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خيروا بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما انث الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير للاب بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى علم الله او على تاويل الجملة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال كما ان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الجملة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الجملة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما اردت الى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فحررت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما للموضوع بها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها من نبوته ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان جعلته ولده اية وسمي جاهلة بذلك لانها لم تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا المولود وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى وليعلم الله سرا وضعته او حكى تعجب هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت ما معنى قوله وليس الذكر كالانثى قلت موبيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والتفخيم منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها والام فيها للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان ازكى قوله والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى لو تعلمون عظم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فاراد ت بذلك التقرب واطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما روي من ان كل مولود يولد والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه

فتركه ودنيها من الشيطان الرجيم

الشيطان اياه الا مزعم وانها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان
في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلال المصارخ من مسه الشيطان وتصويره لطمعه فيه كانه
يمسه ويضرب يده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحو من التخيل قوله لما ان الرؤي
للمولود في الدنيا به من ضر وهما يكون بكاء الطفل ساعة يولد واما حقيقة المس والنخس كما يتوهمه
اهل الخشو فكلا ولو تسلط ابليس على الناس بخبطهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يلونا
به من خبطه فتقبلها ربها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون
القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها بانها
مقام الذكور في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك وبان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل
ان تشاء وتصلح للتداولة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد
ووضعتها عند احبار بني اسرائيل وهم بنو هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم
هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ياشان
رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى تقترع
عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء وسنت
اقلامهم لتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن
اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون بمعنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله
بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله
وعن ثوبان انه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا ومنه
المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا مجازا عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقوى وكفلها زكريا
بوزن وعلها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا على الفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله
كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيده قراءة ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقوا بجانبه
فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها على ندائه بذلك
اي فاقبلها يا ربها وانبتها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد
اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع

وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله

من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده
وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان يرزقها ينزل عليها من الجنة ولم
ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك
هذا بين ان لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وسوآتها في غير حينه والابواب مغلقة
عليك لا سبيل للداخل اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قبل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى
وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها
رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو
مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه اني لك هذا فقالت
هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه اللهم الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه
حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها والله يرزق من حيث لا يحتسب
عليها اللهم او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة
ومجازاة على عمل حسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في
المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها
على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من اشياع ولد مثل ولدها حتنة في النجابة والكرامة
على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت امها كذلك وقيل لما راى اكلها في غير وقتها اثبته
على جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سمع الدعاء مجيبه قوى
فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك
بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقوي يبشرك بالفتح
على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقوي يبشرك ويبشرك من
بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره يحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف
والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله مصدقا
بعيسى مؤمنا به قيل هو اول نبي آمن به وسمي عيسى كلمة لانه يوجد بكلمة الله وحدها وسمي قوله
كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل للقصيدة هذه
القصيدة به والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه فائقا للناس كلهم

وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس في
الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد
ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بعني
ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة
وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستوي فيها الأنبياء ومن بدع التفاسير ان قولها رب انى يكون لي ولد
بمعنى يا سيدي وتعلقه عطف على يشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقوا عاصم ونافع
وتعلقه قال قلت غلام يحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم
والمابين يدي ما الى حمله عليها قلت هو من المضائق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت
على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا
للمابين يدي والثاني ان الرسول والمصدق بنيا معنى النطق فكانه قيل وناطقا بانى قد جئتكم
وناطقا بانى اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول عطفا على كلمة اني قد جئتكم اصله
ارسلت بانى قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني جئتكم او جر
بدل من آية او رفع على اني اخلق لكم وقرئ انى بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل
صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف او لذلك المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيضر
طيرا كاسائر الطيور حتا طيارا وقرا عند الله فانفخها قال كالصبي يجيء يتجيء ويذهب
وقيل لم يخلق غير الخفاش لانه اكمل الذي دل اعمى وقيل هو الممسوح العين وقال لم يكن في هذه
الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه ستون
الفا من المرضى ممن اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى ما كانت مدة ابيه الا بالدعاء وحده
وكذا باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه الالهية وروي انه احيا سام بن نوح وعاش سبعمائة سنة
فقالوا هذا سحر فاريناه فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تدخرون بالذال
والتخفيف واحل رد على قوله بآية من ربكم اي جئتكم بآية من ربكم واحل لكم ويجوز ان يكون
مصدقا لما مر ورد اعليه ايضا اني جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى
الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من
السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية
الفاعل وبعضا بين يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى صلى الله عليه لان ذكر التوراة

ذلك عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على
صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه
وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل
هذا القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الدلائل
حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من
ربكم اي جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابرا والاحياء والانبا بالمغيبات
وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات
من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعوني بما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله
ربي وربكم ومعنى من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا
ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس فلما علم
منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري متضمنا معنى
الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله بنصرتي او يتعلق بمحذوف
حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله
وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن وطافتهن
قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكينا أزة الكلاب النواجل وفي وزنه الحواري الذي
الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم
القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لامهم او مع الذين يشهدون
بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو للكفار بني اسرائيل الذين
احس منهم الكفر ومكر منهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء
والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين افوامهم مكرا وانفذهم كيدا
واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر
الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار وموفر حظك
الى اجل كتبته لك وممسك خوف انك لا قتلا بايديهم ورافعك الي الى سمائي ومقربك ملائكتي
ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض
من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل ممسك في وفيك بعد النزول من السماء ورافعك

Marginal Arabic commentary

على الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل

الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك واتما بالحفظ حوفك وتسيقظ وانت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة بعلوهم بالحجة وفي اكثر الاحوال لها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوا وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وحرى فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من ثامر عيسى وغيره ومبتدأ خبره نتلوه ومن الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الايات الخبر ويجوز ان ينصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من يوصف به أو كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شان عيسى وحاله العجيبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لمثاله شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد من غير اب ووجد آدم بغير اب وام قلت من مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واجم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اتى بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى منه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى منه احيا اربعة نفر واحاجز قبل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فحرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره حسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي ما نزل عليك الحق في امر عيسى لا ما يقوله اهل حينه محمد والخطيب ونهيه عن الامتراء جعل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم تعالوا اسلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال لفكر في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نباهل بان نقول لعنة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة

باللام والضم اللعنة وابتهل الله لعنه وابعده من رحمته من قولك انهله اذا اهمله ونافة باهل لا راعي عليها واصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء اجتهد فيه وان لم يكن لعانا وروي انهما دعا بهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما خلوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا ترددنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه خرج وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به ومن يكاذبه فما معنى ضم ابنائه ونسائه قلت ذاك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعز انه واقلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى نفسه كذب خصمه حتى لهلك خصمه مع اجتنبه واعز به هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من

Arabic scholarly commentary in the margins and between the lines, discussing grammar, rhetoric, and theology.

ومولى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم تحدث الا بعد عهده
بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء للتنبيه
وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وجاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص
الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم ما نطق به التوراة والانجيل
فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هؤلاء
آانتم على الاستفهام فطلبت الهمزة هاء معنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وجاججتم صلته والله يعلم علم ما جاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء
من دينهم وما كان ابراهيم اي على دينكم حنيفا مسلما بما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود
والنصارى لانهم يقرون بانه عزير والمسيح ان اولى الناس بابراهيم ان احتجهم به وافربهم منه
من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين
آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه وانبعوا
هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة منهم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب
يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين انما يضلون
اشباههم من اشياعهم بآيات الله بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما ظهرت
من صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله وتكفرون بالقرآن
ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون تعلمون نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم
تعلمون انها حق قرئ تلبسون بالتشديد وقرا الحسن وتثاب تلبسون بفتح الباء اي تكتسون
الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا مو بالمجد ارتدى وتأزرا ووجه النهار
اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا الايمان
بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا
عنه اهل كتاب وعلم الله امر قد تبين لهم فيرجعون عن رجوعكم وقيل نواطأ اثنا عشر من احبار
اليهود خيبر فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به
آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وعلمائنا فوجدنا محمدا ليس بذاك الموصوف
وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة

الهوى ويستحوذ الشيطان عليها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لشدة على
لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل
شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه
لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك الا وهذا الذي قص عليك من نبأ
عيسى هو القصص الحق قرئ بحركة الهاء على الاصل وبالتكون لان اللام تنزل من هو
منزلة بعضه لخفق كاخفق عضد وهو اما فصل دخل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص
الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت هلا جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها
على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا
ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة الباء في الصحيح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق
والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في
قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب قيل هم اهل الكتابين
وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء ايشا وبينكم مستوية بينا وبينكم لا نختلف فيها
القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا نتخذ بعضنا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا
المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال فهو ذاك وعن الفضيل
لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا
الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اي لنبكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب
في جدال او صراع او غيرها اعترف بانني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب
التعريض وهو ان يشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث تولتم عن الحق بعد ظهوره ثم
كل فريق من اليهود والنصارى ادعى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل
لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون

لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا
اليها في اول النهار ثم اكفروا به آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اى ولا تظهروا ايمانكم
بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم اراد وا اليهود واقصد بقلم بان المسلمين
قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين ليلا يزيدهم
ذلك الا تماديا في الباطل ودون المشركين ليلا يدعوهم الى الاسلام او تحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير
في تحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا الغير اتباعكم ان المسلمين تحاجوكم يوم القيمة
بالحق ويقال يوتكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى
هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وتآمركم تصدون بقلم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
يشاء بهذه الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا
هذا الايمان الظاهر ومواربتهم وجه النهار الا لمن كان تابعا دينكم اصلا ممن اسلم منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان
اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم فلم ذلك ودبروه لاني
آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب
دعاكم الى ان فعلتم ما فعلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير آان يؤتى احد بمد همزة
الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى انكار ان يؤتى احد فان قلت فما معنى قوله او تحاجوكم
عند ربكم هذا قلت معناه ودبرتم ما دبرتم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عندكم
به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على
معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او تحاجوكم حتى تحاجوكم عند ربكم فيقرعوا
بالحق حجتهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان الثانية وما بعدها متصل بكلام اهل
الكتاب اى لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى تحاجوكم
عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا تحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه
قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان هدى الله فلا تكذبوا ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم لان يحاجوكم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكارا لان يؤتى احد مثل ما اوتوا عن ان

سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين
عباس من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومن ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في
ذهبا فاداه اليه ومن ان تامنه بدينار فجاحده رجل من قريش دينارا فجحده
وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود
لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه
متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر
الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها ونيرا الجبي بن وثاب بهمزة بكسر الهاء
الدال من دام بدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لم يؤده اى تركهم اداء الحقوق
بسبب قولهم ليس علينا في الامتيين سبيل اى لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الامتيين
يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا
على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود
رجلا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا
انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه انه قال عذرنا لهم اكذب اعداء الله ما
من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن
ابن عباس انه سأله رجل فقال اتا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة
فنقول ما ذا فقال يقول ليس علينا في ذلك بأس فقال اهل الكتاب ليس علينا في
الامتيين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على
الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من
السبيل عليهم في الامتيين اى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة للجملة
التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى
الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان قلت فهذا عام فكيف خص انه لو وفى اهل الكتاب
بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل انهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول
شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله
في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلامه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى
على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الطاعات
وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت

يقال لا يدعه الى الا يتركه ومنه المودعة المصالحة لانها متاركة والوديعة لانها تترك عند الامين يقال اودعت زيدا مالا واستودعته اذا دفعته ليكون عنده فانا مودع ومستودع بالكسر وزيد مودع ومستودع بالفتح والمال مودع ومستودع ايضا بالفتح اى وديعة

قوله بلى اوفى الى آخره جملة من شرط بمبتدا اى في خبر وجواب الشرط فان الله

عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب
ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من
الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي
الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك
وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون
ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا
فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا
اليه وقالوا غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس
نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه فقال
شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها
فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي
بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير
في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى
فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق
بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر
الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة
عن الاعتداد والاحسان وان يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى
الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح
الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها
بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام يرجع الضمير في ليحسبوه قلت
الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه
المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع

عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا وقد
انزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم
اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله
ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة
عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك
ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان
يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن
كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال
رقباني ولحياني وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين
مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء وفقهاء وقيل علماء معلمين
وكانوا يقولون للشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم
دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم و
الدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى
العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من
التعليم تدرسون تقرأون وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس
كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف
تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان
من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم
يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه
وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه
الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا
له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف
بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه كان ينهى قريشا عن عبادة
الملائكة واليهود والنصارى من عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان

وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا
أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

ليس أن يتخذه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والأنبياء والقرآن بالرفع
على ابتداء الكلام أظهر وبنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير لا يأمركم وأيأمركم للبشر و
قيل لله والهمزة في أيأمركم للإنكار بعد إذ أنتم مسلمون دليل أن المخاطبين كانوا مسلمين ومنهم الذين
استأذنوه أن يسجدوا له وميثاق النبيين فيه غير وجه أحدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق
على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق إلى النبيين إضافته إلى الموثق لا إلى الموثق عليه كقولك
ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء على أممهم والثالث أن يراد
ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد
على أعقابهم تمكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب وما كان النبيون
ويدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام
التوطئة لأنا أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل أن تكون النكرة
لمعنى الشرط ولتؤمنن سادة مسد جواب القسم والشرط جميعا وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه
لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل إتياني إياكم بعض
الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معطى
أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن
بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي أمركم بالإيمان به ونصرته موافق
لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة فإن قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله
ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل بحكم الصلة لأنك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم
قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ
ابن عيينة جميعا لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
له وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاشتغلوا اجتماع ثلث ميمات ومحي الميمان
والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن
به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري بكسر الهمزة وقرئ أصري بالضم وسمي أصرا لأنه مما
يؤصر أي يشد ويعقد وسمي الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعبر وعبر
وأن يكون جمع إصار فاشهدوا أيها الأنبياء الذي يعقد بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على ذلكم
من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين

فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قل آمنا بالله وما انزل
على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم

وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من
الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير
دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين
الله يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي
هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله
صلى الله عليه فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه السلم وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى
به فقال صلى الله عليه كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ
بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون
والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف
من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك
الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا
وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى الله عليه بان يخبر عن نفسه وعمن معه
بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك
اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من
مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء
تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة
بين الرسول والمؤمنين لان الرسول ياتيه الوحي على طريق الاستعلاء وياتيهم على وجه الانتهاء
فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في
عبادتها ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من
الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام
بالادغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم
على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم
الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله
عليه بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت في

وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين
فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا

وهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت
والحارث بن سويد بن الصامت قال قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان عطف
على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ؟ ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا
ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم
اولئك الذين نابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والازدياد واصلحوا ما افسدوا او ودخلوا في
الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله توبته ثم ازدادوا
كفرا بهم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد
والقرآن او كفروا بإصرارهم على كفرهم بمحمد من بشر به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على
ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له وتفضيحهم مشافهة وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن
الايمان به وبحيثهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازدياد هم الكفر ان
قالوا نقيم بمكة نتربص محمدا ريب المنون وان اردنا الرجعة رجعنا فقضينا باظهارها التوبة قال قلت
فقد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت
جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا يقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر
كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ماتوا على الكفر واخلوا بجملة من لا يقبل
توبتهم قال قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت فاد وذن
بالفاء ان الكلام مبني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك
الفاء ان الكلام مسند اوخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما يقول الذي جاءني له درهم لم يخل الحي
سباء استحقاق الدرهم خلاف قولك فله درهم قال قلت فهل كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت
على الكفر فهلا حمل الموت على الكفر مستبعا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر بما في ذلك من فساد
القلوب وذكوب الوبال واجره الى الموت على الكفر قلت لانهم كما ارتدوا مرة ازدادوا للكفر بعد الى
الاسلام ولم يموتوا على الكفر قال قلت فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر
بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك والتقرير من اللطف
والاشعار بحالهم وصورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر

ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا

امتناع من اجل الباء من الزحمة ذهبا نصب على التمييز وعن الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء
كما يقال عندي عشرون نفسا رجال قال قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول
على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى
بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل لحذف كثيرا في كلامهم كقولك
مررت بمثل ضرب زيد يريد بمثل مرره به وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ؟ ولا هيثم الليلة للطي
وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل
كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقوي فلن
يقبل من احدهم ملء الارض على الساد للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء لان من يتخصص الجنس
لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا او قيل لن تنالوا اجر الله وهو ثوابه
حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله انفقوا من
طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله ورؤي انها لما نزلت
جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك
الله فقال صلى الله عليه ذاك مال رابح او مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال
ابو طلحة افعل يا رسول الله ففسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان احبها فقال هذه
في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد وكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت
ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري ان ابتع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال
ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال
للراعي ابغني خبز ابلي فجاءه بناقة مهزولة فقال خثني قال وجدت خير ابلك فحلها فذكرت يوم
جاءتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه اليوم اوضع مني حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض
ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحو اخذت من المال ومن في من شيء
للتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء تنفقونه
فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشيء
حلا كقولك ذل الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله

بنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس

ولذلك استوى فيه الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى من حل لهم والذى حرم اسرائيل ويعقوب عليه اللحم على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفى الله ليحرمن على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه لحومها وقيل اشار بتحريمه عليه الاطباء باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبنى اسرائيل من قبل انزال التوراة وحرم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم تحرم منها شئ قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذى حرمه انوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وموردة على اليهود وتكذيبهم حيث اراد ايراءة ساحتهم مما بغى عليهم فى قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما عاظهم واشار اليه وامثاله وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا الشاذ من حرمت عليه وما حرمنا الا تحريم فلم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده من بنى اسرائيل ولم تزل حراما الى ان انتهى التحريم الينا حرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وعرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغى والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التى كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما منوا ظنه به من ان تحريم ما حرم عليهم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما تدعونه فروى انهم لما حرفوا التوراة وكتموا واقتطعوا اصاغر يهود وذلك الحجة البينة على صدق النبى صلى الله عليه وعلى جواز النسخ الذى ينكره وندد بمن افترى على الله الكذب زعمه ان ذلك كان محرما على بنى اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما الزمهم من الحجة القاطعة فاولئك هم الظالمون لا الكاذبون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بتكذيبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهى ملة الاسلام التى عليها محمد ومن آمن معه حتى تخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التى احلها الله لابرهيم ولمن تبعه وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل وبدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله

الذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا

متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن على رضى الله عنه ان بيتا قال له انت اول بيت قال لا قد كان قبلك بيوت ولكنك اول بيت وضع للناس مباركا وفى الهدى والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفى عام وكان زبده بنى عليه الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم فى الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فقد طفنا قبلك بالفى عام وكان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع فى الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات الذى ببكة للبيت الذى بمكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو لهم النبيط والنمبط فى اسمين موضع بالدهنا ونحو من الاعقاب امر رائب ورايم وحى متعبطة ومتعبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلى بعضهم بين يدى بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت بكة وهى الزحمة قال اذا البيت اخذ الاكه اخذه حتى يبك بكه وقيل بك اعناق الجبابرة اى دقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذى ببكة هو والعامل فيه المقدر فى الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله وبنوته ابرهيم عليه السلام من بانيه قد اثر فيه حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثانى اشتماله على آيات لان اثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على كثرة الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله وكثير

سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها
ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة وقرا ابن
عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان
مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف
بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية قلت
اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات
مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك
فيه آية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما
ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه
جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر
فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر
حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا
انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد
آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه
بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او
ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر
الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه على ثنية الحجون وليس بها يومئذ
مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة
البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر
وعن النبي صلى الله عليه من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام
من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير على قدر القوة ومذهب مالك ان
الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر

على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع
وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما ياتي الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام
انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب
الناس لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه
سبيلا وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح
بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان
ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء
عنه وذاك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما
فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة
ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن
سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل
قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم
الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي
اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت
مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود
حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه
لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال
والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته قرا الحسن تصدون من اصده عن
سبيل الله عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين
ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج
فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا
تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف يبغونها عوجا وهو محال قلت

وانتم مسلمون ٥ يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ٥ وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم
ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم ٥ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون

فيه شيئان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها حرجا بقولكم ان شريعة موسى
لا تنسخ وتغييركم صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في لحفا احق
وابتغاما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهداء انها سبيل الله التي
لا يصد عنها الا ضال مبطل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يشفون بأقوالكم وتستشهدونكم في
عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال بل مرتاش
بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار
من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان
بينهم في الجاهلية من العداوة وقال لما معهم اذا اجتمع ملأ قراء فاصرشا بأمر اليهود ان يطلس
اليهم ويلقي بينهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس
والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال
اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية و
ألف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق
بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله فاكان يوم اقبح اوله واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف
تكفرون بمعنى الاستفهام فيه الانكار والتعجيب والمعنى من ان تطرق اليكم الكفر والحال ان آيات
الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله بتنبيهكم
وبعظكم وبزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الثبات
اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت
فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو مخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم
بالله متوقع للهدى لا ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه وهو
حق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم وحق فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا
في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله من اطاع فلا يعصى وينكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل موان لا يأخذه في الله لومة لائم وبضم بالقط والقاف
او أبيه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يحزن لسانه والتقاة من اتقى اكاة ونحوه من اناد
ولا تموتن حتماه ولا يكونن على حال سوى حال الاسلام اذا اذركم الموت كما تقول لمن تشفع به

على لقاء العدو لا اراني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال
التي شرطت عليه في وقت الاتيان فوبهم اعتصموا بحبله بحوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقهم
بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وبين بأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده
والاعتصام لما وثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم
بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة
او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا تخلق عن كثرة الرد
من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى او كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا وتحاربه او وحدوا ما يكون عنه التفرق ويدخل معه الاجتماع و
الالفة التي انتم عليها تمام نعمكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا
في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام
وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متعاضدين مجتمعين على امر واحد
قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين
لاب وام توقعت بينهما العداوة ونطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك
بالاسلام والف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار
جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما انث
لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة
وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو لانها في المذكر مقلوبة في المؤنث محذوفة
ونحو الشفا والشفة الجانب والحافة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار وقلت
لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار
بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين لكم آياته لعلكم
تهتدون ارادة ان تزدادوا وتهدوا ولتكن منكم امة للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب
الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في
مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلط في موضع التبين ويلين في موضع

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار
فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم

الغلظة وينكر على من لا يريد به انكاره انما ذاك اذا كان منكرا على اصحاب الملة اصرارهم والحلاقين واصرارهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه اللهم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفين الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للامن منه ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب وان اتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف فيه الشيخان رحمهما الله فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن اشباهه وان يغلب على ظنه ان المنهي يرتدع عما انهاه وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شرط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية فان لم يغلب كما في التارب قد نهتنا التوراة بأخبار الانبياء وان لا يغلب على ظنه انه انكر لحقه منكرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت من يباشره قلت كل مسلم تكلم منه واختص ببعض شرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانها معلوم وجوبها لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن لو مر وبنهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا ابصر بصغير او مجنون منكرا للصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليتمرنوا عليها فان قلت فلم يجب على المنكر ان ينهى عما يراه كبيرة قلت ليتم ما يجب عليه لان تمام الانكار بالانكار وانكاره واجبان عليه فيسقط كل احد الواجبين لكي يسقط عنه الواجب

آخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوه وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ودرس الشيطان لوظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قبل يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فخص بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق وقيل هم مجتهدو علماء الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم تبيض وجوه تصفو بالنظر وسرورها او بالضد اذكروا وقوى تبيض وتسود بكر حرف المضارعة وبياض وسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وهم بياض اللون واسفاره واشراقه وابتهجت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وهم بسواد اللون وكسوفه وكدره واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء ثم قال ابو غالب اتى تقوله برأيك ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان ها رضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لان عرضهم عما وجهه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وفي الثواب الخلد فان قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب

وقد استدل بهذه الآية على تصور الظلم من الله تعالى لان حصر الظلم فيما ذكر يقتضي ان ما عداه ليس بظلم والاصح عدم تصور الظلم منه تعالى لان الظلم التصرف في ملك الغير بغير اذنه وهو تعالى مالك الملك كله فلا يتصور منه الظلم

ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

يمحق ويكفر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من علم عن صفة بارادة القبائح والرضى بها كان عباده عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة موصوفين بهذه اخرجت اظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير امة كانه قيل بم استحقوا ان يكونوا خير امة فقيل بكونهم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان كله ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب مع ايمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجرين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى ان تكلموكم بشيء تستطيرون منه من تحريف كتاب الله وتكذيبكم وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون

قال قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار قال قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان وارد ان على طريق الاستطراد عند اخر اذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف ويجعل من لله في محل النصب على الحال بتقدير الاعتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا بهذه الواحدة وهي التحاقهم الى الذمة لما قدموا من الجريمة وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة وباؤا بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم حدوده يعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يشتمل على كون المعاصي كالتي يشتمل الكفر ونحوها مما حطبا بهم اغرقوا واحرقوا الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام ومنه الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه اشق لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها عن ابن مسعود رضي الله عنه اخر رسول الله صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لدلالة ايمانهم به عن بروكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه على خلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا مثابطين عنها غير راغبين فيها

الصلاة

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون
ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ١١٩

يريدون ولكنه أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن إنه إنما يجوز في الشعر بطانة الرجل ولبخته
وخصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بسره ووثق به شبه بطانة الثوب كما يقال فلان شعاري
وعن النبي صلى الله عليه الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وبني الملوك
ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وبطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم
خبالا يقال أرى في الأمر يألوا إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا
ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أقصدك والخبال الفساد ودوا ما عنتم
ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله الهباط العظم بعد جبر
أي تمنوا أن يضركم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم
لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم وكظمهم عليها أن تفلت من ألسنتهم ما يعلم به بعضهم للمسلمين
وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار بإطلاع بعضهم بعضا على ذلك
وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين و
موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بين لكم فعلتم به فائدة كيف موقع
هذه الجملة قلت يجوز أن يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة
غير آلوكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مستأنف أو حسن منه وأبلغ أن يكون
مستأنفات كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء
خبره أي أنتم أولاء الحاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطأيهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وقيل هو لا يوصول تحبونهم صلته
والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها عن لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم
كلها وبهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد
بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ونحوه فأنتم بالمؤمن كأنتم المؤمن وتوجون من الله ما لا يرجون
ويوصف المخاطب والنادم بعض الأنامل والبنان وأنشد بعضهم قال الحارث بن ظالم
فأقبلت أوصاني بأنامل أذلة يعضون من غيظ رؤوس الأباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن
يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز
أهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والنبأ بأن الله عليم بذات الصدور تهويل لما في صدور
المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة

الشقور الحاجات
يقال أخبرته بشقوري
كما يقال أفضيت له
بمجرى وبمجرى وكان
الأصمعي يقول بفتح الشين
وقال أبو عبيدة الفتح
أصح لأن الشقور بالضم
بمعنى الأمور اللاصقة بالقلب
المهمة الواحد شقر والشقور
بالفتح بمعنى النعت

ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم
من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته
وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون

والمسارعة في الخير فوق الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع في تولبه والقيام به وآثر
الفوز على التراخي وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله
ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه فلما حاء وصف الله عز
وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى التوفية الثواب فما معنى تقفية ذلك قلت فمن
عدى إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد يقول شكر النعمة وكفرها قلت فمن
معنى الحرمان فكأنه قيل فلن يحرموه بمعنى فلن يحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالتاء والتاء والله
عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوت عنده إلا أعمال النفوس الصرّ
الريح الباردة فحو الصرصر قال لأنعمن أنا وبين تغرهم نكاصر بأصحاب المحلات
كما قال لبئس الأخيلية ولم تغلب الحصم الألد وتلا الجفان بدفيا يوم نكباء صرصر
فإن قلت ما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه أوجه أحدها أن الصر في صفة الريح
بمعنى البارده فوصف بها القرة بمعنى أن بها قرة صرا كما يقول برد بارد على المبالغة والثاني
أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد جيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد
كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال
وفي الرحمن للضعفا كافي ستبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكايد والمفاخر وكسب
النار وحسن الذكر بمن النار لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسبه البرد فذهب حطاما
وقيل بئسما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم وقيل يا أيها الذين آمنوا لا تفشوا في عداوة رسول الله فتطلعوا
عنهم لا تتهم يبلغوا بنفاقه ما أنفقوه لأجله وشبه خرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك غرضه
لهم على معاصيهم بأن الإهلاك عن سخط اشتد وأبلغ فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا
في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي صر بذه الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما
ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد
نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون مثل إهلاك ريح ومثل ما ينفقون كمثل مثلك
الريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للممتفقين على معنى وما ظلمهم
الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب
الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها ولا يجوز أن

Arabic manuscript commentary with marginal notes

ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين

المقول او خارج منها فان قلت كيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يبرؤنه من عصمتهم الا تأمل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما تنوا خفي ما تبرؤنه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا معناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تخجل من اطلاعي اياك على ما يبرؤن فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا ابغيظكم اثرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الروح والاستشارة بوعد الله ان يظهر كلمة الاسلام واذ لا هم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لقوله معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصف الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار للمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تمسسك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة من الله وما اصابك من سيئة من نفسك اذا مسته الشر جزعا واذا مسته الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما يهيجهم عليه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وفتري لا يضركم من ضاده يضيره و يضركم على ان ضمة الراء اتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكم اذا اردت ان تكيد من تحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط فعاقل لكم بما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يجعلون في عداوتكم فمعاقبهم عليه واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا اليهم لا يرون انا فررنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رأيت في منامي بقرا منذبحة حولي فاولتها خيرا

واذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقعدوا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتنهم بدرا واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم ير الوا به حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وهو اصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فسوى على رجليه فجعل نصف اصحابه للقتال وكانوا يقولون يوم الفتح ان رأى صدرا حاربنا فان ولى تركناه ولكن نزوله في عدوة الوادي فجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا فتوفى المؤمنين تبوئ لهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتبع في قعد وقام حتى اجرى مجرى صار واستفعل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عامل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وما الحيان ان خرج رسول الله صلى الله عليه في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي ثلث الناس وقال اطاعهم علام نقتل انفسنا واولادنا ههنا يا عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان ان يتبع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنه اتمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انهما كانت الامنة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة اقول لها اذا جاشت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كذب اضيع رجل في الكتاب يوم صفين فاثبت بعني الاقول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا تتوكلان على الله فان قلت ما معنى ما روي من بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي همنا به وقد اخبر الله بانه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثنا الله وانزاله فيهم انه

Arabic Text Archive

ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين

قوله ثم ذكرهم عطف على امرهم اي بعد ان امرهم بالتوكل ذكرهم الفتح يوم بدر فانه يوجب عليهم التوكل على الله

ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا امرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له اذ تقول ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقوله لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويتقوا بنصر الله ومعنى الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى انهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم ويبشر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على

بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم

اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه انه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وما جعله الله الها لان يمدكم اي وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لا كبت حاسدا واري عدوا هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر او بقوله وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط

يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين

عنوا او يطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم لهب الذنب الكبير لمن شاء وعدت
من شاء على الذنب الصغير لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهى عن الربوا مع توبيخ بما كانوا
عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا ابلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق الشيء الطفيف
مال المدينون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية
في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين انهم يتقون في اجتناب محارمه وقد
امتد ذلك بما اتبعه من تجليل رجاء المؤمنين لرحمته بتوفيرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل
هذه الآيات والتي الهالم تحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل و
عسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك
التقوى وصعوبة اصابة رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه في مصاحف اهل المدينة
والشام سارعوا بغير واو وحذف الباقون بالواو وتنصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض
اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها
بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في
العادة ادنى من الطول المبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات
وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في الرؤيا والضرائي حال الرخاء واليسر وحال الضيقة
والعسر لا يخلون ان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما يحكى عن بعض
السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في
جميع الاحوال لانهم لا يخلوا من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة
وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في جنس فانه لا يدع الاحسان وافتتح
بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس واد له على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم
المراغم الحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها وشد
فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ ومعوان ممسك على ما في نفسه منه بالصابر
ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه
امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان حادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت
لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جني عليهم احد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيمة

والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها

ان الذين كانت احوالهم على الله فلا يقوم الامن عفا وعن ابن عيينة اه رواه الرشيد وقد غضب على
رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه ان هو لاء امتي قليل الامن عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت والله يحب المحسنين لجواز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون
وان يكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء والذين عطف على للمتقين اي اعدت للمتقين والتائبين وقوله
اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدا خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة
القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنبا كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنى وظلم النفس
ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا
عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا
لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة
وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه
وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العباد اذا جاءوا بالاعتذار والتنصل بما قضى ما يقتضيه عليه من حب
العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس
والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفو الله اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مغفرات
المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبح فعلهم
غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي
لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب
عليهما معا والمعنى ولم يستمروا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها
انه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات
متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد
كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله اجرا فهم لا تنافي بينهما في معنى واحد وانما خالفت بين اللفظين
لزيادة التنبيه على ان ذلك اجرا واجب على عمل اجر مسمى عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان
الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من بخل بطاعتي
وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانبطاء الشفاعة بلا سبب نوع من العقوبة
وارجا الآيات محمة ممن لا يطاع حتما وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي
وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد

اجرة البعير من اجرية وكل
فعل كرش مجترة والجرة بالكسر
ما يخرجه البعير للاجترار ه ق
الاجرة تجوز وكون مجترة

المعطوف لم يقرا والمعطوف عليه
فاستغفروا ه ة

اذا قلت يا جاني زيد وسوء راكب
فقد نبهت الامرين الجي والحال
جميعا ويحتمل ايضا ان يكون يا
الكلام تنبيها على الحالين فحسب وكل من
الامرين لان الموضع موضع مدح ه

ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا
ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس ۝ والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه
الله في الامم المكذبين من وقايعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا
تجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم
عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار
هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة
للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر
من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم
يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا
على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر
اكثر مما اصابوا منكم يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان
ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي
وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا
تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة
باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة وقرئ قرح
بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرا
ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم
احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال
فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان
ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان خالفوا امر رسول الله فان قلت كيف قيل قرح مثله
وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار
الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدا والايام صفته ونداولها خبره ويجوز
ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة

وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب ۝ فيوما علينا
ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر ۝ وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد
فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا ابو بكر وها انا عمر قال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه
لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلكم فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل
المعاودة قال ۝ يرد المياه فلا يزال متداولا ۝ في الناس بين تمثل وسماع ۝ يقال داولت بينهم
الشيء فتداولوه وليعلم الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم
من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل
معناه وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان يكون العلة محذوفة
وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان
المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه
من المصائب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا
منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم
القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين
اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين
في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني
ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على
الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا
لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم
الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما يريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقرئ
ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان
والواو بمعنى الجمع كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم على العطف وروي عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم

وقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم

تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول
الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين لحقوا على رسول الله في الخروج الى
المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تتمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتغزوا فوانشدته
وضعوه منه مقاما به فقد رايتموه وانتم تنظرون اي رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل
بايديكم من قبل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا ومذاقوا بيع لهم على تمنيهم الموت وعلى
ما نسبوا له من خروج رسول الله باجاجهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فان قلت
كيف تجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة الى نيل
كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهله الى ذلك المنضم كما ان من تشرب دواء الطبيب النصراني
قاصد الى حصول المامول من الشفاء ولا لحظ بباله ان فيه جرة منفعة واحسانا الى عدو الله وتنفيقا
لسناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نعض الى موتة وقيل له رد كم الله

لكنني اسال الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
او طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ... ارشدك الله من غاز وقد رشدا

لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه اقبل يهدد قتله
فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمئة وهو
يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ
الشيطان فقال في الناس خبر قتله فانكفأوا وحمل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى
فاءت اليه طائفة من اصحابه فلما مر بهم قالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا
انا ناخبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين معزلك وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض
المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل
ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب
محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه ومنوا على ما مات
عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه حتى قتل
وعن بعض المهاجرين انه مر بالصارخ يتخطى في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال
ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو

على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا موجلا ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا

كانوا وكان اتباعهم يقوا فتمكن بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تمسكوا بدينه بعد خلوه ان الغرض
من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهرهم فان مات او قتل فما تعلقه
للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والنكتة في ان جعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد هلاكه عن موت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل
سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وللانقلاب عنه فان قلت لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل
قلت لكونه مجوزا عند المخاطبين فان قلت انا علمون من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت
هذا انما خص به العلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى انهم سمعوا الخبر قبله مهموا على انه يحتمل الغضة
من فشة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الارتداد عما كان رسول الله يقوم به من امر
الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين
ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله واسلامه
فلن يضر الله شيئا يعني فاضر انفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي
الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وتمامهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام
فيما فعلوا المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج الفعل لا يشبه لاحد
ان يقدم عليه الا ان يأذن له الله فيه تمثيلا وان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض
نفسا الا باذن من الله وسمى على معنيين احدهما ليحرضهم على الجهاد ويشجعهم على لقاء العدو باعلامهم
ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحام المعارك والتعرض لذلك
يا صنع الله برسوله عند غلبة العدو والنفاق عليه واسلام قومه له نهزة للمتخلس ان يخلس
والكتاب والاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا موجلا موقتا له اجل محتوم
لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نوبة منها
اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقوي نوبة
وسيجزي بالياء فيهما قوي قاتل وقتل وقتل التشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه
ربيون حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن
سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقوي بالحركات الثلاث
فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقوي فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا
عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن

والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله موليكم وهو خير الناصرين
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده

والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وما كان
قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما
لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب
والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم
الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن
دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة
ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا
منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب
ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه
وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام
في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى
مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله موليكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة
احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله موليكم سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب
بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من
غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما
صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك
القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله
الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت
كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل
عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى
في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة

اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم

قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان
يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون
خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم
قتلا ذريعا حتى اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم
المشركون فما موقفنا ها هنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن
جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله منكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم
ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا
على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم
عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من
ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم
بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة
كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم
منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب
بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال
صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون
يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون
بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها
وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله
انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت
في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم
عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله
بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول
الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع
الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار

لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه أنه يقتل
يصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين
علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم ومتى مضاجعهم ليكون ما علم أنه يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح
قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن الغلبة لهم وأن دين الإسلام
يظهر على الدين كله وأن ما يكتبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرص على
الشهادة تمادحهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك شيئا
من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نخرج كما كان رأي عبد الله بن أبي
وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا ما قتلنا في هذه المعركة قل إن التدبير كله لله يريد أن الله عز
وعلا قدر ذلك الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما لحقكم من القتل من قتل منكم
وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل وللمفعول بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله
وليمحص ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويخلص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك
لصالح جمة والابتلاء والتمحيص فإن قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد
امتنعتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو أشياء
على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فإن قلت كيف صح أن يقع ما هو سؤال عن
الأمر بدلا من الإخبار بالظن قلت كأنه قيل ما سألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبدال الجملة منه
ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل
من يخفون والأجود أن يكون استئنافا وقيل استرجعهم طلبة منهم الذل ودعائهم إليه بعض ما
كسبوا من ذنوبهم ومعناه أن الذين انهزموا يوم أحد كان السبب في توليهم أنهم كانوا أطاعوا
الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك سقطت عزائمهم الثابتة وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلهم
الشيطان بأنهم هم المتولون وإنما دعاهم إليه بذنوب قد تقدمت منهم لأن الذنب يجر إلى الذنب
كما أن الطاعة تجر إلى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم يقول بما زين لهم من الهزيمة
وقيل بعض ما كسبوا هو زكهم المركز الذي أمرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك إلى أنهم
وقبل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلحوا أمرهم ويجاهدوا
على حال مرضية فإن قلت لم قيل بعض ما كسبوا قلت هو كقوله يعلم ويعفو عن كثير ولقد
عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم والله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا

قبل حين ما كسبوا والبعض زائدة

الأخير هـ مرت

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في
قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون فبما رحمة
من الله لنت لهم

لإخوانهم لأجل إخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى
الأخوة اتفاق الجنس أو النسب إذا ضربوا في الأرض إذا سافروا فيها والبعد والتجارة أو
غيرها أو كانوا غزى جمع غاز ككاف وعفي في قوله عفى الجياض أجوف وقرئ بتخفيف الزاي
على حذف الألف مرعراة قلت كيف قيل إذا ضربوا مع قالوا قلت حملوا على حكاية الحال الماضية
كقولك جيء بصرلون في الأرض قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا أي قالوا ذلك واعتقدوه
ليكون حسرة في قلوبهم على أن اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا أو لا تكونوا يعني لا تكونوا مثلهم
الباطن ذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم قلت
ما معنى إسناد الفعل إلى الله تعالى قلت معناه أن الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد
الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة على اعتقاده قبلهم وما يكون عنده
من الغم والحسرة وضيق الصدور وفعل الله عز وعلا كقوله ليجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد
في السماء ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه النهي أي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله اعتقادكم
مثلهم حسرة في قلوبهم لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم الله
يحيي ويميت رد لقولهم أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
كما شاء وعن خالد بن الوليد قال عند موته ما في موضع شبر إلا فيه ضربة أو طعنة وها أنا
ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء
يعني الذين كفروا المغفرة جواب القسم وسد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون
كذب الكافرون أولا في زعمهم أن من ماتوا من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات وقتل
المسلمين عن ذلك لأنه سبب التثاقل عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك
بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما
تجمعون من الدنيا وما نافيها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الأرض ذهبة حمراء وقرئ
بالياء أي يجمع الكفار لا إلى الله تحشرون لا إلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب الثواب العظيم
تحشرون وللوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن
ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات مات مزيدة للتوكيد والدلالة
على أن البسنة لهم ما كان إلا رحمة من الله وخلقا فضهم بسائهم لغنائم ومعنى الرحمة ربطه على
جأشه وتوفيقه للرفق واللطف بهم حتى أتاهم غما بغم وآساهم بالمساهمة بعد ما خالفوه وعصوا

وكنت فظا غليظ القلب بالفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

امره وأنهم موا وزجروه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لا نفضوا من حولك لتفرقوا عنك
لا يبغي حولك أحد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إنما للشفقة
عليهم وشاورهم في الأمر يعني أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي للاستظهار برأيهم والمآخاة
من تطييب نفوسهم والترفع من أنداده وعن الحسن إنه قد علم الله أنه ما به إليهم حاجة ولكنه أراد
أن تستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه ما شاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي
هريرة ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من رسول الله وقيل كان سادات العرب إذا لم يشاورهم
في الأمر شق عليهم فأمر الله رسوله بمشاورتهم لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم
وقرئ وشاورهم في بعض الأمر فإذا عزمت فإذا قطعت الرأي على شيء بعد التروي فتوكل على الله
في إمضاء أمرك على الأرشد الأصلح فإن ما هو أصلح لك لا يعلمه إلا الله وما أنت وما رأيك إلا
فإذا عزمت بضم النون يعني فإذا عزمت لك على شيء وأرشدتك إليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك
أحدا إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم وإن يخذلكم كما خذلكم يوم أحد فمن ذا
الذي ينصركم وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحو ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه إن وقع ولن يخذلكم
ليس لأحد من نفسه أن يفعل من بعد فلان نزل إذا جاوزه وقرأ عبيد بن عمير وإن يخذلكم من الخذلة
إذا جعله مخذولا وفيه تهكم بهم في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من
المعصية وما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض
إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ولأن إيمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولا
وأغل إغلالا إذا أخذه في خفية يقال أغل الجازر إذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل
الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله
على عنقه وقوله هدايا الأمراء غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا إغلال
ولا إبلال ويقال أغله إذا وجده غالا كقولك أحمده ومعنى وما كان لنبي أن يغل وما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول منه راجع إلى المعنى الأول
لأن معناه وما صح له أن يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا وفيه وجهان أحدهما أن براءة
رسول الله من ذلك وبنزهه وتنبيه على عصمته بأن النبوة والغلول منافيان فلا يظن به ظان شيئا
منه وأن لا يستريب به أحد كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل

رسول الله اخذها وروى انها نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم
النبى صلى الله عليه الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال عليه اللم بل ظننتم انا نغل ونقسم لكم والثانى ان يكون مبالغة فى النهى لرسول
الله على ما روى انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعنى ما كان لنبى
ان يعطى قوما وتمسك آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا للصلوة الامر ولقوى ان يغل من اغل يعنى غل يجاز كما قيل باع غل يوم الغنيمة بأن الشئ
الذى عله بعينه فحمله كما جاء فى الحديث جاء يوم القيمة حملة على عنقه وروى الا لا اعرفن احدكم
يأتى بعيره له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء ينادى يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من
الله شيأ قد بلغتك وعن بعض حفاة الاعراب انه مر بأخ له مسك فسلمت عليه الرماة قال
اذن احملها طيبة النفس خفيفة الحمل ونجوز ان يراد بالغلول ما احتمل من ماله ونعنه وانه يأتى به
حلالا ثم يؤتى ما كسب ليفصل به قلت حتى يعلم دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاقيل به
من حيث المعنى وسواء بلغ ذا تحت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا يجزى فوفى
جزاءه علم انه غير مخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اى يعدل بينهم فى الجزاء كل
جزاه على قدر كسبه هم درجات اى هم متفاوتون كما يتفاوت الدرجات كقوله

انصب للتمييز تعتبر بهم رجالى هم درج السيول قيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل
الفائزين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون
عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين علم من آمن مع رسول الله
من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم
وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده قلت فما وجه المنة عليهم فى ان كان من انفسهم
اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله
من الصدق والامانة فكان ذلك اثوب لهم الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف
لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وقراءة فاطمة رضى الله عنها
من انفسهم اى من افضلهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة بنى ابن معد بن عدنان
وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه

وبنا خلب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم وروساء مضر الحمد
لله الذى جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته
وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى
هذا محمد بن عبد الله من لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا نبأ عظيم وخطر
جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين منة او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون
اذ فى محل الرفع كاذا فى قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين
وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى وحين كتبهم
ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر وخاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث ويقبل
ويأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم
من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفى ضلال ان هى المخففة من الثقيلة
اللام هى الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل ضلال مبين
ظاهر لا شبهة فيه اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم
مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين والمصاب بقلبكم واصابتكم فى محل الجر بالاضافة لما
اليه وتقديره اقلتم حين اصابكم وانى هذا انصب لانه مفعول والهمزة للتقرير والتوبيخ فان قلت
علام عطفت الواو وهذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده
وجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا
كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم باختياركم
الخروج من المدينة او تخليتكم المركز وعن على رضى الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر
قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شئ قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وان يصيب بكم نادة
واصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله
اى بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم بان الاذن مخل من
المأذون له ومزاجره وليعلم وسوكين ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء
ونفاق سوآء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على ما فعلوا او انما لم يقل فما قالوا الا انه جواب لسؤال
اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم عند ذلك فقيل قالوا لو نعلم وجوز ان تقصر
الصلة على ما فعلوا ويكون وقيل لهم كلاما مستأنفا قيم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما

يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم
فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله
بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد
المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد
الساعدي وقد كف بصره لو امكنني بيعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم
وبين عدوهم فقيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم
ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم
يعنون ان ما انتم فيه لخطأ رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء
بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما
ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك
عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم
ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان
ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم
لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم و
تخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم
كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم
او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون
ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم
لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي
سكنى الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به
من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال
فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذي

القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم
من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت
فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين
قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان
اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان
سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه
آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا
لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم
رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب
لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز
ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا تحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا تحسبن
الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل
مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله احياء والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ
تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون
ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين
بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على
غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه لما
اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من
ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين
الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم
وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل
من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون
آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن
خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء

واصابة نفسهم واحماد لحال من سوى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخيه في الله ويشرى للمؤمن
بالفوز في المآب وكونه يستبشر من يلحق به ما مر ويبان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على اعانهم خبب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم
ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة
اعتراض صفي خير آفة الكساني وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدأ
خبره للذين احسنوا او صفة للمبين او نصب على المدح روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا
من احد بلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه فاراد
ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة وندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال
لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه مع جماعة حتى بلغوا حمراء
الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فحملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن للذين احسنوا منهم للتبيين
مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول
قد احسنوا كلهم واتقوا الا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين
استجابوا لله والرسول يعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روى
ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى
الله عليه ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في الفين وخمسمائة حتى نزل مر الظهران والقى
الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال
يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام
نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ارجع محمدا لعله اخرج زاده ذلك جراءة
فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل اخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال
لهم ما هذا بالرأي ان تؤمكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا تريدا فتريدون
ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وفعل مر بالي سفيان وركب
مر عند الفيش يريدون المدينة للميرة فجعل لهم جعلا يعبرهم في بيعه ان يثبطوهم فكره المسلمون
الخروج فقال عليه اللهم والذي نفسي بيده لا خرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه حين القي في النار

واطيعوا بتوفيقه من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه

حتى واقاموا بدرا واقاموا ثمانية ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا
الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة سمى اهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجنا
لنرتزق السويق بالناس الا قليلا وهو المثبط وحده قلت قيل ذلك رأيه من جنس الناس كما يقال فلان يركب
الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل
المدينة بضاعته ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت لام رجع المسكن
في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل فقالوا لهم هذا
الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به
نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما سمعوا قوله واخلصوا عند
النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم
كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان حرصهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة و
الطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله الا
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
وعن عمر انه كان اخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان
هذه الامة لرجح به حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا فعال بمعنى مفعول احسبه الشيء اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة ولان اضافته لكونه في معنى
اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم المولى اليه مر فانقلبوا فرجعوا من بدر نعمة من
الله وهي السلامة وحذر العدو ومنهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان
تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يقتلوا ولم يجرحوا بشؤم مر كيد عدو واتبعوا رضوان الله
بخروجهم وحروبهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير
لمن خلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا لعل يكون
هذا عزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو وسمى عنهم الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط
هو الشيطان ويخوف اولياءه حملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة
ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يعني انكم اولياء الذين هم

فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم

أبو سفيان وأصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم أولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله قال ت والام راجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما آمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا تخشون أحدا الا الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام قال ت فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ مضرة يضر به الانسان نفسه قال ت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تمادهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون كلا من الذكرين للتأكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا بمن نافق من المخلفين او ان تدعن الاسلام او على العكس شيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر الذين كفروا ومن قرأ بالتاء نصب وان يملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن ان املاءنا للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه يسد مسد المفعولين كقوله ام حسبت ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف قال ت كيف صح مجيء البدل فلم يذكر احد المفعولين ولا جواز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم الالقاء كقولك جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع اتساع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا

انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب

اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم هو خبر لانفسهم ومن فسر خيرا بالبر رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم خليتهم وشأنهم مستعار من املى للفرس اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل ما هم فيه من الحياة والصحة والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من متعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب منفصلة لانها كانة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل لما ذا لا نحسب الاملاء خير لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما قال ت كيف جاز ان يكون الازدياد من الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة يصح ان تقول فعلت كذا لغرض كذا وانما يصح ان تقول فعلت كذا لعلة كذا وفرق بين الغرض والعلة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم علة للاملاء كما ان الجبن علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء واقعا من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا تحسبن بالياء على معنى ولا تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما مولينوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خبر لانفسهم اعتراض بين الفعل ومفعوله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرضوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة قال ت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام لتأكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من امازبمعنى ميز قال ت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانتم لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميز بعضكم من بعض بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيب فلا تقولوا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بما في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يذركم مختلطين حتى يميز

الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله
قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا
بضمائركم حتى يعلم بعضكم بما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور
والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمر ان الفاء
حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض
المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب اللطام
وان نزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما
اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شئ وعن السدي قال الكافرون اركان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن من قرأ بالتاء فقد نصفا فاحذوفا
اي ولا تحسبن تحل الذين يبخلون هو خيرا لهم كذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل تحسبن ضمير
رسول الله او ضمير احد ومن جعله فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا
تقديره ولا تحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه
وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شرا لهم اي سيلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا حاها هنة بثها وبذم
وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوق بها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه
وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع
وروي شجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض
اي له ما فيهما مما يتوارثه امثالهم من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في
سبيله ونحو قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالتاء والياء فالتهديد
على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والتاء على الظاهر قال ذلك اليهود حين سمعوا
قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فالخلوا اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك
او عن استهزاء بالقرآن وايتهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمرد في كفرهم وعن سماع
الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة
او نحفظه ونثبته في علمنا لانه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال
سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد

وكتب الله لنحبسن من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا

وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين

معنى لن يقدروا ابدا اثباته وعدوه بانه كائن يقولنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قولا له ايذانا بانهم
سلفه العظام اخوان وبان هذا الذين يأتون بمثل هذا القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه كتب مع
ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان
يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين يسأل القرض فلطمه ابو بكر
في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكا الى رسول الله وجحد ما قاله
فنزلت ونحو قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا ونتنهم منهم بان نقول لهم يوم القيمة
ذوقوا عذاب الحريق كما ذاقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احرق وذق وقال ابو يوسف لحمزة
رضي الله عنه ذق عقوق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على انا للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج
سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم
وذكروا الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بها فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت
فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام
للعبيد شريكا لاجترامهم الجنايات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل
عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التوراة واوصانا بان
لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهي ان يأتينا بقربان تنزل نار من السماء فتأكله
كما كان اتيا بني اسرائيل ذلك اي كان يتقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء
فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم تجب الايمان للرسول
الآتي به الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعتنه الله علة من غير
الآيات وقد الزمهم الله ان انبيائهم جاءوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق
وجاءهم ايضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان لا منهم بانبيائها
وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت
معناه ومعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله تعالى وما قالوا اك
لمعنى يا فالوا في مصاحف اهل الشام وبالزبر وفي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل
والزبور وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب اليهود قرأ اليزيدي ذائقة الموت
على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت

فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم

تمام تقريره انه سبق ان قوله فان كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم وتقرير لما على اذى قومه يعني ان الرسل قاطبة كذبوا واوذوا فاصبروا حتى يكشف عنهم الكرب لان مشاق الدنيا وشاغلها ومعجباتها ضد هذه الاوصاف وهو المعنى بقوله كل نفس ذائقة الموت وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ثم جرى بقوله انما توفون اجوركم يوم القيمة على عادة الله في ان يعقب الوعد والوعيد بالوعد والوعيد ليدل على ان كل نفس وان كانت مشغولة بما هي فيه من مشاق الدنيا ومعجباتها فهي صائرة الى الجزاء لا محالة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ثم حرض بقوله لتبلون في اموالكم وانفسكم على الانفاق في سبل الخير وعلى تحمل ما يلحقهم من اذى الكفار والمشركين وعلى الصبر والتقوى وهما جماع الخير كله ثم وبخ اهل الكتاب على ما فعلوا من كتمان ما في التوراة من نعت محمد صلعم وصفته وعلى ما فعلوا من الاعراض عن الايمان به وعلى ما فعلوا من الاستهزاء بالمؤمنين وعلى ما فعلوا من الاستكبار عن الحق والاستنكاف عن اتباعه ثم ذكر ما اعد الله للمؤمنين والكافرين من الثواب والعقاب ليكون ذلك ترغيبا في الايمان والطاعة وترهيبا عن الكفر والمعصية

كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور وما قلت فهذا ابو هريرة يقفي مأثور وي ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية تأبى هذا الا ترى ان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور الزحزحة عن النار والابعاد عن سخطة الله والفوز بالجنة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب الشديد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما تدرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المشتري ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذه الدنيا متاع الغرور فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ حوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما يسلقونهم من الاذى والشدائد وامروا بالصبر عليها حتى اذا الفوها لقوها وهم مستعدون لا يزعجهم ما يرهقهم مما يرهن من نصيبه النزعة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء الانفس القتل والاسر والجراح وما يدخل عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من تحاجه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن نبي قريظة والتصبر فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها وقيل الامور التي امر بها ونهى عنها اي مما تجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبتدئ الضمير للكتاب اكد عليهم الحجاج ببيان الكتاب واجتنابه كتمانه ما وكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل لله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فتبذوا الميثاق وتاكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد به ونقيضه جعله نصب عينه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه يأخذ على العلماء ان يبثوا الحق للناس وما علموا وان لا يكتموا اسنى شيء الغرض فاسد من تسهيل على الطلبة وتطييب لنفوسهم

واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم

١٣٧

واجتلاب لمساءتهم او جر منفعة وحطام دنيا او للتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او عن بخل بالعلم او غيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني اراى الله سوف يعذبك لهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا لكتمت العلم كاتكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يخلو احد من العلماء ان تكلف على علمه ولا يخلو الجاهل ان سكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا او قرئ ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لان الحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد لتقدمه لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائز بن وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا تحسبن فلا تحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا تحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا تحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين فلا تحسبنهم تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا وتدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان تحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانتم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بتركه الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما انوا من اظهار الايمان للمسلمين ونفاقهم ويتوصلون بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لانطوائهم الكفر وحري ان يكون شاملا لكل من اتى خصلة يفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه

قال الزجاج العرب تعيد اذا طالت القصة حسنا بالشيء لعلمنا ان الذي جرى متصل بالاول وتوكيدا له فتقول لا تظنن اذا جاءك فلان وكلمك بكذا وكذا فلا تظنن صادقا فتعيد فلا تظننه توكيدا وتوضيحا

على قول ابي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا ترتيبهم فالاولى ان لا يعد على قول من يجوز عطف المعرفة على النكرة والواو الداخلة على الجملة الواقعة صفة للنكرة واو الحال

ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون
في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر
فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفين الثوري
انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السما فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم
من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر
الى النجوم والى السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي
صلى الله عليه لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث
الما للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي
صلى الله عليه لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا
وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم
مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال
بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو
ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك
وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ومن لم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا
قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق
منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق
العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون
باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته
فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد
ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان
من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم
فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره
ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة
في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي
لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان

ويجعل على جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل

ويجعل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كأنه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والأرض وتأمل دل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وابداع صنعتها وبادئ بدء فيها تأمل الأفهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبر سلطانه وعن سفين النوري أنه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يطول الدهر من طول حزنه وفكره وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أنك ربنا وخالقنا اللهم اغفر فنظر الله فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما تحدث الماء الزرع النبات وما جلبت القلوب بمثل الزجر وإن وما استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب لأن أحدا لا يقدر أن يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل أهل الأرض ما خلقت هذا باطلا على إرادة القول أي يقولون ذلك ومعنى محل الحال يعني يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله ففنا عذاب النار لأنه حزن من عصى ومن لم يطع فإن قلت هذا إشارة إلى ماذا قلت إلى الخلق على أن المراد به المخلوق كأنه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والأرض أي فيما خلق منها ويجوز أن يكون إشارة إلى السموات والأرض لأنها في معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويجوز أن يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وأن خلق شيئا بغير حكمة فقد أخزيته فقد أبلغت في آخر آيه وهو نظير قوله فقد فاز ونحو من كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ومن سبق فلانا فقد سبقه وبنا للتظالم الآم إشارة إلى من يدخل النار واعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له يشفع ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت بذا كلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما سمع أو جعلته فاعلا لك عن ذلك الوصف أو الحال لم يكن سمعت بذا وأن يقال سمعت كلام فلان أو قوله فإن قلت فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر البدء أمطلقا ثم مقيدا بالإيمان تفخيما لشأن المنادي لأنه لا منادي أعظم ممن ينادي للإيمان ونحو قولك مررت بهادي للإسلام وذلك أن

قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا الخ اعلم أن الشيء الذي لا يكون مشتملا على فائدة ومنفعة يكون باطلا فكل ما كان أكمل وأشرف وأعلى كان اشتماله على المنافع والفوائد أكثر وأتم ولما كان أشرف الموجودات في عالم الجسمانيات هو السموات والأرض وما بينهما من الكواكب العجيبة والأحوال الغريبة لا جرم كان اشتمالها على المنافع والفوائد أكثر من اشتمال سائر الأجسام عليها فلهذا السبب خصها الله تعالى بالذكر في هذا الموضع ثم إنه تعالى بين أن الفكر في خلقها يوجب المعرفة بالله وبصفاته وبما يجوز عليه وبما لا يجوز عليه وبما يجب له وبما يستحيل عليه وذلك هو السعادة العظمى والمنفعة الكبرى ثم بين أن الفكر في خلقها يوجب الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وعن كل ما لا يليق بالعبد وذلك هو الاحتراز عن النار وعن كل ما يوجب دخول النار ثم إنه تعالى حكى عن العارفين أنهم بعد أن اشتغلوا بالفكر في خلق السموات والأرض وبلغوا في ذلك الفكر إلى هذا الحد الذي ذكرناه اشتغلوا بالدعاء والتضرع وطلب المغفرة والرحمة وهذا يدل على أن الفكر لا يكون مفيدا إلا إذا كان مسبوقا بالمعرفة وأن المعرفة لا تكون مفيدة إلا إذا كانت مسبوقة بالفكر وهذا يدل على أن الفكر والمعرفة كل واحد منهما يتوقف على الآخر وهذا هو الدور الذي ذكرناه في أول هذا الكتاب أن الدور الباطل هو توقف الشيء على نفسه بمرتبة واحدة أو بمراتب كثيرة وأما توقف الشيء على نفسه بمراتب كثيرة فهو الدور المفيد وهو الذي نسميه بالترقي والتدلي وهو الذي يشير إليه الصوفية بقولهم السالك لا بد له في سلوكه من الترقي والتدلي والله أعلم بمراده وأسرار كلامه

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

قوله تعالى ربنا إننا سمعنا منادياً الخ اعلم أن الله تعالى لما بين أن التفكر في خلق السموات والأرض يوجب المعرفة بالله وبصفاته وبما يجوز عليه وبما لا يجوز عليه وبما يجب له وبما يستحيل عليه وذلك هو السعادة العظمى والمنفعة الكبرى بين أن التفكر في خلقها يوجب الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وعن كل ما لا يليق بالعبد وذلك هو الاحتراز عن النار وعن كل ما يوجب دخول النار ثم إنه تعالى حكى عن العارفين أنهم بعد أن اشتغلوا بالفكر في خلق السموات والأرض وبلغوا في ذلك الفكر إلى هذا الحد الذي ذكرناه اشتغلوا بالدعاء والتضرع وطلب المغفرة والرحمة وهذا يدل على أن الفكر لا يكون مفيدا إلا إذا كان مسبوقا بالمعرفة وأن المعرفة لا تكون مفيدة إلا إذا كانت مسبوقة بالفكر وهذا يدل على أن الفكر والمعرفة كل واحد منهما يتوقف على الآخر وهذا هو الدور الذي ذكرناه في أول هذا الكتاب أن الدور الباطل هو توقف الشيء على نفسه بمرتبة واحدة أو بمراتب كثيرة وأما توقف الشيء على نفسه بمراتب كثيرة فهو الدور المفيد وهو الذي نسميه بالترقي والتدلي وهو الذي يشير إليه الصوفية بقولهم السالك لا بد له في سلوكه من الترقي والتدلي والله أعلم بمراده وأسرار كلامه

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وجاهدوا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار

المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذي هو سيماء العبودية يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل

من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماويهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله

والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وما عند الله خير للابرار وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلم فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه فقال عليه السلم اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة ٥ عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه السلم من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس ٥

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

١٣٢

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ٭ يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعه وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه والمعنى خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تساءلون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرا تساءلون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام

والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كانه والجار والمجرور كشئ واحد فكانك قلت مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديد الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمر والمتصل يقوى الاتصال لانه لم يتكرر وقد تحمل لصحته هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايامن عجب ... والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام ما يتقى او الارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرنون بان لهم خالقا وكانوا يتآلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذى خلقكم واتقوا الذى تناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها واتقوا الله الذى تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد اذن عز وعلا اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها مسببة بكان كما قال ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه والرحم معلقة بالعرش ومعناه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشئ به وكلمه واذا اتاها القاطع اخبحبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال نقول لا ولادكم وذلك ان نصح والده فى الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام واول صلته ان تحسن اليه الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم تخطى والصحة وتخطف الدعوة ولا تضعه موضع سوء فتسبع شهوته وسواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفرد واعنهم واليتم الانفراد ومنه الرتلة البتة والدرة اليتيمة وقيل اليتم فى الاناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الامهات فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على اسباء قلت فيه وجهان ان يجمع على يتمى كما يرى لان اليتم من وادى الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى فعالى كما يأتى ويجوز ان يجمع على فعائل لجرى اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكان صوتش يقول لرسول الله يتم ابى طالب اما على القياس واما حكاية لقال

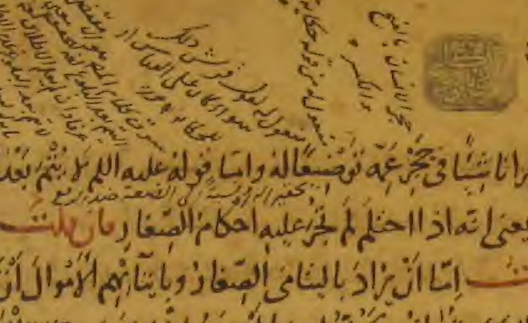

التى كان عليها صغيرا ناشئا فى حجر عمه فوصفها له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد احتلام فانه اراد تعليم شريعة لا لغة يعنى انه اذا احتلم لم يجز عليه احكام الصغار وما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد بالمتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء ولاة السوء وقضاته ويكفوا اعنها ايديهم الخاطفة حتى تاتى اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار وتسميتهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا لم يؤتوا بالصغر كما تسمى الناقة عشرا بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يدركوا عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبى عليه السلام من يؤق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يخل داره يعنى جنته فلما قبض الفوا ماله انفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه ثبت الاجر وبقى الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف يبقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقى الوزر على والده او كلما تشتهى انفسكم ولا تشتبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما اوجع الكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتاكلون مكانه او لا تشتبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والنفل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه النجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى الاستيخار قال ذو الرمة فباكرن السكن الذين حملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد وبالوانها استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطى رديئا ويأخذ جيدا وعن السدى ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا التبدل اثما هو بدليل انه ان كان ثم صداق فانه ياخذ منه شيئا مكان سميته من مال الصبى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما تاكل منه وتشبه ذلك الحوب الكبير قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلو ورد النهى عن اكله مفردا لقلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وسع لهم ذلك لا يطعمون فيها كان الفتح اليم والدم احمر ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم

العشار الناقة التى اتت عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذكر اسمها حتى يضع وبعد يضع ايضا ويقال ناقة عشراء وان ولدت عشارا ونوق عشار

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

ليكون أزجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام إن طلاق أم أيوب لحوب فكأنه
قيل إنه كان ذنباً عظيماً كبيراً وقرأ الحسن حوباً بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوباً وقرئ حاباً و
نظيره الحاب والحوب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى وما في
أكل أموالهم من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب بترك الإقساط في حقوق اليتامى
وأخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الأزواج والثمان
والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تحرج من
ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لأنه إنما وجب أن يتحرج من
الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنى وهم
يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما
حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون
وليها فيتزوجها ضناً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن
وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم أن لا
تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور
وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح
التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم
من النساء لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهاباً إلى الصفة ولأن الإناث من
العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة
عن أعداد مكررة وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها
وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب
على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثاً
ثلاثاً وأربعاً أربعاً **فإن قلت** الذي أطلق للناكح في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع
فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل
ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف
درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى **فإن قلت**

فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا

لم جاء العطف بالواو دون أو **قلت** كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت
تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة أعلمت أنه لا يسوغ لهم
أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية
وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه
الواو وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على
طريق الجمع إن شاؤوا مختلفين في تلك الأعداد وإن شاؤوا متفقين فيها محظوراً عليهم ما وراء ذلك
وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا بين هذه الأعداد
كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأساً
فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع
واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى في السهولة واليسر
بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري إنهن أقل تبعة وأقصر
شغباً وأخف مؤنة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أم لم
تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبي عبلة من ملكت ذلك إشارة إلى اختيار الواحدة
والتسري أدنى أن لا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولاً إذا مال وميزان
فلان عائل وعال الحاكم في حكمه إذا جار وروي أن أعرابياً حكم عليه حاكم فقال له أتعول
علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه ألا تعولوا ألا تجوروا
والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسر ألا تعولوا ألا تكثر عيالكم فوجهه أن
يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر
عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال
والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق
بالحمل على الصحة والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا فقد روي عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً
وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهداً بأنه كان أعلى كعباً وأطول
باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقاً وأساليب فسلك في تفسير
هذه الكلمة طريقة الكنايات **فإن قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا

قوله ليس كذلك لان الغرض التزوج الخ التوالد والتناسل خلاف التبري ولذلك يجاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التبري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كثر وج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقواطموا ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القرآءة تعضد تفسير الشافعي رضي الله عنه رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن وفي حديث شرح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة يوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كهولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وآتوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة له معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة والشرعة ومنه خبر النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن مدينة بانها على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك الناتجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنتفع به مالك اي تعظمه الصمير في منه جار مجرى الاشارة كانه قيل عن شئ مرجع ذلك كما قال تعالى أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن اجل المنوع من افواه العرب ماذوي عن ذوبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او رجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء اتهن لم يحل المعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وتفتاعل من الصدق وتوحيدها لان العرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وجاءت عنه بفوهن طيبات غير مختشات نفوسهن تطيب به اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته

ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا

شريح في عطية اعطتها اياه وهي تطالب ان ترجع فقال شريح ردي عليها فقال الرجل بئس ما قلت فقال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لم ارجعت فيه وعنه اقبلها فيها وهبت ولا اقبله الا ان تهن لخدع عن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف دينار صداقا فاكلها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فان الآية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا ارد دي عليها وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم اراد ت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه سئل عن هذه الآية فقال اذا اجادت الزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يوا خذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شئ مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقبل فان طبن ولم يقل فان وهبن او تسمحن اعلاما بان المراعى ما يوجد في نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شئ منه ولم يقل فان طبن لكم عنها بعضا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يحوز شئ منها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز شئ منها ما لم يلدا وتمض بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير ليتصرف الى الصداق الواحد فكون مشتملا على بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصداق واحد منها فصاعدا

الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل يوما ينشاء في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى ثم المعدة المريء المرؤ الطعام فيه وهو انبساغه وتما وصف للمصدر او سمي الفاعل اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء او قد يوقف على فكلوه وينبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التخليل والمبالغة في ازالة التبعة ونفي الريبة عنه والمنديل امتثال امرهم الذين نهوا عن ان يؤتوها ما لا ينتفع ولا يدري لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها كما امتثال الخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم قال ولا تقتلوا انفسكم فيما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب

للأولياء في أموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم جعل الله لكم قياما اى تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها افتقرتم فكأنها في أنفسها قيامكم وانتعاشكم وروى قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشئ ما يقام به كفوك هو بلاك الأمر الذي يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا جاهليا حتى الله عليه خير من أن أحتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقللها لولا هي لتمندل بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تذيبك من الدنيا لئن أدنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اخزروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تخزروا فيها وتتجروا حتى يكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا بأكلها النفاق وقيل هو أمر لكل أحد ان لا يخرج ماله الى أحد من السفهاء قريب أو أجنبي رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا مرضيا وفعالا ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وعن عطاء اذا رأيت أعطيتك وان غبنت في عزائي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فصل عافانا الله وإياك بارك الله فيك وكل تماسكت به النفس واحتبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا بلغوا منهم رشدا أي هداية وتهتموا اليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح أن يحتلم لا تبصح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والإنبات الاستيفاء فاشبعه للسنين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يتبين حاله فيما يجئ منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما الابتلاء أن تتبع أحواله وتصرفه في الأخذ والاعطاء وتبصر مخايله ومثله الى الذين والرشد الصلاح في الدين لأن الفسق مفسدة للمال فان لم تؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند أبي حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير

أحوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع ادفع اليه ماله او بن منه رشدا ولم يؤنس وعند أصحابه لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة اوطرفا من الرشد وحيلة من محايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله فما زال القتلى تمج دماها بدجلة حتى ما تجلة اشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا مضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فان استحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان أحسنتم بمعنى أحسن به وفي مصحف أبي شويس وقوى رشدا بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وإسرافا وبدارا مصدران في موضع الحال أي مسرفين ومبادرين كبرهم مفرطين في انفاقها وتقولون نخاف أن تنفق قبل أن يكبر اليتامى فنفتقر عوضا من أيدينا ثم قسم الأمر بين أن يكون الوصي غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغني يستعف من أكلها ولا يطمع ويقنع بما رزقه الله من الغنى شفقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محاطا به نقدير على وجه الأجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الأكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال أفاضربه قال ما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له أفاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع أيديهم فيأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والخلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهمة وينزل بقدر منزلة الجريح فما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالمبتئس بنا ول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ الفوت ولا يجاوزه فان أيسر قضاه وان أعسر فهو في حل

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كاف طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبريء عنها اذا نكروا وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد ولدخل في الامانة وترأى الناحة الاترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما لا يصدق الا بالبينة فكان الاشهاد احوط ان من توجه الحلف المقضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتحاش واياكم والتكاذب الاقربون المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل من ما ترك كذكر العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يجوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد لقوله فرضة من الله لانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امرأته ام كحة وثلاث بنات فورثوا ابناء عمه سويدا وعرفطة وقتادة وعرجفة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير للمتروك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك نادبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يطعموهم القوت ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ونعتذروا اليهم ونستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون

ن بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

عه

ويوصيكم معنى ويوصي الموروث ورجوعه صلة للذين اي الله يوصيكم للذكر مثل حظ الانثيين او الصلة يحذف ويكون مصدر معلوم اي الله يوصيكم ايصاء للذكر مثل حظ الانثيين فلما حذف الايصاء وحذف ان رفع الاول كما في قوله

الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى

والضمير في يوصيكم للموروثين وقيل للورثة والاول اظهر لقوله من بعد وصية يوصين بها او دين ويجوز ان يكون الضمير للورثة والوصية مصروفة الى الميت والمعنى يوصيكم الله في امر اولادكم بما شرع لهم في امر اولاد الميت للذكر منهم مثل حظ الانثيين منهم والتخيير في اذكر الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين بعيان الورث والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا الهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لوضع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم فوبخوا على ذرياتهم لو تركوهم ضعافا وشفقوا عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى يحثهم ذلك على الخشية واعلم ان الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل عطف على قوله والمراد بهم الاوصياء ايضا فامروا بان يخشوا ربهم الذين يحضرون المريض فيقولون اتق الله في نفسك لا يغبنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم لو كانوا ويجوز ان تتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم يقولون خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يحاقون عليهم الحرمان والحيف فان زلت تاء متعمدا فوقع لو تركوا وجوابه صلة للذين زلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا اخلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحبور الى حبانا ... بناني ان بنى من الضعاف

احاذر ان ترن اليوس بعدي ... وان يشربن رنقا بعد صافي

وضعافا حال من الضعاف وضعافا حال من الضمير في خلفهم وقرئ ضعفا وضعافي كانوا يكلون اولادهم بالادب الحسن والترجيب ويدعونهم يا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى من يكلمون المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتخطئ ولا دلك مثل قول رسول الله لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس اصل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطموا الفول ويجلوه للحاضرين ظلما اليس او على وجه الظلم من اولياء الثور وقضاته في بطونهم بلا بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي انه بعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من فيه ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ

يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف

سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف
يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا
اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او
للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك
ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان
ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث
وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى
في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ
الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا
اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال
كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد
وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف
الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات
نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان
وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او
المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة
والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرا زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك
للميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر
مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف
صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان
حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا
فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين
ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل
فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن
ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد

ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث

هاهنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم
البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين
في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما
منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف
واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين
قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يجوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك
يجوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى
فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن
ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا
لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت
لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون
لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه
الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل
ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين
عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل واحد من ابويه السدس
واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل
بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدا
وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس
بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم
الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس
فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم
يكن له ولد فلامه الثلث واي فائدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم
يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس
مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما يبقى بعد اخراج نصيب
الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر

فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا

مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت
فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية
في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها
اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى
الى حظ نصيبه الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فطار للزوج النصف وللام الثلث
والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ
الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون
مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند
ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان
يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة
بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على
الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا
تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة
المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها
وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا فان قلت
ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث
كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين
مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة
من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان
اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائها فلذلك قدمت
على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة او للتسوية
بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم اي لا تدرون من انفع
لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض
ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك
الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا

من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية
يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث
او امراة وله اخ واخت فلكل واحد منهما السدس

ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان
فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة
الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة يسال ان يرفع ابوه
اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون
في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل
ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب عليه النفقة
على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب
نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن
حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه وبناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب
المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض
وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المراة على النصف
من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن
وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر
كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير
في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او
مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا
وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم
ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر
بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة
فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة
واذا جعل صفة للموروث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من
ذوي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فان قلت فان جعلتها
اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او
يورث غيره لاجلها فان قلت فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث فما وجهه قلت
الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من

كان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم

اذا رجع الضمير اليهما فاذا استويا في جازة الذكر والانثى فهل يرجع حينئذ قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما قلت نعم بقي هذه الفائدة وفائدة في هذا الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الرجل او الاخت على التخيير فقد سوّيت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من امه وقيل انما استدل على ان الكلالة هاهنا هي الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم هاهنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزيدوا على الثلث شيأ انه يعني بهم الاخوة للام وانما قال الكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصى بها غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه وبينه مضارة ورثته ومعاضلتهم لاوجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منتصبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة بارادته في الوصية ويشهد لهذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن حاد او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد ثابت قلت كيف يعمل اذا جعلته الوارث قلت كما علمت في قوله تعالى فانه تكلما مبارك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت قال قلت فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصى فيستتبعه عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فلما كان حال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما دل عليه يوصى بها تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت او الموارث يعني اذا جعل توارث من ورث الميت غير مضار لورثته ومعنى غير مضار لا يوصي بما يكون مضارا لورثته من ان يوصي بما لا يملكه او بما يملكه ولكن يحيف بالزيادة على الثلث او بالاقرار بدين ليس عليه او بالوصية لمن لا يستحق او بتقديم بعض الورثة على بعض او بغير ذلك من وجوه الضرار ثم قال وصية من الله ليبين ان الضرار في الوصية مخالفة لما شرع الله في الوصية وتعد لحدوده وتضييع لما تعبد به الموصون وان الله عليم بما يأتون ويذرون حليم حيث لم يعاجل المضار بالعقوبة

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت

باب الايمان والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الفرائض كالحدود والمضروبة للموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها الى ما ليس لهم كحق يتخطونها الى ما ليس لهم فيه قوي ياليا والنون وكذلك يدخله نارا او قيل يدخله وخالدين عملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو فوكل خالدين هم فيها وخالدا هو فيها يا نبي الفاحشة يرتكبنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنى لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فامسكوهن في البيوت قيل معناه احبسوهن في بيوتكم وكان ذلك عقوبة لهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله فاجلدوا الزانية الآية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر احد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بما سكت في البيوت بعد ان تخذ دون صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا وقت ذلك الوحي فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملك الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى يأخذهن الموت ويستوفي آجالهن والذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وعبرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العابرين على ما يريدان به الاذاء دمتهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في النساء وهذه في اللواطيين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان بهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وعفا عنه يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء لجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفها لان ارتكاب القبيح ما تدعو اليه الشقوة والشهوة لا ما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت

قال الى حتى الآن ... الآخرين يموتوا وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها

فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم
القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب
وعن النخعي ما لم يعاين بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه ان الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى
الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه
باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض
اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا
قريبا ففي اي جزء ثاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد
فان قلت ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله للذين
قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك
يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما بعد العبد
الوفاء الواجب ولا الذين يموتون عطف على للذين يعملون السيئات سوى بين الذين
سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة
الموت اول احوال الآخرة فكما ان الممات على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك
المشرف الى حضرة الموت لمجاورته كل واحد منهما او ان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا
لهم عذابا الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان
لا محالة ما الذين المراد بالذين يعملون السيئات ايم القاء من اهل القبلة ام الكفار
الشبه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله ومنهم كفار والثاني ان يراد القاء
لان الكلام انما وقع في الرابيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله ومنهم كفارا
واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فلما ان نجاهم
اذا هم يشركون او نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا يفيد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يجد
نفسه بالتوبة حالة قريبة من حال الكافر لانه لا خبر يدل على انه لو عاش لتاب فلهذا سمي كافرا
يتلون الثياب ضروب من البلايا ويظلمون بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل
اذا مات له قريب من ابويه او حميم عن امرأته التي تويه عليها وقال انا احق بها من كل
احد فضل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تأخذوهن على سبيل الوراثة كما كان الوارث

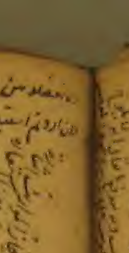

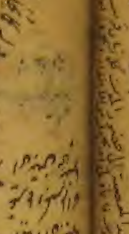

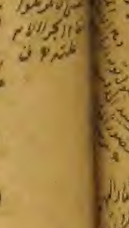

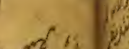

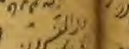

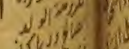

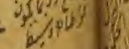

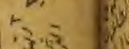

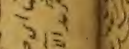

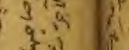

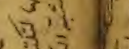

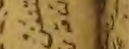

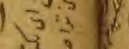

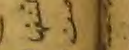

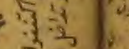

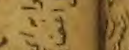

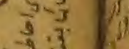

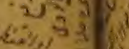

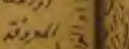

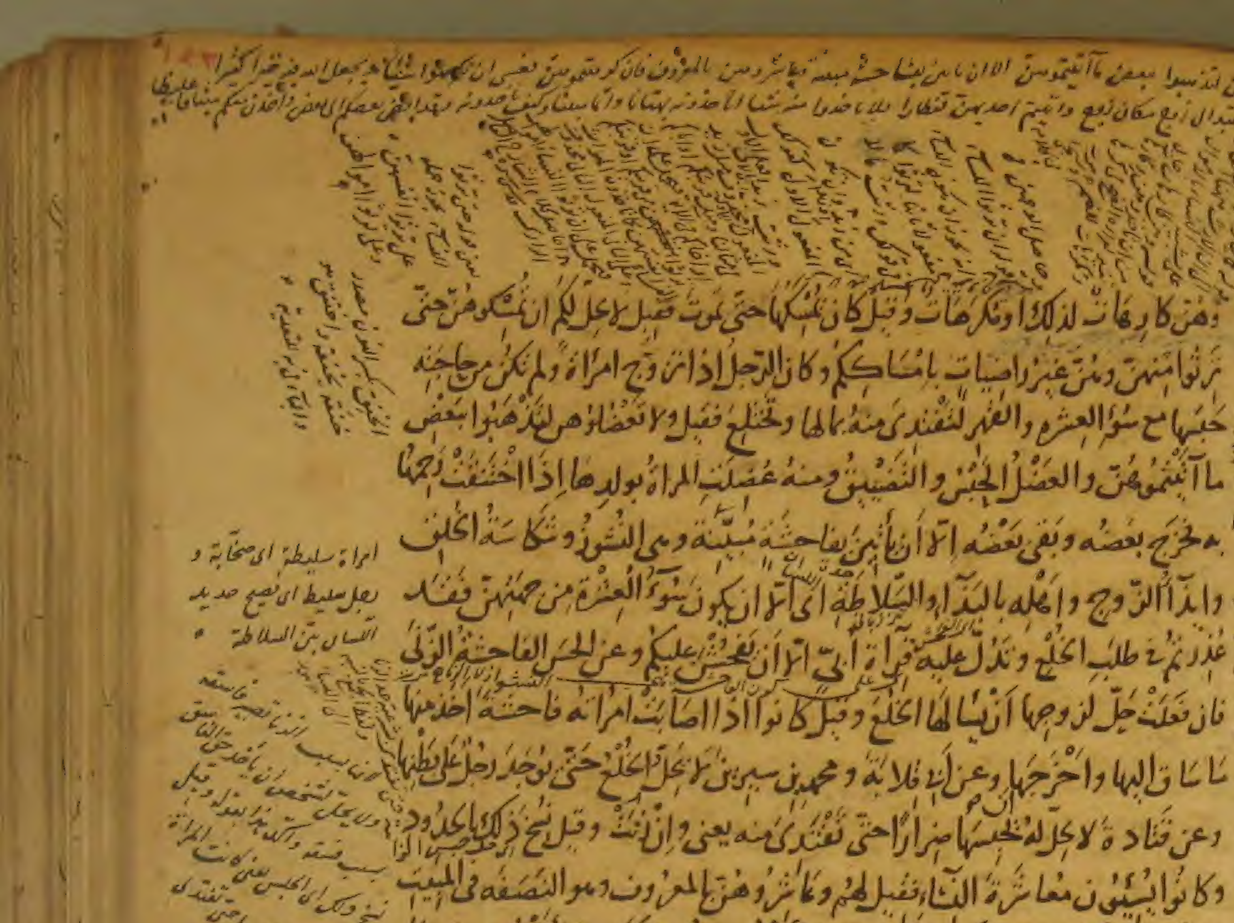

كانه قيل واحذرن به منكم بشاقا عليظا اى باقصا بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لفوته وعظه
فقد قالوا صحبته عشرين يوما طوابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
وقيل موثقا من الولى عند العقد الحكم على ما فى كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان
وعن النبى صلى الله عليه استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان فى ايديكم اخذتموهن بامانة
الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون زوجات آبائهم ومنهم من نكح امرأة ابنه
مرة ابنهم وبنهى عن نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى ومن ثم قيل ومقتا
كانه قيل من فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح مقوت فى المروة ولا مزيد على ما تجمع
القبح وقرئ لا يحل لكم بالتاء على ان ترثوا معنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة
والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الباء
وفتحها وجعل الله بالرفع على انه فى موضع الحال وانتم احد هن يوصل بميم احدهن
كما قرئ فلستم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب عطفا على ان
ترثوا ولا لتاكيد النفى اى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اى فرق
بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت اذا عدى بالباء فمعناه الاحداد والاستصحاب
كقوله بعلى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت اترى ما بين ما هذه
الاستثنائية قلت هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل لا تعضلوهن
فى جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان ياتين
بفاحشة فان قلت من اى وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث
ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا واعلموا ان الكراهة قلما تكاد تنفك عنها خبرا كثيرا
لبس فيما تجتنونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف من نكاح الآباء قلت كما استثنى غير
ان ننبه فيهم من قوله ولا عيب فيهم يعنى ان لهم عيبا واحدا وهو انكم نكحتم ما قد سلف فانكحوه فلا حرج
لكم غيره وذلك غير تهكم والغرض المبالغة فى خبر به وسد الطريق الى ما حامه كما يعلق
بالمحال فى التاييد فى نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط معنى حرمت
عليكم امهاتكم تحريم كاحبر لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وان تحريم نكاحهن
هو الذى نفهم من تحريمهن كما نفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله
وقرئ وبناتُ الاخت بضم الهمزة وقد مر ان الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة

وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم
وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسالوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ليس بأمانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤا هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم

والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن
فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما

وعقايب اناركم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما

وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا مات عنده فاخذ ميراثها كره ان يطأ على انها واذا
طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في
باب المهر وتمي ولد المراة من غير زوجها بنيا وبنته لانه برأتهما كابن بنت ولدن في
غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يرثهما فان قلت ما فايدة قوله في حجوركم
قلت فايدته التغليل للتحريم وانهن لاحضانكم لهن اولكونهن بمصدر احضانكم وفي
حكم القلب في حجوركم اذا دخلتم باتهاتهن وتهن بدخولكم حكم الزواج وبنات الخلطة
والزلفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن
مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه
شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية
عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني اذا خلتموهن بالستر والتالي للعقد به
واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفه وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية
فجردها فاشتوهيها ان له فقال انها لا تحل لك وعن مروان اتاه امرأ ان باع جارية
بعد عهوده وقال اما اني لم اصب منها الا ما اخرتها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن
في الرجل يملك الامة يتغمزها للشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بتحال وعن عطاء
وجماهد ان ابن سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا يحل لابنه ولا ابنها وعن الاوزاعي اذا
دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا تحل له بنات ابنتها وعن
ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم
دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه زينب بنت جحش الاسدية بنت
عمته امية بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وان جمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي
وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح
واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمن وعلي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما
اية يعنان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرج على التحريم وعن التحليل الا ما
قد سلف ولكن ما مضى معفو بدليل قوله ان الله كان غفورا والمحصنات الفراة بفتح
الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن

فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من
الاماء بسبين لهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات في بعضاء
قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق كتاب الله عليكم
مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وحرم ما حرم بان قلت
علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اي كتب الله عليكم
تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم
وروي عن اليماني كتب الله عليكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له لمعنى بين لكم ما تحل ما تحرم
لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له لمعنى بين لكم ما تحل ما تحرم
ارادة ان تكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين
لئلا تضيعوا اموالكم وتقصروا انفسكم فيما يحل لكم فتحرموا دنياكم ودينكم ومفعوله
اعظم مما يجتنب من الخمر اليمين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاثوال
المهور وما خرج في المشاكلة قال قلت ان مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا
وهو النساء والاوجه ان لا يقدر لانه قبل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا
بدلا مما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة
سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استفدتم به من المنكوحات
من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما
لانه لا يلبس كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء
ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن
واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة
او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما
تراضيتم به من بعد الفريضة فيما حط عنه من المهر او وهب له من كله او بعضه على ما قدروه
وقيل فيما تراضيتم به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح
الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وتقام معه ما كتبله او يلبثين او اسبوعا
ثم يوبه او غير ذلك وينقضي منها وطرهم يثبت حرمتها تمتعتم منفعة لا تستمتعون بها او
لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لو اتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة

Bibliotheca Alexandrina

ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن
بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف

وعن النبي صلى الله عليه أنه أبا حهنم أضبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء ألا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيمة وقيل أبيح مرتين وحرم مرتين وعن
ابن عباس أنه محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فيما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ويروى أنه رجع
عن ذلك عند موته وقال اللهم إني أتوب إليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول
الفضل يقال لفلان على طول أي زيادة وفضل وقد طاله طولا هو طائل قال
لقد زادني حبا لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما على هذا طائل
أي شيء يعتد به تمامه فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لأنه زيادة فيه كما أن القصر
قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة بلغ بها نكاح الحرة فلينكح
أمة قال ابن عباس من ملك يمينه دينه فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الإماء وهو
الظاهر وعليه مذهب الشافعي رضي الله عنه وأما أبو حنيفة رحمه الله عليه فيقول
العتق والفقير سواء في جواز نكاح الأمة ويقترن الآية بأن من لم يملك فراش الحرة على أن
النكاح هو الوطء فله أن ينكح أمة وفي رواية عن ابن عباس أنه قال رحم الله على هذه
الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان مؤسرا وكذلك قوله من فتياتكم
المؤمنات الظاهر أن يجوز نكاح الأمة الكتابية وهو مذهب أهل الحجاز وعند أهل
العراق يجوز نكاح الأمة المؤمنة أفضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب و
استدلوا على أن الإيمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا أنه ليس بشرط فيهن
على الإطلاق ولكنه أفضل قال قلت لم كان نكاح الأمة محظورا عن نكاح الحرة قلت
لما فيه من استباع الولد الأمة في الرق ولتبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولأنها ممتهنة
مبتذلة لخراجه وتراجه وذلك كله نقصان راجع إلى المشايخ ومهانة والعزة من
صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم أي من فتيات المسلمين لأن فتيات غيركم هن المخالفات
في الدين فإن قلت فما معنى قوله والله أعلم بإيمانكم قلت معناه أن الله أعلم بتفاضل ما
بينكم وبين أرقائكم في الإيمان وإخلاصه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان إيمان الأمة أرجح
من إيمان الحرة والمرأة أفضل في الإيمان من الرجل وحق المؤمنين أن لا يعتبروا الأفضل
في الإيمان لأن فضل الأحساب والأنساب وهذا تأنيس بنكاح الإماء وترك الاستنكاف منه
بعضكم من بعض أي أنتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان لا يفضل

محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك
لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله
يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا

١٤٦

حر عدا الأبرجان فيه بإذن أهلهن اشتراط إذن الموالي في نكاحهن وفتح به لقول أبي حنيفة
إن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالي لا عقدهم وآتوهن أجورهن
بالمعروف وأدوا إليهن مهورهن غير مطل وضرار وإجواع إلى الأرش قضايا واللزام قلت
الموالي منعوا ملاكهم مهورهن والواجب أداؤها إليهم فلما قيل وآتوهن قلت لأنهن
وما في أيديهن مال الموالي فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالي أو على أن أصله فآتوا موالي إليهن
فحذف المضاف محصنات عفائف والأخدان الأخلاء البركاته قيل غير محاهرات بالسفاح
ولا مستسرات له فإذا أحصن بالتزوج وقرئ أحصن نصف ما على المحصنات أي الحرائر من
العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لأن الرجم لا
ينتصف ذلك إشارة إلى نكاح الإماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الإثم الذي يؤدي إليه
غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر
أعظم من مواقعة المآثم وجبل أريد به واحد لأنه إذا هانها خشي أن يواقعها فجد فيرد وجها
وأن تصبروا في محل الرفع على الابتداء وصبركم عن نكاح الإماء مستعففين خير لكم وعن النبي
صلى الله عليه الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم أصله يريد الله
أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين كما زيدت في لا أبالك لتأكيد إضافة الأب
والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم وأن يهديكم مناهج
من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم
ويرشدكم إلى طاعات إن أقمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله
يريد أن يتوب عليكم أن تفعلوا ما يتوجبون به أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق والميل أعظم منه بما عليهم
ووافقهم على اتباع الشهوات وقيل يريد اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الأخوات
من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة
والخالة والعمة عليكم حرام فأنكحوا بنات الأخ والأخت فنزلت يقول يريدون
أن تكونوا زناة مثلهم يريد الله أن يخفف عنكم بإحلال نكاح الإماء وغيره من الرخص
وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب
ما أيس الشيطان من بني آدم قط إلا أتاهم من قبل النساء فقد أتى على ثمانين صنفا وذهب

يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون التجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما

احدى عينيّ وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرئ ان يميلوا
بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب
الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه
الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة و
الغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون
التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض
او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اي تجارة
صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضي
رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله وعند الشافعي رضي الله عنه تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان
من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض
الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه
وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا
لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ذلك اشارة الى القتل
اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر
ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة
مصلية ونصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه للصلي نارا نارا مخصوصة شديدة
العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه
كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي التي ينهاكم الله عنها
والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها
كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات
والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم

فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو
اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر
سبع الشرك والقتل والقذف والربا ومال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب
بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر
سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي
الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا
نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل
قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في
الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له
علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه
للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله
الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل
ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء
في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن
اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون
لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون
من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام
مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل
احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موال لانهم في معنى الوراث
وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان
والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله
فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان
ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل
يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك

وشرّ شيء وأدنك وتطلبني وأطلبك وتغفل عني وأغفل عنك فيكون للحليف السدس
من ميراث الحليف فسخ وعن النبي صلى الله عليه أنه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف
في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفا في الإسلام
وعند أبي حنيفة رحمه الله لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده
وورث خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة النبتي ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتموهم أيمانكم
فاسحقوهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم فوآمنون
على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وبما فضل الله الذكر والضمير
في بعضهم للرجال والتاء للجميع يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم
وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب
والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة
في الغالب والفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى
والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة والشهادة
في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والجماعة والقسامة والولاية
في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى و
العمائم وبما أنفقوا وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات وروي
أن سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي
زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وقال أفرشته كريمتي فلطمها
فقال لتقتص منه فنزلت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع
القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو بتجمها
ولكن تجب العقل وقيل لا قصاص إلا في الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات
مطيعات قانتات حافظات للواجب عليهن للأزواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة أي حافظات
لواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لما حفظن ما يجب عليهن حفظه في
حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وعن النبي صلى الله عليه خير النساء امرأة
إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها
وقال الزجاج وقيل للغيب لسرائرهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج حتى

بحفظ الله والاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا
وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها وكما

فى كتابه وامر رسوله بقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن
لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب
الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اى
حافظات للغيب بالامر الذى يجب حفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والتفقد
على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله
فاصلحوا اليهن بتقويمها ونصحها ان تعصى زوجها ولا تظلمن اليه واصله الازعاج
فى المضاجع فى المراقد اى لا تدخلوهن تحت اللحف او هى كناية عن الجماع وقيل هو ان
يولجها ظهره فى المضجع وقيل فى المضاجع فى بيوتهن التى يبتن فيها اى لا تباشروهن
وقرئ فى المضجع وفى المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن فى النشوز امر
يوعظهن اولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجح فيهن الوعظ والهجران وقيل
معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا لبس بتفسير
الثقلاء وقالوا الواجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يخرجها ولا يكسرها عظما ويجتنب
الوجه وعن النبى صلى الله عليه وعلق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابى بكر
الصديق رضى الله عنه كنت رابع اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على
احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسر عليها ويروى عن الزبير ابيات ولو لا سوطه جولها لحطمنا
فلا تبغوا عليهن سبيلا فلا تزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتخجيل وتوبوا عليهن
واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز
ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على
من تحت ايديكم وبروى ان ابا مسعود الانصارى رفع سوطه ليضربه فاذا له قد سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق
الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانتم تعصونه على علو شانه وكبريائه سلطانهم يتوبون
فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يحنى عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاق
بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله
بل مكر الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار مما كون على قولهم نهارك
صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لدلالة عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله الى الزوج
وعلى الاول اضافة المصدر الى المشبه به على المشبه لان المعنى وان خفتم ان يشاق بينهما

ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى والجار الجنب

رجلا مقنعا رضي يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما
لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين
وتبرز اليهم ما في ضمايرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك
ومقتضياته وما يزيلها عن الاجانب ولا يحتمل ان يطلعوا عليه فان قلت فهل
يكفي ان يجمع بينهما والتفريق ان رأيا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما
ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما ان الامر على ما يقتضيه
اجتهادهما وعن عبيدة السلماني تحاكم علي رضي الله عنه وقد جاءته امرأة وزوجها
ومع كل واحد فئام من الناس فأمر هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اندريان ما
عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما
الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت
المرأة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن جمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى
الحكمان جاز والمراد في هذا اصلاحا ضمير الحكمين وفي توفق الله بينهما للزوجين
اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله يوفق
بينهما وباطنهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة
والتي في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضمير ان للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات
البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة وينتدبان
في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض وقيل الضمير ان للزوجين اي ان يريدا
اصلاحا ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة واذا هما
بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين
وتجمع بين المتفرقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف
بينهم وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه
قرابة من رحم او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب
الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الاجنبي والاشد بالعكس قيل
هو الذي لا رحم له والجار ذا القربى شخصا من المسلمين وقيل هو الذي له رحم او مجاورة وقيل
هو الذي له قرابة في الدين والجار الجنب الذي لا قرابة له فيه وقيل هو اليهودي والنصراني
على الاحتراز عن الاجانب كما ترى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى منها على اعظم حقه

والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا
وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما

لا ذلا به يحفى اكبار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل لجنبك اتا
رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك
في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك
الحق ولا تنساه وجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل
المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال النياه الجهول الذي ينكبر عن اكرام افاربه
واصحابه ومماليكه فلا يحفى بهم ولا يلتفت اليهم وفخور والجار الجنب بفتح الجيم وسكون
النون الذين يخلون بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نعت على الذم ويجوز ان يكون
رفعا على وان يكون مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل الذين يخلون ويفعلون ويصعرون
احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها ويحتمل ضمير اي يخلون بذات ايديهم
وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يخلوا به منقادا للبخيل من وجد وفي امثال العرب البخل
من الضنين سائل غيره وان امرأ ضنت يداه على امرئ بنيل يدين من غيره لبخيل ولقد رأينا
ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد تغص به وجل جنونه واضطرب
وداريت عشاة في داسه كانما هف رحله وكسرت حزائنه ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده
وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحونهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر ولا يندبون ما يكتمون وقد غاظهم تكتمان نعم الله وما آتاهم من
فضل الغنى والنفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه اذا انعم الله على عبد نعمة احب
ان ترى نعمته عليه وبنى عامل للرشيد قصرا احذ اقصره فتم به عنده فقال الرجل يا امير
المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اريك بالنظر الى آثار نعمتك
فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله وقال الناس للتجار
ليتقال ما اتجاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين
اموالهم في عداوة رسول الله فاغرر بنا حتى حملهم على النحل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي بلية وويال عليهم الايمان
والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا
كما يقال للمسلم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة
ولا مزية في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل لمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيدا

ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ
يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا

الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في
التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء
في الكوة ذرة وفيه دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب
لكان ظلما وانه لا يفعله لا لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان
يك مثقال حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان
التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات
المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف
الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم
تلا هذه الاية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها
من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا به
وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ ابن كثير نضاعفها
بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد
عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء
المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله حتى بلغ قوله و
جئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا يومئذ لو تسوى بهم الارض لو يدفنوا
فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض
سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون
على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت
الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين
لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم
وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته
فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه اسوى كازكى نزول
ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

١٥٠

يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد
منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا

حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي
بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات
الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما
يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها
كقوله ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد
كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم
لقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان
يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى
كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن
حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو
النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل
استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال
والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى
تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن
صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين
فان قلت كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا
كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر
الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء
او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم
الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله لم ياذن لاحد ان
يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان في المسجد فان قلت
ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق
الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان
المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر

فامسحوا بوجوهكم وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل
والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا

اذا عدموه لبعده والجدثون واهل الحجاز يقولون كذلك اذا لم يعدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج
الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره واذا كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه و
مسح لكان ذلك طهورا وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما يصنع بقوله في سورة
المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب عليه
قلت قالوا ان من لابتدائية الغاية قول المتعشف ولا
يفهم احد من العرب من قول القائل مسحته براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض
قلت هو كما تقول واذ دعاني للحر من الهراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص
والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر
فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض و
السفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب
الغسل قلت اراد بسببه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في السفر
خصوصا لان منهم مرضاهم وسقيمهم لانهم المنفقدون لاسبحان بان الرخصة لهم لكثرة
المرض والسفر وعلتها على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عمم كل من وجب عليه التطهر
واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارتهان في مكان لا ماء فيه او غير ذلك
مما يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كميت في ميت والغيط المعنى
الحائط المرتفع وجوه القلب وعدى يا لى على معنى القرب منه علك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم او تو
نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها
بالهدى وهو النفاق على اليهود بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي
العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون سبيل الحق كما
تضلون وتخبطوا في ملكم لا بكفيهم ضلالهم الا تحسنون ان تصل معهم غيرهم وقرئ ان تضلوا
بالادغام بحذف احدى التاءين والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوتهم هو لا واطلعكم على
اخبالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى
بالله وليا وكفى بالله نصيرا انتصوا بولايته ونصرته دونهم او لا تسالوا بهم فان الله ينصركم
عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى
وتوله الله اعلم وكفى بالله حمل توسطته بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض

من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون بمعنى وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا

او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونضراه
من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان خبره محذوف تقديره
من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا ارتان فمنها اموت واخرى اعيش اكدح
اي فمنها اموت فيها ويجوز ان يكون من صلة ما بعده اي يحرفون الكلم عن مواضعه بعد ما عقلوه
ووضعوا امكنة كلما غيره فقد اماله عن موضعه التي وضعه الله فيها واراد انه عنها وذلك
نحو تحريفهم اسم رفاعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم
بوضعهم الجلد بدله فان قلت كيف قيل هاهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه
قلت اما عن مواضعه فعلى ما قررنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه
فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فلمعنى انه كانت له مواضع
موقتة بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره
والمعنيان متقاربان وقرئ تحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة كخفف
كلمة قولهم غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذي وجهين يحتمل
الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان
امرهم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب
الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غيرك
مسمع كلاما ترضاه ضمنك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعولا اسمع اي
اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه تنبوا عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير
مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا استه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا
نكلمك اي ارعنا واتظرنا ويحتمل شتمة كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتساتون
بها وسمى راعنا فكانوا يخاطبون بالذين يهزؤن وابرسول الله بكلمة كلام محتمل يتوون
به الشتيمة وانها هانة ويظهرون به التوقير والاكرام لبا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا
اي يقلبون بالسنتهم الحق الى الباطل حتى يصيروا راعنا موضع انظرنا وغير مسمع
موضع لا اسمعت مكروها او يقلبون بالسنتهم ما يضمرونه من السم الى ما يظهرونه من
التوقير فان قلت كيف جاز ان يقال المحمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا
سمعنا وعصينا قلت جمع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان لا يواجهونه

الطوال بالضم الطويل يقال
طويل وطوال

فاذن لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا

نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون
احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل و
القطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره
من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا
اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون
شيئا وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في
قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل يحسدون
رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله
من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا الزام لهم بما عرفوه من
ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وانه ليس ببدع
ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود
وسليمن وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة و
لسليمن ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من اليهود من آمن به اى بما ذكر من حديث آل
ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله ومنهم من
انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف تعذب مكان الجلود العاصية
جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الجانية وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل
يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات
وعن الحسن سبعين مرة تبدل لون جلودهم ايضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع
عليه ما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ
الظل لتاكيده كقولهم ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب
فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا
الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء

ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر

ان تؤدوا الامانات خطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمن بن طلحة بن عبد
الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه حين دخل مكة يوم الفتح
اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول
الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول
الله وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمن ويعتذر اليه فقال عثمن لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت
ترفق فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه ان السدانة في اولاد
عثمن ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد
نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة
به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اى نعما
يعظكم به ذلك وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون
لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا
على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم
فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين
لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن
تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي
عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي
الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني
وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم
عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين
فردوه الى الله ورسوله اى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف يلزم طاعة
امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا

ذلك خير واحسن تاويلا الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة

بادا الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامرا الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بها ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرا الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذف اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمراة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف تكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم

بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون

عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا ترد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب القسم فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه

الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه والمبطئون
منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد
وبطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ
على وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل
فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي
ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة فضل من الله من فتح او غنيمة
ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في
معنى الجماعة وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين
مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون
المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر انه
تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا
على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم
والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف بمعنى فانا افوز
في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ وشريت بردا ليتني
من بعد برد كنت هامة فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا
بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل
الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة و
يستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال
فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر
العظيم على اجتهاده في اعزاز دين الله والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا
على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني
واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين
من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة
وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى
الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة

وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه فتولاهم
احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا منه
الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز
بها من الظلمة فان قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم
الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين
كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا
كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي
من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر و
بالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان
والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة فان قلت
لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها
فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التي
ظلم اهلها ولو انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث
فان قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من
يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيبا
وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم
يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله
للكافرين اضعف شيء واوهنه كفوا ايديكم اي كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا
مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فلما كتب
عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول فان قلت
ما محل كخشية الله من الاعراب قلت محله النصب على الحال من الضمير في يخشون اي يخشون
الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية بمعنى او اشد
خشية من اهل خشية الله واشد معطوف على الحال فان قلت لم عدلت عن الظاهر وهو
كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت

انصاره وقرئ بيّت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير حقيقي ولانها
في معنى الفريق والفوج وتدبر الامر تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته و
منتهاه ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان
بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب
قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند
علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة
لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر
عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان
فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف قلت
ليس باختلاف عند المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال
ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله من امن وسلامة او خوف و
خلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولي
الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير
ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم
بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر على امن ووثوق
بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود
اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون
من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود
ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم
ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما
يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه
منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به في الناس
حتى كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من

اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله كما ضجر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه و
النبط الماء يخرج من البير اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير
لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر
الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة
واضمارهم خلافها قال فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك
وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو
سفيان واعد رسول الله اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا
سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي ولا
نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شأنهم
الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وهم قريش وقد كف
بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون
الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة
هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم
يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة
ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية
فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل
الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة
على المسلم بضد ذلك مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على اساءته مقيتا وقال السموأل الى الفضل ام علي اذا
حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها الاحسن
منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله
وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه

آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله وإذا حييتم الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله أو رددها وأجيبوها بمثلها ورد السلام وجوبه جوابه بمثله لأن المجيب برد قول المسلم ويكرر وجواب التسليمة واجب والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرئ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب ومن بين رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا يرجع عنهم روح القدس ردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا أو رواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن أبي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطهر الحمام والعاري من غير عذر في الحمام أو غيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه أنه يتيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل إذا دخل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر وإذا التقيا ابتدأ وعن أبي حنيفة لا يجهر بالرد يعني إذا جهر الكثير عن النبي صلى الله عليه إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أي عليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام وإن بدأ أكل فقل وعليك وعن الحسن يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها استغفار وعن الشعبي أنه قال النصراني يسلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فيقال له فقال البرغ رحمه الله يعيش وقد رخص بعض العلماء أن بدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حاجة نحو خوفهم ورؤيتهم وذلك عن النخعي وعن أبي حنيفة لا بأس بالسلام في الكتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تشمتهم وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء بما يصلحه في دنياه على كل شيء حسيبا أي محاسبكم على كل شيء من النجوى وغيرها لا إله إلا هو أما خبر للمبتدأ وإما اعتراض والخبر ليجمعنكم إلى يوم القيمة أي ليجمعنكم إليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن أصدق من الله حديثا لا أحد أعز ولا أصدق قولا لا يجوز عليه الكذب وذلك أن الكذب مستقبل بصارف عن الإقدام عليه وهو قبيح وجه قبحه الذي هو كونه كذبا وإخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه

ومن أصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق

لئن كذب لم يكذب إلا لآفة محتاج إلى أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة أو مستغن عنه لآفة تحمل عناه أو سفاهة أو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في إخباره ولا يبالي بما تفوه ودل بما كان الكذب أحلى على جنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال لو عرفت حلاوتك به ما قارفته وقيل للكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق في قولي لما لقنتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عن سائر القبائح فيتبين نصب على الحال كقولك جاء زيد راكبا فإما روي أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله في الخروج إلى البدو ومعتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يبرحوا مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم أحد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين أغاروا على الذود وقتلوا الراعي وقيل هم قوم أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه مالكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا فكنتم فيهم فرقتين فاصبحتم ظاهرا وتفرقتم فيه فئتين ومالكم لم تبتوا القول بكفرهم والله أركسهم أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بإظهارهم كسبوا من ارتدادهم وكفرهم بالمشركين وإلحاقهم على رسول الله وأركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم أتريدون أن تهدوا أن تجعلوا من جملة المهتدين ومن أضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو وجد له حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني جاز والمعنى ودوا كفركم فتكونوا معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وإن آمنوا حتى يظاهروا إيمانهم بالهجرة صحيحة في سبيل الله ورسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها تبعة فإن تولوا عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وخانوهم مجانبة كلية وإن ذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقتلوا منهم إلا الذين يصلون استثنى من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون إلى قوم ينتهون إليهم ويتصلون بهم وعن ابن عباس هم بنو بكر بن زيد مناة كانوا عند هلال بن عويمر الأسلمي وكان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك أنه وادع وفد حين وجه إلى مكة هلال بن عويمر

الإسلامي او تسلطا ظاهرا حيث أخذتم في قتلهم وما كان لمؤمن ومما صح له ولا استقام ولا لاق
بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها أبدا غير قصاص الا خطأ
الا على وجه الخطأ فان قلت بم انتصب خطأ قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة
من العلل الا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الأحوال الا في حال الخطأ وأن
يكون صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ والمعنى ان من شان المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابدا الا
الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر
فاذا هو مسلم وقرئ خطأ بالمد وخطأ بوزن عمي بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن أبي ربيعة
وكان أخا أبي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فاشتمت
امه لا تأكل ولا تشرب ولا تأوي ولها سقف حتى رق لها ابو جهل ومعه الحرث بن زيد بن ابي
انيسة فاتياه وهو في أطم فنزل منه ابو جهل بالدرق والغارب وقال اليس محمد حث على صلة
الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى ترجع وذهب معهما فلما خرجا عن المدينة كتفاه وجلده
كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا اجلدك يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك
وقد مائة على امه فحلفت لترجعن كما فعل او لتدعن دينك ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحرث فلقيه
عياش بظهر قبا ولم يشعر باسلامه فحلى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله فقال
قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحرر العتيق
الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرايمها
وخير الوجه اكرمه موضع منه وقولهم للسيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة
عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم ملك كذا رأسا من الرقيق والمراد بالرقبة المؤمنة كل رقبة
كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت ولا
تجزي الصغيرة وقال عليه الشافعي رضي الله عنه كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخبر
نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا منها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد
الرق كاحياؤها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ومسلمة الى اهله مودات الى ورثته
يقسمونها كما يقسمون الميراث لا حق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منه الدين وتنفذ
الوصية واذا لم يبق وارثا فهو لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله
انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول لجماعة ورثته فطلب بعضهم

الا على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل
الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او حاربوكم لم تخلوا من أن تكونوا معطوفا
على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم
ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم و
الوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر انكفهم عن القتال احد شيئين
استحقاقهم لبقي التعرض عنهم وترك الانتفاع بهم فان قلت كل واحد من الاتصالين له تاثير
في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالممكافين
لان الاتصال بهولاء موهن لدخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون
قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالممكافين واحتلالهم بهم وحربهم على سنتهم قلت
موجبا ولكن الزمخشري اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة بيكم وبهم ميثاق جاءوكم حصرت
صدورهم بغير او وجهه ان يكون جاءوكم يا ما يصلون او بدلا او استينافا او صفة بعد
صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرا حصرة
صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف
اي او جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم بمعنى ضاقت صدورهم عن
مقاتلتين وانحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم
فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف
الله الرعب في قلوبهم ولو شاء المصلحة بها من ابتلاء ونحوه لم يقذف فكانوا متسلطين غير مكافين
فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم
والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين ما جعل الله
لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم سنجدون آخرين منهم قوم من اسد وغطفان
كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا والبامنوا المسلمين واذا رجعوا الى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين ارتكسوا فيها فلم يعتزلوا
فيها امروا به واستعيذ وكانوا شرا فيها من كل عدو وحيث تفقفتموهم حيث ثمكنتم منهم
سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم بالعمل

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما

قرئ بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم وليتنهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز

درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا

ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا

الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما

من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفين الكلابي فقال كتب الي رسول الله يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو لقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه كل معروف صدقة وقرأ ابي الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان تصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل ويجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفين كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث الفظيعة وقول ابن عباس مع التوبة

يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا

ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما تخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حيوة لمن تنادي فان قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر

عاد لكم عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله غفورا رحيما ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما

قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين للخروج وقد لا يكونون كذلك واما الولدان
فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من
جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز منتفيا في الولدان لا يتفكون عنه كانوا
خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال واما ان يراد المراهقون منهم
الذين عقلوا امر الحج والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء
البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة
للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان واتما جاز ذلك وان جمل نكرات لان الموصوف وان
كان فيه حرف التعريف فليس بشيء يعتد به كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني فان قلت
لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الحجة امر مضيق لا
توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف
بغيره من المراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل
والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال رغمت الرجل اذا فارقته
وهو كره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي كطود يلاذ بارکانه
عزيز المراغم والمذهب وقرئ مرغما قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وقبل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله
من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والجزم بالحمل على المعنى
فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط
فاذا وجد جنوبها وجبت الشمس سقطت قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك
واجب عليه وروي ان ضمرة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على
شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا
فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون
ما يتحكون بما ادرك هذا ما طلب فرجع بخجة لغير من دعي من طلب علم او حج او جهاد
او هاجر الى بلد فمات فيه طاعة او شاعة او زهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي حجة الى الله
ورسوله وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله الضرب في الارض هو السفر واذن في قدر
السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على التضب

ولا عبرة بما يقطع الصادب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام وليالين في يوم قصر ولو سار
مسيرة يوم في ثلثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رضي الله عنه ادنى مدة السفر اربعة برد وهي مسيرة يومين
وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام
افضل والى التخيير ذهب الشافعي رضي الله عنه وروي عن النبي صلى الله عليه انه اتم في السفر وقصر
وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت
يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب
علي وكان عمر رضي الله عنه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رحمه الله القصر في السفر عزيمة غير
رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم
وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر فان قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم القوا الاتمام مكانوا
مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفي عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر
وتطمئن اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ
الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلاة
ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال
والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف
بعد رسول الله حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة توارث عن رسول الله في
كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له منا ولكل امام يكون حاضرا الجماعة في حال
الخوف عليه ان يؤمهم كما امر رسول الله الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين
فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم وليأخذوا الحتهم
الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم
عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا
يعني غير المصلين من ورائكم فحرسوكم وصفة صلاة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي الامام
بالطائفة الاولى ركعة ان كانت صلاته ركعتين والا فركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو
وتاتي الاخرى فيصلي بها ركعة وتتم صلاته ثم تقف بازاء العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة

وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم

يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن
يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان
الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم
وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال
كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا
من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم
لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية
من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف
الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويروزون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من
القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فان قلت
كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على
المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بينه وتوريكه الذنب
على اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون
اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في
الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة
وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره
كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل
سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة
لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه فانما
يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة
او اثما او كبيرة ثم يرم به بريا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب
الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه
ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته
اي عصمته والطافه وما اوحي اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر
ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد
روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم
وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على

لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا

خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع
ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين
لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور
بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى
ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو
عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع
وعن النبي صلى الله عليه كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي
عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول
لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر
فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب
به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر
ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الآمر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل
الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن
به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن
سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من
الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها كما لا يجوز مخالفة الكتاب
والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط و
جعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله
واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختار ونصله جهنم وقرئ
ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا
يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء
شيخ من العرب الى رسول الله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا
منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي
عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه الا اناثا هي اللات

ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم
فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا
غرورا اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا
ومن اصدق من الله قيلا

والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه
انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم
الملائكة بنات الله وقرئ اناثا جمع اناث او اناث وونثا واثنا بالتخفيف والثقيل جمع
وثن كعود لك اسد واسد واسد وحلب الواو الفا حي اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها
اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على
عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنه الله وقال لاتخذن صفة من شيطانا
مريدا اجابة لعنه الله وهذا القول الشنيع نصا مفروضا مقطوعا واجبا فرضه
لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة
الى النار ولامنينهم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين
بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وليبتكن آذان الانعام
بالبحائر كانوا يبتكون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وحمى الحامي ذكرا وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقؤ عين الحامي واعفاؤه عن الركوب
وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند
ابي حنيفة تكره بترى الحيوان واما كهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم
وقيل نظرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول الخصاء فقال كذب عكرمة
هو دين الله وعن ابن مسعود الواشمة والمستوشمة وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات
المغيرات خلق الله وقيل الخصاء وعد الله حقا مصدر ان الاول مؤكد لنفسه والثاني
مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا تأكيد بليغ فان قلت ما فائدة هذه التوكيدات
قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنها به بوعد الله
الصادق واوليائه تهكما للعباد في اتباعهم ما يستخفون به تحذيرا ووعد الله على ما يحذرون
وقد اتبعه عضو اخلاف مواعيد الشيطان في ليس ضمير وعد اني ليس بنال ما وعد الله من
الثواب بامانيكم ولا بامانى اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لا تدلا تتمنى وعد الله الامن
آمن به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم لما ذكيهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والذي
نفسي في المسلمين يعني الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما
الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله

وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال
اهل الكتاب بيتنا قبل بيتكم ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم
ان كان الامر كما تزعم هو لاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لانهم بنوا مالا وولدا ان لي
عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما
معدودة وبعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله
من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحن من قوله
بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب
قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود
بالعمل وان من اصلح عمله نهو الفائز ومن اساء عمله نهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني
وحتم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نضح لا تعبد آذان ولا تلقى اليه الاذهان
والتاء نية لتبيين الابهام في من يعمل فان قلت كيف خص الصالحون انهم لا يظلمون وغيرهم
مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في لا يظلمون لعمال السوء وعمال
الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكر عند احد الفريقين والاعم ذكر عند الآخر لان كلي
الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولا ان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين
معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع الثواب
من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان تنقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دالا
على انه لا يقع نقصان في الفضل اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف
ربا ومعبودا سواه ومحسن وعامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من
ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي يختصاني سئل عن الاديان كلها
الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه
كرامة الخليل عند خليله والخليل المحال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او

ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا

يسايرك في طريقك من الحل وهو الطريق في الرمل او يسد ظلك كانسد خلله او يدا خلك
خلال مسايرلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعترضية لاجل
لها من الاعراب كنحو ما نجي آية الشعر من قولهم واحاديث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع
ملته لان من بلغ من الدنو عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته
ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلام بعث الى خليل الله
بمصر في ازمنة اصابت الناس مجاعة منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت
ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز على عمالته بطعام اليسة فلما وامنها العرايز حيا من الناس
فلما اخبر والا برهيم مساءه الخبر فحلبته عيناه وعمدت امرأته الى عرارة منها فاخرجت احش
جوارى واختبزت واستنبئه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض
فاطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شئ محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها
فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في
الكتاب في معنى البناء يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى مكون من قولك اعجبني
زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة و
المراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق
اليتامى من عظائم الامور المرجوعة الدرجات عند الله التي حقت مراعاتها والمحافظة
عليها والمخل بها ظالم منتهك ودين بما عظمه الله وحض في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب
لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن والقسم بما يتلى
عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلافه
من حيث اللفظ والمعنى فان قلت ما تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول
هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في
الوجهين الاخيرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت
اضافة بمعنى من كقولك عبدي يحيى عمامة وقرئ في يتامى النساء بالرفع على قلب يمنعونهن ايامى
لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل

منهم يتم اليتيمة الى نفسه وماله فان كانت جميلة ثريا تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن
التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن تحتملون ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن
لدمامتهن وروى ان عمر بن الخطاب كان اذا اجاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال
زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ومالها قال تزوجها فانت احق
بها والمستضعفين مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام
بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاولياء اي كانوا لا تنكحوا اليتامى
وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا
ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويشتوفوا لهم
حقوقهم ولا يخلوا احدا يهضمهم خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما رأت لها من محاسنه واثرته
والنشوز ان يجافي عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة وان
يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض
الاسباب من طعن في سن او دمامة او شئ في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير
ذلك فلا بأس بها في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا وخرج اصلح الصبر
في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له
نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كبرت ان يفارقها رسول
الله وخرجت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما ذوى ان امراة اراد ان يطلقها رد
لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وقسم لي في كل شهر
فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاخرها او وهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم
تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض
وسوء العشرة او هو خير من الحصومة في كل شئ او الصلح خير من الحبور كما ان الخصومة شر من
الشرور وهذه الجملة اعترض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضارها الا نفس الشح
ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا او لا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان
المراة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا
رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالمقام على نسائكم وان لا تميلوا عنهن واحببتم عشرتهن
وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما تؤدي الى الاذى والخصومة

وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا ان يطلقها ويتزوج غيرها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء بالقلب والمحبة فلا تميلوا كل الميل بالفعل والقسمة فتذروها كالمعلقة لا ايما ولا ذات بعل وان تصلحوا ما بينكم وتتقوا الجور فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات بآخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما

ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله

كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما

فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمر ان رحطان

الخارجي من آدم بني آدم وامرأته من احلهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله

فقال مالك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك ذكرت فشكرت

ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين

ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة

ولا نقصان فما الحامل لمن ضرع لذلك عليكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون

بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك

بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقسم بين نسائه

فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله

عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير

مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والافضال والمعاشرة

والمعانقة والموانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر باتي من ورايه فهو كالخارج من حد الاستطاعة

هذا اذا كن مجبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على

المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها حقها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل حتموم حد

البشر والسعة فلا تفرطوا فيه ان رفع سكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ

فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا رحلة او تطليق

او سلف ادبن ذاك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان

يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى

ازواج رسول الله بمال فقالت عائشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر بمثل هذا قالوا لا بعث

الى النساء بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله كان يعدل بيننا

في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لعائذ امراتان فاذا كان

عند احديهما لم يتوضا في بيت الاخرى فاتتاني الطاعون فدفنتا في قبر واحد وان تصلحوا

ما مضى من ظلمكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما تستقبل غفر الله لكم قرى وان يتفارقا يغن

الله كل واحد منهما سعته يغن الله كلا من زوجته زوجا خيرا من زوجه وغنى اهنا من

غنيه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا

وايانا عطف على الذين اوتوا والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا الا ان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم وخالقكم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال الله يوصي الله بها عباده ولستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها يالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملكة والتقلس من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض من تقرير الملكة الذي هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه ان يشا يذهبكم ان يشا اذهابكم يفنكم ويعدم منكم كما اوجدكم وانشاكم ويات باخرين ويوجد انسانا آخرين مكانكم او خلقا آخر من غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا اعضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله من العرب اي ان يشا يذهبكم ويات باناس آخرين من اليمن وروي انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه يده على ظهر سلمان وقال انهم قومك هذا يريد ايمانا فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه احقرهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كالشيء والمعنى عند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يعلق الجزاء بالشرط فحري ان يبتغيهما المخلص المحمدي

يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا

اقامة العدل حتى لا يجوروا اشهد الله تقيمون شهادتكم لوجه الله كما امرتم بادائها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اخي كذا ما معنى الشهادة على نفسه قلت الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا تمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغنى والفقير اي بالنظر لهما واراده مصلحتهما ولو ان الشهادة عليهما

ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث

من ذلك وقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفى للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد نفيها نفي ما يقتضيها وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا دينهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان امنوني عند عنهم وادونه حيث يبتدأ لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل الطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي تاب ثم رجع ثم تاب ثم رجع لا يكاد يخرج منه الثبات والغالب انه عوقب على شر حال واسمج صورة وقيل يعني اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين ثم الذين وكانوا يا تيلون الكفر ويوالون اليهود ويقولون بعضهم لبعض لا تبغوا امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاولياءه الذين نصب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم اي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم يستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كانهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذن مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونوا

فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا

مصلحة لهما الشارع بها لانه انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير وفي اولى بهما وكان حقه ان يوحد برأن قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا الا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يقصد به جنس الغنى وجنس الفقير كانه قيل ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهم وسيأتي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان الناقة ان تعدلوا لتحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعراضكم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا او بما تلوون وتعرضون محاذاتكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين معناه آمنوا ايمانا خالصا بقلوبكم لا ايمانا مشوبا بالنفاق او آمنوا ايمانا كاملا بالاخلاص في السر والعلانية او آمنوا ايمانا لا تزلزل بعده بالارتداد او آمنوا ايمانا ثابتا بالاستدلال والنظر او آمنوا بالله وبرسوله على الاول والثاني وبالكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل على الثالث والرابع ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا انما قال ذلك لان الكفر بالملائكة والكتب والرسل يؤدي الى الكفر بالله واليوم الآخر لان الكافر بواحد منها يكون جاحدا للباقي ومكذبا له فكأنه كفر بالكل فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق وطريق الهدى فان قلت لم قيل نزل على رسوله والمنزل اليه القرآن نزل قلت لان القرآن نزل منجما في عشرين سنة فكان ابتداء الانزال على الرسول فلذلك قيل نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل قرئ على البناء للمفعول فيهما وعلى البناء للفاعل فيهما وهو الله عز وجل ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفى للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد نفيها نفي ما يقتضيها وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا دينهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان امنوني عند عنهم وادونه حيث يبتدأ لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل الطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي تاب ثم رجع ثم تاب ثم رجع لا يكاد يخرج منه الثبات والغالب انه عوقب على شر حال واسمج صورة وقيل يعني اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم والذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين ثم الذين وكانوا يا تيلون الكفر ويوالون اليهود ويقولون بعضهم لبعض لا تبغوا امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاولياءه الذين نصب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ان اذا سمعتم اي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم يستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كانهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذن مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونوا

مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما

تعمدونا عمه وفتنه وعلش مقابل روى ابو زيد اذا اتت المراة الرجل اذا انكحها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابي اسحق ثم دعوتهم بتشديد ثم عن اعمالهم وبراءتهم كذلك مذبذبين اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن او براءتون اي برآءتهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون منهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمي به الرجوان اذا ان الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم او بمعنى يذبذبون كما صلصل وصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله مذبذبين وعن ابي جعفر مذبذبين بالذال غير المعجمة وكان المعنى اخذهم نار في ذبة ونار في ذبة فلبسوا ماضين على ذبة واحدة والذبة الطريقة ومنها ذبة فريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا مسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى هؤلاء ولا مسوبين الى هؤلاء فيستووا مشركين لا تتخذوا الكافرين اولياء لا تتشبهوا بالمنافقين اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء سلطانا حجة بينة على ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه حق عليك ان تخالص المؤمن الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بتكون الراء على الوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام واهله ومدالعتهم واضلوا اما افسد وامن اسرارهم واحوالهم في النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به فاخلصوا دينهم لله فصاروا من المؤمنين فاولئك مع المؤمنين وفيهم الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فسيثيبهم على ما يثيب به المؤمنين فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما نميمة من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه السلام من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذي يصف

ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا
عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا

والشكر الكف عن الاباء وهو ظهر في الجوارح والشكر للمنعم اصل المكلف من الاباء

الا سلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونكلمه بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه
فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح قد عم
وقلد واعطى بيعا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا
ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضرا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو المعنى الذي لا يجوز عليه
شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان تمم بشكر نعمه وآمنتم به فقد
ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بعقائدكم
وانياتكم فان قلت لم قدم الشكر على الايمان قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعم
العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن
به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر مقدما على الايمان وكانه اصل التكليف ومداره الا من ظلم
الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره
بما فيه من السوء وقيل هو ان يسب الضيف اذا لم يضفه ويقال للمضيف اذا لم يضف ضاف
رجل فيما فلم يطعمه فاصبح شاكيا فعتب على الشكاية فنزلت وقوى الا من ظلم على الاستثناء
للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا
كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو وبعض ما جاءني الا عمرو
ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ثم حث على العفو وان كان في مقابلة الجهر بالسوء وجوز ان يكون من ظلم مرفوعا
على الوجه الاول بمعنى الا من ظلم فانه يحب الله ان يجهر بسوء حاله حتى يدعو على ظالمه وجعله مخبوءا حثا على الاحتراز منه
والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابدا الخير واخفاءه تنبيها
للعفو على عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا
والدليل على ان العفو هو العرض المفصوص به ذكر ابدا الخير واخفائه قوله فان الله كان
عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل
الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وبعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله
ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى الجاء بين ذلك سبيلا ان يتخذ بينهما مذهبا وسطا بين
الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا
في القراءة وسوء ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا باتباعهم وسيطة بين الكفر والايمان وليس ذلك قالت
اولئك هم الكافرون حقا اي هم الثابتون الكفر حقا اكد مضمون الجملة لقولك هو عبد

ان لك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما
يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا
فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله

النصف

الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم
الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو
يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتها وجمعها
تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم الا ترى انك تقول ان بني فلان والابيات فلان فالمعنى
ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء سوف يؤتيهم
اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته
كونه مؤخرا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وعنانيا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كانوا بالى فلان وكانا
الى فلان بأتك رسول الله وقيل كانوا يعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت
قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفي آياتهم كفاية فقد سألوا موسى جوابا
لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند
السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى وبين النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسوء اعمالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى ارناه نره جهرة بظلمهم
بسبب سوء اعمالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما نال
ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا
للمشبهة ورشقا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واسعا لا ظاهرا عليهم حين
امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم فاطاعوا واجتنبوا بأنفسهم والسيوف تناظر
عليهم فبالكفر من سلطان مبين بينهم لبحا فوا فلا ينقضوه وقلنا لهم ادخلوا الطور
مسلطا عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم
سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه بقضوه بعد وقرى لا تعدوا ولا تعدوا
بادغام التاء في الدال فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت ثم تعلقت الباء
وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما
فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله
فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تخصيص ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا
بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان الحذوف

الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع
الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها
بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا
غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن
المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله
ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا
متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم
ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد
ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان قلت ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره
سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم
قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض
او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات
الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى
عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية
فان قلت كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة
والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه على
وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن
مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا
بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا روي ان رهطا من اليهود
سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني
وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله
بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي
فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى
والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم

انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه
به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى
الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند
الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن
استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد
وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف
يكونون شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة
فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم
انا قتلنا المسيح او تجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله
حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي
عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم
ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا
ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى
احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله اذا عاين قبل ان تزهق روحه
حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها
الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب
عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه
وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي ويقول للنصراني
اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه
قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ
ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له
ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادته اسم علي
لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه

ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبدا لله عليه انجارا واما اذا عطفهم على الضمير
في عبدا فقد طابق هذا السؤال قرئ يضجرهم بضم السين وكسرها وبالنون فان قيل
التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد قيل
مثل قولك جمع الامام الخوارج بين لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به
وصحة ذلك لو خير احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر
احدهما يدل على ذكر الثاني كاحذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين
آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وسوان الاحسان الى غيرهم مما بغتهم فكان داخلا في
جملة التكليف لهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبه بالجمرة اذا
رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله البرهان والنور المبين القرآن او اراد
بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المخفي
رحمة منه وفضل في ثواب يستحق وتفضل ونعمة يهم اليه الى عباده صراطا مستقيما
وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم روي انه اخر ما نزل من الاحكام كان
رسول الله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان اختاكم كان
آخذ من ميراثها ان مات وقد كان مريضا فعاده رسول الله فقال اني كلالة فكيف
اصنع في مالي فنزلت ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع
على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن ومسوغ
اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها
البنت الا في مذهب ابن عباس في الاخت التي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله
فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام
فلها السدس في ايد المواريث مستوى بينها وبين اخيها وميورثها واخوها يرثها ان قدر
الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ
دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فاني الاب تطرق الى الاسقاط فلم اقتصر
على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد وكل حكم انتفاء الولد الى بيان السنة وهو قوله
عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ولما
باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء

محل وجد حال من ضمير الفعل في استطل لا من ضمير الفعل في استطل لان ابن عصفور لا
يجيز وان يكون وجد حالا من الاب وهذا السؤال على ظاهر مذهبه لان ابن عصفور لا
يجيز وقوع الحال من المضاف اليه الا في ضرورة والمعنى لا يسقط الاخ الا ابن ذكر
ان الابن ذكر اي ليست بنت لان البنت لا تسقط الاخ الا في مذهب ابن عباس
فلو قال الا ابن ذكر لم يكن فيه فائدة وايضا فكان يقول المعنى لا يسقط الاخ الا ابن
ايضا يسقط الاخ بل الاب بل ابن الابن ولو قيل المعنى لا يسقط الاخ الا ابن ذكر
فلم اقتصر على ذكر الابن ولم يذكر الاب دون ابن الابن والجواب ان الاخ
الولد شامل لابن الابن الذكور من بنيه وهو حق وان مواريث الاخ ليس على
الولد من اصله الولد الذكور لابن ابن يسقط كل طبقة منهم كل اصناف الاخ
سواء كان الصواب ان يقول بين اشتراط اناث الولد وذكر اشتراط
الذكر، الولد الى السنة ولكن لما كان معنى كلامه بين انتفاء الولد وانتفاء
الولد ذكرا كان او انثى الذي هو اشتراط الولد ذكرا او انثى اشتراط
الولد من الجهتين اعني الكلالة والابوة بين الاولى من الاخ ولما
كان ذلك ان يقول بين حكم انتفاء الولد ذكرا او انثى اشتراط
من الجهتين اي لو قال بين حكم انتفاء الولد الى السنة وهو قوله
ليس بحكم لاحتمل ان الولد الذكر الابعد يحتمل ان يرث الكلالة

والله اعلم

الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث
عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما
دالا على انتفاء الآخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين
وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا
واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر
كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة
والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي
صلى الله عليه من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا و
اعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم
والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم
من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه وبما يتحاجون
من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه
كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات اربع في البر
والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من
الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا
ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش
ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب
فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت
لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله
وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد
وانتم محرمون لئلا يحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة
والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك

من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف
بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما أهدي
إلى البيت وتقرب به إلى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج
والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره
وآموا المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة
الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدثوا في شهر الحج ما يصدون به الناس
عن الحج وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما
أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة
التوصية بها لأنها أشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصا
والثاني أن ينهى عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا أن تحلوها كما قال ولا
يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما
قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وأن يرضى عنهم
أي لا تتعرضوا قوما هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا أن يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة
وعن النبي صلى الله عليه المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن
ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة
وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحدا عن
حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد
الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء
الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سداد من
دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفهم الله بظنهم وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام
على الإضافة وقرأ حميد بن قيس والأعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا
إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل فإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا
وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ وإذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل
جرم يجري مجرى كسب في تعديه إلى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته
ذنبا نحو كسبته إياه ويقال أجرمته ذنبا على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين كقولهم

اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين
والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض
وقرئ بسكون النون والمعنى لا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ
إن صدوكم على إن الشرطية وفي قراءة عبد الله إن يصدوكم ومعنى صدهم إياهم عن المسجد الحرام
منع أهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق
مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والإغضاء ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
على الانتقام والتشفي ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان فيتناول لعمومه
العفو والانتصار كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها و
الفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما أهل لغير الله به
أي رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها
حتى ماتت أو انخنقت بسبب والموقوذة التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت والتي تردت
من جبل أو في بئر فماتت والتي نطحتها أخرى فماتت بالنطح وما أكل السبع بعضه إلا ما ذكيتم إلا
ما أدركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة
وفي رواية عن أبي عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع وما ذبح على النصب
كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون
به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد قال الأعشى وذا النصب المنصوب لا تعبدنه
وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وأن تستقسموا بالأزلام وحرم عليكم
الاستقسام بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من
معاظم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها أمرني ربي وبعضها
غفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عودا
فمعنى الاستقسام بالأزلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم
الجزور على الأنصباء المعلومة ذلكم فسق الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم عليهم
لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت لم كان استقسام المسافر وغيره
بالأزلام لتعرف الحال فسقا قلت لأنه دخول في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب
وقال لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا وإلى استنباطه وقوله

اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم

ولم يرد به يوما بعينه وهي تدل على ان ما نزل متصلا بها من الطيبات

امر في دنياي واخراي او اعلم بما يصلحه واليه اشار بقوله امره ادناه والكينونة والمجون لهذه المشابهة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجلسونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم الذي بعد يومك وهو الآن في قوله الآن لما ابيض مسرتي وعضضت من نابي على اجذم وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا مخلين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوكم لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشوني واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم بفتح امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من يناوئهم الملك ووصلوا الى اغراضهم وما يهمهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والوقوف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا بمعنى اخترته لكم من بين الاديان وآذنكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن بمنع غير الاسلام دينا ان هذه امتكم امة واحدة قال ثلثا ثم اتصل قوله فمن اضطر قيل كرر ذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى المنية او الى غيرها في مخمصة فمن مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تواخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوا لان سؤالهم وقع عن المحللات لا عن المحرمات واحل لنا الكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم

يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب

من المطاعم كانهم حين نبئ عليهم ما حرم عليهم من خبائث المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او جعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والباز والشاهين والمكلب من ذوات الجوارح ومضرها بالصيد لصاحبها ودابتها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال سبع كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم ما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها ان يكون من علم الجوارح مجربا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكلب وتعلمونهن حال ثانية او استئناف وجملة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقل اهله علما واكبرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقايقه واذا احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل كان من اخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النجارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او تعليم من الجوارح ان تعلموهن من اتباع الصيد بامساك صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه لقوله عليه السلام للعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل وخرق الغالب فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكلب والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي ذر وابي هريرة رضي الله عنهم اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل قال ثلثا الراجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ارسلتموهن او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله طلب الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبايحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استفتي نصارى بني تغلب وقال لنبيعها على النصرانية ولم يأخذ وامنها الا ثمن الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس

بالبيع ايها لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة

وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة
وقال صاحباه هم صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا
ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ
الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم يصلي
فامر المجوسي ان يذكر الله ويذبح فلا بأس وقال ابو ثور وان امره بذلك في الصحة فلا بأس وقد
اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم
المحصنات الحرائر او العفائف وخصصهن بعد على الخبر المؤمنين لتطهم والامة من المسلمات نكاحها جائز
بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات
وخالفه الشافعي رضي الله عنه وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما
رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء لا مستحدي اخدان صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى
ومن يكفر بالايمان شرائع الاسلام وما احل الله وحرم اذا قمتم الى الصلوة كقوله واذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهو عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت
لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته
له وهي قصديه اليه وميله وخلوص داعيه فكأنه عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الاعمى
لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدر ان على الطيران والابصار ومنه قوله تعيد وعدا علينا
انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل
مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولاتجاز الكلام وهو
من افانين المسبب مقام السبب قولهم كاد يفعل عبر عن الفعل المبتدأ الذي هو سبب الجزاء
بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء
وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الآية توجب
الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت لعله ان يكون الامر للوجوب
فيكون الخطاب للمحدثين خاصة او ان يكون للندب وعن رسول الله والخلفاء بعده انهم كانوا
يتوضأون لكل صلاة وعن النبي صلى الله عليه من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات
وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات

فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين
الجنب يتوضأ واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم نكن نصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز
فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم فهو آت على وجه الاجتماع وهو على
وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان
الوضوء لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تقييد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في
الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار
علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخل غلة الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالين
معسرا وموسرا وكذلك اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال وفيه دليل على
الدخول فوكل حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قولهم
تعلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لو قوع العلم بانه لا يشرع الى بيت المقدس من غير ان
يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط
فحكموا بادخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمنتفي فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه انه
كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤوسكم المراد الصاق المسح بالرأس وبياح بعضه ومسيئ عبه
دلت الباء على ان المسح كلاما ملصق للمسح براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على
اختلاف الروايتين واخذ الشافعي رضي الله عنه بالبيقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة
بالبيان لان رسول الله وصحابه روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس فرأى جماعة
وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فالتسبع بقراءة الجر ودخولها
في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلثة المغسولة خصت الآلة عليها فكانت مظنة
للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب
الاقتصاد في صب الآلة عليها وقيل الى الكعبين جئ بالغاية اياطة لظن ظان حسبها ممسوحة
لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فئية من قريش فراى
في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا وبدلكونها
دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله فتوضأ قوم واعقابهم تلوح فقال ويل للاعقاب
من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه راى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه
فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي
من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله مسح

على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين
وروي عن الشعبي نزل القران بالمسح والغسل سنة وقرا الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم
مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي
قراءة عبد الله فاموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص
لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم
برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي
نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على
المسلمين حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا
وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدي يجرمنكم بحرف
الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون قوله ان تعتدوا بمعنى
على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ
شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل
فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من
مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى
نهاهم اولا ان يحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا
وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل
اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه
عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان لهذه الصفة من القوة فما
الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد
بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر
عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه
ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على
نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم
مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون
به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب روي ان المشركين

وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم

راوا رسول الله واصحابه قاموا الى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي امار
فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم
يعنون صلاة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا لها فنزل جبريل بصلوة الخوف وروي
ان رسول الله اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم اجلس حتى نطعمك و
نقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها
عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه
يستظلون بها فعلق رسول الله سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله ثم اقبل
عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله باصحابه
فاخبرهم وابى ان يعاقب يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به
ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى
الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها ان تمد اليكم
لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض
الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا
اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا
على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل
وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا
اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام
ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط
افرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش
عنها كما يقال له عريف لانه يتعرفها اني معكم اي ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم
ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد
وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتازير من واد
واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان
والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم

نقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير واذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم مالم يؤت احدا من العالمين
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها
فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما

الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا فقد جاءكم مستأنف بزوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل بين
عيسى ومحمد صلى الله عليهما خمسمائة وبضع سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة وبضع وسبعون عن
الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف بني وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء تلك من بني
اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العنسي والمعنى ان من شأن عليهم وان الرسول بعث اليهم
حين انطمست آثار الوحي اخرج ما كانوا يونس الله اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح
باب الرحمة ونكر منهم الجحة فلا يقتلوا عدا بانه لم يرسل اليهم من شبههم عن غفلتهم جعل فيكم
انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون
ملكه وبعد الجبابرة وملكهم ولان الملوك كانوا يسمون انبياءهم وقيل كانوا اناسا ملوكين في ايدي
القبط فانقذهم الله حتى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ما يجاره وقيل من له بيت
وخادم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال ويخلي الشاق مما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام
وقيل اراد اناسا في زمانهم الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل
الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لهم ميراثا لولده حين رفع
عن الجبل فضل له انظر فلك كما اذ ارك ابصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن الى ان مسخ
كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط لكم اللوح انها لكم ولا تزهدوا على ادباركم ولا تنكصوا
على اعقابكم مدبرين من هوب الجبابرة جبنا وهلعا قبل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة وقعوا
اضواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا لعا لنا نجعل علينا رايسا ينصرف بنا الى مصر
ونخوفوا ان لم ترتدوا على ادباركم في دينكم فتحالفكم امورنا بكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا
خاسرين ثواب الدنيا والاخرة الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي
الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون
الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو في بني اسرائيل والراجع الى الموصول
محذوف تقديره من الذين يخافهم هو اسرائيل منهم الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما
بالايمان فاسلما لانهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وارجعوا اليهم فانكم
غالبوهم بتحيطهم على ظاهم وقرأ من قرأ يخافون بالضم شاهده له وكذلك انعم الله عليهما
كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكير والموعظة

ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

اوجبوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا

أو نخوفهم وعيد الله بالعقاب فان قلت ما محل انعم الله عليهما قلت ان الظاهر مع قوله من
الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان مرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له فان قلت
من ابن علما انهم غالبون قلت من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة
الظن وما نبتا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدائه وما
عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم لان دخولها في المستقبل على وجه التأكيد
الموبس ابدا النفيس للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما دامو افيها بيان للابد فاذهب انت وربك
تحتمل ان لا يقصد واحقيقة الذهاب ولكن كانوا قيل كلمه فذهب يجيئني زيد بمعنى الارادة والقصد
للجواب كانهم قالوا ارتدادا منهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة
بهما واستهتارا قصدوا ذهابهما حقيقة لجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل
وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابها بقعودهم وحكى ان موسى ومن
حز الوجوه معهما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فتموا بينهما ولامرهما قرن الله اليهود بالمشركين
وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا تمردوا
عليه وخالفوه وقالوا اما فالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يشبه الا هرون
عليه اللعم قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله
والحزم ورقة القلب التي عنها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة وهو قول يعقوب عليه
اللعم انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة
الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فنفس الصعداء ودعا لهما وقال ابين تقعان مما اريد وذكر
في اعراب اخي وجهين ان يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في اني بمعنى ولا املك الا نفسي واخي
اخي لا املك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك
لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف
لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار فان قلت اما كان معه الرجلان المذكوران
قلت كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال
الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكرا الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره وجوز ان
يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقبيلا لمن يوافقه وجوز ان يريد ومن يواخيني على
ديني فاحذف لدلالة ما فصل بينهما عليه فاحكم بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون ومعنى الدعاء عليهم

قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين

ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا
من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها
ولا يهلكونها فان قلت كيف توفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان
احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم
والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي
ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله
ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة
فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبني
اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت
نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما
يتيهون ومعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة
التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا
سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود
من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود
كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فان قلت فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره
وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل على العصاة عزكا لهم وعليهم مع ذلك النعمة
متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع
عنه معروفه واحسانه فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت
اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما
وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة
العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا
بعد موته بثلثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن
عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم
هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر
وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليه اخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار

فمن ايكما قبل زوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا
وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ
ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين
واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق
واذ قربا نصب بالنبأ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اي
اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله
من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها
لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرب القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب
فان قلت كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك قلت
لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت
من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك
ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان
وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين
اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت
قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قيل
كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان
الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له
ولا تزر وازرة وزر اخرى قلت المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول
قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل
غيره ونحوه قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان
البادي عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط
عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله ما لم يعتد
المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم فان قلت فحين كف هابيل
عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه

مثله فيجتمع عليه الاثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد
ان تبوا بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك
فان قلت فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء
الظالم حسن جائز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز
ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق
العقاب فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن
بسطت ما انا بباسط قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك
اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من طاع له
المرتع اذا اتسع وقرا الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان
يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط
كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا روي انه اول قتيل قتل على وجه
الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب
على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت وروي انه لما قتله
اسود جسده وكان ابيض فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته
ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو
كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه الله او ليريه
الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه
عورة اخيه وما لا يجوز ان يتكشف عن جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال
بالقوم للسوأة السوآء اي للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها فاواري بالنصب على جواب
الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على التسكين في موضع النصب للتخفيف من
النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب
واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته و
قيل اصله من اجل شرا اذا جناه باجله اجلا ومنه قوله ۞ واهل خباء صالح ذات بينهم ۞
۞ قد احتربوا في عاجل اناجله ۞

من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا

كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك
فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك القتل الكتب
وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتدأ الكتب ونشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا
لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فصلكم وقرئ
من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرا ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي
لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسرة الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص
او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن احياها
ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او غير ذلك فان قلت كيف
شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة
على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق
اذن بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل
النفس واحيائها في القلوب ليتميز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها
لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه
وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب
العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارايت لو قتلت الناس جميعا
اكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك والشيطان
فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون
يعني في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين
في حكم محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق
الفساد نزل منزلة ويفسدون في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا
له اي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله عهد وقد مر بهم قوم
يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحي اليه ان من جمع بين القتل واخذ
المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله
لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما
ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ

قال ابو حنيفة ومحمد يضرب حدا ويطرح حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا
المال او يقتلوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام
مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه
النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب ويهرب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك
وهو بلد في اقصى تهامة وناحية وهو من بلاد الحبشة جزى ذل وفضيحة الا الذين تابوا
استثنى من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء
ان شاءوا عفوا وان شاءوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاء تائبا بعد ما
كان يقطع الطريق فنزلت توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به اي يتقرب من
قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي
وابتغوا اليه اي اطلبوا ما يوصلكم اليه من الاعمال الدنيا وهو ما يتقرب به الى الله واصل
يجعلون فداء انفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه قاعن
النبي صلى الله عليه يقال للكافر يوم القيمة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت اليسر من ذلك ولو مع ما هو خير منه ان ملء وحد الراجع
الى قوله ليفتدوا به وقد ذكر سيبويه ان قوله فاني وفيا انها العرب او على اجراء
الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد
المرجوع اليه ان ملء بتأنيث المفعول معه قلت بما يسند عيه لو من الفعل لان التقدير
لو ثبت ان لهم ما في الارض قرا ابو وايدا ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة
قولهم خارجين وما هم بخارجي عن علقمة ان تابعيا من الازد قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب
تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك انزلت هذا
هذا للكفار فما تقنئه المجبرة وليس بدال كما ذهبوا وهواهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق
ابن عم رسول الله وسوء ادبه اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو جبر
الامة وحبرها بالخطاب الذي لا يجترىء على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين
ناصعين اذ الحديث فوته بما فيها مرتبة والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف
عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان
يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما دخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي

فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين

سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن الشرط وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفصلوا
سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما
ونحوه وقد ضعف فالوجه الكثير بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف وايديا بالياء بين البناءين
بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق
من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي تجب به القطع عشرة دراهم
عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي رضي الله عنهم ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه
احذر من قطع يدك في درهم جزأ ولا لا معقول لهما من ثاب من السرقة من بعد ظلمه من بعد
سرقته واصلح امره بالتنصل عن الشعاب فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة
واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي رضي الله عنه في احد قوليه
تسقطه من بشاء من يجب في اكلة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط
حد الحرابة اذا سرق بالتوبة ليكون اداعي له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقط
عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمن والحماقوكم في القصاص حياة فان قلت لم قدم
التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل به ذلك لان تقدم السرقة على التوبة قوي لا خير ترك بعض
الياء ويسرعون والمعنى لا يهمهم ولا يبالي مسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهارهم بافواههم
منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع
فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم
وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وآمنا فاعلهم
متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم
سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريق
او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب
على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون
لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله وتجافوا عنه لما انطوت
عليه من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المقرطين في
العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله لاجل ان يكذبوا
عليه بان يسمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول

الله لا جل ان كذبوا عليه بان مسخ اما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير
عامدون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهنوم عيونا ليبلغوا ما سمعوا منه وقبل
انهم سماعون بمعنى مطيعة والقوم الآخرون يهود خيبر لم يحضروا مجلس الكلام يسلونه بغير مواضع
بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق
واعلموا به وان لم تؤتوه واحذروا منه فاحذروا واياكم ومحمد بخلافه فاحذروا واياه فهو الباطل والضلال
وروي ان نفرا من خيبر زنى فيهم وكانوا محصنين وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا
رجمهما لشرفهما فبعثوا اربعة منهم الى يثربة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا ان
امرنا بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا واسألوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم
فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد
ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وما اعلم اليهودي على وجه الارض
ورضوا به حكما فقال له رسول الله انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع
فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وجلاله وحرامه
هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفض ان كذبته
ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا
اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله
بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم من الطائف ما يظهر به قلوب المؤمنين لانهم ليسوا من اهلها بعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان
الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
كذبا لا يخل كسبه وهو من سحته اذا استأصله لانه مستوجب المركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا
والربا يات منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر
من سحته والسحت بضمتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الاحكام وتحليل
الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها
اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى وجهه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان
عاملا قدم من عمله فحاسبه فقدم اليه الغرامة وجعل يخدمهم بما جرى له في عمله فقال

لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم عذاب عظيم

ان لم تؤتوه فاحذروا

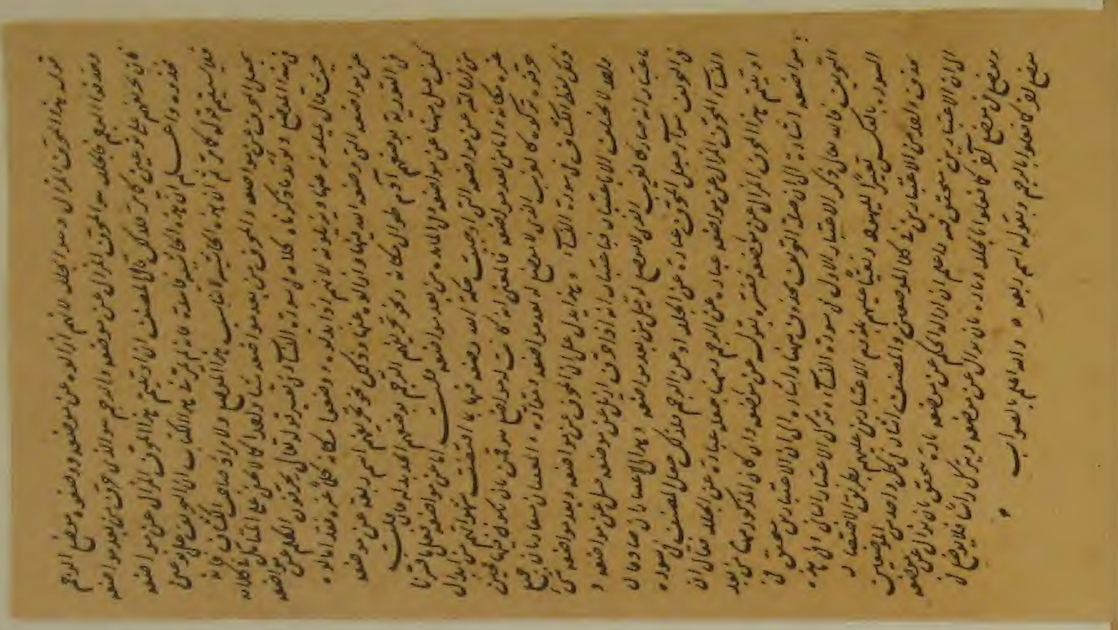
فوله ياايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين

سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين
وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا
للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآيات الله ثمنا قليلا

اعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه كل لحم
انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب
بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين
فان شاؤوا حكموا وان شاؤوا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند
ابي حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة او سرق
من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون الحدود عليهم يذهبون الى انهم
قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه رجم اليهوديين
قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون
عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم و
كانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فآمن الله سربه بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم
وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي
يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما
في كتابهم الذين يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك
الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك
بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب قلت
اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك
وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم
عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره فان قلت
لم انثت التوراة قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب فان قلت
علام عطف ثم يتولون قلت على يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما اشتبه
من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم
سبحانه لا للتفصيلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام
التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا
للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين
التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم

حفظه من التوراة اى بسبب سؤال انبيآئهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن
من كتاب الله للنبيين وكانوا عليه شهدآء رقبا للا يبدل والمعنى يحكم باحكام التوراة النبيون
بنو موسى وعيسى الذين هادوا واخلصوهم على احكام التوراة لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل
رسول الله من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وآبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم
الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضآء بها حكام
وبسبب كونهم عليه شهدآء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار
جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اى كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهدآء فلا تخشوا الناس
نهى للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وآدابهم بنيابة وامضآئها على خلاف ما امروا
به من العدل خشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من الفريقين والاصدقاء ولا تشتروا
ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا آيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغآء الجاه
وبعض الناس كاحرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا
للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حيث ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا
بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين في اهل الكتاب وعنه بهم اثنهم ما
كان من حيلو فلكم وما كان من شرهم فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر
فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى
وعن ابن مسعود مثله وعامة في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انهم اشبه الامم بني اسرائيل
لن كسر قطر بقم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا
في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوف والمعطوف عليه
منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس
بالنفس اجرآء لكتبنا مجرى قلنا واما الان معنى الجملة التي هي قولك النفس النفس ما يقع عليه
الكتب لا يقع عليه القراءة نقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج
لو قرئ النفس بالكسر لكان صحيحا والاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس مأخوذة
بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو

من تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق

القاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقبلون
الرجل المرآة فنزلت ومن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالمتصدق
به كفارة للمتصدق بكفر الله من يتابه ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن
عمرو تهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا اخلى وعنه صاحب
الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارة له يعني فالمتصدق كفارته له اي
الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في
العفو تقيئه مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال تقيئه بفلان وعقبه به فتعديه الى
الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف والظرف
الذي هو على آثارهم كالسادّ مسدّه لانه اذا فقي به على اثره فقد فقي به آباءه والضمير في
آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجل بفتح الهمزة عطف ص
فان صح فلانه اعجمي خرج بعجمته عن زنات العربية كاخرج هابيل واجر ومصدقا على
محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال لقوله مصدقا
وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجل ليحكم
بما انزل الله فيه من الاحكام فان قلت فان تممت هدى وموعظة في ملك مصدقا فما تصنع
بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروى
في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع اللام على ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه
قيل وآتيناه الانجل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى صلوات الله عليه كان متعبدا
بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة
فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله للذين بين يديه من
الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى
جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق
وانما اريد نوع معلوم منه ومعوما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ودليلا على سائر

الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اى هو من عليه بان حفظه
من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذى هيمن عليه الله
عز وجل او الحفاظ فى كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لنبه عليه كل احد
ولا تشاؤ وا ارادين منكر بين ممن ولا تتبع معنى ولا تنحرف عليك لكل عدى عن كما تقول جاءك من اجل هذا
الناس شرعة ومنهاجا طريقا واضحا فى الدين يخرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع
من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوى امة واحدة اى
دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها
مذعنين معتقدين انها مصالح فدا اختلف على حسب الاحوال والاوقات مغبرين بان الله لم
يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تشعرون الشيء وتغيير طورة بالعمل بالمنسوخ
الخيرات فابتدروها وتسابقوا اليها مرجعكم استيناف فى معنى التعليل لوجوب المسابقة
فى العمل فانبئكم وازاحكم بينهم معطوف على ما اذا قلت على الكتاب فى قوله وانزلنا
اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك الكتاب ان احكم على ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر
الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ان تفتنوك عن بعض ما
انزل الله اليك ان يصدوك عنه ويستهوك لئلا وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا
وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود واتا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك وتصدقك فابى ذلك
وسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا اعراضا فاعلم انما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم بعض تولهم عن حكم الله وارادة خلافه فوضع بعض ذنوبهم
موضع ذلك وارادان لهم ذنوبا كثيرة العدد وان هذين مع عظمه بعضها واحد
منها وهذا ايهام لتعظيم التولى واستبشارهم فى ارتكابه وفى البعض هذا الكلام مأخوذ
قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا
الايهام كما قال نفسا كبيرة ونفسا اى نفس فكما ان التنكير يعطى معنى التكثير وهنا معنى البعضية

وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم
ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة
فلذلك اذا اصر بالبعض لها يقولون لمن ردون فيه الكفر متعمدون فيه يعنى ان التولى عن
حكم الله من التمرد العظيم والاعراض الى الكفر الحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان توليهم
والتفسير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القبائل وروى ان رسول
الله صلى الله عليه قال لهم القتلى وما احق هو التفسير فلم لا نرضى بذلك فنزلت والثانى ان
يكون تغييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التى هى سوى وحمل
لا يعتمد عن كتاب ولا يرجع الى وحى من الله وعن الحسن هو عام فى كل من يبتغى غير حكم الله و
احكم حكما حكم يعلم هو حكم الله وحكم يجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل
بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ يبغون بالتاء والياء وقرأ السلمى افحكم الجاهلية
يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن
الصلة فى اهذا الذى بعث الله وعن الصفة فى الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن
الحال فى مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذى يبغونه
انما يحكم به اتبعا لهوى انفسهم وتنظيرا من حكام الجاهلية فاراد وابسبهم ان يكون محمد حاكم النبيين
حكما كاولئك الحكام اللام فى قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام فى هيت لك اى هذا الحطاب
وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا احد اعدل من الله ولا احسن حكما منه
لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتوالونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض اى انما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد
ملتهم واجتماعهم فى الكفر فمالمن دينه خلاف دينهم ولولاية بينهم ومن يتولهم منكم فانه من
جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين
واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه لا ترائى ناراهما ومنه قول عمر رضى الله عنه لابى
موسى فى كاتبه النصرانى لا تكرمهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا
تدنوهم اذ اقصاهم الله وروى انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال مات
النصرانى والسلام يعنى هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة و
استغن عنه بغيره ان الله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة و
يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم يسارعون فيهم يتكلمون فى موالاتهم ويرغبون
فيها ويعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دايرة من دوائر الزمان اى صرف من صروفه

فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا ايها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه

ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان يكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب عطفا على ان يأتي وبالرفع على انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجبا من سوء حالهم قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله الى معاذ بن جبل وسادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ

فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم

وكتب الى رسول الله صلى الله عليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي وفي اسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلد الروم بعد اسلامه فسوف يأتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة السفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب

ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون

صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة
وانما نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه كان
مر جالا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل يفسد عمله صلاته فان قلت كيف صح ان
يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان
السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فنالوا مثل ثوابه وليتبه على ان
محبة المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء
حتى ان لا يتهم امر بفضل التأخير وهم في الصلاة لم يوخروه الى الفراغ منها فان حزب الله
من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون لكنهم بذلك جعلوا اعلاما لهم
حزب الله واصل الحزب القوم المجتمعون لامر حزبهم ونخلهم ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين
ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتصد بمن لا يغالب ذوى ان رفاعة بن زيد
وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان
اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان تقابلوا باتخاذكم اياهم اولياء بل تقابلون ذلك بالبغضاء والشنآن
والمائدة وفصل المشهور ان قال الكلبي اراد بالكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل
عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وبعضد قراءة الجر
قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا فان الايمان
حقا يأبى موالاة اعداء الدين اتخذوها الضمير للصلاة او للمناداة قيل كان رجل من النصارى
بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الكاذب فدخلت خادمة
بنار ذات ليلة ونيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق ما
اهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان العقل
وصف هم من افعال السفهاء والجملة فكانه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والصحيح
كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون
فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف
على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان
كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث ادخلتم في دين الاسلام وانتم خارجون منه
ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاداتكم فاسقون ومنها ان يعطف على

شرطه ان تلحقه سكرات الحية فاذا لم يكن ذلك لم تكن به خفيفة فان قلت ان الراجع
من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم
او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل
الذي هو نقيض الصعوبة فقد عبى عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين
اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل
عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع تذللهم وعلو طبقتهم وفضلهم على
المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحو قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وتوى اذلة
واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يجوز ان يكون الواو للحال على انهم مجاهدون
وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنة فاذا خرجوا الى
جيش المؤمنين خافوا ان تدور عليهم دائرة فلا يغزون شيئا مما يغزون اراد ان لطفهم فيه لوم من جهتهم
واما المؤمنون فكانوا مجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان يكون للعطف
على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا تيرعوا في امر من امور الدين
انكروه ولم يراقبوا فيه مصنوعا كالمسامير المحماة لا يرتدعهم قول قائل ولا اعتراض معترض
ولومة لائم يتوقى عليه جدتهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم وفي
التنكير مبالغة كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى الوصف
به الفوج من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء
ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن يؤتى من اهلها عقب النهي عن
موالاة من نحن معادا انهم ذكر من يجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا وهي
انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت فقد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت
اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلكه اثباتها له اثباتا
لرسوله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في
الكلام اصل ونبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت
الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تعريض
للخلص من الذين آمنوا نفاقا او وراثات فلعلهم ليسوا انهم مفرطون في الغلو في امر الكفر
الواو فيه للحال اي يفعلون ذلك في حال الركوع وهو الخضوع والانحناء والتواضع لله اذا

Ahmet Hamdi

قال بل انتم شر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القرد والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل

المجرور اى ما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اى وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم وانما عم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروى انه اتى رسول الله صلى الله عليه نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا فى الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن يعقوب من يبسره وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان منصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اى وما تنقمون ان اكثركم فاسقون او مرتفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المذموم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره شر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه فى محل الرفع على قولك مررت لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او فى محل الجر على البدل من شر وروى مثوبة ومثالها مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاز فى الاساءة قلت وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله فحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم فى العقوبة قلت كان اليهود لعنوا بتمرنهم على المعاصى وكان المسلمين صالحون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة فى الحقيقة والبغض من افعال الاسلام فى عكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفى قراءة ابى وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبد وا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدى وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو فى العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ فى الحذر والفطنة قال ابى لبنى ان امكم امة وان اباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد يضمتين جمع عبيد وعبد بوزن كرم وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم فى جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على التأويل المفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر معطوفا على من لعنه الله قال قلت

كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوه والثانى انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت الجبل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم لاجله ما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضى الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا فى معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروى انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فيكسون رؤوسهم اولئك الملعونون الممسوخون شرا مكانا جعلت الشرارة للمكان وهى لاهله وفيه بيان لقوله ليستوين فى قولك اولئك شر واضل لدخوله فى باب الكناية التى هى احد المجازين نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه ويظهرون له الايمان نفاقا فاخبر الله بنفاقهم واتيهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شئ مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وهو بالكفر وبه حالان اى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا بهم قد خرجوا والذى دخلت قد تقرب الماضى من الحال ومعنى آخر ويجوز ان اماراب النفاق كائنة لا تخفى عليهم فكان رسول الله متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا امنا اى قالوا ذلك وهم حائمون الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما اختص بهم والعدوان ما تعداهم الى غيرهم والمسارعة فى الشئ الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا آثم من مرتكبى المناكير لان كل عامل لا بسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب ويتسبب اليه وكان المعنى فى ذلك ان مواقع المعصية معدة الشهوة التى تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذى ينهاه فلا شهوة معه فى فعل غيره فاذا فرط فى الانكار كان اشد حالا من الوقاع والعمى ان هذه الآية ما يقدر السامع وبنى على العلماء لانهم وعن ابن عباس رضى الله عنه هى اشد آية فى القرآن وعن الضحاك ما فى القرآن آية اخوف عندى منها غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والقصد من تكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله فى ذلك لا يعطى عطاء قط ولا يمنعه الا بانثاره من غير

Marginalia and boilerplate

استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا انما ابسط يده بالنوال
لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متقابلتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد
كقوله جاد الحمى بسطا اليدين بوابل شكرت بداه بلاءه وهداه ولقد جعل لليد الشمال يدا
في قوله اذا صحت يد الشمال زمانها ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت اليأس الذي
مؤمن المعاني لا من الاعيان كقان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن حجة الصواب في تاويل
امثال هذه الآية ولم يخلص من يد الطاعن اذا اعتقد به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مخلوقة
عبارة عن البخل فما صنع بقوله علت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما قدمه والتنافر الكلام وزلله
عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله
وانكدهم ونحو بيت الاشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بعلل
الايدي حقيقة فتكون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطبان من حيث
اللفظ وملاحظة اصل المجاز كالقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع
فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء
بالخذلان الذي تفضي به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم وهو مستعبد عن
البخل والنكد من نصوص العداوة بهم وسوء الاحدوثة التي خزيهم وتمزق اعراضهم فان قلت
لم عنت اليد في يد الله مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم
وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي
بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقوي ولغوا بسكون العين وفي مصحف
عبد الله بل يداه نسطان يقال بسط يده بسط بالمعروف ونحو هشه يهش ونافة سرح بسفق كيف
يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا يشوبه الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله
كان بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وكذبوه
كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة عند ذلك قال فنحاص بن عازوراء الله مغلولة ورضي
بقوله الآخرون ما شكوا فيه ويزيدون عند نزول القرآن لحسدهم تمادوا في البخل
وكفروا بآيات الله والفى بينهم العداوة فكلما اذا خالف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا
تعاضد كلما اوقدوا نارا لحرب اراد الله اخمادها غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط
وقد اناسم الاسلام ومن ملك الحيرة قبل خالفوا حكم النوائح فنعت الله عليهم فخذت نصرة

ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته

ثم افسدوا فسلط عليهم فطوس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط
عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود بلدة الا وجدتهم
من اذل الناس ويتعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحوذكر رسول الله من كتبهم والوان
اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقووا ايمانهم بالتقوى
التي هي الشرط في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع
المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم محاص اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة
رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود
والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا لمن دان
الاكتاب ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامها وحدودها وما فيهما من نعت
رسول الله وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم
قبل يؤمن القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد اخطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه تلتة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء والارض
وان يكثر الزيتون والثمرة والزروع المغلة وان يرد ثمر اشجانهم البائعة الثمار المجنون ما لهذل
منها من دوس الشجر والتقاط ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة
حالها امم في عداوة رسول الله وقيل الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه و
ثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء عملهم
وقيل نزلت في كعب بن الاشرف واصحابه والروم تبلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء
انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان مالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه
كما امرتك فما بلغت رسالته وفي رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات والتوقي
منها شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك لم تؤد
اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لان الكل منها بايذاء غيرها وكونها
لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه
انه لما نزلت هذه الآية قصفت بها دعاقا وحي الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وكان يحرسه
العصمة فقوله فان قلت ووقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء الشرط ما وجه صحته قلت

فيه وجهان احدهما انه اذا لم يفعل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبلغ رسولا كان
امرا شنيعا وخطبا فظيعا فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شئ وان كلمة واحدة فانت كمن كتم الامر
الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني انه اراد فان
لم تفعل ذلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله
عليه السلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عدتك والله يعصمك عدة من الله بالحفظ والكلاءة
والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عدرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد
شج في وجهه يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان
يحتمل كل مادون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد
والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين معناه انه لا يمكنهم مما يريدون ازالة
بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله ﷺ حتى نزلت فاخرج راسه من قبة آدم فقال انصرفوا
ايها الناس فقد عصمني الله من الناس ليسوا على شئ على دين لا اعتد به حتى يقيموا شيئا لقاده و
نظلانه لا تقول هذا ليس شئ تريد تحقيره وتصغير شانه وفي اناتهم اقل من لا شئ فلا تاس فلا
تاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها
كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا حكمهم كذا والصابئون كذلك والذي سوغه شاهد له
والا فاعلوا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلوا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت
فلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر
لانقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية به التاخير وكانك قلت ان زيدا
منطلق وعمرو قلت لو اريد ذلك لوجب رفعه عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلها هو
الابتداء اصحيح ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء استنظم الجزاء بشرطه كما استنظمها ان في عملها
فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لوجب عملهما متهاوتين
متناقض فان قلت فقوله والصابئون مخفوض لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت
موضع جزء المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما
لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما النكتة في التقديم والتاخير الا فائدة هذا التنقيب
قلت فائدة التنبيه على ان الصابئين بتلك السبيل ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فالطف

هذه رقمة وقعت الخبر بان الخ الظاهر حذف فائدة التقديم والتاخير هنا
قوله لا يصح هنا اي الصابئون والاخبر هنا بدون ان المكدة في الخبر غير المكدة في المبتدا وقد
عرفت ان التقديم يفيد الحكم على المؤخر بالمقدم فيكون خبر المكدة للمبتدا والمؤخر للاسم
المكدة وخبر ان للاسم المكدة وانما يصح ان لو كان خبر المكدة للمبتدا والمؤخر للاسم
وليس كذلك فتدبر منه سامحه الله تعالى

من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول
بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون

بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا
لانهم صبأوا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين
اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه
في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين واياكم
لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه
وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام
فان قلت كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين آمنوا
الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم
تخالجه ريبة فيه فان قلت فما محل من آمن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف
عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان
وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت محذوف
تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة
كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير
وقرأ عبد الله يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد
وارسلنا اليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية
وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم
ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع فان قلت اين جواب الشرط فان قوله
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا
يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك اكرمت قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا
كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا
جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا
وبالآخر مضارعا قلت جيء بيقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل و
استحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها قرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع
على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان فان قلت

ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

الرسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاءوا بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ارادوا الله الا ترى الى قوله تعالى
واحيا الموتى باذن الله فقد احيا العصى وجعلها حية تسعى وملأ البحر وطمس على يد موسى وان خلقه
من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه صديقة اى وما امه ايضا الا كبعض النساء
المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما مزية لها الا منزلة بنت من احدهما اختى والاخر محابى
فمن اشبه عليكم امرهما حتى وصفتهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا
تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح بعد هذا عما تشبث اليه فى قوله كانا
يأكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنقض لم يكن
الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة وغيرها وغير ذلك
مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام كيف يتبين لهم الآيات اى الاعلام من
الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فان قلت
ما معنى التراخى فى قوله ثم انظر قلت معناه ما بين العجبين يعنى انه بين لهم الآيات بيانا عجبا
وان اعراضهم عنها اعجب منه مالهم كذا هو عيسى اى شيء لا يستطيع ان يضركم مثل ما يضركم به
الله من البلايا والمصايب فى الانفس والاموال ولا ان ينفعكم مثل ما ينفعكم به من صحة الابدان
والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبأقدار الله وتمكينه
فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع
ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو
السميع العليم متعلق بما تعبدون الى آخره اى هو الذى يسمع ما تقولون و
يعلم ما تعقدون او تعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذى يصح منه ان يسمع كل مسموع
ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حى قادر غير الحى صفة للمصدر اى لا تغلوا
فى دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا لان الغلو فى الدين غلوان حق وهو ان يتعرض عن
حقايقه ويفتش عن اباعد معانيه ويجتهد فى تحصيل حجه كما يفعل المتكلمون من اهل
العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض
عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم فى النصرانية
كانوا على الضلال قبل مبعث النبى صلى الله عليه واضلوا كثيرا ممن تابعهم على التثليث وضلوا
لما بعث رسول الله عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه نزل الله لعنهم فى
الا تعثروا الا ترى

السفل الذى دخل على المضرة
مشدودة او محمله بحبال ناكلها
ان الخص لعله تعالى اعلمنا ان الله
سواكن المسيح وقوله الا يعدون ان
يرجع اليهم قولا ٭

صح من كلام الله غير من قول العبد
الان من قول عيسى فى كتاب من
لانا نقدم انى فى القرآن سوى كلام
عيسى الذى نسب اليه فى قال شيئا ٭
لانا كلام الله فان يكون قد تقدم كلام
عيسى عاجزا وانا كلام عيسى ايضا

المؤتفكون صح

كيف دخل فعل الحسبان على ان التى للتحقيق قلت نزل احسبانهم لقوتهم فى صدورهم منزلة
العلم فان قلت فاين مفعولا حسب قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند
اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا تصيبهم من الله فتنة اى بلاء وعذاب فى
الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله
عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول من صفات الله وهو الرؤية وقولهم
عموا وصموا بالتنكير على تقدير عماهم الله وصمهم اى ما يهم وصرهم بالعمى والصمم كما يقال ركنه اذا
ضربه بالركن وكبكبه اذا صرعه بركنك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلونى البراغيث
او مبتدأ خبره محذوف اى ولكن كثير منهم لم يفرق على صلوات الله عليه بينه وبينهم فى انه
عبد مربوب كخلقهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله فى عباده او فيما هو مختص به
من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التى هى دار الموحدين اى حرمه دخولها
ومنعه منهم كما منع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا
عن سبيل الحق حيث قالوا على عيسى فلذلك لم يناصروه عند عليه ولم ينصروا قولهم ورده وانكر ان
كانوا متظاهرين له بذلك وراتعين من مقداره او من قول عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون
ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر فى الآخرة من عذاب الله
من فى قوله وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهى المقدرة مع لا التى للجنس فى قولك لا اله
الا الله والمعنى ما آلهة قط فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده
لا شريك له ومن فى قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتى فى قوله فاجتنبوا الرجس من
الاوثان فان قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم قلت فى اقامة الظاهر مقام المضمر
فائدة وسمة كبرى الشهادة عليهم بالكفر فى قوله لقد كفر الذين قالوا وفى البيان فائدة اخرى
وهى الاعلام فى تفسير الذين كفروا انهم بعكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى
خاصة عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطنى عشرين من الثياب يريد من
الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التى يجوز ان تناولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض
على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون بعد
هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد لهم عليه وفيه تعجب من اصرارهم
والله غفور رحيم يغفر لهم ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول اى ما هو
الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاءوا بآيات من الله كما اتوا بامثالها ان ارادوا الله الا ترى

ان الكلام فى نفى الالهية عن المسيح وامه لا فى نفى الربوبية عن الله تعالى فكيف يصح ان يقال ان الله تعالى نبه على ان المسيح وامه لا يملكان لانفسهم ضرا ولا نفعا ليدل على ان الله تعالى اولى بذلك ٭

ان الله هو السميع العليم على معنى انه يوبخهم على ان يعبدوا من لا يسمع ولا يعلم ويجوز ان يكون للتخصيص اى هو السميع العليم لا غير فيكون من الحصر ٭

ان الكلام فى نفى الالهية عن المسيح وامه لا فى نفى الربوبية عن الله تعالى فكيف يصح ان يقال ان الله تعالى اولى بذلك ٭

ان الكلام فى نفى الالهية عن المسيح وامه لا فى نفى الربوبية عن الله تعالى فكيف يصح ان يقال ان الله تعالى اولى بذلك ٭

ان الكلام فى نفى الالهية عن المسيح وامه لا فى نفى الربوبية عن الله تعالى فكيف يصح ان يقال ان الله تعالى اولى بذلك ٭

لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون
ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم
اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى

لعن الذين كفروا الخ لعن الله يكون بمعنى الدعاء وبمعنى الخبر وهو المراد هنا لان الآية نزلت بعد وقوع اللعن عليهم على لسان داود وعيسى عليهما السلام
وقيل بمعنى الدعاء ايضا اي قولوا اللهم العن الذين كفروا من بني اسرائيل الخ على لسان داود الخ اي بسبب لسانه او بسبب لسان داود الخ
وقيل المراد بلسان داود وعيسى الانجيل والزبور لانهما نزلا بلعنهم وقيل المراد بلسانهما الشريعة التي جاءا بها وقيل المراد بلسانهما ما ذكر في القرآن
وقيل المراد بلسان داود وحده لان عيسى لم يلعنهم وقيل لعنهم عيسى ايضا ولكن لم يذكر في القرآن وقيل لعنهم محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن
وقيل لعنهم الملائكة والمؤمنون ايضا ولكن لم يذكر في القرآن وقيل لعنهم كل نبي ذكر في القرآن وقيل لعنهم كل نبي ولو لم يذكر في القرآن
وقيل لعنهم كل من سمع بهم من الانبياء ولو لم يذكر في القرآن وقيل لعنهم كل من سمع بهم من الانبياء والمؤمنين ولو لم يذكر في القرآن
وقيل لعنهم كل من سمع بهم من الانبياء والمؤمنين ولو لم يذكر في القرآن وقيل لعنهم كل من سمع بهم من الانبياء والمؤمنين ولو لم يذكر في القرآن

داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم
عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب
السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما منهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا اي
لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سببه المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء الذي آخرتم فر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا
يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا ذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين اعرضوا عن باب
التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كائنا ما كان من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله و
ما فيه من المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية
والاعتداء أقول من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وسموا اعتداء
لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه
ولا يكون النهي بعد الفعل قلت معناه لا ينتهون عن معاودة منكر فعلوه وعن مثل
منكر فعلوه او عن منكر اراد وا فعله كما ترى الرجل يهم بالخوض في الفسق والاثم ثم تسوى نفسه
فينكر ويحول بينها وبين ما تريد ويقول لا تفعل ويقبح عليها ما هي عازمة عليه ويداويها على
ارتكابه يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم يتولون الذين
الكفار كانوا اولئك المشركين وصنا فوتهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله
الرفع كانه قيل بئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا
يؤمنون بالله ايمانا خالصا غير نفاق بما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها
دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم و
نفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء
كما تواليهم المسلمون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين
عريكة النصارى وسهولة ادعوانهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في
شدة العداوة للمؤمنين بل بنته على تقدم تقدمهم فيها بتقدمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل
في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي
صلى الله عليه ما خلا يهودي بمسلم الا تمنا بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم

ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا

للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة وليسوا كاليهود
في انهم والبهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله
على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك عمم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة
من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو
ما حكي عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون
وهم يغرونه عليهم ومطلبون عنهم عند ما بلغه كاتبكم ذكر مريم فقال اجعفر فيه سورة
تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله هل اتاك حديث
موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين
قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه سورة يس فبكوا فان قلت لم تعلقت اللام في قوله للذين
آمنوا قلت بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات
واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اغرب المودات وادناها وجودا او
اسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم
وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع
قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه
من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء ومن اقامة المسبب مقام
السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل
من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن
في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدأ ونشأ من معرفة
الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا فتختل معنى
التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وعرفوا القرآن
واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان
والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة
لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا
نؤمن انكارا واستبعادا لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة
الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك واراد وا وما لنا لا نؤمن بالله وحده

وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك
قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية قلت العامل في
الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل
ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا
من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين
وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي
له ان يطمع في صحبة الصالحين قرا الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص
من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من
الحلال ومعنى ولا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم
في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وصف القيمة لاصحابه
يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان
لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله فقال
لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت وروي ان
رسول الله كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلوا والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة
وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن
يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها
الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم
قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فرقد اترى لعاب النحل بلباب
البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال
افيشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكبر من نعمته في
الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب
الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا
ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل

وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين
من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام

تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده
على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا
حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي
انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه اللغو في
اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه
فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وعن مجاهد هو الرجل
يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة بما عقدتم الايمان بتعقيدكم
الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق
فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم
وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت
المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة
نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون
من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة نصف صاع
من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رضي الله عنه مد لكل مسكين وقرا
جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع
ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف
كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ
بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس
كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع
وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرا سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم
فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم وناس كاسوتهم بمعنى
كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي رضي الله عنه الايمان قياسا
على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة
سوى القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على

ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون

الطلاق بائنها اخذ المكفر فقد اصاب فان لم يجد احدها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند
ابي حنيفة ومشكا بقراءة ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد
كل صوم متابع الا قضاء رمضان ومخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قبل ذلك
كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى ذلك الاشياء او لنائبة الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم
فتركه ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير
قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعي رضي الله عنه بالمال اذا لم يعص الحانث
واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم
جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف
حلفتم بها ولا تنسوها فتاثموا كذلك مثل ذلك البيان يبين لكم آياته اعلام شريعته واحكامه
لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من
التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب
الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلها
من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل
الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحققة ومنها انه
ذكر ما يشتمل منها من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما
يؤدي اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلاة وقوله فهل انتم منتهون من
ابلغ ما ينتهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه
الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم تعظوا فلم تتجروا عن قلت
الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شارب
الخمر والميسر او قاطبها او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت
لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام او لا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب
مع المؤمنين والمراد انهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر
الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جمعا من اعمال الجاهلية واهل
الشرك فوجب اجتنابه بانره وكانه لا مباينة بين من عبد منهما واشرك بالله في علم الغيب وبين
من شرب خمرا او قامر ثم اردفهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلاة

واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا ثم اتقوا
وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم

اختصاص الصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلاة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خائفين
انتم اذا احذر وا دل على ان الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا
ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لن تضروا وانما تضر اولياءكم
ان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين الآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه رفع
الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا اتقوا ما حرم
عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا
على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم او احسنوا
الى الناس وآسوهم مما رزقهم من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف
باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويا كلون مال الميسر فنزلت بعني ان المؤمنين لا جناح عليهم
في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا على معنى
ان اولئك كانوا على هذه الصفة شاء عليهم وحمد الواحها في الايمان والتقوى والاحسان
ومثاله ان يقال لك هل على زيد في فعل حرج وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد حرج
في المباح اذا اتقى المحارم وكان موسما محسنا نهى ان يتذرع المؤمن بحسن حاله الى ان يتعاطى ما
نهى عنه ثم ذكرهم نعمة الله عليهم في ذلك العام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم
في رحالهم فيتمكنون من صيده اخذا باليد وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز
من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه
فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل و
التصغير في قوله بشيء من الصيد قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بقتنه من الفتن العظام
التي تذهل عندها افدام الثابتين كالابتلاء بذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما
ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف بثباتهم عند ما هو اشد
منه منعه وهو ابرهيم بناله بالياء حرم محرمون جمع حرام كرداح جمع رداح والتعمد ان يقتله
وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى
صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد رمية غير صيد فعدل السهم عن سمته
فاصاب صيدا هو مخطئ فان قلت محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا فما بال
التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية ممن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية

Marginalia and boilerplate throughout.

الا الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم

حمار وحش حمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت

ولان الكامل فعل المتعمد والخطأ الحق به للتغليظ وبدل عليه قوله ليذوق وبال امره وعن عاد

فينتقم الله منه وعن النخعي نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير

لا اراى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن وابراهيم جزاء مثل ما قتل

برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء مماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد

يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد

وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان

شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق

به وعند محمد والشافعي رضي الله عنهما مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول

ابي حنيفة قال ولا يضع من يقدر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله

هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم

كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للمهدى المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير

لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير

الذي في الآية من ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة

بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظر وجعله

الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيء لا نظير له قوم حينئذ ثم خير بين الاطعام او

الصوم فيه نبوغا في الآية من ان يجزي الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك

صياما كيف خير من الاشياء التلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه

مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى

فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ النخعي

على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن بن

النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف العلة فكنه حكم به مثل ما قتل ذو اعدل منكم حكمان

عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد

دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا فسأل عمر فتاه وعبد الرحمن بن عوف

ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل عنه ما قبل عليه

هديا بالغ الكعبة اي ذبح هديا يبلغ ثمنه الكعبة فيتصدق به على مساكين الحرم

او يشتري بثمنه طعاما فيتصدق به على كل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره

او يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما

او تصدق به وعند محمد والشافعي رضي الله عنهما مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول

ابي حنيفة قال ولا يضع من يقدر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله

هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم

كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بيانا للمهدى المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير

لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير

الذي في الآية من ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة

بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظر وجعله

الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيء لا نظير له قوم حينئذ ثم خير بين الاطعام او

الصوم فيه نبوغا في الآية من ان يجزي الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك

صياما كيف خير من الاشياء التلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه

مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى

فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ النخعي

على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن بن

النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف العلة فكنه حكم به مثل ما قتل ذو اعدل منكم حكمان

عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد

دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا فسأل عمر فتاه وعبد الرحمن بن عوف

ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل عنه ما قبل عليه

ضربا بالدرة وقال اتحمس الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم

فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر وعدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد

الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فمن وصفه بمثل من الصفة خصصته فقربته

من المعرفة او بدل من مثل فمن نصبه او عن محله فمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير

في به او وصف هديا بالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان

يذبح بالحرم فاما التصدق به حيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي رضي الله عنه في الحرم

قال تلث برفع كفارة من نصب جزاء تلث بجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب

عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة

طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين

كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرا الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه

واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق

بينهما ان العدل الشيء المعادل له من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار

ومنه عدلا الحمل لواحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور

بمعنى المفعول به كالذبح ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز

للعدل كقولك لي مثله رجلا والحكمة في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة والى يوسف

وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء

عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي نال في العاقبة من عمل سوء

الثقيل من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا

يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تشرعوا رسول الله وتتالوا

عن جزائه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان

الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه ينتقم الله منه

ينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفا وقرئ من عاد

برفع الدال فلا خفاء يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العامد فعن

عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة صيد البحر مصيدات البحر مما يوكل

يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه

والله عزيز ذو انتقام

أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما
للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم

ومتاعا لكم وطعامه وما يطعم من صيده والمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم
أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند أبي حنيفة رحمه الله وعند أبي أبي ليلى جميع ما يصاد فيه
على أن تفسير الآية عنده أحل لكم صيد حيوان البحر وأن تطعموه متاعا لكم مفعول له أي أحل لكم
تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة في باب إعمال لأن
قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما أن نافلة حال مختصة بيعقوب يعني أحل لكم طعامه
تمتيعا لكم يا كلوه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره
إلى الخضر وقرئ وطعمه وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وإن كان يعيش في الماء
في بعض الأوقات كطير الماء عند أبي حنيفة واختلف فيه منهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه
اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن أبي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير أنهم أجازوا
للمحرم أكل ما صاده الحلال وإن صاده لأجله إذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل إحرامه وهو
مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعند مالك والشافعي وأحمد لا يباح له ما صيد لأجله فإن قلت
ما يصنع أبو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد أخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من
من قوله حرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لأن ظاهره أنه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لأنهم هم
المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين
كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقوله
عز وجل وحرم عليكم صيد البر أي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام
الحرام عطف بيان على جهة المدح أو على جهة التوضيح كما جعل الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا
لهم في أمر دينهم ودنياهم ومنهوضا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما بينهم من
أمر حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء لو يتركون عاما واحدا لم ينظروا
ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو وحده والحجة لأن لاختصاصه
من بين الأشهر بأفعاله مزيد اختصاص الحج فيه شائنا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الأشهر الحرم و
الهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر ولها الحج معه
أظهر ذلك إشارة إلى جعل الكعبة قياما للناس وإلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد
وغيره لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وبنفعكم مما أمركم به وكلفكم شديد
العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ تشديد في

إلى الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب ٥
لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم
ثم أصبحوا بها كافرين

انجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة و
لم تبق لكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون بين الخبيث والطيب بعد عند الله وإن كان
قريبا عندكم فلا تحبطوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإنما يتفاوتان في
الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفواب الطيب ومتاعه من حلال المال وحرامه
وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وانزجروا
الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكتب بها وجوه الجبرة إذا افتخروا
بالكثرة كاثر بسعد إن سعدا كثيرة ولا ترتح من سعد وعمرو لا نصرا لا بد بمنك من ردتهم بهم عدد
فإن جلهم بل كلهم بقر وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا
عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله إن تبد لكم تسؤكم
وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة لأشياء والمعنى لا تكثروا مسائلة رسول الله
حتى تسألوه عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو عكاشة بن محصن قال يا رسول الله
أعلينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه حتى أعاد مسألته ثلاث مرات فقال
ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم
فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا عنها
حين ينزل القرآن وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول
بين أظهركم يوحى إليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بحملها فتعرضون أنفسكم
لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسائلكم فلا تعودوا إلى
مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فإن قلت كيف قال قد
تسألوا عن أشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع
إلى أشياء حتى يجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد
سأل هذه المسألة قوم من الأولين ثم أصبحوا بها أي بسببها كافرين وذلك
أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فملكوا أو كانوا أهل الحاجة
إذا انتخب الناقة حسنة أبقى آخر هاذكر أنها أي شقوها أو حرموا ذكورها وألبانها ولا تطرد

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون

عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل الله ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم الواو في قوله ولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال انها ليست بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح نفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وينصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان

يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن يزيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلاة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشترينا من تميم وعدي وقيل هي صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والديك اذ ايدتك بروح القدس
تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل

ادنى ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكر
ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع
اجابة وقبول يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل
واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم
او ينتصب باضمار اذكر او يجمع الله الرسل كان كيت وكيت وماذا منتصب باجبتم انتصاب
مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى
سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت فكيف يقولون
لا علم لنا وقد علموا بم اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون
الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجأ
الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم و
سقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان يتكب بعض
الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم
على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به
يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه
واظهارا لشكاته وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن
الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط
مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة
الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة
وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب
بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من
العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال
بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديدها
ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق الى
ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى من البينات هذا سحر مبين واتخذه
بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيا به

واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد بانا مسلمون اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع
ربك ان ينزل مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين

الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس
وفي المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة
وقيل روح القدس جبريل صلوات الله عليه ايده به لتثبيت الحجة بان يلتبس
المهد وكهلا حيث معناه تكلمهم في هاتين الحالين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين
الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد واحد الذي يشتبه فيه الانبياء والنوراة و
الانجيل خصا بالذكر تمانا وله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب
الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بادني تشهيل فتنفخ فيها
الضمير للكاف لانها صفة الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك
الضمير في فتكون لتخرج الموتى اخرجهم من القبور وبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامرأة وحماره واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين همموا بقتله وقيل لما قال الله لعيسى
اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الثمر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له
بيت فيخرب ولا ولد فيموت انبأتهم اوحيت الى الحواريين امرتهم على ألسنة الرسل مسلمون
مخلصون من اسلم وجهه لله عيسى في محل النصب على اتباع حركة الاين كقولك جاء زيد من عمرو
والدليل على قوله احاد بن عمرو كاني خمر لان الزنجبيل لا يكون الا في المضموم بان يلتبس
كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم ما وصفهم الله بالايمان والاخلاص
وانما حكى اذ عامتهم لهامتهم اتبعه قوله اذ قالوا فاذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين
وقوله هل يستطيع ربك كلام يرد مسئلة عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم
معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تفتروا عليه ولا تحكموا اما تشتهون
من الآيات فتسألوا اذا عاينتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة
وقيل هل يستطيع ربك اي هل يستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وسميت من ماد اذا اعطاه وزيدة
كانها تميل من تقدم اليه وتكون عليها من الشاهدين تشهد عليها عند الذين لم يحضروها
بني اسرائيل او تكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال
وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب
ليلزموا الحجة بكلها ويستحق عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ وتعلم بالتاء على البناء للمفعول

قال هو يوم الاحد وهن اعظم اعياد النصارى

وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وتنا
بدا تأنيث يكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا لاولنا وآخرنا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال ليوم عيد
فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرها بارثني ويرثني
لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل
منها آخرنا كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولنا وآخرنا والتأنيث
بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به
لم يكن به من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء للبس صوفا وقام فقال اللهم انزل علينا
حمرا أبين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطتا بين ايديهم فبكى عيسى
وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احدكم
عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك
فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
خلا الكراث واذا حولها من كل البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى
الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الآخرة
قال ليس منها ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله و
يزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو ارينا من هذه آية اخرى فقال يا سمكة
احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم
عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وسمى قوله من يكفر
بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا
الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت سحانك من ان اكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي
ان اقول قولا بحق لي ان اقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك
بالكلام طريق المشاكلة وسمو من فصيح الكلام وبينه فصل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب
تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب يستحق
ان يسمى علما في نفسه اعلم احد ان في قوله ان اعبد والله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل
القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يوسط

واسلم وبنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه
عذابا لا اعذبه احدا من العالمين واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به

خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ولما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير

خسروا انفسهم اوانتم الذين خسروا انفسهم فانى يؤفكون كيف جعل عدم ايمانهم مستتبعا لخسرانهم
والامر على العكس قلت معنى الذين خسروا انفسهم في علم الله لاخبارهم الكفر فهم لا يؤمنون
وله عطف على الله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم بسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا تخفى عليه شئ مما
يشتمل عليه الملوان اولى غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اخذ لان الانكار
في اتخاذ غير الله وليا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد
الله ادن لكم وفرى فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر
وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدانها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم
من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده وهو المنزه عليه الانتفاع وقرئ
ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بنائه للاول للمفعول والثاني
للفاعل والصمير لغير الله وقرا الزهري وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه
وهو يطعم ولا يستطعم وحكى ازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحو اقدرت ويجوز ان يكون
المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك امرت
وانا اول المسلمين كقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين ولا تكونن وقيل لي
لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب
يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى من النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت
اليه يريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد
من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم
فقد رحمه من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف
لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب
المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي بقوله فقد رحمه وينتصر هذه القراءة
على القراءة الاولى بمضمر اي ان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من
الاباء فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شئ قدير فلا يمكن

قوله فاعل فعل محذوف يفسره ما بعده لانه لا يعمل في الشرط ما بعد ادواته الا ما كان ظرفا او حرف جر كما عرف في موضعه قال الله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله

قوله عطف على الله لما كان قوله تعالى لله حقا مرجعه الى معنى السوال اي لمن ما في السموات والارض قل لله ذكر السوال وارد الجواب طابقا للسوال فزاد ذكر المكان والزمان لان الجواب طابق السوال فزاد ذكر المكان والزمان لان المخلوقات اعني المكان والزمان مخلوقان عظيمان وقد خلق اعظم منهما اما المكان فمن اسفل السفليات الى السطح الاعلى من العرش العظيم واما الزمان فمن مبدا الابجاد الى اقصاه فيعلم كنهه الا الله تعالى شانه وعظم برهانه

قوله وقيل لي معطوف على قوله امرت اي امرت بالاسلام وقيل لي لا تكونن من المشركين فعلى قول احمد وقيل له قيل امرت ان اكون وقيل له لا تكونن من المشركين والعاطف محذوف لدلالة الاول عليه ومثل قوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا بمعنى امهلهم رويدا

الاخلاص المنسول فيه مكون الفعل المدفوع عنه مذكورا ايضا

فكان فاذ ذاك اذا امنيه او اذا الذي فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالعلة والقدام كقوله
وانا فوقهم قاهرون الشئ اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم والخبر عنه فيقع على
القديم والمحدث والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شئ
لا كالاشياء كما انك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح جسم لا كالاجسام وارادات
شهيد اكبر شهادة موضع شيا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم
ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدى شهيد بيني وبينكم
اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله
عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شئ شهادة شهيد له ومن بلغ عطف على ضمير
المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القران من العرب والعجم وقيل من
الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القران فكانما راى محمدا
صلى الله عليه اينكم لتشهدون تقريرهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين
اتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه بحليته
ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بخلايهم ونعوتهم لا يخفون
عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وعدا استشهاد اهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته
ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا
بين امرين متناقضين تكذيبهم على الله ما هو حجة عليه وتكذيبهم بالحجة البينة والبرهان
الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة
بنات الله وهو لا شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا الى كذبهم
القران والمعجزات وسموها سحرا ولم يومنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره
ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فنترك ليتسق عليه الانتظام الذي هو اذكر في التخويف ايين شركاؤكم
اي الاصنام التي جعلتموها شركاء الله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمون فيهم انهم شركاء فحذف
المفعولان وقرئ لنحشرهم ثم نقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز
ان يشاهدوا يوم القيامة انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب
عنهم وان الحال بينهم وبينها في وقت التوبيخ ليتفقد وهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء
فيها فيرى هل يمكن خيرهم وخسرانهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه

وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ ايئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بري مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم

وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ ايئنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى
قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بري مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم الا ساء
ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا
لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف
على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا
الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف
العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف
قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال اليس هذا بالحق
وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق
وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام
فيه في موضع آخر حتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى
حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا
في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة
فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا
فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى
قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون
اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب
بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم جعل اعمال الدنيا لعبا
ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله
للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة
وقرئ بالتاء والياء قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله
ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي
يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله
كاذبا في زعمه واكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله
المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك

ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات ولقد جاءك من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين

لنفسك وانهم كذبوك وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود
آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما
اهانوني ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك
بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم
بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه يسمى الامين فعرفوا
انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك وانك عندنا لمصدق
وانما نكذب ما جئتنا به وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن
محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق
وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر
قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في
جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي
لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
وايذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة
المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك
انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا منفذا تنفذ
فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها او سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل
يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات
فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة
على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز
ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآية كانه قيل لو استطعت النفوذ
الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف
جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم بنا الى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بان يأتيهم
بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون

وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اوليائهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امّا اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امّا اشتملت عليه ارحام الانثيين امكنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون الجزاء الحاقهم الى ان لا يستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء وكان قادرا على هو لاء الموتى الكفر ان يحييهم بالايمان وانت تقدر على ذلك وقيل معناه والموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما اصل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية نزل بمعنى انزل وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل آية فيضطر هم الى الايمان كشق الجبل على بني اسرائيل ونحوه او آية ان يحدد وما حاتم العذاب ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وان صار فامن اجله يضره عن انزالها امم امثالكم مكلفون ارزاقها واجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما يتركها وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان نثبت مما اختص به ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فينتصف بعضها من بعض كما ورد به الحديث حتى ان الجماء من القرناء ليقاد منها يوم القيمة فان قلت كيف قيل امم مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر يدل على معنى لا يستغرق ومنعنا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارض صغير ولا كبير ولا طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها عبر مهملة اثرها فان قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره لتلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لاحوال ما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شان وان المكلفين ليسوا المخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وخرا ابن ابي عبلة وما طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقوا علقمة ما فرطنا بالتخفيف فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا آياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد

والذين كفروا يا يتناصم وبكم في الظلمات من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين

لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون هم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا يبطشون بما كن بطون في ظلمات الكفر هم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من شاء الله بضلاله اي يخذله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه ه ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارأيت نفسك زيدا ما شانه وموضع من الفعول ومتعلق الاستخبار محذوف وتقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون يعني تخصون آلهتكم بالدعوة فيما موعادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهالكم مغمور بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان تحلل الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم غير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارخ مسه البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء الفقر والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمحن ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم بالعقاب فما استكانوا فما يتضرعون يتذللون ويخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا لتفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة لنروح عليهم بين توبيخ الضراء والسراء كما يفعل ارباب المستغوى بولده فتحنا عليه نادرة ولاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يرتدعوا واعلى الفرح والبطر من غير انتداب للشكر وان قصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون محزونون ايسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احدا فاستوصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين

قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة
او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم
العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون
وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم

قوله لا ان يشاء الله
مردود بصحة المعارضة
بان الشائع معارضة

ليس له الخزائن والاطلاع
بكل الاوصاف الخ العطاء
المطلب ما عرف من العطاء
والغيب وهو البطن

إذ ان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا
بالتشديد إن اخذ الله سمعكم وابصاركم بان نهتكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يعطى عليها ما
يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي يأتيكم بذلك اجر التصميم مجرى اسم الاشارة او بما اخذ
وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع الامر من
غير ان يشعر به وتظهر اماراته جل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة
هل يهلك الا يا نهلك هلاك تعذيب ويحطكم الا الظالمون وقرئ هل نهلك بفتح النون الا المبشرين
ومنذرين من آمن منهم وصلحا وآمنوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتهكم بهم
وتقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما
كلف جعل العذاب ما شاء كائنه حتى يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لفيت منه الامرين
والاقرين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا اتاهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
اي كل ادعى ما يستوجب به العقول ان يكون البشر من ملك حزائن الله وهي قسمة بين الكل وازالته
وعلى الغيب وانى من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله وافربه على منزلة منه
اي لم ادع الالوهية والملكية حتى نسبوه الى دعواي وتنكروها وانما ادعى ما كان مثله للكثير من البشر وهو النبوة فهل
يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن
لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالوهية او الملكية افلا تتفكرون فلا
تكونوا امثال الذين اشباه العمياء او فتعلموا ان ما ادعيته مما يليق بالبشر او فتعملوا ان اتباع
ما يوحى الى ما لا بد منه فاعل يلتبس اعلم الغيب ما محله من الاعراب نصب العطف
على محل قوله عندي حزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا
القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون
في الاسلام مقترفون بالبغت اذا انهم مفترطون في الغفلة فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون
اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبغت واما ناس
من المشركين علموا بحالهم انهم يخافون اذا سمعوا عجائب البغت ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن
حق ان ينجح فيهم الانذار دون المتمردين منهم فانهم ان ينذروا هو لا وقوله ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا

إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا
بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما
يذهب عنده فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي بذاك اجرى الضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ
وختم عليه ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت البغتة ان يقع الامر من
غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة
هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين
ومنذرين من آمن بهم وبما جاءوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم
وتقتـ [illegible]
كلف ذ [illegible]
واقتـ [illegible]
اي لا ا [illegible]
ويعلم ال [illegible]
اي لم ا [illegible]
يستوي [illegible]
يستوي ك [illegible]
لم يتبع او [illegible]
تكونوا ا [illegible]
ما يوحى ا [illegible]
على محل قو [illegible]
[illegible] واقول لكم هذا القول ولا هذا
القول وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا الى ربهم داخلون
في الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون
اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس
من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن
يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا

لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين منهم و
امره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون
دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون
صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به
عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله لو طردت هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت
عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا
فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي
الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة
وبعلي ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان
رسول الله يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام
فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله
الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من
حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك
من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر
على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن
غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله
ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم
اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما
مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان
جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون
بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم
جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبب
لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وفتنا بالغداة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم
فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من

أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين

الله عليهم من بيننا أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون أليس الله بأعلم بالشاكرين أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ إنه فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم وبالفتح على الإبدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان أحدهما أنه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على أنها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل إنها نزلت في عمر حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة قرئ وليستبين بالياء والتاء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه ومن يرى فيه أمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا أتبع أهواءكم أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت إذن أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى أن يكون

قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقضي الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى

الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل إني على بينة من ربي ومعنى قوله إني على بينة من ربي وكذبتم به أني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به أنتم حيث أشركتم به غيره يقال أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يعاقبوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء إن الحكم إلا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه وهو خير الفاصلين أي القاضين وقرئ يقص الحق أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره لو أن عندي أي في قدرتي وإمكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الأمر بيني وبينكم لأهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله أعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به أي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن فإن قلت بم انتصب الحق قلت بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق ويجوز أن يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع إذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فإن قلت لم أسقطت الياء في الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هو جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل وما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معنى إلا يعلمها ومعنى إلا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله أو اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان أن يكون عطفا على محل من ورقة وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره إلا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك

ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا
الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم ومن تحت ارجلكم

الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني
فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على
اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم
حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب
عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال
ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت
فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون
بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان
ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه
وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم
في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفى ويفرطون بالتشديد
والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما
امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم
الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله
حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز
عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى
عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا
دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة
القول من هذه من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية
بالضم والكسر هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم
كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت
ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن
تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او
يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب
القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست

نفضت لها يدي

او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف
تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على
الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا

وعن رسول الله صلى الله عليه سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت
ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي
بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من
تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب
المعدودة والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل
لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبأ لكل
شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول
لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت
قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره فلا باس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى
النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد
ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره
العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين
يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم
ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم
وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون
الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان
المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في البيت الحرام وان نطوف
فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى
اي تذكيرا او رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار
من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي
كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر
والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس
الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا
دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا وقيل جعل

الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين
واهل الكتاب اتخذوا اعيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا اعيادهم كما شرعه الله
ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به
اى بالقرآن ان تسلم نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل
الابسال المنع ولهذا سمى المسلم اليه بسيما فقال وان الى ربك يعقوب ومنه هذا عليك بسل اى
حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من خصمه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا
اشتد عبوسه فاذا ازاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد
كل فداء والعدل الفدية لان الفادى يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل
يؤخذ قوله منها ضمير العدل لان العدل هنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما فى قوله
ولهوا قبل فانه اسند اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا
اندعوا نعبد من دون الله الصانع النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا وامرد الى اعقابنا
راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى
ذهبت به مردة الجن والغيلان فى الارض المهمة حيران يهيما لا عن اجادة لا يدرى كيف
يصنع له اى لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان هدوه الطريق المستوى
او معنى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم
ولا يأتيهم وهذا مبنى على ما ترعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوى الانسان والغيلان
تستولى عليه كقوله كالذى تخبطه الشيطان تشبيه للضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات
الشيطان والمبلون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده
وما وراءه ضلال وغى ومن يتبع غير الاسلام دينا فما ذا بعد الحق الا الضلال بان قلت
ما محل الكاف فى قوله كالذى استهوته قلت النصب على الحال من الضمير فى نرد على اعقابنا
اى لنكص مشبهين من استهوته الشياطين بان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال
من هوت الارض اذا ذهبت فيها كان معناه طلبت هويته وحرصت عليه بان قلت
ما محل امرنا قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان
كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم بان قلت ما معنى اللام فى لنسلم قلت هى تعليل

وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ
فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابرهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الآفلين

للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم بان قلت فاذا كان هذا واردا فى شان ابى بكر
فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاحاد الذى كان من رسول الله والمؤمنين خصوصا
بينه وبين الصديق رضوان الله عليه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت
على موقع للتسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم وان
اقيموا اى للاسلام ولاقامة الصلاة قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه
بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض
قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشىء من الاشياء كن فيكون ذلك الشىء قوله الحق والحكمة اى لا
يكون شىء من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله
الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله
الحق اى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق اليوم محذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين
يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وان رفعا على المدح ازر اسم ابى
ابرهيم وفى كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان يكون وزن ازر فاعل
مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم ومنه عطف بيان لابيه وقرئ
ازر اسم صنم فيجوز ان ينتزع به للذم وبه عبادته كانبز ابن قيس بالرقيات وفى شعر بعض المخضرمين
ادعى باسما انبزا فى قبائلها كان اسما اضحت بعض اسماء او اريد عابد ازر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ ازرا بالنصب اتتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد حذف
الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة ومواسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على
الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا او مو داخل فى حكم الانكار لانه كالبيان
له فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نرى ابرهيم جملة معترضة
بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم
ونبصره ملكوت السموات والارض يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده
بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا
ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب
فاراد ان ينبههم على الخطأ فى دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم
ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان ورآها

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد
هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا

محدثا أخذها وصانعا صنعها ومدبرا أدبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها
هذا الذي قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فحكى قوله كما من غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى
إلى الحق وأنجى من الشغب ثم تكر عليه بعد حكايته فتبطله بالحجة لا أحب الآفلين لا أحب عبادة
الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال المنتقلين من مكان إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من
صفات الأجرام بازغا مشتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين تعريض لقومه على أن من اتخذ القمر
إلها وهو نظير الكوكب في الأفول هو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا أكبر
من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء
لخالقها إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي الذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى
أنه مبتدئها ومبتدعها وقبل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والأول أظهر
لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما تشركون فإن قلت لم احتج عليهم بالأفول
دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال قلت الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال
مع حفاء واختجاب فإن قلت ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة للشمس قلت
جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت أمتك ولم
تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين بالتاء على تأنيث الفتنة عن شبهة التأنيث إلا
تراهم قالوا في مسيلمة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلام أبلغ احتراز من علامة التأنيث
وكذلك قرئ بالتاء وقرئ ربي أريهم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه وتبصره دلائل الربوبية و
حاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني أي في توحيد الله وفي الشرك عنه متكررين
لذلك وقد هداني إلى التوحيد ولا أخاف ما تشركون به وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء
إلا أن يشاء ربي شيئا استثناء منقطع تقديره لكن إن شاء ربي شيئا من ذلك يقع لحكمة
من وقت فوقت لا تعلمونها فلا تقدرون على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمضرة من جهتها أن أصبت
دنيا استوجب به أنزال المكروه مثل أن يرجمني كوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو تحملها فاذفني
على مضرة وسع ربي كل شيء علما أي ليس بعجز ولا مستبعد أن يكون في علمه أنزال المخوف من
جهتها أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما تخوفونني بكم شيئا
مما دون الخوف لا يتعلق به ضر بوجه وأنتم لا تخافون ما يتعلق به كل خوف ومع هذا تشركون بالله
ما لم ينزل بأشراكه سلطانا أي حجة بيان الأشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كائنة قال وما لكم تشركون

فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا و
يحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم
ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا

على الأمن في موضع الأمن ولا تشكون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ولم يقل فأينا أحق
بالأمن أنا أم أنتم احتراز من تزكية نفسه نعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين يعني فريقي
المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم
بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسيرهم وأتى بتفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك إشارة
إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ومعنى
آتيناه أرشدناه إليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء بالعلم والحكمة وقرئ بالتنوين
ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبراهيم وداود عطف على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم
إلى موضع النصب عطفا على كلا يعني وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما
رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك أولئك الذين
الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة هو يعني أهل مكة فقد وكلنا بها
هم الأنبياء المذكورون ومن نابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وكل من
آمن به وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم وعن مجاهد يعني القرآن
ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به
ويتعهده ونحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم
اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بأهواء من قبلهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد
بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وفي
هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده
للوقف تسقط في الدرج واستحسن إثبات الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة
الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمه وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
أو ما عرفوه حق معرفته في تخطئه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين
جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقيالوا من اليهود بدليل قراءة من
قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار أن ينزل القرآن
على رسول الله فالزموا أما لا بد لهم منه من الإقرار به من أنزال التوراة على موسى أو ذبح كبش إبراهيم

ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم
ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به
وهم على صلواتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء

تؤبخهم وان نعى عليهم سوء احلامهم لكتابهم وتحريفهم وابدا أبغض واخفا أبغض فقيل جاءه موسى
وميمونة وهذا حتى عبروه وبغضوه وجعلوه قراطيس مقطعة ووزعات متفرقة ليستهزئوا
بما راموا من الابداء والاخفاء وروى انه مالك بن الصيف من احبار اليهود وروساءهم قال له
رسول الله صلى الله عليه انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض
الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب
ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك
قال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل الفاعلون قريش وقد ألزموا انزال
التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اي علمتم على لسان
محمد ما اوحي اليه مالم تعلموا انتم وانتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الا قد مون الذين كانوا اعلم
منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه مختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش
كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يقولوا كان ذر هم
في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا تجدي عليه
انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان
يكون صلة له او لذرهم مبارك كثير المنافع والفوائد ولتنذر معطوف على مبارك او على انزلناه صفة
الكتاب كما قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ لينذر بالياء والتاء
وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم
ولانها اعظم القرى شانا ولبعض الحجاز دون قرى بكل في بعض القربات رحلة فاتم القرى تلقى
بحالي ومشابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة فتزجرهم عما هم فيه حتى يؤمنوا وخص الصلوة
لانها عماد الدين من حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها افترى على الله كذبا
فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او كذاب
صنعا الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم اخبرني الثائم كان في يدي سوارين من ذهب
فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين
انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعا الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله

ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون
على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون

هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو
عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين الى آخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين
فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله فقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي
كما اوحي اليه ولئن كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل
هو النضر بن الحرث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف اي لرأيت امرا عظيما اذ الظالمون
يريد الذين ذكرهم من اليهود والمشيئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء
لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة
الغالبة باسطوا ايديهم يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم
وهذه عبارة عن العنف في السياق والارهاق والتشديد في الاذهاق من غير تنفيس وامهال
وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة
ولا يمهله ويقول له اخرج الي مالي عليك الساعة ولا ارحم مكاني حتى انزعه من احداقك
وقيل معناه باسطوا ايديهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون
على الخلاص اليوم تجزون يجوز ان يريد وا وقت الاماتة وما بعدها يعذبون به من شدة النزع وان
يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون
الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه
عن آياته تستكبرون ولا تؤمنون بها فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما خولناكم عليه
واتركتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء الله كما خلقناكم اول مرة
على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما فضلناه عليكم في الدنيا فتغلبتم
به عن الاخرة وراظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا فدتموه لانفسكم بنيكم شركاء في
استعبادكم اياهم حين دعوتم آلهة وعبدتموها فقد جعلوها لله من كانهم وفي استعبادهم
وقرئ فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وقرئ بهما كسكارى فاتيتمونا كما خلقناكم
اي على محل ما تقول في محل النصب صفة لمصدر محذوف تقديره مجيئا مثل خلقكم لكم تقطع بينكم
وقرئ التقطع بينكم كالوصول جمع بين الشين ورفع ما بينهما على اسناد الفعل الى مصدره
بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كقولك قوتل خلفكم واما كم وفي قراءة عبد الله

ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا
ذلك تقدير العزيز العليم

لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة
والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه
الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل
بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من
الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر
الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض
بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عنه وعن توليته الى غيره والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح
وانشد قوله ٥ افنى رياحا وبني رياح تناسخ الامساء والاصباح ٥ بالكسر والفتح مصدرين
وجمع مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال
تفري ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي
الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر
عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق
وقال الطائي وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب
على المدح وقرا النخعي فلق الاصباح وجعل الليل السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استيناسا
به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستانس بها الا تراهم
سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد
وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قريا بالحركات الثلاث فالنصب
على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل
فان قلت كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى
المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل
مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم
فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف
تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر
حسبانا جعلهما علمي حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان

وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية
وجنات من اعناب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه

بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة
الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم
بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما
او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح فا المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا
ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في
الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان قلت
لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس
واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال
فطنة وتدقيق نظر مطابقا له فاخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي
يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر
كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا
وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع
النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل
قنوان ومن قرا يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو
ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليست من زنات
التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان
كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها
من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر
البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم
جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او مخرجة من النخل
قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل
شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا
على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال
اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ

ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو
يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست

لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون
جسما حتى يكون والدا والثاني أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال
عن مجانس فلم يصح أن يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث أنه ما من شيء إلا وهو خالقه و
العالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج وقرئ لم يكن له صاحبة
بالياء وإنما جاز للفصل كقوله لقد ولد الأخيطل أم سوء ذلكم إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات
وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أي ذلكم الجامع لهذه
الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق
بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني وهو مع
تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال البصر هو الجوهر اللطيف
الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه
لأنه متعال أن يكون مبصرا في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلا أو تابعا كالأجسام
والهيآت وهو يدرك الأبصار وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي
لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الأبصار
لا يلطف عن إدراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر
أي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن أبصر الحق
وآمن فلنفسه أبصر وإياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي وإياها ضر بالعمى وما أنا عليكم بحفيظ
أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف
تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست أي دارست
العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة
في درست أي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست
وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الإضمار لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز
أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها أي دارس أهل الآيات وحملتها محمدا وهم أهل الكتاب ودرس
أي درس محمد ودارسات على هي دارسات أي قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية فإن قلت
أي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة

تمت بهما

والتنبيه لقوم يعلمون اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون

وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بصرف الآيات كما حصل التبيين بشبه به فسبق بسابقه وقيل ليقولوا دارست اي قيل لنبيه عليه السلام يرجع الضمير في قوله ولنبينه ثلث الى آيات الهامي معنى القرآن كانه قيل وكذلك صرفت القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ دارست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر او الى آلهة المشركين اعتراضا اكد به ايجاب اتباع الوحي لما محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وسد حال مؤكدة لقوله وهو الحق مصدقا وقرئ دارست اي قالوا لمحمد درست الكتاب

ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتشتمن عن سب آلهتنا او لتنتهن عن سب آلهتك وقيل كان المسلمون يسبون اصنامهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان ثلث سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي ثلث ذب طاعة علم انها تكون مفسدة فخرج عن ان تكون طاعة يجب النهي عنها لانها معصية لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كالنهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لم نشرع في ذكر الله قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانما نحضرها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعدا او عن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعدا اعني علم على صلاة الله ويجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او املينا الشيطان حتى زين لهم او زينا نحن في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فبئسما زينتم ثم الى ربهم مرجعهم عليه فيعاتبهم ويعاقبهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وموقوف عليها ولكنه لا ينزلها اذ على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيكم الى ما تقترحون وما يشعركم وما يدريكم انها اي الآية التي تقترحونها اذا

واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون

جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون ذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق على علمه من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انهم بمعنى لعلهم من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس

عوجوا على الطلل المحيل لعلنا ... نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ويقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبر عنهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يخلفون انهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان يكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وعند من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكمه وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول اياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ عمر وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فاتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او نأتي بالله والملائكة قبيلا كفلا بصحة ما نشير به وانذرنا او جماعات وقبل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا اي ان شاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على الاشرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان حولا لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كما جعلنا لك اعداء شياطين بنوك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت

زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي
حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه

بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا زخرف القول
ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا واخذا على
غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول
بان يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا
على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في
فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل يا
محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب
المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد
الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن
من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان
اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن
خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد
وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى
ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل
وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم به وقيل هي القرآن وان تطع اكثر الناس
اسلوك لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان
آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او يكذبون
في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله فكلوا مسبب عن انكار
اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون
انكم تعبدون الله فما قتل الله احق مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر
اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم الا تأكلوا واي غرض لكم في ان لا تأكلوا وقد فصل
لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم
عليكم على تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال

وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون اوكان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به
في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم
وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته

الضرورة وان كثيرا ليضلون فيرى بفتح الياء وضمها اي يضلون فيخرجون ويحللون باهوائهم وشهواتهم
من غير تعلق بشريعة ظاهر اثمهم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره
الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر والله نفس الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه
حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى المأكول على وان اكله لفسق او وجعل ما لم يذكر اسم الله عليه في
نفسه فسقا فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان
او عمد قلت قد ناوله هو لا بالمشافهة وما ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به
ليوحون ليوسوسون اولياءهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم والا تأكلون ما قتله الله وتأكلون ما قتلتم انتم بسكاكينكم
تأويل من تأوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق في البصيرة
في دينه ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان
ابو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رضي الله عنهما متبعا في ذلك الذي هداه الله
بعد الضلالة ومنحه التوفيق للبحث الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال ومن كان
ميتا فاحييناه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل
بين خلائهم ومن بقي على الضلالة له بالخابط في الظلمات لا يتخلص منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله
في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه ومعنى قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى موصوف
الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه ومعنى قوله
فيها انها رزين للكافرين اي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله زينا لهم اعمالهم وذلك
عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا
فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خلقناهم ليمكروا اما تفقهنا عن المكر
وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون الناس كقوله امرنا مترفيها وقوينا
اكابر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر مجرميهم وما يمكرون وما يضرون الا انفسهم لان تكرهم يحيق بهم
وهذه تسلية لرسول الله وتقدم موعود بالنصرة عليهم روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت
النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل قال اذا احمنا
بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به
ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ومحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى
صحفا منشرة الله اعلم كلام مستأنف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه

ورد الكبير مجرميها وهذا اذا اضيف اسم التفضيل جاز فيه الامران
والمطابقة وهذا مما يدل على ان اكابر مجرميها الا ان مفعولا ان يدل
عليه قول ابن عباس بفتح الهمزة جمع اكبر مجرمي مكة الى قوله قال الصنف المعلل
واذا اضيف جمع غير الاثنين قال الله تعالى اكابر مجرميها قال تعالى لتجدنهم
احرص الناس على حياة ويتبين احسن المتكلمين جميلا
وسائغا لحسنه قذالا الجيد الرقبة والقذال مقدم العنق من الرأس
سمي القوم اذا تقدمهم والقذال بالذال المعجمة نقرة القفا والاذن وذكر
المتكلمين وتعديتهم بالحسن كأنه قال احسن المذكور او احسن من ثم
وقيل انما قصد الى المتكلمين لتعمقهم في معنى الخلق او المخلوق والمتكلم
في النقرة وقلت الصبي وعلت الاجام المزة تخنها

Turkish boilerplate

سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو
وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا

يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة
بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه
ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام
وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له
يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله
الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما
يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق
عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد واصله
يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق
وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب
من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته
في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق
مصدقا لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار
السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم
لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم
على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم نحشرهم منصوب
بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن
كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم
من الانس اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم يحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر
الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا
الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات
وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم
في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن
وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع
الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي

الذي اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن الم يأتكم رسل
منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع
الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي تخلدون
في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا الاوقات التي تنقلون فيها من عذاب النار الى عذاب
الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون
ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه
وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا
يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت
من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا
يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد تولي بعض الظالمين بعضا
تخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة
وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم
القيمة على جهة التوبيخ الم يأتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق
بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به
آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان
في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل
من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون
الى الانس ورسول الله صلى الله عليه الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم و
ايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا
على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين
في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن
في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم
وجلودهم حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت
الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة
نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا
الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه انما قال ذلك تحذيرا للسامعين

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف
من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار
انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا

من مثل حالهم ذلك إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء الخاتمة ومعنى حرف
مسند المحذوف اى الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم اى الامر ما قصصنا عليك لانتفاء
كون ربك مهلك القرى بظلم على ان من هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة
عاملة لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا
اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم
وهم غافلون لم ينتهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين
درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بناء عنه تخفى عليه مقاديرها
واحوالها وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم
بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم
وهم اهل سفينة نوح عليه اللعم المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن ومعنى
المكان يقال لمكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم جيئوا بما تعملونه
من امركم واقصى استطاعتكم وامكنكم واعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا
امر ان ثبت على حاله على مكانتك يا فلان اى اثبت عليه لا تتحرف عنه اني عامل اى عامل
على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم
فسوف تعلمون ايتنا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم
وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا يأتي منه الا الشر لنكاته ما امر به وهو واجب عليه
حتم يلبس له ان يفسخ عنه وبفعل خلافه ما ان ملت ما موضع من ملت الرفع اذا كان بمعنى
اي وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق
الله هذه الدار لها وهذا طرف من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال واذ حسن
مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر ممحق وان المنذر مبطل كانوا يجيئون اشياء من
حرث وناج لله واشياء لسهامهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا نميا يزيدون في نفسه خيرا
رجعوا المجعول للاصنام فتركوه لها واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك
لجهلهم الهتهم وايثارهم لها وقوله ما ذرأ فيه ان الله كان اولى ان يجعل له الزاكي لانه هو الذي
ذرأه وزكاه ولا يتوجه الى الاصنام قصد على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقولهم اي قد زعموا انه لله

فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم
دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم

والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين
اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يضربونها اليها من قرى
الضيفان والتصدق على المساكين هو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها
والاجراء على سدنتها وهو ذلك ساء ما يحكمون في ايثارهم الهتهم على الله وعلمهم على عالم بشرع لهم ذلك
ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشركاء في قسمة القربان بين الله والآلهة مثل ذلك التزيين
البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركائهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم
قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما
لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركائهم ونصب
قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين
كانه قيل لما قيل زينهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركائهم واما قراءة ابن عامر
قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء
والفصل بينهما بغير الظرف فشئ لو كان في مكان الضرورات وهو استكراه كان بحار مردود
كما يحار رد ترجح القلوص ابي مزادة فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز
حسن نظمه وحجة الله والذي حمله على ذلك ان رآى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء
ولو قرؤا اخر الاولاد والشركاء لانا لا نعلم لاولاد شركاء في اموالهم لو جد في ذلك سند وحجة
عن هذا الا ترتكاب البرد وهم يهملكونهم بالوعوا وليلبسوا عليهم دينهم ويخلطوا عليهم ما كانوا
عليه وقيل معناه ليوقعوهم في دين ملتبس بان جعلت ما بمعنى اللام تلت ان كان التزيين
من الشياطين بنى على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله
مشيئة قهر ما فعلوه لما فعل المشركون عازبين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة
التزيين او الازدراء او اللبس وجميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون
وما يفترونه من الافك او وافتيرا ايهم بجعل فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في
الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرا الحسن
وقتادة بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا الصفايا
من حروثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وحرم اناث الانعام والرجال دون

قل اذا أثمر لينظر الى أول وقت الاباحة ووقت اطلاع الثمر ليلا يتوهم انه يباح الا ادراك وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واستدلوا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة فقسم ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطوها كل البسط فتقعدوا ملوما محسورا حمولة وفرشا عطف على جنات وانشأ من الانعام ما تحمل الاثقال وما يفرش للذبح او يتخذ من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده سمي فردا فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وسمي زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وتجار وبعير العين وفرد الاثنى ومن المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وانا ثها ولا ما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون ندر حرمها الله فانكر ذلك عليهم بتبكيتهم بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ام كنتم شهدآ بل اكنتم شهدآ ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حيث

وانواعه جمع طهور بها وانعام تذكرون اسم الله عليها افرا عليه بجزمها كانوا يفعلون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر

النساء والانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي والانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله نجعلوها افتراء اختلاقا لهو اسمهم ونسبوا ذلك التخيير الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء او انتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا يأكل منه الاناث وما ولد منها استوى فيه الذكور والاناث وانث خالصة لتحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم ليحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو و خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد وجوز ان يكون حالا مقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة وهي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتاء على ان تكن الاجنة مسنة وقرأ اهل مكة وان تكن بسنة بالتاء والرفع على كان التامة وذكر الضمير في قوله فيه نظير قوله فيها صنوان وغير صنوان لكل ميت ذكرا واثنى فكانه قيل وان يكن ميت فيهم سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله ولتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم خشية السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله مبرد ازقهم اولادهم وقرئ قتلوا بالتشديد مبالغة في قتلهم الله من البحائر والسوائب وغيرها انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الاوراب والعمران مما عرشه الناس واستنبتوه به تعريش وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال ومن غير معرشين يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفا اكله في اللون والطعم والجرم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك لقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين مما قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما اباح لهم الاكل من ثمره

فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين
من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا

فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي وخلف الوعيد جودا
وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لمن اطاعه ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
فلا يغتر بتوقع رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبارا بما سوف يقولونه ولما
قالوا قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون كفرهم وتمردهم
ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولو لا مشيئته لم يكن شيء
من ذلك كذلك مذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله
عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبرائه من مشيئة القبائح وارادتها
والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد
كذب التكذيب كله وسوى تكذيب الله وكتبه ورسله وبداهة العقل والسمع وآثر اظهر من
حتى ذاقوا بأسنا حتى انزل بنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح
الاحتجاج به فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال ان يكون
له حجة ان تتبعون الا الظن وما انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون
او تكذبون وترى كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف مثل فلله الحجة البالغة يعني فان
كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم
بل شاء هداكم اجمعين منكم ومن مخالفكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تعلقوا
بدين من خالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم وتعادوهم وتوافقوهم وتخالفوهم لان المشيئة
تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم فان قلت كيف امره
باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد
معهم قلت امره باستحضارهم وهم شهداء الباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر
للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء وفي اقدام الشاهدين والمشهود لهم
وانهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني لا تسلم لهم ما شهدوا
به ولا تصدقهم بل اذا سلموا لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات
الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله

اذ وصيكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه
عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا
فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا

امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على زعمهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم
هذا الذي حرمته فنبكتهم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا
تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب الله تحريم ما لم يحرم ليضل الناس ويوعرون
بذلك سبيل نعمته الذي يحرز الظاهر ويستتب السوابغ فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه
ولم يؤت بثمنه قلت فرق بين الفاصل بينهما اغترارا صا غيرا صا حتى من المعدود وذلك ان الله عز
وجل من على عباده بانشاء الانعام لما فيها من منافعهم وبما اباحها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها
والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل والاعتراض في الكلام لاتساق الاتي كما جيء
فيما اوحي الى تثبيته على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طاعما ما محرما
من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي
مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او
فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى
ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا
له مر اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف اهل والام ترجع الضمير في به
على هذا القول قلت تعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن
اضطر ممر عند الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ذو الظفر
كل ما لا اصبع له من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فنعم
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك اخذت من زيد ماله وشحمتهما ما التصق بالظهر والكلى
والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم
منها الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل
على الظهور والجنوب من الشحوم او الحوايا او اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم
الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما او تميز لها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء
جزيناهم وهو تحريم الطيبات بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه
كما نخلف ما وعدنا اهل الطاعة فلما عصوا ونقضوا الميثاق لعناهم وخلقنا بهم العقاب

والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم هي احسن

فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذاك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا من ما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم الا بالتي هي احسن

الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون

الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنه هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة فان قلت علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصاكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما

وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا
انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او
كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون

اي تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول
الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا كراهة ان تقولوا على طائفتين يريدون اهل التوراة
واهل الانجيل وان كنا هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل
وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم
لكنا اهدى منهم لجدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها
وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد
جاءكم بينة من ربكم تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من
الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط
وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن
من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب
كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت
او العذاب او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل قوله او يأتي بعض آيات ربك يريد آيات القيمة
والهلاك الكلي وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن
البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه فقال ما تتذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض
وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا
وقوله او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي آيات
ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها
غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان
وبين النفس التي في وقته ولم تكسب خيرا لتعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين
قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك
قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تأتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع
بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه فرقوا
دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة

ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم
لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت
وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم
خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في
الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل
فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة
يشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة
بآية السيف عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد
بالواحد سبع مائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات
عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل الى صراط
لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد
وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابراهيم عطف
بيان وحنيفا حال من ابراهيم ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين
الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل وصلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي
وما آتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك
من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته اغير الله ابغي ربا
جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل
شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تأمروني اعبد
ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جعلهم خلائف
الارض لان محمدا صلى الله عليه خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا
او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق
ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع
والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام
بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه انزلت
علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ
الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات وسلهم عن القرية الى واذ نتقنا وهي مائتان وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا
من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب خبر مبتدا محذوف اى هو كتاب وانزل
اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اى شك منه كقوله فان كنت
في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كان المتيقن منشرح
الصدر منفسحه اى لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه و
تكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الرد او لا ينبسط له فامنه الله ونهاه
عن المبالاة بهم فان قلت ثم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اى انزل اليك لانذارك
به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على
الانذار او لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت ما محل الذكرى
قلت يحتمل الجر كاب الثلاث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر ذكرى او ان
الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف
على محل ان تنذر اى للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما
وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ها هنا اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة ولا
تتبعوا من دونه اولياء اى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم
على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويصدونكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه
وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب
ان يعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ ابن الكلبي ولا تتبعوا بالاسكان ومن بتبع غير الاسكان
دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا
ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء وتذكرون بالتاء
وقليلا نصب بتذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا او ما مزيدة لتوكيد القلة كما جاء في اهلها
بيانا مصدر واقع موقع الحال بمعنى مبينين يقال بات بيانا حسنا وبينة حسنة وقوله او هم
قائلون حال معطوفة على بيانا كانه قيل جاءها بأسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر
حذف المضاف الذي هو الاهل قبل القرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت انما يقدر المضاف
للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في جاءها لقوله او
هم قائلون فان قلت لم يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو وما بال قوله هم قائلون قلت
قد ذكر بعض النحويين الواو وحذفه وردة الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني

فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون

فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون

زيد هو فارس لم تحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال
قبلها حذفت الواو استغناء لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل
فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث
فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها بأسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس قلت
معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت
القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا
بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه من دينهم ويتخلونه
من مذهبهم الا اعترافهم بظلمانيه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين بما كنا عليه ويجوز فما كان
استغاثتهم الا قولهم هذا الاستغاثة من الله بغيره من قولهم دعواهم بالكعب ويجوز فما كان
دعاؤهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذمهم
انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز
العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسندا الى الجار والمجرور وهو الى اليهم ومعناه فلنسألن
المرسل اليهم وهم الامم بما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين ويسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن
عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عليم بأحوالهم الظاهرة والباطنة وافعالهم
وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم
فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بألسنتهم وشهدت
عليهم أنبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على
الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اى والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق
اى العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان
وكفتان بمنظر العين الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن
اعيانهم فيعترفون لها بألسنتهم وتشهد لها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم ويشهد عليهم
الانبياء والملائكة والاشهاد وكاثبت في صحايفهم فيقرأونها في موقف الحساب وقيل هي
عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اى فمن
رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن

ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين
قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين

الخسس وحق البيان توسع فيه الخسنات ان ينقل وحق البيان توضع فيه السيئات ان يخف يا آيها
يظلمون تكذبونها ظلما كقوله فظلموا بها مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم
فيها وأقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه
بصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه
بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن يجد لآدم لان الى ان
تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها ليلا يعلم اهل الكتاب يعني ليعلم
فان قلت ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه
كأنه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود ونظيره منعته نفسك اذ امرتك ان امرك
لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه فان قلت لم سأله عن المانع من
السجود وقد علم ما منعه قلت للتوبيخ وإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله
وازدرائه اصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود
الفاضل للمفضول خارج من الصواب فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا لما
منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه
بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منها الجواب
وزيادة عليه وفي انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول
من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به فاهبط من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملئكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك مثلهم
لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى
اوليائه لتكبرك لا تقول للرجل ثم صاغرا اذا اهنته وفي ضده ثم راشدا وذلك انه
لما اظهر الاستكبار والتيه الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته
وقال اتعس يعتك الله وعن بكير وغيره اطوبى وهصبه الله الى الارض فان قلت
لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من
ابتلاء العباد وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمة حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الرجاف
وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليعلم بها عباده فيما اغويتني

قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين

بسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وعلى تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت لآدم مع كونهم
افضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى بسبب
وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت ثم
تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن تصدر عنه لام القسم لا تقول والله لزيد لآمرن قلت
تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم
وحق ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن والتكليف
من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به ومن ثم كاذب المجبرة
ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء رمى بالقدر فجلس اليه فقال
له طاوس قم او قام فقام الرجل فقيل له انقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال
رب بما اغويتني وهذا يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من فقههم على اضافة القبائح الى الله
سبحانه ان تفقوا الا كاذبين على الرسول والصحابة والتابعين وقبل ما للاستفهام كأنه قيل باي شيء
اغويتني ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على الاستفهامية قليل شاذ
واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم وفاد لاقعدن لهم صراطك المستقيم
لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على
الظرف كقوله كاعسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن
اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق
الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع دار ك
وتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه
فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو غالبا وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله
ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة
قلت المفعول فيه عدي اليه الفعل كقولك قعدت اليه من كل جهة من هذه الجهات فلما اختلفت حروف التعدية
بذلك اختلفت في هذا وكانت لغة توخذ ولا تقاس وانما يقتفى عن كل جهة منها فقط فلما تعمهم
يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلما يقولون جلس عن يمينه انه لا يكاد يمكن من جهة اليمين
المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجانبا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملابس له

ثم كثر حتى استعمل في المجاني وغيره كاذكرناني يقال وغيره من المفعول به قولهم رميت عن القوس
وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي وبين يديه
الرمي منها وكذلك قالوا اجلس من يديه وخلفه بمعنى واحد لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه
لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح
الا تغلبني الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين
يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاغفر واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من
خلفي فخوفني الضيعة على مخلفي فاغفر واما من فوقها فاني اعلى الله رزقها واما من قبل شمالي
فانها تبني من قبل النساء فاغفر والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فانها تبني من قبل الشهوات فاقول
وجل يلتهم وبين ما يشتهون ولا لخذ اكثرهم شاكرين قاله لظنها بدليل قوله ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم مذءومًا ما مذءومًا من ذأمه اذا ذمه وقرا الزهري
مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولا ملان جوابه هو
ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون
وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم
منكم اجمعين على ان لا ملان محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرى هذه الشجرة
والاصل البناء والهاء بدل منها ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا بكرره وسمعه ومنه وسوس الحلي
وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ودعوع الذئب ودحل موسوس بكسر الواو وقيل موسوس
بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة
لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليسمعه وجعل ذلك عرضا له ليسوء به اذا اراد اياما بوبر ان يترة وان
لا يطلع عليه مكيثرفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور واقدم ابوينا مستحيا في
الطباع مستقبحا في العقول ما نهاكما ربكما قد تقدم نظيره في ولا تقربا هذه الشجرة ان تكونا
اصله تنهيا حذفت الياء اكتفاء بالكسرة كما في قوله ما كنت ابغ وقرى ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الذين لا يموتون ويقولون في الجنة
ما كنين وقرى من سوآتهما بالتوحيد وسوآتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما
لمن الناصحين ما نهاكما المقاسمة ان يقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمته فلانا حالفته

وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما
عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين

وتقاسمها تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كانه قال لهما اقسم لكما اني
لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسما لهما بالنصيحة
واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم
فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة بغرور وما اعز منها به من القسم بالله وعن قتادة وانما تخدع
المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة حسنة صلاة اعتنقه فكان عبده
يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم ليخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له فلما ذاقا
الشجرة وجدا طعمها آخذ في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما
سوآتهما اي لهما فسقط عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما
من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسها
من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسها نورا يحول بينها وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا
بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح خصفان ودفة فوق ودفة على عوراتهما
ليستتر بها كاخصف النعل بان يجعل طرقة على طرقة وتوثق السبول وقرأ الحسن خصفان
بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله مختصفان وقرأ الزهري خصفان من اخصف وهو منقول
من خصف اي خصفان انفسهما وقرى خصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان
ورق التين لم آمنكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم تحذرا مما حذركما الله
من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم اكن اكرمك بما منحتك من شجر الجنة منذ وجهتك عن هذه
الشجرة فقال يا رب وعزتك ولكن ما ظننت احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي
لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث
فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسمي آدم لانه خلق من اديم الارض وان كان صغيرا مغفورا
ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير
من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وابليس
وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقرا استقرارا
او موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط
آدم وحصرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تندو وتعولهم فقال لها اخلي ملائكة ربي
فانما اصابني الذي اصابني بحبك فلما توفي غسلته الملائكة وكفنته وحنطته

Kalam Research Center

قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله
لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم

في ويثير من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بمدينة بأرض الهند وقالوا لنبيهم هذه سنتكم
بعده جعل لكم من الأرض مهادا من السما لأنه قضى ثم وكبد ومنه وانزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج
والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا
يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال الركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ
عثمن رضي الله عنه وريشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس الورع والخشية
من الله وارتفاعه على الابتدا وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى
هو خير لان اسم الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو
خير وذلك صفة للمبتدا كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا يخلو الاشارة من ان
يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان يكون اشارة الى اللباسين المواري للسوآة لكن سوآة اذا السوآة
من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف اي وهو لباس
التقوى ثم قيل ذلك خير من عبد الله وابى ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس
التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقوى ولباس
التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على
عباده يعني انزال اللباس ليعلموا ويذكروا فيشكروا نعمة الله عليهم فيه وهذه الآية واردة
على سبيل الاستطراد عقيب ذكر مواري السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة
فيما خلق من اللباس والمأوى العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان الستر
باب عظيم من ابواب التقوى لا يفتننكم الشيطان لا يخدعنكم بان لا تدخلوا الجنة كما خدع
ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان
نزع عنهما انه يراكم موتعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويقاتلكم
من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه
الله وقبيله وجنوده من الشياطين وفيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس
وان اظهارهم انفسهم لبعض استطاعهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة انا جعلنا
الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خليناهم وشأنهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم واطاعوهم
فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول غاير قيل علام عطفت
وقبيله خلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه ضمير الشان والحديث وقرأ اليزيدي

انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون
قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين

وقبيله بالنصب وجه وجهان ان يعطفه على انكم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطف على
اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس الفاحشة ما بالغ في قبحه من الذنوب اي اذا
فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلا اسما
باطلا من العذر وان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افترآء على الله والحاد في
صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى
الله عليه الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل واذا
فعلوا فاحشة قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود
الصارف فكيف يأمر بفعله اتقولون على الله ما لا تعلمون انكارا لما فيهم القبح اليه وشهادة
عليهم على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة بالقسط بالعدل وبما
قام في النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم وقيل اقيموا
وجوهكم اي اقصدوا عبادته مستقبلين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل
وقت يصح فيه الصلاة او في كل مكان يصح فيه الصلاة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
مستغنين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم ابتدآ بعيدكم احيآء عليهم وانكارهم
الاعادة بابتدآء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا
هدى يعني الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم
الله انهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كانه قيل
وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء
تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا اثر له في ضلالهم وانهم هم الضالون
باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله خذوا زينتكم اي لباسكم الذي يواري سوآتكم عند كل مسجد
كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحج والله يأمر بما كان
احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه ورأى المنجد ان طاف وعليه ثياب رمى عليه ثوبا وانتزع منه لانهم
قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل نقاوة لا بسر وامن الذنوب كالغر والمحجل من التباشير
وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان اخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وكان سعد يأمر
في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا مرة واحدة ولا يأكلون دسما يعطون بذلك رجاء فقال المسلمون فانا
اعق ان نفعل فعسى لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت

قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل
فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله

ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن
الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له
قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته
فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم
هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها
قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم
القيمة لا يشركهم فيها احد فان قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه
على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه قليلا
ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر
الفواحش ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج والاثم عام لكل ذنب وقيل
شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل
به سلطانا فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله وان تتقولوا
عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في
اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال ساعة لانها اقل الاوقات
في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه اما يأتينكم هي
ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة
فان قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى
واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن يقول على الله ما
لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار
حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي
يبتدأ بعدها الكلام والكلام هاهنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا ويتوفونهم
حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف

قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا
اداركوا فيها جميعا قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم
علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك
نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين

وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم
ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوه في العاقبة قال ادخلوا
اي يقول الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته
وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اي ادخلوا
في النار مع امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها
حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخريهم منزلة وهي
الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤوس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان
خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا
ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على
قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق
الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا
يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء
فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا يصعد ارواحهم
اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السماء
وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل
بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس
الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله احسن تشبيها من ان يشبه
بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة
اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت
لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير
ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من
ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن
الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرئ في سم
بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به

وهو الهيبة وكذلك ومثل ذلك الجزاء النفظيع نجزي المجرمين اليوذن ان الاجرام هو السبب الموصل
الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين ان كل مجرم ظالم لنفسه
مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله ولله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله لا
تكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف
الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما موفى الوسع وسع الامكان الوابع غير الضيق من الايمان
والعمل الصالح وقرا الاعمش لا نكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه قيل
قلوبهم طهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل
الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا ان هدانا
الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة مؤسسة للاولى لقد
جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا
بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تفريعا وتعبدا كما ترى مرتزقا خبازا في الدنيا يتكلم بمثل ذلك ولا
تكاد تقول ان الا ان قد وجدنا ان لتكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا
المبطلة ان مع ان قد وجدنا الجمهور ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا
وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار
وزيادة في غمهم ولتكون حكاية لطفا لمن بعدها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين
وسولك بامره الله فنادى بينهم نداء اهل الجنة واهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد
والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال
فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة
وعدنا عليه ولغاية اريد القول المطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب
والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا ممكنة بينهم ذلك الجمع ولان الموعود كله مما سنأتم
ومما نعيم اهل الجنة اتى عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب يعني من الجنة والنار او بين
الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب

وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم
لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء

وهو السور المضروب بين الجنة والنار ومتى اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف
الديك رجال من المسلمين من آخر هم دخولا في الجنة لفضور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله
يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله في دخول الجنة يعرفون كلا من زمرة السعداء
والاشقياء بسيماهم بعلاماتهم التي اعلم الله بها ملائكته اذ او تعرفهم الملائكة اذا
نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم بلقاء اصحاب النار
ورأوا ما بهم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى ربهم ان لا يجعلهم معهم ونادوا
رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم
الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم وبفقرهم وقلة حظوظهم من
الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا
ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها
وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه ولترغب
السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف
ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيزدجر المسيء عن اساءته
ويزهد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر النار عملا وقوله
واذا صرفت ابصارهم تنبيه على ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتوجهوا
وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقراءة من
دخلوا الجنة فان قلت كيف لائم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
قلت نادبه ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف
كان قائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم
ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم
يطمعون لم يئاسوا وجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال
او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكبرون
من الكثرة افيضوا علينا منه دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم من غيره من الاشربة

هذه الصفحة من نسخة مخطوطة من تفسير الكشاف للزمخشري

كذلك يقصّ الآيات لعلهم يتذكرون لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه
إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون

الذي هو النبأ وأبهم المضاف إليه الذي هو الراجع إلى الفلك مفاقمة لأنه كان مجرورًا بادرًا
بالقلب مرفوعًا مستكنًا إلى وجوهه موقع الفاعل أو يقدر وبنأ الذي حبث وفوى نكدًا بفتح
الكاف على المصدر أي ذا نكد ونكدًا بإسكانها للتخفيف كقوله تزوه عن الترب بمعنى تزوه ومذا
مثل لمن يخبع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولس لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته
منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالأرض الطيبة
أصابها الغيث فأنبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله
بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات
نردد ذكرها ونكررها القوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف
بالياء أي يصرفها الله لقد أرسلنا نوحًا قسم محذوف فإن قلت ما لهم لا يكادون يتظفون هذا
اللام إلا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فقلت إنما كان
ذلك لأن الجملة القسمية لا تأتي إلا تأكيدًا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة بمعنى
التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قبل أرسل نوح وهو ابن خمس مئة سنة
وكان نجارًا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم إدريس النبي عليه السلام وقرئ
غير ما لحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم إله غيره والجر على اللفظ والنصب على
الاستثناء بمعنى ما لكم من آلهة إلا إياه كقولك ما في الدار من أحد إلا زيدًا وغير زيد فإن قلت
ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة
والثانية بيان للداعي إلى عبادته لأنه هو المجدر ورجاءه دون من كانوا يعبدونه من دون الله
واليوم العظيم يوم القيمة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الأشراف والسادة
وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الدوبة الرواية والنقل
فإن قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة أخص من الضلال
فكأنه أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الكذب ترفعت مالي ومنه
فإن قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكًا للانتفاء الضلالة قلت كونه رسولًا من
الله مبلغًا رسالاته ناصحًا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكًا للانتفاء عن
الضلالة وقرئ أبلغكم بالتخفيف فإن قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان
أحدهما أن يكون كلامًا مستأنفًا بيانيًا لكونه رسول رب العالمين والثاني أن يكون صفة لرسول فإن قلت

أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم
كانوا قومًا عمين وإلى عاد أخاهم هودًا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنريك في سفاهة

كيف جاز أن يكون الرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لأن الرسول وقع خبرًا عن ضمير
المخاطب فكان معناه كما قال أنا الذي سمتني أمي حيدره رسالات ربي ما أوحى إلي في الأوقات
المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز أن
يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبلهم من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي
خمسون صحيفة وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام دلالة على إخلاص
النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودًا بها جانبه لا غير فرب نصيحة يشفع
بها الناصح فيقصد النفعين جميعًا ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله ورسله وأعلم من الله ما لا تعلمون
أي من صفات الله وأجواله يعني قدرته الباهرة وبطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد
عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم جرى بهم العذاب بتعليم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه
نوح بوحي الله إليه أو أراد وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها فذا وحي إلى بها أو عجبتم الهمزة
للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم أن جاءكم من أحكم
ذكر موعظة من ربكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك أنهم كانوا
يعبدون من دون نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء
ربنا لأنزل ملائكة لينذركم ولتتقوا التحذير كم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب
الإنذار ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اثنين وثلاثين رجلًا
وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فإن قلت في الفلك
بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كأنه قيل والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك
ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمى القلوب غير مستبصرين
وقرئ عامين والفرق بين العمى والعامي أن العمى يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ويحتمل قوله
صابئين صدر كأخاهم واحدًا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدًا منهم لأنهم
أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن
نوح وأخاهم عطف على نوحًا وهود أعطف بيان له فإن قلت لم حذف العاطف في قوله قال
يا قوم ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال
يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فإن قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح
قلت كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريد

وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
آباؤنا فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم

النفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن وعنى قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا
وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا وارد اللذم لا عيب في سفاهته في خفة حلم وسخافة عقل
حيث تتخير دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد وانه متمكن فيها
غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من
الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس
واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء
وكيف يغضون عنهم ويسلمون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح
والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح بما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء
من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في
الخلق بسطة مما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبداءة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا و
اطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله التي استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه
واحدها الا لا الى ودعوة الى وآنا وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله
اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم
اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا ان يستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين
الآباء لاجل الاصنام تركا معه حثيثا واعليه والقالما صادفوا آباءهم يتدينون به
فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل
عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم
وان يريد به الاستمرار لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا
من السماء كما جاء الملك وان لا يريد حقيقة المجيء وانما قصد التعريض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني
ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك
فاتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قدر ان ينزل عليكم
حلول الموقع الذي لا بد منه نزله بمنزلة الواقع ومعنى قولك لمن طلب اليك بعض المطالب
قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعة زنبور وهو طفل فجاءت به امه فقال له يا بني
مالك فقال السعني طويرة كانه تلطف في ردي جيرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر
اسماء سميتموها انتم وآباؤكم من غير ان يكون تحتها مسميات من الاصنام سميتموها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم

ليس

انزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين قال يا قوم

محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم لها من قولك سميته زيدا وقطع
دابرهم استيصالهم وتدبيرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد بسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت
وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمودا والهنا فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم
وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلثمائة سنين حتى
جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم
واهل مكة اذ ذاك العمالقة اولاد عملیق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت
عاد الى مكة من اموالهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما
قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم واكرم مثواهم وكانوا اخواله و
اصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى
طول مقامهم وذهولهم بالله وعما قدموا له اتمة ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهو لاء
على ما بهم عليه وكان يستحي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين
فقالتا قل شعرا تعنيهم به لا يدرون من قاله فقال ـــــ معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما

فلما غنتاه قالوا ان قومكم ينغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا
الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدم معنا مكة
فانه قد اتبع دين هود وترك دينك ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم نادا اسم منادمن السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واديهم يقال له المغيث
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم وجاء هود والمؤمنون
معه فانوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله
وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد
ومن طامع هودا عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم
ليعلموا ان اهلاك الكذبين وحي الله المنبئ قبل الى ثمود كجميع الصرف بنا وبل القبيلة
والى ثمود بالصرف بنا وبل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن

الحاكم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من آله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يعني ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم

وقوله إخوان عاد أي في النسب ولم يكن هود أخا لعاد في الدين لأن عادا كانت قبل نوح وهود بعد نوح وقيل بعد صالح وقيل بعد إسماعيل عليه السلام وقيل بعد إدريس عليه السلام وقيل بعد آدم عليه السلام وقيل بعد إدريس الذي هو جد نوح عليه السلام وقيل بعد إدريس الذي هو جد نوح عليه السلام

سام بن نوح اخوا ارفخشذ وقيل بعث ثمود بعقر ناقة صالح من النهد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية ظاهرة وشاهدة على صحة نبوتي وكانت قبل هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي آية موجهة عليه الإيمان خاصة وسمى ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وإنما أضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتخصيصا لشأنها وإنها جاءت من عنده منكوحة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفتهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن الحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش وعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون لحداثتهم وانذرهم فسألوه آية فقال آيتكم آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيد منهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء المخترجة التي ما كلب النحت فان فعلت صدقناك واجتمعنا فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وولدها بين أظهرهم عظامهم ينظرون ثم انجابت ولدا بينها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع إيمانهم باقيهم من رؤوسهم ان يؤمنوا فكانت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت إذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما رفعته حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفجر فيحلبون ما شاءوا حتى تملأ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري أيتكن أرض ثمود قدر غلة مصدق الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة إذا وضع الحر نصبت بطن الوادي فتهرت منها العاصم فتهبط الى بطنه واذا وضع البرد نصبت بطن الوادي فتهرت مراتعهم الى ظهره فشق ذلك عليهم ورثت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم وصدقة

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم

بئس المحتلب لما أصرت به من مواشيها وكانت كثيرة المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقيها حتى رمى جلادا اسمه قارة فوقع فمات وكان صالح قال لهم اذبحوا الفصيل عسى أن يرتفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد عقرها فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأخذه الله الى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع ارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا وكل في أرض الله اي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها وكل في أرضها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من أبناكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تركبوها بشيء من الأذى أكوا ما بالله وبرسوله أن رسول الله صلى الله عليه حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحدكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية ناكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة وهو أكم وثمر لكم والمساكن المنزل هي الأرض في أرض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا أي تبنون من سهولة الأرض ما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله يتباع منه ذبي مصطلي أسل حرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء للذين استضعفوا الذين استضعفهم رؤساء الكفار واستبدلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك أن الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مقهورا المن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الا استضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للجبهة أتعلمون أن الله فوق رؤوسنا

أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين

فان قلت كيف قولهم انا بما ارسل به مؤمنون جوابا عنه قلت سألهم عن العلم بارساله فجعلوا الارسال امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه والما هو نه وانما الكلام في وجوب الايمان به فنحن كما انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل له رد الما حمله المؤمنون معلوما واحدوه مسلما فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الصخرة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتبين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء وصد وعتوهم عن امر ربهم كان امرهم بعقرها كان سوء السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري انما بعدنا اراد واهبر العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستحالتهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وسموكونه من المرسلين الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها في ديارهم او في مساكنهم جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال النار جثم اي صوت لا حراك بهم ولا يبيضون بنية ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله فالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان يعسكر اذا غزا فمر بقبر فقال لمن فيه فقال ابو رغال فقال انذروه من هذا فالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصته الى ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان شاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعلمه ما ابصرهم جاثمين تولى معنى متحسرا على ما فاته من ايمانهم يتحسر لهم ويقول يا قوم لقد بلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولى ذاهب عنهم متكرها لصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وعشرة آلاف وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم

فان قلت كيف خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم ينتصح منه حتى الفى نفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا لوطا واذكر لوطا او ارسلنا لوطا واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة المنكرة في القبح ما سبقكم بها ما عملها غيركم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا صرتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا لم ننكر عليها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ايكم لتأتون الرجال بيان لقوله اتأتون الفاحشة وانما ذكر منها في اتأتون للانكار والتعظيم وقرئ ايكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا دم اعظم منه لانه وصفهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين الشهوة غير ملتفتين الى الساجة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحد وفي كل شئ فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحو بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه الا ان قالوا يعني ما اجابوا بما يكون جوابا عما كلفهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ونهيهم عن الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاوبوه بما هو آخر لا تعلق لكلامه وتصيحه من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم حجرا بهم وبما يسمونهم من عظيم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون يحترزون بهم ويتطهرون من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارتجعوا من هذا المتزهد واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا هلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت امرأته فهلكت تحت ديارهم وقيل كانوا اربعة آلاف من الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف

ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين

وامطر علیهم مطرا فانظر کیف کان عاقبة المجرمین وال مدین اخاهم شعیبا قال یاقوم اعبدوا الله مالکم من اله غیره قد جاءتکم بینة من ربکم
واوفوا الکیل والمیزان ولا تبخسوا الناس اشیاءهم ولا تفسدوا فی الارض بعد اصلاحها

بالمثبتین منهم وامطرت الحجارة علی سائرهم وشذاذهم وقیل امطر علیهم ثم خسف بهم وذلک
ان تاجرا منهم کان فی الحرم فوقف له الحجر اربعین یوما حتی قضی تجارته وخرج من الحرم فوقع علیه
فان قلت ای فرق بین مطر وامطر قلت یقال مطرتهم السماء وامطرتهم وقد جاء فی موارد
الکلم خیر فی غیر مطر وشر فی ان یکون غیر ممطور ومعنی مطرتهم اصابتهم بالمطر کقولهم غاثتهم وغیثتهم
وبلتهم وجادتهم ورمتهم وقال امطرت علیهم کذا معنی ارسلته علیهم ارسال المطر فامطر علینا
حجارة من السماء وامطرنا علیهم حجارة من سجیل ومعنی امطرنا علیهم مطرا وارسلنا علیهم نوعا
من المطر عجیبا یعنی الحجارة الا تری الی قوله فساء مطر المنذرین کان یقال الشیخ خطیب الانبیاء
احسن مراجعة قومه وکانوا اهل تخسیر للکایل والموازین قد جاءتکم بینة من ربکم معجزة شاهدة
بصحة نبوتی اوجبت علیکم الایمان بی والاخذ بما آمرکم به والانتهاء عما انهاکم عنه فاوفوا
ولا تبخسوا فان قلت ما کانت معجزته قلت قد وقع العلم بانه کانت له معجزة لقوله
قد جاءتکم بینة من ربکم ولانه لابد لمدعی النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح
دعواه وکان متنبئا لانبیا غیر ان معجزه لم تذکر فی القرآن کالم یذکر اکثر معجزات نبینا
فیه ومن معجزات شعیب علیه السلام ما روی من محاربة عصی موسی الثعبین حین دفع الیه غنمه
وولادة الغنم الدرع خاصة حین وعده ان تکون له الدرع من اولاد ما وقوع عصی
آدم علی یده فی المرات السبع وغیر ذلک من الآیات لان هذه کلها کانت قبل ان یبعث موسی
وکانت معجزات لشعیب فان قلت کیف قیل الکیل والمیزان وهلا قیل المکال والمیزان
کما فی سورة هود قلت اراد بالکیل آلة الکیل وهو المکیال او سمی ما یکال به بالکیل کما قیل
العیش لما یعاش به واریدا فوا الکیل ووزن المیزان ویجوز ان یکون المیزان کالمیعاد و
المیلاد بمعنی المصدر ویقال خسسته حقه اذا نقصته ایاه ومنه قیل للکلیس الخس وفی امثالهم
خسها حمقا اوسمی باخس وقیل انهم لانهم کانوا یبخسون الناس کل شیء فی بیاعاتهم او کانوا
مکاسین لا یکادون یشترون الا بکسوة کما یفعل امراء الجرمیین وذلک انهم کانوا اذا دخل الغریب
بلدهم اخذوا داره فامهد الجیاد وقالوا ای بیوت فقطعوها قطعا عاما اخذوها بانقضاض
ظاهرا واعطوه بدلها زیوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فیها ای لا تفسدوا فیها بعد ما اصلحها
فیها الصالحون من الانبیاء واتباعهم العاملین شرائعهم واضافته کاضافة قوله بل مکر اللیل
والنهار یعنی بل مکرکم فی اللیل والنهار وبعد اصلاح اهلها علی حذف المضاف ذلکم اشارة الی ما

ذکر من الوفاء بالکیل والمیزان وترک البخس والافساد فی الارض او الی العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنی
خیر لکم یعنی فی الانسانیة وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من الکسب والربح ان کنتم مؤمنین
مما جرکم اذا عرفتم امانته والسویة ان کنتم مؤمنین ان کنتم مصدقین فی قولی ذلکم خیر
لکم ولا تقعدوا بکل صراط ولا تفتنوا الشیطان فی قوله لاقعدن لهم صراطک المستقیم فتقعدوا
بکل صراط ای بکل منهاج من مناهج الدین والدلیل علی ان المراد بالصراط سبیل الحق قوله وتصدون
عن سبیل الله ومحل توعدون وما عطف علیه النصب علی الحال ای ولا تقعدوا موعدین و
صادین عن سبیل الله وباغیها عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراط مستقیما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بکم عن سبیله فکیف قیل بکل صراط قلت صراط الحق
واحد ولکنه یتشعب الی معارف وحدود واحکام کثیرة مختلفة فکانوا اذا رأوا احدا
یشرع فی شیء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام یرجع الضمیر فی آمن به قلت
الی کل صراط لتقدیره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذی هو سبیل الله
موضع الضمیر زیادة فی تقبیح امرهم ودلالة علی عظم ما یصدون عنه وقیل کانوا یجلسون
علی الطرق والمراصد فیقولون لمن مر بهم ان شعیبا کذاب فلا یفتننکم عن دینکم کما کان
یفعل قریش بمکة وقیل کانوا یقطعون الطرق وقیل کانوا عشارین وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبیل الله عوجا ای تصفونها للناس بانها سبیل متوجة غیر مستقیمة لتصدوهم عن
سلوکها والدخول فیها او یکون تهکما بهم وانهم یطلبون لها ما هو محال لان طریق الحق لا یعوج
واذکروا اذ کنتم قلیلا اذ مفعول به غیر ظرف ای اذکروا علی جهة الشکر وقت کونکم قلیلا
عددکم فکثرکم الله وقد عدد کم قیل ان مدین ابراهیم تزوج بعد لوط فولدت فرمی الله
نسلها بالبرکة والنماء فکثروا او قووا وفی اذ کنتم مقلین وقرأ الکثرکم لجعلکم مکثرین موسرین
او کنتم اقلة اذلة فاعزکم بکثرة العدد والعدد عاقبة المفسدین آخر امر من افسد قبلکم من
الامم کقوم نوح وهود وصالح ولوط وکانوا قریبی العهد مما اصاب المؤتفکة فاصبروا
فتربصوا وانتظروا حتی یحکم الله بینا ای بنصر المحقین علی المبطلین ونظیره
علیهم وهذا وعید للکافرین بانتقام الله منهم کقوله فتربصوا انا معکم متربصون او موعظة
للمؤمنین وحث علی الصبر واحتمال ما کان یلحقهم من اذی المشرکین الی ان یحکم الله بینهم وینتقم لهم
منهم ویجوز ان یکون خطابا للفریقین ای لیصبر المؤمنون علی اذی الکفار ولیصبر الکفار علی ما بهم

الامور المذکورة بلام وکیدکم للمواعید وان تعدوا اشارة الی الطرق او ذکروا
صد قال الله وان تعدوا اراک
ذکرکم خیرکم ان کنتم مؤمنین ولا تقعدوا بکل صراط توعدون وتصدون عن سبیل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذکروا اذ کنتم قلیلا فکثرکم وانظروا ۲۳۴
کیف کان عاقبة المفسدین وان کان طائفة منکم آمنوا بالذی ارسلت به وطائفة لم یؤمنوا فاصبروا حتی یحکم الله بیننا وهو خیر الحاکمین

قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا قال اولو كنا كارهين قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين

من اجل من آمن منهم حتى علم الله فميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه عن
عدل لا تخاف فيه الجيف اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر يا ملت
كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان
عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما
ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر ملت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك فخطوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا
الجماعة على الواحد فجعلوهم غالبين جميعا اجرى الكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى
شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو لم يعد وقومه الا
انه نظم نفسه في جملتهم وان كان برئيا من ذلك اجرى الكلام على حكم التغليب فان ملت
فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المخبر عنهم
في الكفر ملت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون
عند العبد بحيث لا يقطعه الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اى هو عالم بكل شيء مما كان
وما يكون فهو يعلم احوال عباده كيف يتحولون من حال الى حال كيف تقلبهم بعد الردة وتمرضهم بعد
الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازديا د
الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله لعودهم في
الكفر محال خارج من الحكمة او لوكا كارهين الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره
اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا
افتح بيننا احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا ويكشف
بان تنزل عليهم عذابا يبتين معه انتم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين

فان ملت كيف استوى قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم ملت سواء اخبارا
مقيدا بالشرط وهو وجهان احدهما ان يكون كلاما منتفيا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما
اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد اذ انجانا منها في الاشراف على الكافر لان الكافر
مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا او لا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث زعم
انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام
معنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اى اشرافهم للتدرج فيهم بتسفيههم

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين
كذبوا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا ٢٣٥
اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض

عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذن لخاسرون لا محيد لكم الضلالة للهدى كقوله
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون بايتاعه فوائد التخس
والتطفيف لانه بيناكم عنها وبحملكم على الايفاء والتسوية فان ملت ما جواب القسم الذي
وطائفة اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط ملت قوله انكم اذن لخاسرون سادا مسد الجوابين
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ وخبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى
الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم
يقيموا في ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران
العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاسناد اليهما وهذا النكير مبالغة في رد
مقالة الملأ لاشياعهم وتنفيرا لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظاما لما جرى عليهم
الاسى شدة الحزن قال العجاج واجلسن عيناه من سوط الاسى اشد حزنه على قومه ثم
انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم
ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا
قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاقا للاسى وقرا جيش
وثاب فكيف ابني بكسر الهمزة الا احدنا اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض
سكناهم عن اتباع نبيهم وتعريضهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا وخطوا
اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله ويلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا وكثروا
انفسهم وامواليهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثر ومنه قوله عليه السلام
واعفوا اللحى وقال الحطيئة
يعشى بسد الفرجان عاف بناته وقال ولكنا نعض السيف
منها باسوق عافيات الشحوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطر هم النعمة
واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء او قد مس آباءنا نحو ذلك
وما سوبنا بذلك امن الله لعباده فلم يشن بعد ابتلائهم بالبأساء والضراء الا ان اخذهم بالعذاب
فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة
الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى
الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات

من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء
كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت
تيسيرها عليهم كما تيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت
عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله فجاءها
بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز
ان يراد ان يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان
يبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء
الشمس اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افأمن واوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة
الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين
المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد
ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ اوامن على العطف
باو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء
قوله افأمنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه
العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي
يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس
ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا اذا
قرئ اولم يهد بالياء كان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم
وهم ورثوا ارضهم هذا الشأن وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين
كما اهلكنا الموروثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى
اولم نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه
بمعنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم قلت فيه اوجه ان يكون
معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض
او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما
كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا

على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي
الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا
بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى
نقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن
بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى
الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض
انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من
آيات الله من قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم
الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم
في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان
منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل
ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس
على الاطلاق وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان
والتقوى وان وجدنا وان الشأن والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين
والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة
لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول
ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما من
بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم
مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم
وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها
ظلما فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال
لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس
وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة
وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول

وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون

امثال الحيات وقد ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لما القوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق ما يا فكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ايفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت تلك الاجرام العظيمة او قرتها اخرجت الطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق وحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاق فيها من قولهم فاق وجبح وانقلبوا صاغرين وصاروا اذ علموا انهم مبطلون وانهى السحرة وخروا سجدا كانما القاهم وملق لشدة خرورهم وقيل لعلمهم بانها كلوا ما رأوا فكانهم القوا عن قناة كانوا اول النهار كفارا وآخره سجدا وقرئ آخره بالمد وعن الحسن رآه ولد في الاسلام وثنا بين المسلمين يسجد بكرة وعشيا وكذا وسولا كفارتنا واقي الكفر بذلوا انفسهم لله آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ آامنتم على طرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا المكر تمكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا الحيلة اخذتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء لتدوا طائم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتتملكوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس ليلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للاصاغر انوثر بي ان غلبتك قال لا بل سحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه او وجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا بك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او اتجيبا يعنون انفسهم وفرعون يتقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تنقمون ان نفعل بنا ما لا بد لنا منه وما ننقم منا الا ان آمنا وما تعيب منا الا الايمان بالله اراد وا وما تعيب منا الا ايماننا كما هو اصل المثالب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله وما عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ

ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

الا افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد نارجتك اي نغرة باليجاء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون او اتهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام ويدرك عطف على يفسد والهتك اذ تركهم ولم يعبدهم وكان ذلك مؤديا الى ان عاد عن فساده والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قوله

الحطيئة

الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب بإضمار ان بعد الواو على معنى ايذرك موسى وتركه اياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على الفعل الذي بعد ان اي ايذرك اي انطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وتذر ويذرك والهتك وقرا الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل ليفسدوا وايذرك وقرئ ويذرك والهتك وقرا ابن عباس رضي الله عنه وندرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه كان اذا مشى مشى بالعصا متوكئا عليها تشبيها بالاصنام في استمساكها بالقضبان فاراد وا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا فعلناه من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان عليه موسى لا اثر لها ملكنا واستبقى نساءنا وليلا بنو تميم العاقبة انه هو المولود الذي حدثت المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيتطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه سيظهر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا بالكنهم وتسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكرهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم قال ربكم عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون قال ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

قال فلان ما شانك ان قال ذاك وما شانك اي ما يستطيع ان يحبس نفسه ومنه يذا الحابط لا يشانك وما شانك

لام الطلاق

الى يوخذ الملك منهم فهو من قولك لا تذهب به تغلب عليه

من المحنة التي هي واحد المحن الذي يمتحن به الانسان من بلية قال محنة وامتحنه اي اختبره

عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون

فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه

الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون

وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين

فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين

ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل

فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون

فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين

واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها

وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا

ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون

قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون

عطفا على الارض او ذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعذبون قتل ابناءهم قبل مولد موسى
الى ان استنبئ واعادتهم عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم
والمهن ويقتلون من العذاب على ربكم ان يهلك عدوكم فضرتهم بما رمز الله من البشارة قبل وكشف عنه
وهو هلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه
ويجيبه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسبما يوجد منكم وعن عمر بن عبد رحمة الله عليه
ورضوانه انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى ما يديه رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو
فلم يوجد فقرأ عمر وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف
تعملون بالسنين يعني القحط والسنة من الايناء الغالبة كالدابة والبحر ونحو ذلك وقد اشتقوا
منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اخطوا وقال ابن عباس ايام السنون هلكت لبادتهم واهل مواشيهم
واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب بأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة لعلهم يتذكرون
فينتبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم بآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع في حدود
والذين اعطافا واذق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ثم بعث الله موسى في ثلثمائة وعشرين سنة
ولو اصابه في تلك المدة وجع او وجع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب و
الرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نر قط نعمة والرفاهية واللام مثلها
في قولك الحمد لله وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه بنظيره وابهم وينسبوا
ويقولوا اهذه بشؤم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه هذه من عندك

فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة اذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة
قلت ان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في الندرة
ولم يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فما عددت ايام الرخاء طائرهم عند الله
اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو خلقه ومشيئته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة
والسيئة وليس يتم احد ولا نعمة بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا
انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجزيهم عليه ما يسوءهم لاجله ويعاقبون
له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا او قرأ الحسن
انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر عن تكسير وتطير التجر والتركب وعند ابي الحسن التكسير
منها ما هو المتضمنة معنى الجزاء اشمت بها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج

وقالوا مهما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد

ايها تكونوا بدركم الموت واتانذهبن تركك الا ان الالف قلبت ها استفهاما لانكار المنجانسين
وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم انه مد من الصوت الذي يلصق به الكاف
والبحر الماء الكثير قيل كف ما تاتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل مهما
قلت الرفع بمعنى اي شيء تاتنا به او النصب بمعنى اي شيء تحضرنا تاتنا به ومن آية تبيين
لها والضمير ان رجع الى مهما اتجه ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني اتبع على المعنى كقوله
بمعنى الآية ونحو قول زهير ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي خرجن فيما مر كيد له في علم العربية فيضعها في غير موضعها
ويجعب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية
في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى الوقف فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر به وهذا وامثاله
مما يوجب الحنث بين يدي الناظر في كتاب سيبويه ما ان يلت كيف سموها آية ثم قالوا لنحر بها
قلت ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا بالنسبة موسى وقصدوا بذلك
الاستهزاء او اللهم الطوفان ما طاف بهم وعليهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احدان يخرج من داره
وقيل ارسل الله عليهم الريح حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط متجاورة فما دخلت
بيوت القبط حتى فاموا وفي الما الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض
الماء على وجه الارض وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن
ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان
وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فامنوا
فنبت لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت
عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني
اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى وعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام فخرج موسى عليه السلام
الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاءت منها فقالوا اما نحن
بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان وقول ابي عبيدة كبار القردان
وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قيل بيات اخيفها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس
فاكل ما ابقاه الجراد والحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل

والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز

احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن
سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم
واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا
وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك
ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف
احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم
وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف
بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فبكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي
الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا
العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان
يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان
من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية
اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك
فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب
سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما
غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس
والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي
عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن
القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات
مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم و
نقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا
من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية والمعنى بعهده عندك
وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك
من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك
واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى اجل

الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر

هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف
العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفناه عنهم فاجاؤوا النكث وبادروه لم يؤخروه
ولكن كما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره
وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون
هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد
الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب
وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ما كانوا
يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من
قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان
من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن
عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن
رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى
ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون
من الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح
هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرا بعض
الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبا فرعون
والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد
انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم للآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر
وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم
كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله مما راى من بني
اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه
شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال
ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين
الذين امر موسى بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه

اليزيدي هو محمد بن المبارك العدوي
بصري يسكن بغداد وعرف باليزيدي
لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي
قرا على ابي عمرو البصري واشتهر بقراءته
وتقدم على اصحابه ولما قام اليزيدي بقراءة
ابي عمرو بعده اخذها عنه جماعة كثيرة
منهم ابو عمرو الدوري وابو شعيب السوسي
والدور موضع ببغداد والسوس موضع
بالاهواز وهما المشهوران بالرواية
عن ابي عمرو رحمه الله عليهم اجمعين

لخم حي من اليمن ومنهم كانت
ملوك العرب في الجاهلية
وقيل اللخم بالفتح قبيلة من مصر
وبالضم ضرب من السمك

فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب نقتل ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة

كفولك اعلاه وعلاه وعلاوة وقرى يكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نكف عليه كالهم آلهة اصنام يكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان لهو دبا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان اجف صحابته قال فلم اجعل لنا الها ولما اجف اقدامكم انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق حيث اكده بانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع انه هو يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم تبرا مبترا اذا كان قضاضا ويقال للكسار الذهب التبر اي يتبر الله وهو يهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون بان يعاقبهم على ما عملوا شيئا من عبادتها لانها سلف اثر وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هو على اسم ان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرها وتنكير الاصنام بانهم بهم المخصوصون بالتبار وانه لا يعدو بهم البتة وانه كيف ضربة لازب يجذ رهم عاجلة ما طلبوا ويقض اليهم ما احبوا الغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا او موصل لكم ما فعلكم وذا غير من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوني بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يغشونكم شدة العذاب في ايام السلعة اذ اطلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرى ينجونكم بالتخفيف روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين يوما ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يتقرب به من الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولهذا جعل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا ميقات ربه وقته له وقت له من الوقت ومنه لبلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهاذ وعطف بيان لاخيه وقرى بالتنوين على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح

وكن مصلحا او اصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الرشاد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا الوقت الذي وقتناه له وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه ميقاتنا كما تقول انيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان خلق الكلام منظوما فابه في بعض الاجرام كما خلقه محظوظا في اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين ارني انظر اليك تاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت الرؤية عن النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تجلي لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي يقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم تقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم التاس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك بعض الجواهر في ذلك انما يصح فيما كان في جهة وما لا يجوز ان يكون في جهة فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احاطة الله تعالى العقول غير لازم لانه ليس بأول مكابر بهم وانكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين احذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة انتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعا عليهم سفها وضلالا فان قلت ما كان طلبه الرؤية الا ليثبت هؤلاء الذين دعا عليهم سفها وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ وبتهم على الحق فلجوا وتمادوا في عنادهم وقالوا لا نبذل لك حتى نراه فاذا دان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وتزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فلما قال ارني لم قيل لن تراني ولم يقل لن تنظروا الي قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة علموا انه يراد ان يرى موسى ذاته فيبصره وهو يسمع كلامه فسمعوه مع ارادة مثبتة على قباس قاطع فلذلك قال موسى ارني انظر اليك وهذا اذا رجع عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار وكان الرسول امام امته فكان مخاطبا به ومخاطبا راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل انه ترحم عن مقترحهم وحكاية لقولهم

ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا

وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله
من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت
ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي يعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا
والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار
نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت
كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى
ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك
وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم
ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند
نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر مكانه كما كان مستقرا
ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل
مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب
عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بني الوعيد
بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه
فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي
مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء
والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء
متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرا
يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رآى وصعق من باب فعلته
ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه
على راسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه
فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق
من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب
الرؤية وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت
فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة العظيمة

فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه
الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك
مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال
وانا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه
العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم
لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة
وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة
في جلائها بآية مثل آيات القيمة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار
كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة
جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني لن تطيق معرفتي على هذه
الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر
له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها
فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا
لعظم ما رآى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين
بعظمتك وجلالك وان شيئا لا يقوم لبطشك وباسك اصطفيتك على الناس اخترتك
على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ
ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي
من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان قلت
كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه كان
تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح
وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة
جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها
له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة
وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا
بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام

وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا

وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فاني من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين احفظوها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في خذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالة او التوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل فيأخذوا بأحسنها اي فيها ما هو حسن وأحسن كالانتصاف والعفو والانتصار والصبر ثم منهم من خلوا على انفسهم في الاخذ بما هو أدخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على وجه الاعتبار سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف افقرت منهم ودمرت القبط لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينزل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية تقول اوردته كذا واوردته ووجهه ليس بشيء الا ان يكون من اوردت الزند كأن المعنى بينه لي وانوه لاستبينه وقرئ سأوريكم وهي قراءة حسنة يعضدها قوله واوردنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وآنهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي وقيل سأصرف عنهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آيات موسى بما جمع لها السحر فأبى الله تعالا الا علو الحق وانكسار الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسفيهها سحرا بأفعالهم وفيه انذار للخاطئين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا امثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى متكبرون غير مستحقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة للفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم ثم ان سووا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بالضم وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اشقه من نكبت المفازة

واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم

فان رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وان رأى معوجا مرجيا أخذ فيه وسلكه فعاقبهم ذلك في دينه أسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم واعراضهم الله ذلك الصرف بسببه ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم اياها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقائنا وعدالله في الآخرة من بعده من بعد ذهابه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان نسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد منهم ما يدل عليه فكأنهم اجتمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوا آلهة وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كتذكي وتذي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد الممتلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فأخرجنا بهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا له خوار وهو صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذف به في العجل فكان عجلا له خوار وقوا على رضي الله عنه خوارا بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مداد الكلمات له لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومنابجه مما ذكر في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم ومن باب الكناية وقرأ ابو النهيع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما تحصل في القلب وفي النفس بما تحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا بعبادة العجل علموا انهم قد ضلوا بعبادة العجل

وجاوزا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم
امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام

انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بالتاء
وربنا بالنصب على النداء وهذا الكلام الناطقين كما قال آدم وحوا عليهما اللام وان لم تغفر لنا وترحمنا
الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل معناه الجزنا خلفتموني فيم مقامي
وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لولد هرون
بني اسرائيل وهم مرؤوسون عليه اللام والمؤنثون معه ويدل عليه قوله اخلفتني في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني
حيث عبدتم العجل فكان عبادة الله واجب فلم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه
بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتموني بها من بعدي خلافكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي
بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من بعد ما كنت اكمل بني اسرائيل على التوحيد واكثرهم عما يخالفه نهيا وانصابهم من
عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخليفة ان يسير بسيرة المستخلف
من بعده ولا يخالف قوله ونحو خلفت من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات
المجيدة يقال عجل عن الامر اذا اراد فعله غير تام وقبضه ثم عليه واعجله عنه غيره وضمن
معنى سبق فيتعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم ومواعيده ان موسى
حافظين لعهده وما وصاكم به فتبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم
فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين
اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم والا موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا
عشرين يوما بليلتها التي وعدها ربهم ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما اخذه
من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان
في نفسه حديد الغضب وكان هرون اليف منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من
موسى وروي ان الالواح كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة
اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ برأس
اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بيده وانبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه
وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام تبرك بالفتح فسكنها تخفيفا عند الكسر
على طريق يا لكاع وابن امي بالياء وان ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح

ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت
عن موسى الغضب

فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم
للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاغتر بشبهها ولانها هي التي فاسته قبه المخاوف والشدائد
فذكرته بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لهال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبالغ فيه
طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي
الاعداء فلا تفعل بي ما هو مبتهج به من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء
نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا
تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعنفني اني واحد من الظالمين
مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي
ليرضى اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تهم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه
الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يشمت فاعفر اخي واحمده ولا تزال منتظمة لنا
في الدنيا والاخرة غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم
ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل مؤمنا مال اليهم ومنهم بنو قريظة والنضير من غضب الله
بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري
هذا الهكم والا موسى ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد بينالهم غضب
في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله والذين
عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتدوا اليه وآمنوا
واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم مجالما كان منهم
رحيم منع عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل فيه متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم او لا
ثم اردفها تعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن
لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراء ذلك فارغ واشعيته بادرة لا يلتفت
اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان اغراه على ما فعل ويقول له قل
لقومك كذا والق الالواح وجر برأس اخيك اليك ودعه يتمرك النظر بذلك وقطع الاعراب ولم يتحمل
هذه الكلمة ولم يستفصلها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك وكذلك من قبل شعب البلاغة
والا فالقراءة معا وتدبر قوة ولما سكن عن موسى الغضب رجع اليه نفسه عند هاشيا من تلك الهيبة
وطرفا من تلك الروعة وفرغ ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله

أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم
من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك

والمعنى والله أعلم اختار الألواح التي ألفاها وفي نسختها وفيما نسخ منها أي كتب والنسخة فعلة
بمعنى مفعول كالخطبة لو نهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله
يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه أي من قومه فحذف
الجار وأوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة قبل اختار من اثني عشر سبطا من
كل سبط ستة حتى تموا اثنين وسبعين فقال لهم اخلفت مكم رجلان متموا فقال إن لمن قعد منكم
مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي أنه لم يصب الاثنين شيخا فأوحى الله إليه أن
اختر من الشبان عشرة فاختارهم فاصطحوا نبوحا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا
الأربعين قد ذهد عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم
ثم خرج بهم إلى طور سينا لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فلما دنا
موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا
فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى بأمره ونهيه افعل ولا تفعل
ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوبخهم وأخذتهم وأنكر عليهم فقالوا يا موسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب أرني أنظر إليك يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته
فأخذتهم بلن ترائي ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت
أهلكتهم من قبل وإياي وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما
يقول النادم على الأمر إذا رأى سوء العاقبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا أهلكنا بما فعل
السفهاء منا يعني أهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم
طلبوها سفها وجهلا إن هي إلا فتنتك أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا الكلام فاشتدوا
بالكلام على الرؤية استبدادا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء
تضل بالمحنة الجاهلين غير التائبين في معرفتك وتهدي العالمين بك التائبين بالقول الثابت وجعل
ذلك إضلالا من الله وهدى منه لأن محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم
بها وهداهم على الإتساع في الكلام أنت وليينا مولانا القائم بأمورنا واكتب لنا واثبت لنا و
أثبتنا في هذه الدنيا حسنة عافية وحياة طيبة أو توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة هدنا
إليك تبنا إليك وهاد إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب وليعضهم
يا ذا الكلب الذئب هذهذ وأسجد كأنك هذهذ وقرأ ابن وثاب إنا هدنا السعدي هدنا إليك

قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت
عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون

بكسر الهاء من هاده يهيده إذا حركه وأماله ويجوز أن يكون منيا للفاعل وللمفعول يعني حركنا إليك
أفئدتنا وأملناها أو حركنا إليك وأملنا على تقدير فعلنا كقولك عذت بالمريض أي عدت بالمريض من كرم العرف فعلت من
العيادة ويجوز عذت بالإشمام وعذت بإخلاص الضمة فيمن قال عوذ المريض وقول القول ويجوز على
هذه اللغة أن يكون هدنا بالضم فكلتا هذه الهاء هاء هيده عذابي من حاله وصفته التي أصيب به من
أشاء أي من وجب على في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وأما رحمتي
فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء أي من مسلم ولا كافر ومطيع ولا عاص إلا وهو متقلب
في نعمتي وقرأ الحسن من أشاء من الإشاءة فأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين
يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون
بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي يوحى إليه كتابا مختصا به وهو القرآن النبي صاحب المعجزات
الذين يجدونه نجد نعته أو لئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل يكتبونه عندهم في التوراة والإنجيل
ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحم وغيرها وما طاب في الشريعة
والحكم ما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من الشحم ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث
من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما حث في أكل كالرشوة وغيرها
من المكاسب الخبيثة الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل
للثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم وكذلك الأغلال مثل لما كان
في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو تعيين القصاص عمدا كان وخطأ من غير شرع الدية وقطع
الأعضاء الخاطئة وتنجيس موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم
وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم
وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى الساعد تجشم نفسه على العبادة
وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ التخفيف وأصل العزر
المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح ألا ترى إلى تسمية الحد والحد نفسه
المنع والنور القرآن فإن قلت ما معنى قوله أنزل معه وإنما أنزل مع جبريل قلت معناه
أنزل مع نبوته لأن اشتباهه كان معجزا بالقرآن منفوعا به وبجوز أن يعلق اتبعوا أي واتبعوا
القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بشريعته وبما أمر به ونهى عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه متصاحبين
له في اتباعه فإن قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه اللام ودعائه قلت لما دعا

قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون

لنفسه ولبني اسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على اتخاذهم الالوهية على الله وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض ذلك في قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان كون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشرهم ولا يفرق بينهم وبين اسلافهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قل يبعث كل رسول الى قومه خاصة وبعثت محمد صلى الله عليه الى كافة الانس والجن وجميعا نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الرفع ان كون منقطعا ما قبله واعني به وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على الوصف وان جعل من الصفة والموصوف بقوله جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض كذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة ومن يحيي ويميت يبان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وعسى القرآن او اراد جنس ما تكلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص لهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سببا غير الكلمة ولم يكن من نطفة ثم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر ليجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزيد البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة ونفاذا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون الثابتون من بني اسرائيل لما ذكر الذين ترك لوا منهم في الدين وارتابوا حتى افتتنوا على العظيمين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق وبذلوتهم على الاستقامة وبه يهتدون وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ اسباط منهم مما صنعوا واعتزلوا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى

وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا

خرجوا من وراء الصين وهم هنالك خلف مسلمون يستفلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء اليهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت عليه غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا امكانهم وكانوا يستون فامرهم ان يجمعوا ويزكوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يرد صلحاؤكم عليهم شيئا من هدى بالحق وبه يعدل وقيل لو كان في طريق الذئاب متمسكين بشريعة ولم يكلفهم نحنها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد ألقاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وموسائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقوله اثنتي عشرة قبيلة من اثنى عشر ولد يعقوب عليه السلام فان قلت ممز ما بعد العشرة مفرد تأويله مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل وانما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لانكادتائف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف عرفي واباجي الحيا فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس ولتجعل الانبجاس مسببا عن الانجاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من اول ما ضرب انبجست لا حاجة الى الفاء الصاحبة به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا بريد كل امة من تلك الامم التي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير بمنزلة رجال وثناء وتوأم واخوات لها وجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكثير والصفة بدل من الكثرة كما أبدلت في محاسكارى وعيناء من الفحمة وظللنا عليهم الغمام وجعلنا ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الضمير ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم واذكروا اذ قيل لهم

والقرية حيث المفدس فان قلت كيف اختلف العبارة هاهنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا انتم اذا اسكنوا القرية فسيبت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجودين سكناها والأكل منها وسوغوا الحطة على دخول الباب او اخرجها لهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الوعد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد يشتمل بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك بلاغة استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران يقال له سنزيد المحسنين كذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيآتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئتكم على التأنيث للمفعول وسلهم وسل اليهود وقرئ اسئلهم وهذا السؤال لمعناة التقريع والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأن هذا من جملة ذنوبهم التي لا تعلم الا بالكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جملة الوحي ونظيره ممرة الأساء فهام التي يراد بها النقرير في قولك اعددتم في السبت والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قروية افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت حد الله فيه ونهاهم اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء الدال وثقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم ثمانون ان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقرأ عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي رضي الله عنه لا يسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا ان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويكون ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب اكثر من معنى السمك شرعا ظاهرا على وجه الماء

ولوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء

وعن الحسن تشرع على ابوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشغف على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين زكبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايئسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومستأصلهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ايلا عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون وارجو ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظنا معذرة الى ربكم او اعذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكروا به الصالحون من تلك الناهية ولما ينأوه الجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاصطياد بعذاب بئيس شديد فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين مبعدين من كل خير

فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون هل كانوا آيسين من قبول الوعظ او غير آيسين قلت من قرئ الناجين لأنهم من قرن الناهين وبما قالوا انما قالوا الآيسين عن علة الوعظ وهو العرض فيه حتى لم يروا فيه عرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين الفاعدين على المكاس امر او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتهكم بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان شأنهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم كاخبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون قوما مترامين في الفساد لا ترعوون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال لبئس ما فعل هؤلاء الذين لم ينهوا عن السوء قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم قلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما بهم عليه وخافوه وقالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما بهم عليه وخافوه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرف انهم قد نجوا وعن الحسن لعنت فرقتان وهلكت فرقة ومنع الذين اخذوا الجنان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امر نبيه ونبوهم الجمعة فتركوا واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاخذوها واجباصا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد

يقال يئس يبأس يأسا ويئس ييئس يأسا كعلم يعلم علما وهو لغة نجد وبئس يبأس بأسا كضرب يضرب ضربا وهو لغة الحجاز وقرئ بيئس على الاصل وبيس على القلب وبئس على النقل الى فعل بالكسر كنعم وبئس على الاتباع وبأيس على القلب والاتباع

يمكس بالكسر مكسا ومكاسا مكاسة ومكسا والمكس الخيانة الى الخروج والمكاس العشار وفي الحديث لا يدخل صاحب مكس الجنة والمكس ما اخذه العشار

وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيمة من يسومهم
سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون

واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح
السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين
فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل
القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب
الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب
ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان
للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود
انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه
ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن
اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم
الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بيس بوزن حذر
وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كالذيب
في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس
على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا فلما تكبروا واعرضوا عن ترك ما نهوا عنه كقوله
وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما
عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان
وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم
الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه
ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن
عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم
فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء
الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت

١٢٧

ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا
وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون

ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه
وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم
ينتهون فينيبون فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله ورثوا الكتاب التوراة
بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقراونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون
بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا
الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها
وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا والفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ
الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون
عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا
ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه
كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا
لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين
ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم
الله وقرئ وورثوا الكتاب والا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا تعقلون بالتاء والياء
فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى
ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب
وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا
له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على
الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه
قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون
مرفوعا بالابتداء وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين
يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان
يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا وقرئ يمسكون بالتشديد ويعضده

والذين يمسكون الكتاب واقاموا الصلوة انا لانضيع اجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا
ما فيه لعلكم تتقون واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل

قرأه ابي والذين يمسكون بالكتاب **قال بلت** انما ذكر بالكتاب ليشمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلاة
فكيف افردت بالذكر **قلت** اظهارا لمزيتها الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقوانين
مسعود والذين استمسكوا بالكتاب واذ نتقنا الجبل فوقهم فلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور
ومنه نتق السقاء اذا قلعه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ
بالطاء من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التوراة ليغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في
فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها والا يقع عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا
على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فيرى ان صفوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا
على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة فلما نشر موسى الالواح وفيها كتاب
الله بين جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوراة الا اهتز وانفض
لها راسه خذوا ما اتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم
من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الزواجر والنواهي ولا تنسوه
او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه وكونوا بحيث اذا خذوا ما آتيناكم من
الآية العظيمة بقوة ان كنتم نطيقه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود
وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذه
ذريتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم وقالوا بلى شهدنا
من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على توحيده ووحدانيته وشهدت بها عقولهم
وابصارهم التي اكبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم فقال
لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وبان التمثيل واقع
في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الاناث يا ملبطن الخ
قالت له ارخ الصانع قاربا ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان يقولوا مفعول
له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم

وكذلك ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون

فاقتدنا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال
على التقليد والاقتداء بآبائهم لا عذر لآبائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم **قال بلت**
بني آدم وذرياتهم من بعض **قلت** عنى ببني آدم انسلات اليهود الذين امتركوا الله حيث قالوا عزير ابن
الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من اضلالهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها في المشركين
دون اولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الآيات التي عطف عليها
هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية التي اذ قالت امة منهم
واذ نادت ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا انفسلخ منها فعل المبطلون
اي كانوا السبب في شرها لنا بتسببهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل
البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على
التوحيد وان تقولوا بالتاء واتل عليهم على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو علم من علوم
امرائل وقيل من الكتعانيين اسمه بلعم بن باعوراء وقيل بل كان في علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها و
بدلها واظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته و
قرئ فاتبعه بمعنى تبعه فكان من الغاوين من الضالين الكافرين وروي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على
موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملئكة فالحوا عليه فلم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا
لرفعناه بها لعظمناه ورفعنا الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض مال الى
الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة **قال بلت** كيف علق رفعه بمشيئة الله ولم يعلق بفعله الذي
يستحق به الرفع **قلت** المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله
تابعة للامر لازمة له وقد ذكرت المشيئة والمراد ما يتبعها ويكشف عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه
بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون
ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فلم
نفعل كمثل الكلب صفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام
اللهث واتصاله حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له يحمل عليه وذلك ان سائر
الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالين جميعا
وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناها به ولكنه اخلد الى الارض فخططناه ووضعنا منزلته
موضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع خططناه انك حيث لم تمثله بالكلب في اخس احواله واذلها

ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم من الجن والانس لهم
قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد لهث إن حمل عليه ولم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته

فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته فمشى لهث وإن تركته على حاله لهث **غاربلث**

ما محل الجملة الشرطية **ملث** النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب لهثا دائما الدلالة هذا في الحالين

وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين

كذبوا بآياتنا من اليهود بعد ما قرأوا أو اعتد رسول الله في التوراة وذكر القرآن المخوف وما فيه وبشروا

الناس باقتراب ميعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو أخو قصصهم لعلهم يتفكرون

فيحذرون مثل عاقبته إذ شارفوا نحو سبيله وزاغوا شبهة زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي

فيزدادوا إيقانا بك وتزداد الحجة لزومها لهم مثلا القوم أي مثل القوم أو مثلا أصحاب مثل القوم

وقرأ الحدري مثلا القوم وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز

الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وإما أن يكون كلاما منقطعا عن الصلة

بمعنى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتفديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم

لم يتعدها إلى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ وأولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا بين الحق

والإنس المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف بهم وجعلهم في أنهم لا يفقهون إذ هاتهم إلى

معرفة الحق ولا ينظرون يعتبرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما تتلى عليهم من آيات الله

سماع تدبر كأنهم عدموا منهم القلوب وأبصار العيون وإسماع الآذان وجعلهم لإعراضهم في الكفر

وشدة شكايتهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات

لكن دلوكا عجن خمرا وأتى لا يظلم آل المغيرة ذرأ النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الأمور ما خلق

فلان إلا للكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله مع علمهم أنه النبي

الموعود وأنهم من علمه الكثير الذين لا يكادون يسامون كأنهم خلقوا للنار أولئك كالانعام

في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم أضل من الأنعام عن الفقه والاعتبار

والتدبر أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتأخذ

بعض ما تبصره وهؤلاء أكثر هم بعلم أنه معاند فيقدم على النار ولله الأسماء الحسنى التي هي أحسن

الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء

ودعوا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه

وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم
إن كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم

بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون يحملهم يا ذا المكارم يا أبيض

الوجه يا حي أو أن يأتوا بتسمية بعض أسمائه الحسنى فحسبان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله

تعالى ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الأوصاف الحسنى

وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق موصوفها وذروا الذين يلحدون

في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالجوارحة ونحوها وقيل

الحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد

ذرأنا لجهنم كثيرا فأخبر أن كثيرا من المكلفين عاملون بأعمال أهل النار اتبعه قوله ومن خلقنا أمة

يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم

مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام لا تزال من أمتي فئام على الحق حتى ينزل عيسى وعن

الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين الراشدون سنستدرج استفعال من

الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة قال الزجاج نأتيهم من مأمنهم حيث لا يعلمون فلو كشف لهم ما بهم

وزيفت أسباب النعم إليهم ليستدرجهم حتى يغفلوا عن الشكر وتعلم أني على غير مذمتهم

ومنه درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم

في أثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ونضاعف عنهم من حيث

لا يعلمون ما يزيد هم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع أنهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة أرادوا

بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب تزادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة

من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم الإملاء

عطف على سنستدرجهم وسود داخل في حكم السين أن كيدي متين تمام كيد لأنه شبيه بالكيد من

حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه من جنة من

جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي صلى الله عليه علا الصفا فدعاهم فخذا

فخذا الخذ بهم باسم الله فقال فاتلهم إن صاحبكم هذا مجنون بات يهوت إلى الصباح أولم

ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض بما دل لأن عليه من عظم الملك والملكوت

الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله ما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا تحصرها العدد ولا

يحيط بها الوصف وأن عسى أن محققة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى

أولم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيشارعوا

بعين أنبتكما صالحا لتكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم
فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدون فلا تنظرون

وجعلا لك أمرهما الذي هو أحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه فعالا لما أنيطت به أفعالهما فلما آتاهما ولدا سويا قد
صلحت بنيته وبرئ وقبل ولدا ذكرا لأن الذكورة من الصلاح والجودة والقصد في أبنائنا ولتكوننّ لهما ولكل
من تناسل من ذريتهما فلما آتاهما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء أي جعل أولادهما أو آلهة شركاء لي حذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك بناء آتاهما أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله
عما يشركون حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى
وعبد مناف وعبد شمس وما أشبه ذلك كقولك عبد الله وعبد الرحمن بعد الوحي ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب
لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي لا لزيد كما في قوله في قصة أم معبد فبالقصي ما زوى الله عنكم به من فخار
وبالذي ضوضوا وبرادهم الذي خلفكم من نقص نقص وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما
ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى
وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال
فيه وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله إشراكا في الولد أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله وهم
يخلقون بناء اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة والمعنى أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون
بل الله خالقهم أو لا يقدر على أخلاق شيء بأنه جماد وهم الشركاء أو أحدثنا له إشراكا في الولد أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله وهم
ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين
يدفعون عنهم فخامون عليهم وإن تدعوهم وإن تدعوا هذه الأصنام إلى الهدى أي إلى ما هو هدى ورشاد إلى أن هذه دكم
والمعنى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبكم ويخيبوكم كما يجيبكم الله ويدل
عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين سواء عليكم أدعوتموهم أم صمتم عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم
نار بلت هلا قيل أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية تليت لأنهم كانوا إذا أجابهم داعٍ دعوا
الله دون أصنامهم كقوله وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل لهم إن
دعوتموهم لم يفترق الحال بين إجابتكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة الصمت عن دعائهم إن الذين تدعون من
دون الله عبد ونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد أمثالكم وقوله عباد أمثالكم استهزاء بهم أي فصارى أنهم أن
يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم ثم أبطل أن يكونوا عبادا أمثالهم فقال ألهم
أرجل يمشون بها وقيل عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم وقرأ سعيد بن جبير إن الذين تدعون من دون الله عبادا
أمثالكم صحيفا بنصب عبادا أمثالكم والمعنى أن الذين تدعونهم من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل
ما الحجازية ثم قال إدعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدوني جميعا أنتم وشركاؤكم فلا تنظرون فإني

إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا
وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم إن الذين
اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

إن أي ما

ولا أبالي بكم ولا يقول هذا إلا واثق ببعضة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم
هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا
ثم لا تنظرون إن وليي الله ناصري على كم الله الذي نزل الكتاب الذي أوحى إلى كتابه وأعزني
برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا تخذلهم ينظرون
إليك يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر
إليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرائي العفو ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال
الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا بحث فيهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم
حتى لا ينفروا الكفوله عليه السلام بشروا ولا تنفروا وأمر بالعرف خذ العفو مني تستديم مودتي ولا تنطق
في سورتي حين أغضب وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة
فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعا أو كرها والعرف المعروف والجميل من الأفعال وأعرض
عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم و
قيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك يأمرك أن
تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه بمكارم
الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها وإما ينزغنك من الشيطان نزغ و
أما يحدثنك منه حثن ما يخلك يوسوسه على خلاف ما أمرت به فاستعذ بالله ولا تطعه و
النزغ والنخس الغرز والنخس كأنه يحثن الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كقبل بر
جد جده وروي أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه كيف يا رب والغضب فنزل وإما
ينزغنك ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي
شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمة مصدر بمعنى قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا
قال ألم يأتك الخيال يطيف أو مخفف طيف فيعمل عمل من طاف يطيف كليل
أو من طاف يطوف كهين وهين وطائف وسوسة تهمل الأمرين أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم
من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم
أدنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسة تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد
ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين
فإن الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مددا لهم فيدعضدونهم وقرئ يمدونهم من

حاصل المعنى من قول تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا
لهم ولا يبصروا

أي ما أنا كعفوا سهلا من غير كلفة ولا بحث

أي لا تستقص في أمر الحدود عليهم بل

سلوكهم في الشرائع

المماراة المجادلة ماريت الرجل
أماريه مراء إذا جادلته

وهو المراد بقوله عليه السلام أدبني ربي
فأحسن تأديبي علمني بلغت كمالات
اشتملت على شرائط الرسالة

والعفو ضد الجهد والطاقة

أي كيف أفعل الغضب كما أنهم
كيف أنت وقصة من تريد

كلاح محسر المشمر كره ولما المساهل في الأمور
أو أمرهم بالأفعال الجميلة أو إعراضا عن مجازاتهم

عامة
ومطافه لك وكرة وشوف
البيت للكعب بن زهير والكرة الفلسة
هو ضد النسيان

كيف قال أو كيف أصنع والغضب
فقيل له الغضب من نزغ الشيطان وإنما
مرغ أنفه لأن السجود

فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو
ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها

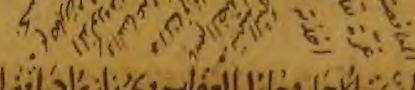

إلى النظر وطلب الحق وما يجنبهم قبل مفاجئة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد بإقتراب الأجل اقتراب
الساعة ويكون من كان الذي منها صغير السن ما ملت ثم يتعلق قوله فبأي حديث بعده يؤمنون
ملت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن
قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح أمر النبي وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا وفي ويذرهم بالياء
والنون والرفع على الاستئناف وبذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله
لا يهتد أحد ويذرهم يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا
فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة
من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وتسمية القيمة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها
أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان معنى متى وقيل أشتقاقه من أي كأن معناه أي
وقت يكون من أن لأنه زمان وأين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة مرساها إرساؤها أي وقت إرسائها أي
إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة والمرسى
الموضع الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والأرض والمعنى متى تريسها الله أنا
علمها أي علم وقت إرسائها عنده لم يطلع عليه أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل كما يخفيها
من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعاصي كإخفاء أجل الخاص وهو وقت الموت لأن
علمه يقوي الرجاء والخوف ويحث على الاستعداد ولا يكشف حقا علمها إلا هو ولا يظهر أمرها ولا يكشف
عنها بالكلية إلا هو أي لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لا يستأثر إظهارها على غيره إلى وقت وقوعها
ثقلت في السموات والأرض أي كل من فيهما من الملائكة والثقلين لأنه خفي لا يعلمه أحد ولا يود أن يعلم له علما
وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها
أو لأن كل شيء لطيف لا يقوم لها حتى يثقلها إلا الله تعالى أو ثقلت على عفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه
أن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه و
الرجل يخفض ميزانه ويرفعه كأنك بحفي عنها كأنك عالم بها وحفيته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن
من بالغ في المسألة عن الشيء والتفتيش عنه استحكم علمه فيه وأصل معنى هذا التركيب معناه المبالغة ومنه
إحفاء الشارب وإحفاء البقل استيصاله واحتفى في المسألة إذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ
في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي عنها أي علم لها بليغ

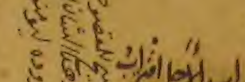

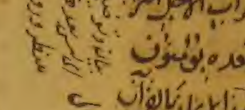

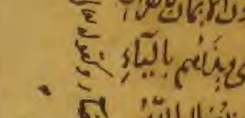

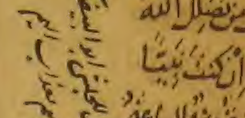

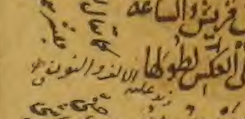

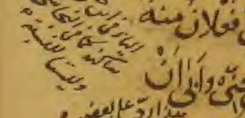

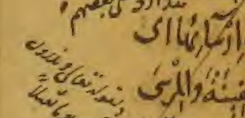

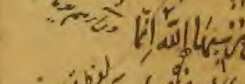

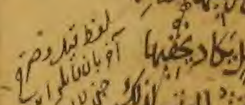

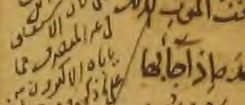

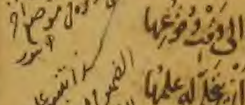

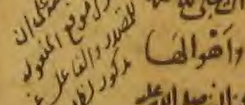

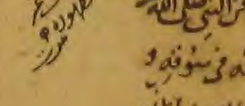

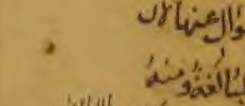

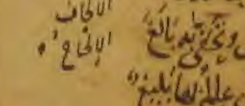

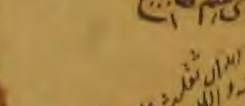

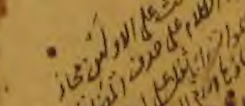

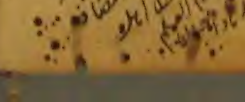

قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير
وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما

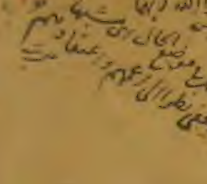

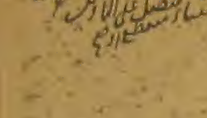

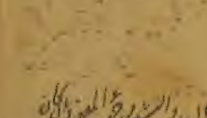

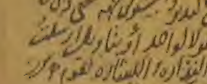

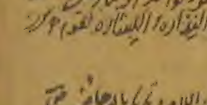

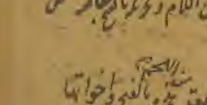

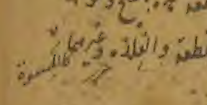

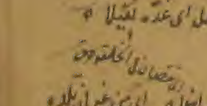

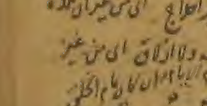

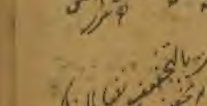

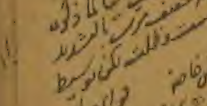

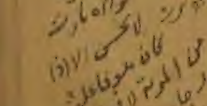

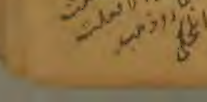

في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها وقيل إن قريشا قالوا إن بيننا
وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي تحفيهم بتخصيصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة
وتزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها المصلحة عرفها الله في إخبارك به لكنت مثلثة القرب والبعد
من غير تخصيص كساير ما أوحي إليك وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها لجدته وتوزره يعني أنك تكره السؤال عنها
لما تر من علم الغيب الذي استأثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه قل إنما علمها عند
الله للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا أكثر العلماء أحد قولي المكرر من فوائده
ومنهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم بها وأنه المختص
بالعلم بها قل لا أملك سواه إظهارا للعبودية والانقطاع مما اختص بالربوبية من علم الغيب إلى أنا عبد ضعيف لا أملك
لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر إلا ما شاء الله أن يملكني والعبيد لا يملكون ما لا يملكه مالكهم وما لي من النفع لي والدفع عني ولو كنت
أعلم الغيب لكنت خاليا على خلاف ما أنا عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار
حتى لا يمسني شيء منها ولم أكن مغلوبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا
ومخطئا في التدابير وإن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن
يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق
بالنذير محذوفا أي النذير للكافرين والبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل منها زوجها
وهي حواء خلقها من ضلع من أضلاعه أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ليسكن
إليها ليطمئن إليها ويميل ولا يعكر لأن الجنس إلى الجنس يميل وبه آنس وإذا كانت بعضا منه كان السكون
والمحبة أبلغ لا يسكن الإنسان إلى ولده وفخذه محبة نفسه لكونه بعضا منه وقال ليسكن فلما وصف ما آتى
قوله واحدة منها وجها ذهابا إلى معنى النفس ليتبين أن المراد بها آدم وإن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى
ويغشاها فكان التذكير أحسن طباقا للتغشي والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان
حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم يستثقله
كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كاد أحقه على كبدي حين حملته فمرت به قضت به
إلى وقت ميلاده من غير إخداج ونزاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به قامت به
وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ أبي بن كعب فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية بمعنى
كقوله افتمارونه وافتماره وافتماره ومعناه وقع في نفسها من الحمل وارتابت به فلما أثقلت جاء وقت ثقل
حملها كقولك أطرت وقرئ أثقلت على البناء للمفعول أي أثقلها الحمل دعوا الله وتمادعا آدم وهو أبو
حواء لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا سليما من العاهات مثل أولاد الناس أو صالحا في دينه مطيعا لله
لنكونن لك من الشاكرين على هذه النعمة

وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن
عبادته ويسبحونه وله يسجدون

الإمداد ويمادّ بمعنى يمدّ وقوله ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله وإخوانهم يمدونهم كقوله قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها في أن الخبر جار على غير ما هو له ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فإن قلت لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله أولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه أو جبي إليه فاجتباه أي أخذه كقولك جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة قل إنما أتبع ما يوحى إلي ولست بمفتعل الآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم أي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه إن الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول

سورة الأنفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال لبيد إن تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي رضي الله عنه في أحد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم وقالوا لرسول الله المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءني رسول الله وقد أنزلت سورة الأنفال فقال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال فإن قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الأنفال لله والرسول قلت معناه أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد أن الذي اقتضته حكمة الله وأمر به رسوله

فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا

ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على
السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من
التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متحابين في الله واصلحوا
ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم
ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض
فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون
احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة
للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل
التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم
ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان
واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت
وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء
الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء
يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة
وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك
ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق
الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت
زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه
واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون شعبة
اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من
الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل
الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم
الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي
اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون

لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق

كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت قال الايمان
ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة
والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري
امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد
آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع
بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي
عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابرهيم في قوله والذي اطمع ان
يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة
وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة
دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان
يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني
ان حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب
والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول
اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك
اياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره
ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اي اخراجا ملتبسا بالحكمة
والصواب الذي لا محيد عنه وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك
في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر
المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم
ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت
لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق
بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى
رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر

لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى نخر الجزور وننزب الخمور وتقيم القينات والمعازف بدر فيسمع جمع العرب بخروجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضيناه فمضى لهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوق لهم يوما في السنة ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الناس الينا العدو فتغير وجه رسول الله ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه ابو بكر فاحسن ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس ويريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه يخاف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو بديهة بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس ذوها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه

وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون

قال ان الله وعدكم احدى الطائفتين وقد اعطاكم ما وعدكم وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لا بنا وهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدانهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم وزعيهم وهم يساقون الى الظفر والعز من يعسل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو شاهد لا شبهة ناظرا اليها لا يشك فيها وقيل كان وجههم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذكروا انعامكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك الفتا لشبابها ومنها قولهم شاك السلاح اي تمتنعون ان يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من امرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابر الطاير وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وشفاء الغيظ وان لا تلقوا ما يثبر ذلك في ادبانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد ما يعلي الامور وما يرجع الى عادة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكبر فوتهم بضعفكم وعلة كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقوى بكلمته على التوحيد نار بلت ثم تعلق قوله ليحق الحق بلت بمحذوف تقديره وليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلكما فعله من اظهاره واثباته الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه بان بلت ليس هذا تكريرا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تعليل بما تبين من الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل الا ليحق الحق او لذلك الا لهذا الغرض الذي هو استيصال الاشراف وابطال الباطل ويجوز ان تقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بمقطع هان بلت بم تخلون او تستغيثون

العتل الجافي بعنيف

وسماعة بن الاسود والزبير بن العوام

للاسلاف الا لما ابتسم ضوئهم بمجيء عكس ضوئهم ابيضاض شعرهم وكونهم رجالة وثلثها الامام بقلة السلاح شاكي السلاح

اصلاة شاكي السلاح وكونه صفة لكونه على الصفات عند قوله

دابة الطاير هي الظفر الذي خلف المخلب وسمي له الابهام للانسان

من الامر والعهد فطر الامر حكم وقضا كمنصور في اللغة

قوله ادناه مفعول والعير فاعل وفي الكشاف ابعاض يريد وان لفظها لا يكون ادناه فاعلا والعير مفعولا لان العير هي المقصود

قوله من اختيار الى قوله عليها بيان ما فعل وقوله انه عطف على غضب الخ

اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين

قلت هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما
علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله نظر الى المشركين وهم الف والى
اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان
تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر
فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز
لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله
وعن ابي عمرو انه قرا اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل
نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي
بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم
فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال
لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال
ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين
اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث
الانصاري رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت
رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل
لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك
اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود
وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا
تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا
اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون
بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا
او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم
او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم

وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشاكم النعاس امنة منه

او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله
تعالى في سورة آل عمران بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن
قرا مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال
واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى
ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي
بالف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فان قلت فبم يعتذر لمن قرا على
التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم
قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت
الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم
فان قلت ففيمن قرا بالكسر قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في
معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر
كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة
بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا
النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب
الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر
او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف
والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب
ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس
تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي
لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت
يجوز ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون
امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي
يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب
النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف
ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة

وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب

التمثيل والتخييل فلا بعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

ذهاب النوم ان يعشى عيونا فهاتك هو نفار شرود" وقرئ أمنة بسكون الميم ونظيره

أمن أمنة حي حيوة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى أنه ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم

من النوم فلما أمنهم الله فلو بهم وآمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما النعاس في القتال أمنة من

الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي

ما يطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال بالذي يطهركم

ويجوز أن يكون مصدرا والضمير للماء ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه إياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من

تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى

الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ما وصفوا فاحتلم أكثرهم

فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى جنابة

وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش

فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا

حزنا شديدا واشفقوا فأنزل الله المطر فظروا والبلاحتى جرى الوادي واتخذ رسول

الله صلى الله عليه وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا

وتوضأوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت

وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز أن يكون للربط لان القلب

اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز أن يكون

بدلا ثانيا من اذ يعدكم وأن تنصب بثبت أي بثبت أني معكم مفعول يوحي وقرئ انى بالكسر

على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني نذيركم والمعنى أني معكم على

التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا

ولا معنى أعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم

واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا

ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتقع عزائمهم وبتاتهم في القتال وأن يظهروا لهم أنهم يمدونهم بالملائكة وقيل كان المشرك يتسمه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي

فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لنكشفن ويمشي بين الصفين

كلام

فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن

للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار

ويقول أبشروا فان الله ناصركم لا تكلتكم ثعيلبة وهو لا يعبد ونه وهو لا يعبد ونه وقرئ الرعب

بالتثقيل فوق الأعناق أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان

ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل أراد الرؤوس لانها فوق الأعناق

يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح : غشيته وهو في جأواء باسلة

عضبا اصاب سواء الرأس فانفلقا : والبنان الأصابع بيد الأطراف والمعنى

فاضربوا المقاتل والتسوى لان الضرب إما واقع على مقتل او غير مقتل فأمرهم بأن يحملوا

عليهم النوعين معا ويجوز أن يكون قوله فاضربوا الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا

الذين آمنوا ألقيا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب

الذين كفروا الرعب او كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فاضربوا

على هذا يوم المؤمنون ذلك اشارة الى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل

ومحله الرفع على الابتداء وبأنهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة

مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسلت في السلام

عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة و

المشاقة بأن هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق

والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل أحد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة

الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز أن

يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وأن للكافرين عطف على ذلكم

في وجهيه او نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل

الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وأن للكافرين بالكسر زحفا

حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى لكثرته كأنه يزحف اي

يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر وبالجمع

زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن

تعدوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين

هم وانتم او حال من المؤمنين كأنهم استشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا

مدبرين وسم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ

ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآويكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم

ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم

وفي قوله ومن يولهم يومئذ اشارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر ليخيل عدوه
انه منهزم ثم يعطف عليه وثوبات من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى
فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي ينوفيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجنا
سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول
الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانا رهط من الفارة فئة فاتى
المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فقوت من الزحف فقال عمر انا
فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا
متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز
يجوز فيه متفعل منه متحوز كما تقول اعتاد متعود والاصل متعتود فالقائل يقول قتلت وأسرت ولما طعنت قرنس قال رسول الله صلى الله عليه هذه قريش قد
جاءتكم باخيلها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ
قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من
حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه
فانهزموا وردهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم بفضل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب
شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي
انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها
الفزع والجزع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها
لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها
كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله لان صورتها
وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله
هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا وقوى ولكن الله قتلهم ولكن
الله رمى بخصف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين ليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا فال ذهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل الا لذلك ان
الله سميع لدعائهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان

ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خيرا لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فيتكم شيئا ولو كثرت وان الله
مع المؤمنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وكانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة

ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن
اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله كاستجابته
وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة
البعث والتحريض وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو
في الصلوة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي
الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان
هذا مما اختص به رسول الله والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي
فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت
ولبعضهم لا يعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم
لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله تعالى
بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فيفوته الفرصة
التي هو واحدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما
كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم
اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله
قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا
وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز
وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين
المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه
وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء
كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم
وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر
او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين
منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا
فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا

واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآويكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات
لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون

ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك
اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول
هذا القول فيه لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة
ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير
وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن
المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان
يسائر النبي صلى الله عليه يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول
الله كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا
قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب
الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا يطرحنك
ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض
على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح
منكم من سائر الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت
كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون
ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء مسافين مضادين فآواكم الى
المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من
الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا
الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون
ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا معنى
الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة
والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير
فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه
قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا
به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

أَلَسْتُمُ الْيَوْمَ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَيَاةَ تُوجَدُ مِنْكُمْ عَنْ قَعْدٍ وَعَنْ سَهْوٍ وَقِيلَ وَأَنْتُمْ عُلَمَاءُ تَعْلَمُونَ فَتْحَ الْفَصِيحِ
وَحُسْنَ الْحَسِنِ وَرُوِيَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ حَاصَرَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ
لَيْلَةً فَسَأَلُوا الصُّلْحَ كَمَا صَالَحَ إِخْوَانَهُمْ بَنِي النَّضِيرِ عَلَى أَنْ يَسِيرُوا إِلَى أَذْرِعَاتٍ وَأَرِيحَا مِنْ
أَرْضِ الشَّامِ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَبَوْا وَقَالُوا أَرْسِلْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ
مَرْوَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُنَاصِحَهُمْ لِأَنَّ عِيَالَهُ وَمَالَهُ فِي أَيْدِيهِمْ فَبَعَثَهُ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ مَا
تَرَى هَلْ نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ فَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ أَنَّهُ الذَّبْحُ قَالَ أَبُو لُبَابَةَ فَمَا زَالَتْ قَدَمَايَ حَتَّى
عَلِمْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَنَزَلْتُ فَشَدَّ نَفْسَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ وَقَالَ وَاللَّهِ
لَا أَذُوقُ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا حَتَّى أَمُوتَ أَوْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ فَمَكَثَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى خَرَّ مَغْشِيًّا
عَلَيْهِ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ قَدْ تِيبَ عَلَيْكَ فَحُلَّ نَفْسَكَ فَقَالَ لَا وَاللَّهِ لَا أَحُلُّهَا حَتَّى
يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَحُلُّنِي فَجَاءَ فَحَلَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ إِنَّ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِي أَنْ أَهْجُرَ دَارَ قَوْمِي
الَّتِي أَصَبْتُ فِيهَا الذَّنْبَ وَأَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُجْزِئُكَ الثُّلُثُ أَنْ تَصَدَّقَ بِهِ
وَعَنِ الْعِبْرَةِ نَزَلَتْ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقِيلَ أَمَانًا لَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
مِنْ فَرَائِضِهِ وَحُدُودِهِ نَارِيَاتٌ وَنَحَرُوا جَزُورًا هُوَ أَمْ نَصَبَ مَلَكٌ يَجْهَلُ أَنْ يَكُونَ
جَزْمًا دَاخِلًا فِي حُكْمِ النَّهْيِ وَأَنْ يَكُونَ نَصْبًا بِإِضْمَارِ أَنْ كَقَوْلِهِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَنَحَرُوا
لَكُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ جَعَلَ الْأَمْوَالَ وَالْأَوْلَادَ فِتْنَةً لَأَنَّهُمْ سَبَبُ الْوُقُوعِ فِي الْفِتْنَةِ وَمِنْ ثَمَّ
أَوِ الْعَذَابِ إِدْحَضَهُ مِنَ اللَّهِ يَبْلُوكُمْ كَيْفَ تُحَافِظُونَ فِيهِمْ عَلَى حُدُودِهِ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنُوطُوا بِطَلَبِهِ وَبِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ هِمَمَكُمْ وَيُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا وَلَا تَحْرِصُوا
عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَحُبِّ الْوَلَدِ حَتَّى تُوَرِّطُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَجْلِهِمَا كَقَوْلِهِ الْمَالُ وَالْبَنُونَ الْآيَةَ
وَقِيلَ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ مَا نَزَلَ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَمَا فَرَطَ مِنْهُ لِأَجْلِ مَالِهِ وَوَلَدِهِ فَرْقَانًا نَصْرًا لِأَنَّهُ يُفَرِّقُ
بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ بِإِذْلَالِ حِزْبِهِ وَالْإِسْلَامِ بِإِعْزَازِ أَهْلِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ يَوْمَ
الْفُرْقَانِ وَبَيَانًا وَظُهُورًا يَشْهَدُ أَمْرَكُمْ وَبَيِّنَ صُنْعِكُمْ وَآثَارَكُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مِنْ قَوْلِهِمْ
بَتَّ الْفِعْلَ كَذَا حَتَّى سَطَعَ الْفُرْقَانُ أَيْ طَلَعَ الْفَجْرُ أَوْ مَخْرَجًا مِنَ الشُّبُهَاتِ وَتَوْفِيقًا وَشَرْحًا
لِلصُّدُورِ أَوْ تَفْرِقَةً بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ فَضْلًا وَمَزِيَّةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذِكْرَ مَكْرِ قُرَيْشٍ بِهِ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ لِيَشْكُرَ نِعْمَةَ اللَّهِ فِي نَجَاتِهِ مِنْ مَكْرِهِمْ وَتَسْلِيَتِهِ
عَلَيْهِمْ وَمَا أَتَاحَ اللَّهُ لَهُ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ وَالْمَعْنَى وَاذْكُرْ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

أَسْلَمَتِ الْأَنْصَارُ وَبَايَعُوهُ فَرَقُوا أَنْ يَتَفَاقَمَ أَمْرُهُ فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ مُتَشَاوِرِينَ فِي أَمْرِهِ
فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ وَقَالَ أَنَا شَيْخٌ مِنْ نَجْدٍ مَا أَنَا مِنْ تِهَامَةَ دَخَلَتْ مَكَّةَ فَسَمِعْتُ
بِاجْتِمَاعِكُمْ فَأَرَدْتُ أَنْ أَحْضُرَكُمْ وَلَنْ تَعْدَمُوا مِنِّي رَأْيًا وَنُصْحًا فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ رَأْيِي أَنْ
تَحْبِسُوهُ فِي بَيْتٍ وَتُشَدُّوا وَثَاقَهُ وَتَسُدُّوا بَابَهُ غَيْرَ كُوَّةٍ تُلْقُونَ إِلَيْهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْهَا
وَتَتَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ فَقَالَ إِبْلِيسُ بِئْسَ الرَّأْيُ رَأَيْتُمْ مِنْ يَأْتِيكُمْ مَنْ يُقَاتِلُكُمْ مِنْ قَوْمِهِ وَيُخَلِّصُهُ مِنْ
أَيْدِيكُمْ فَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو رَأْيِي أَنْ تَحْمِلُوهُ عَلَى جَمَلٍ وَتُخْرِجُوهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ فَلَا يَضُرُّكُمْ مَا
صَنَعَ وَاسْتَرَحْتُمْ فَقَالَ بِئْسَ الرَّأْيُ تُفْسِدُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَيُقَاتِلُكُمْ بِهِمْ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ أَنَا أَرَى
أَنْ آخُذَ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ غُلَامًا وَنُعْطِيَ سَيْفًا صَارِمًا فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَتَفَرَّقَ
دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ فَلَا يَقْوَى بَنُو هَاشِمٍ عَلَى حَرْبِ قُرَيْشٍ كُلِّهِمْ فَإِذَا طَلَبُوا الْعَقْلَ عَقَلْنَاهُ وَاسْتَرَحْنَا
فَقَالَ الشَّيْخُ صَدَقَ هَذَا الْفَتَى هُوَ أَجْوَدُكُمْ رَأْيًا فَتَفَرَّقُوا عَلَى رَأْيِهِ فَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ فَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَبِيتَ فِي مَضْجَعِهِ وَأَذِنَ لَهُ فِي الْهِجْرَةِ فَأَمَرَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فَنَامَ فِي مَضْجَعِهِ وَقَالَ لَهُ إِنِّي غَيْرُ ذَاهِبٍ فَامْكُثْ لِيَخْلُصَ إِلَيْكَ أَمْرُ نُكَيْدِهِ وَبَاتُوا مُتَرَصِّدِينَ فَلَمَّا
أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَى مَضْجَعِهِ فَبَصُرُوا بِعَلِيٍّ فَبُهِتُوا وَخَيَّبَ اللَّهُ سَعْيَهُمْ وَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ فَأَنْظَرَ
تَكْرِيهِمْ لِيَسْتَوْثِقُوا لَيَحْبِسُوكَ أَوْ يُوثِقُوكَ أَوْ يُثْخِنُوكَ بِالضَّرْبِ وَالْجَرْحِ مِنْ قَوْلِهِمْ ثَوْرٌ ثَائِرٌ
حَتَّى أَثْبُتَ لَا حَرَاكَ بِهِ وَلَا بُرَاحَ وَفُلَانٌ مُثْبَتٌ وَجَعًا وَقُرِئَ لِيُثْبِتُوكَ بِالتَّشْدِيدِ
وَقُرِئَ لِيُثْبِتُوكَ مِنَ الْإِثْبَاتِ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ لِيُعَذِّبُوكَ وَيُؤَيِّدُ لَيْلَ لِمَنْ قَرَأَهُ بِالْإِثْبَاتِ
وَيَمْكُرُونَ وَيُخْفُونَ الْمَكَايِدَ لَهُ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَيُخْفِي اللَّهُ مَا أَعَدَّ لَهُمْ حَتَّى بَاغَتَهُمْ بَغْتَةً وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ أَيْ مَكْرُهُ أَنْفَذُ مِنْ مَكْرِ غَيْرِهِ وَأَبْلَغُ تَأْثِيرًا أَوْ لِأَنَّهُ لَا يَنْزِلُ إِلَّا مَا هُوَ حَقٌّ وَعَدْلٌ لَا
يُصِيبُ إِلَّا بِمَا هُوَ مُسْتَوْجَبٌ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا تَفَاصَحَ مِنْهُمْ وَصَلَفٌ تَحْتَ الرَّاعِدَةِ
فَأَتَتْهُمْ بُنْيَانُهُمْ فِي مَشْتَاهُمْ لَوْ سَاعَدَتْهُمُ الِاسْتِطَاعَةُ وَإِلَّا فَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ كَانُوا مُسْتَطِيعِينَ
أَنْ يَبْنُوا وَاغِلَةً مِنْ تَحْتِ أَمْرِهِ وَقَرَعَهُمْ بِالْعَجْزِ حَتَّى يَفُوزُوا بِالْفَتْحِ الْمُعَلَّى دُونَهُ مَعَ فَرْطِ
أَنَفَتِهِمْ وَاسْتِنْكَافِهِمْ أَنْ يُغْلَبُوا فِي بَابِ الْبَيَانِ خَاصَّةً وَأَنَّ بَيَانَهُمْ وَاحِدٌ فَتَعَلَّلُوا بِاتِّبَاعِ
الْمَشِيئَةِ وَمَعَ مَا عَلِمَ وَظَهَرَ ظُهُورَ الشَّمْسِ مِنْ حِرْصِهِمْ عَلَى أَنْ يَقْهَرُوا رَسُولَ اللَّهِ وَتَهَالُكِهِمْ عَلَى أَنْ
يَغْمُرُوهُ وَقِيلَ قَائِلُهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْمَقْتُولُ صَبْرًا أَحْسَنَ عَجْمَ اقْتِضَاصِ اللَّهِ أَحَادِيثَ الْقُرُونِ
لَوْ شِئْتَ لَقُلْتَ مِثْلَ هَذَا وَهُوَ الَّذِي جَاءَ مِنْ بِلَادِ فَارِسَ بِنُسْخَةِ حَدِيثِ رُسْتُمَ وَاسْفَنْدِيَارَ فَرَعَمَ

Marginal Arabic commentary

وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام

أن هذا مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل إن كان هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهي في القراءة الأولى فصل ويقال أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب فإن قلت ما فائدة قوله من السماء والإمطار لا يكون إلا منها قلت كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب أليم أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني أن إمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق فاهدنا له اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم ألا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون من أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين وما لهم ألا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء

وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون

وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه إن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الأصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكى والتصدية التصفيق تفعلة من الصدا أو من صد يصد إذا قومك منه يصدون وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فإن قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله في صلاته يخلطون عليه فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والأوقية اثنان وأربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة أي تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لأغلبن أنا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم إلى جهنم يحشرون لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم أولئك إشارة إلى الفريق الخبيث

قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا
فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولىكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه

وقيل للتمييز المال الخبيث الذى انفقه المشركون فى عداوة رسول الله من المال الطيب الذى
انفقه المسلمون كابى بكر وعثمن فى نصرته فيجعله فى جهنم فى جملة ما يعذبون به كقوله
فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية والآية على هذا معلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة
وعلى الاول يحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل
للذين كفروا ابى ابى سفين واصحابه اى قل لاجلهم هذا القول وهو ان تنتهوا ولو كان بمعنى
خاطبهم به لقبل ان تنتهوا يغفر لكم وهى فى قراءة ابن مسعود وهى وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اى ان تنتهوا عما هم
عليه من عداوة رسول الله وقتاله بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من
العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكروهم
يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليثقوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم
ما سلف لهم من الكفر والمعاصى وخرجوا منها كما تسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلم
الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربى اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمى فلا
يسقط عنه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين به احتج ابو حنيفة فى ان المرتد
اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة فى حال الردة وقبلها وقرئ ان يعودوا
بالارتداد وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى
ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم
دين الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يبصر نياتهم على
توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله
والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه
احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فان الله مولىكم اى ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته
ونصرته ان غنمتم ما موصولة ومن شئ بيانه فان من شئ حتى الخيط والمخيط فان
لله مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفى عن
ابى عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعى فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب
كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا

وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
هو اى هو اناطى المطلب هاشم المطلب بن عبد مناف ولهاشم عبد المطلب والعباس
كان يعبد شمس والمطلب جد الامام الشافعى رض وينتمى عبد المطلب عبد الله وابا طالب وحمزة والعباس
وابو لهب واخوانه وعبد العزى وحجل وصعصعة
وابو سفين واسد وصفى بنو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
والعداء وهو ازدرير عمرو

خذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه
ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة
الخمس قلت عند ابى حنيفة انها كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه على خمسة اسهم
سهم لرسول الله وسهم لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل
استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روى عن عثمن وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول
الله هؤلاء اخوانك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا
بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلم انهم لم يفارقونا
فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين اصابعه وثلثة اسهم
لليتامى والمساكين وابن السبيل واتباعا لرسول الله فيهم سائر عمومته وكذلك سهم ذوى
القربى انما يعطون لفقرهم منهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى
والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعى رض فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف
الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم
لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقى للفرق الثلاث
وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى
اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فعل فان قلت ما معنى ذكر
الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لوجه الله كقوله
والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه
القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون منقربا به اليه لا غير ثم خص
من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال
الاول ذهب الامامين وعلى الثانى ما قاله ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم لله تعالى
يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه يأخذ الخمس فيضرب بيده
فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل ان سهم
الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضى الله عنه انه كان على ستة
لله وللرسول سهمان سهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روى عن
عمر ومن بعد من الخلفاء وروى انا بكر رضى الله عنه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان نعطى

إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد

فخمسه لكم وثمرة جهادكم ومحذوف من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو ممنوع له ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم مؤمن وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا أن نتعفى منه قصورا ولا أن نزكيه به الفرائض وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه أنه قيل له إن الله تعالى قال وللسامي والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن نهم رسول الله أنه لولي الأمر من بعده وعن الكلبي أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في عز وقتي فتضاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فإن قلت ثم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف بدل عليه واعلموا إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فأقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر وما أنزلنا معطوف على بالله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يوم بدر والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى بإثبات الأدنى والأقصى بإن قلت كلتا هما من فعلى من ذوات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغلت مع أغالت والعدوة الدنيا تأنيث الأدنى بمعنى القربى كالدنيا تأنيث الأدنى والقصوى تأنيث الأقصى والركب أسفل منكم يعني الركب الأول بعير أبي سفيان كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف بمعنى مكانا أسفل منكم ومحله رفع بالمحل لأنه خبر المبتدأ بإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مواعيد الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم قلت الفائدة فيه الإخبار عن الحال قوله إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهو تمثيل لحالهم في قرب مكانهم من العدو وبعد مكان العير منه ومجيء الركب على ما وصف من الأمرين مع ما في ذلك من الدلالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين وانتشار أمرهم وأن عليهم في مثل هذه الحال استشعار الصغار من الله وذلا

ولو تواعدتم أنتم وهم على الوقت الذي جئتم على غير ميعاد منكم ومنهم لتخلف بعضكم عن بعض ولكن جمعكم على غير ميعاد لأمر أراد الله أن يفعله من نصر أوليائه وخذلان أعدائه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم

كان ذلك أمرا لا بد منه ليتم له ما قدره وقضاه وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا بأس بالعدوة الدنيا التي نزل بها المسلمون كان فيها الرمل ولا تثبت فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماة دونها تضاعف حميتهم وتشجيهم المقاتلة عنها وأبناءهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليمنعهم الذب عن الحريم والعيرة على الحرم على بذل مجهودهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالإحياز إليه فيجد ذلك فلوبهم ويضعف بهمهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يحلوا مراكزهم ويشتد لواء منتهى بحدهم وقصارى شدهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر ليقضي أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته وإعداد المسلمين إحدى الطائفتين منهم غير مبتسة حتى خرجوا لأخذ وا العير فاغتنموا الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله لأموالهم حتى نفروا وامتنعوا عن آخرهم وسئب الأسباب حتى أناخ هو بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى ووراءهم العير لحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد لتخلفوا فيه للقتال لحالف بعضكم بعضا فتبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وتبطهم ما في قلوبهم من هيبة رسول الله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا كان وجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه ذبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن بينة وعلم بأنه دين الحق الذي لجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات العز المجلية التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بإظهار التضعيف ليسمع عليم بعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو ليسمع عليم بكفر من كفر وعفا به وبإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصب بإضمار اذكروا وسوء بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك

إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراهم إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم في الأمر وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع وإذ يريكموهم الضمير أن مفعولا أن يعني وإذ يبصركم إياهم وقليلا نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال ألفا ويقللكم في أعينهم حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيهما بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا فإن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة إذا لقيتم فئة إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة

ومما يدل على أن المراد بقوله في منامك هو الرؤيا في النوم لا ما قال الحسن رحمه الله أنه تعالى ذكر عقيبه تقليلهم في أعينهم حيث قال تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم الآية

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب

لذلك وإن كانت منوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم ولا تنازعوا فتفشلوا تشديد التاء فتفشلوا منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقدير قراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله

أتنظران قليلا ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي

وقيل لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وحذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد بمخالفتهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كئوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله وإذ زين واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما أجمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا

أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأنا مسلمون إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير

كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون

أي داوموا عليه واظبوا وكفروا تفسير لدأب آل فرعون وذلك إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فإن قلت فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة قلت كما يغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وفخروا عليه ساعين في إطفاء دينه غيروا ما بأنفسهم فغير واحالهم إلى أشوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب وإن الله سميع لما يقول فكذبوا الرسل عليهم بما يفعلون كدأب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من عرق في القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا منهم لا يؤمنون لك أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان ومنهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بل أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤا منهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالف الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فأما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى فرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومناه فاعل التشريد من وراء لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء أو وقعه فيه لأن الوراء الجهة المشردين فإذا جعل الوراء أظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من وراءهم يتعظون وإما

فاما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به

خائفن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بما راياب تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد عاسوا على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا ممكنوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في الحداة والجاز والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء العلم او العداوة على انها حال من الضمير والمفعول اليهم معا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان تظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وفتحها على حذف النون التخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا او قيل فيه اصله ان سيقوا فحذف ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين او متفلتين هاربين وقيل معناه ولا تحسبنهم الذين كفروا استطوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا تحسبن قتيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متعللة وليست هذه القراءة التي تفردها حمزة بثبتة وعن الزهري انها نزلت ضمن آلف من قل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عدد وما وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول على المنبر الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي ترتبط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وتكون نها جمع ربط ويجوز ان يكون قوله الرباط اسم جمع ومن رباط الخيل تخصيص بعد تعميم بما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشتري به الخيل فترابط في سبيل الله وتغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الله تعالى ان الحصون الخيل او مدار الفقه ان ذكر ترهبون قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون بها والضمير في به راجع الى رباط الخيل او الى ما يتقوى به

عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

ما استطعتم عدو الله وعدوكم يعني اهل مكة واخرين من دونهم يعني اليهود وقيل المنافقون وعن السدي يعني اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق ورؤي ان صهيل الخيل يرهب الجن جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث وتذكر تقيضها وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به واحرب بكفيك من اطفائها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بخير ان نقاتلوا ابدا او نجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخدعهم قال مجاهد نسخ قرينه فان حسبك الله فان محسبك الله قال حرب اني وجدت من المكاريم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه من الاباعد الباهرة لان العرب بما فيهم من الحمية والعصبية والانطوا على الضغينة في ادنى شيء والفائه بين اعينهم الى ان يتفقوا الا كاد يتالف فيهم فلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله واتحدوا وانتشأوا وابتهون عن فوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التحاب والتوادد واماط عنهم من التباغض والتحاقد وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء وصح فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اعلمك اذ هم رؤساء ودق حماجم ولم يكن بقضائهم امد ومنتهى وبينما الجاوذ الذي يطيح الضغائن ويديم الحاسد والشافن وعادة كل طائفتين كما تناهيه المشابهة ان يحب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وغادوا اعوانا وماذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم والاجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال حسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى ناصرك المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك

يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين

المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام
عمر وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض و
يتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا
الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرئ وحرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش
من الحرص ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة
بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم
قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب
وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه
خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن
جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله بعث حمزة في ثلثين
راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة
طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما
كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر
وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد
بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين فكانوا متفاوتين
في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين
قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت
لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة
المائة المائتين والالف الالفين قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى
الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل
عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى
يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر
ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر
المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس

ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله ما في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم

عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب
عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب
اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من
العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب
رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان
مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك
يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة
فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان
شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد
وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين
كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا
الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال
يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك
في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي
انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في
القتل احب الي عرض الدنيا حطامها سمي لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد
الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء
وقرا بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله
كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها
والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء
ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق
لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطأ وكان هذا خطأ
في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم
يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم
وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم

وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا
مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء
لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى
الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا
نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم
معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر
لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى
في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في
الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال للنبي
كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه ان يكن ما تذكر حقا فالله
يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج
بالذهب لذلك وروي ان رسول الله قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل
بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته
الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني
به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك
فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال
اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا
فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر
على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرا الحسن وشيبة مما اخذ
منكم على البناء للفاعل وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة
واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل
من ميثاقه فامكن منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة

منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون
والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى
بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي
القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح
والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه
بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصركم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ
الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين
اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب
مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا
تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث
تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا
قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة
على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء اولئك هم المؤمنون حقا
لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ
من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد
الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة
كقوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث
وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في
القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام
عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة و
شاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان
العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون آية

بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

لها عدة أسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا إلا نالت منه فإن قلت هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال إن رسول الله صلى الله عليه إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن أبي بن كعب إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا قيل فإن النبي صلى الله عليه قد كتب إلى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله فأجاب ومن دعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس هذا الأمان كله وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول وقيل اختلف أصحاب رسول الله فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال إنهما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال إنهما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم فإن قلت

فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ

لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد أذن الله في معاهدة المشركين أولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا أن الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين روي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروي أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر إلى رسول الله فقال يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل إنما أمر أن لا يبلغ عنه إلا رجل منه لأن العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فأزيحت علتهم بتوليته ذلك عليا رضي الله عنه فإن قلت الأشهر الأربعة ما هي قلت عن الزهري أن براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها

وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم

واعلم أنهم كانوا ينسأون الحج في كل عامين من شهر إلى شهر آخر ويجعلون الشهر الذي أنسأوه ملغى ويكون ذلك السنة ثلاثة عشر شهرا ويتركون العام الثالث على ما كان عليه الأول سوى أن الشهر الملغى في الأول لا يكون في العام الثالث ويصفون العام الثالث ضيعهم في الأول ويتركون الرابع على ما تركوا عليه العام الثاني وعلى هذا تمام الدور فيستديرهم في كل خمس وعشرين سنة الشهر الذي بدأ منه ولهذا قال عليه السلام حساب السنة وكانت السنة التي حج فيها الرسول عليه السلام حجة الوداع من السنة التي وصل فيها الحج إلى موضعه الأصلي فعلم أن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها حرم ثلاثة متوالية وهو قوله تعالى إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقوله عليه السلام ألا إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وقوله عليه السلام حساب السنة قائم أي حساب السنة الذي ذكرت قائم وقوله عليه السلام ألا هل بلغت رد إلى الأصل الموضوع يوم خلق الله السموات والأرض وقوله السنة اثنا عشر شهرا تأكيد في إبطال أمر النسيء فكانوا يجعلون السنة الأول من كل سنتين

وفصل عشرين من ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنبي الذي كان فيهم ثم صارت السنة الثانية في ذي الحجة فإن قلت ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وأذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم أجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال إنه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد قائم عمرو قاعد والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان بمعنى الإيمان والإعطاء فإن قلت أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية قلت تلك إخبار بثبوت البراءة ومنه إخبار بوجوب الإعلام بها فإن قلت لم علق البراءة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس قلت لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الأكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال يا أمير المؤمنين هذا الحج الأكبر قال يوم كهذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الأكبر ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو جعل الموقوف بعرفة يوم الحج الأكبر لأنه معظم وإجابة لأنه إذا أفاض فقد أدرك وكذلك إن أريد به يوم النحر لأن معظم أفعال الحج هو الحج الأكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه ووافقه الأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكأن قد حذفت الباء التي من صلة الأذان تخفيفا وقرئ أن الله بالكسر لأن الأذان في معنى القول ورسوله عطف على المستتر في بريء أو على محل أن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم أن أو لأن الواو بمعنى مع أي بريء معه وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك وبحلي أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فقال إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه بريء فليبه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر متعلم العربية فإن تبتم من الكفر والغدر فهو خير لكم وإن توليتم عن التوبة أو أبيتم على التولي والإعراض عن

فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله

الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه فإن قلت ثم استثنى قوله إلا الذين عاهدتم قلت وجهه أن يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الأرض لأن الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فأتموا إليهم عهدهم وقيل هو استثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر إن الله يحب المتقين يعني إن فضيلة التقوى أن لا يستوي بين الفريقين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم يغلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وقعت عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله فانشده

لاهم إني ناشد محمدا ۞ حلف أبينا وأبيك الأتلدا

إن قريشا أخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ميثاقك المؤكدا ۞ هم بيتونا بالحطيم هجدا ۞ وقتلونا ركعا وسجدا ۞ فقال عليه اللهم لا يبرحن إن لم أنصرك نصرا يا عمرو وحري لم ينقصوكم بالصاد معجمة أي لم ينقصوا عهدكم ومعنى فأتموا إليهم فأدوه إليهم تاما كملا قال ابن عباس بقي حي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم إليهم عهدهم إلى تسلخ الشهر كقولهم الجرد الشهر وسنة جرد أو الأشهر الحرم التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل أو حرم وخذوهم وأسروهم واحصروهم الأسير واحصره وقيده وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم أن لا يحل لهم ولا يدعوا أن يدخلوا المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجاز ترصدونهم وانصبوا له على الطريق كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن بنى المنار به سيل وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم وإتيان المسجد الحرام إن الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر وإن أحد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وإن استجارك أحد ولا يرتفع بالابتداء لأن من عوامل الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فآمنه حتى يأتيك فتسمعه ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن وتبين ما يحق له فآمنه حتى يسمع كلام الله وتلاوتك وبتلطف

ثم ابلغ مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم
فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون

على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت
من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة
وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا
ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله
يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم
جملة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلابد من اعطائهم الامان حتى
يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين
عند عند رسول الله وهم اضداد وغرة صيد وبهم يعني مع حال ان تثبت لهو لاء عهد فلا تطعموا
في ذلك ولا تجدوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا
امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب
المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار استبعاد لثبات المشركين على
العهد وحذف الفعل لكونه معلوما قال وخبرني انما المرء بالقرى فكيف وهانا
مضية وقليب بعد فكيف بسات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا
عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم
يتقوا عليكم لا يرقبوا الا ولا ذمة راعوا حلفا وقبل قرابة وانث لحسان
لعمرك ان الكذب من شر نهبش كآل السقب من رأل النعام وقيل الا الها وقرئ
الا بمعناه وقيل جبريل وخبرآل مرد لك وقيل منه اشتق الآل يمحى القرابة كما اشتق
الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الآل بمعنى الحلف لانهم اذا تحالفوا وتعاقدوا
به اصواتهم وشهروه من الآل وهو الجواز وله آلبل اي انين يرتفع به صوته ودعت
اللهما اذا اولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق آل وسميت به القرابة لان القرابة عقدت
من الوجه بما لا يعقده الميثاق ثم ضمنوكم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر
الباطن مفترض لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابا القلوب مخالفة ما فيها لما الصغاب
الميل وهو على التشبيه من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعا الامروة
صوت و
ذكر ابو عبيدة
يجوز ان يريد
اصوات الشاء بالنبطية
حكاية
اذا هم رخين

اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا
الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم
لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا

ترغيبهم ولا شامل مرضية ترد بعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث
والتعفف عما يثلم العرض ويحرم اجدوته التي اشتروا واستبدلوا بآيات الله بالقرآن والاسلام
ثمنا قليلا وهو اتباع الاهوآء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم
وقبلهم الاعراب الذين جمعهم ابو سفين واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في
الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم هم اخوانكم على حذف المبتدا
كقوله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل
وان من تامل تفصيلها نهض العالم يقينا وحرصا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين
وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع
ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا
لعادات الكرام الاولى فتاهل العرب ثم آمنوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وصاروا
اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا اما ما يعوا عليه من
الايمان والوفا بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد يبقى
فيهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لانهم كانوا يتوقعون منهم وقالوا اذا اطعن
الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا
طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي
لا اسلام لهم اولا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت
لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها
ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان به استشهد ابو حنيفة على ان يمين
الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رح يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل آية وصفها
بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في قتالهم بعد ما
وجد منهم ما وجد من العظائم ان يكون القتالة سببا لانتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية
كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة
بعدها همزة بتين بين بين اي مخرج الهمزة والفا وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن
بمقبولة عند البصريين واما التصريح باليا فليس بقراءة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو
لاحن محرف الا تقاتلون حلف الهمزة على لا تقاتلون بقوريا بانتقاء المقاتلة ومعناه الحض

Princeton University Library

أيمانهم همّوا باخراج الرسول من موطنه وكم أول مرة اتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن يتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا لرسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون

عليها على سبيل المبالغة تكثوا أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدأوكم أول مرة أي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله جاءهم أولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدوهم بالشر كما صدوكم وخصهم بتركهم قتالهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان من مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدإ بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا يترك مقاتلته وأن نوع من فرط فيها الخشونهم تقرير بالخشية منهم وتنويع عليها فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا تخشى المؤمن إلا ربه ولا تبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله وإنما وخزهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليشف قلوبهم ويصح إنباءهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلا وخزيهم أسرا وتولية النصر والغلبة عليهم ويشف صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس بني بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا إلى رسول الله فقال أبشروا فإن الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته وثبوت الله على من ابتدأ الكلام وإخبارا بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب بإضمار أن ذهول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن يتبين ذلك متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا ديتهم لله متميزين بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل

ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما فعل بزيد وما وجد ذلك منه قط وما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامر كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا أن يعمروا جنسها دخل في ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقة الكناية كما لو قلت ما كان لزيد أن يضرب عمرا وأنت تقر أنه ضربه كنت أنفى لقراءته من تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى استقام لهم أن جمعوا بين أمرين متنافيين عمارة مساجد الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي كلما طاف أحدهم طوافا شوطا بحجر ألهاه فيقول هو فوقهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار على أساري بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أو لكم محاسن فالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا حبطت الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها

خاطبتك بالمقاربين والى ذلك أشار بقوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنون العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم إنما يعمر مساجد الله وقرئ التوحيد أي إنما يستقيم عمارة هو أولى ويكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وتحسينها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكور ترك العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيجلسون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المتحدثين بأكل الحسنات

واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين

كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلم قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره
وعنه من ألف المسجد ألفه الله وقال صلى الله عليه إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة و
حملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه فإن قلت هلا ذكر الإيمان برسول
الله قلت لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة و
الأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير
منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه
بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكوة فإن قلت كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى
المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في أبواب الدين
وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران أحدهما حق الله
والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام
ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين
عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها
وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية
والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون
عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض
الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد
من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن
بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراءة سقاة الحاج وعمرة
المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة
وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي أن المشركين قالوا لليهود نحن
سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم
أفضل وقيل إن عليا قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في أفضل
من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا

فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا هم أعظم درجة عند الله من أهل
السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم قرئ
يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف
وعن ابن عباس في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر
ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا
في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت
ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض
أقربائه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه لا يطعم
أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله
أقرب الناس إليه وقرئ عشيرتكم وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم فتربصوا حتى يأتي
الله بأمره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة وهذه آية
شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب
حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات
الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن
وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري
أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على
أنفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى
بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد
والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فإن قلت
كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين
أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب
أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم بدل
من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن
ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر

فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم

وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله وقيل قائلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صيح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله الى قتال المؤمنين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكأني انظر الى رسول الله يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها يعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله حين وقع الهرب وانزل جنودا يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله فقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا

يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية بعد عامهم بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي رضي الله عنه يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود وغيرابن الله

ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابن دوق لا يعلمون ما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده يعني جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من مر عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد بيد المعطي او الآخذ فمختار على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى واستنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصح الاقوال في قولهم عن يد عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا ممتنعا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة وهم صاغرون اي توخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان سلسل تسلسلة ويوخذ بلبته ويقال له ادد الجزية وان كان لبيت الرجل يودها ويرمي بها في قفاه وينفض بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تغلب عليه فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي عند صلاة وجزية الاعلى مشركي العرب وخدمهم وروى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي رضي الله عنه لا توخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا توخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي رضي الله عنه توخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدا وخبر قوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ويعجبه وتعجبه امتنع صرفه ومن نوّن فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فمحمل عند مبتدا وخبر وهو اي قولهم عزير قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه

سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك وقيل قال فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا لخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان القول كان فيهم ان الآية نليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع انها لكم على التكذيب بما يلتت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان كما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفه يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا يقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يوثر في القلوب وذلك انهم اذا اعتبروا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا يدفيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملئكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح بن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقوى يضاهيون بالهمز من قولهم امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهات الرجال اي انها لا تحيض وهمز بها مزيدة كما في عش قي فانلهم الله اي مم اجعاد بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب تعليم الى يوفكون كيف يصرفون عن الحق الخاذهم ارباب اي انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ومن تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن الا ترى انه لما تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن ويحلون ما حرموه فيحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اهلعت بخلق قط اليسوا كانوا يحرمون الى آخره

فقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يوفكون

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا
نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة

ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون

في معصية الخالق اوصلّت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهّلوه للعبادة
الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلم انه من يشرك بالله فقد حرم
الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في
وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله
ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم مثّل حالهم
في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث
في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه
ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين
الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا
قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى
الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل الاموال على وجهين اما ان
يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها
فهي سبب للاكل ومنه قوله يأكلن كل ليلة إكافا يريد علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى اكلهم
بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع والذين
يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين
مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز
ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى
تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق
البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك
الانفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه ما ادي زكوته فليس بكنز وان
كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله
عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال
اليس بكنز قال ما ادي زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان
كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض

فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله تبّا للذهب تبّا للفضة
قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم
على دينه وبقوله عليه السلم من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره
دينار فقال كية قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكوة فالله
اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه
فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون
الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار
للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه
ولكل شيء حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو
كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا
بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير و
دراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى
الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب
وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول و
اثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر
اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا
قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار
تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط
هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار و
المجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد
عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى
الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت
هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض
الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون
بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن اكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا

يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا مالكم
إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل

وقد خصص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام أربعة أشهر وذلك
قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد
خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثمائة عشر أو
أربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من
غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء أي إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما
رجعوا فحرموه في العام القابل يروى أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة
وكان جنادة بن عوف الكناني متطاعا في الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول يا على صوته
إن آلهكم قد أحللت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن آلهكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرا فزادهم رجسا
إلى رجسهم كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيمانا فزادهم إيمانا وهم يشعرون ويوفق
يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على أن الفعل لله عز وجل وقرئ زين
ليواطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نساه إذا أخره نحو قال نساه ونسأ ونسيا كقولك
مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ نسء مثل فعل والنسيء بوزن الديني والنسي بوزن النبي
وإنما خفف النسيء والنبأ مارد ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله فاسمعناه فيحلوا بمواطأة العدة
وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها زين
لهم سوء أعمالهم خذلهم الله فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف
بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل إنا ثاقلتم بنا ثاقلتم
وبه قرأ الأعمش أي بنا كاثم وتثاقلتم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى مللتم
إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحو أخلد إلى الأرض واتبع هواه
وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم وديارهم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي مساقه الإنكار
والتوبيخ فإن قلت فما العامل في إذا وحرف الاستفهام ما يجب أن يعمل فيه قلت
ما دل أثاقلتم عليه أو ما في مالكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال
إذا قلت مالك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا
في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول
الله في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الأخرة

ومن ليس ناعمة من النساء ينظرونها على ظهورهم كما ترى أعناق ركائبك هذه أعراضهم
وطلباتهم من أمور الدنيا لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه ذهب أهل الدثور
بالأجور وقيل لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا أتاهم وأناه مجلس أزوروا
عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكون على الجهات الأربع مقابلا لهم
وما أخبرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على إرادة القول وقوله لأنفسكم أي كنزتموه
لتنتفعوا بتقويكم وتلذذ وتحصل لها الأغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه
لتستضروا به أنفسكم وتعذبوا وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون
بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين في كتاب الله فما آتيته
وأوجبه من حكمه وزاده حكمة وصوابا وقيل في اللوح أربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه اللهم في خطبته في حجة
الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر
شهرا منها أربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر
الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجب الأشهر التي ما كانت عليه وعاد الحج إلى ذي
الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت
حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين
المستقيم دين إبراهيم وإسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به ورثته منهما فكانوا يعظمون
الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وتركوا
رجبا الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدث النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن أنفسكم
أي لا تجعلوا حرامها حلالا وحرمها حلالا وعن عطاء الله يحل للناس أن يغزو في كل
الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني أحلت القتال في المحرم
براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بأنا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج
بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال كأنه قيل لا تظلموا فيهن
كافة حال من الفاعل أو المفعول مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها
النسيء تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء
الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى

Arabic manuscript commentary (Tafsir al-Kashshaf) with marginalia and glosses.

إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ
من النفاد أو تقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عز

بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة إلا متعة وانحط عظيم على المشاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يعود بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فإن قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فعل بقوله فقد نصره الله إلى أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسنده إليهم في قوله يخرجونكم التي أخرجتك لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله صلى الله عليه وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يروى أن جبريل صلوات الله عليه لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وائتساؤه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالتكون وإذ بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل على ثلثة أميال مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا إذ يقول بدل ثان من إذ طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه اللهم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله جماعة من أشقيائه والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون فداخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أكفر بحضرة أبي بكر فقد كفر بإكراه كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فصل كلمة الله هي العليا وأنها المختصة بدون سائر الكلم حفافا وثقالا خفافا في النفور لقلتكم وله وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذياكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وبهانا أو صحاحا ومراضا

وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس نسخ بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صعصعة بن عمرو كنت واليا على الخيل فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أعلى جفنيه على أجفانه من الهرم والضعف فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا إنه من خفته الله بثقله وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب مرض فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم انجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه عنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا أي سهلا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وتم بدفنه ولا بعد الا ما تواري الصفاح بالله متعلق بسيحلفون ومن جملة كلامهم والقول مراد به الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جواب القسم ولو جميعا و الإخبار بما سوف يكون بعد القفول من جملة المعجزات ومعنى لو استطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو وتشبيها لها بواو الجمع في قوله ضمنوا للموت ونابوا وأجلبوا في قوله فيكون أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وهما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا والقيناها في التهلكة بما يحملها من المشيرة في تلك الشقة وجانبه على فقط العاجز لأنه مخبر عنهم الآتي أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان بديعا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لأن العفو أدرف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت ولم أذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه

ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم
متربصون قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين

او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض
الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو
ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي
امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع وتولوا
عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا
عن رسول الله قرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه
ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب
في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة
من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله
الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته
وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولينا اي الذي يتولانا ونتولاه
ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق
المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى
العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم
احدى السوءيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت
على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني في
سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين فان قلت
كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر
لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسات الينا او احسنت فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت
اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك
قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك
وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول

وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون

اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك المعنى انفقوا و
انظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر وانظر هل ترى اختلافا بين حال
الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله تقبله منهم و
رده عليهم ما يبذلون منه ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت
يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او
ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه
او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون
من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك
وقال لرسول الله هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق
التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء
للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرا السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل
لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم
لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة
الا على الخاشعين وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه كره للمؤمن ان يقول
كسلت كانه ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن
الى نفسه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم
وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام
من رسول الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار
الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن
بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب
بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه في ابواب
الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه
وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم
وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه
قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة

ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله
انا الى الله راغبون

لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجأ
مكانا يلجأون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم
الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعني امكنة
يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا
او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا
من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا لوألوا اليه لالتجأوا اليه يجمحون
يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس
يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات
ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول
الله صلى الله عليه يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن
يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في
رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود
راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم
ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم
لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير
الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه واذا للمفاجأة اي وان لم يعطوا منها فاجأوا السخط جواب
لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول
من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما
قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا
ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقراء قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة
وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة
لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى
بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين
انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزأك وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من
المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد من صرفها
الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون رسول الله ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم

في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف
الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان
رسول الله يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب
المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين
ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتدينوا
فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما
الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت
لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الآخرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق
عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا
مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين
من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة
وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله
وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه
الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف
الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان
وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الاذن
الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته
اذن سامعة ونظيره قوله للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن
خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز
ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل عليه
قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر
كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل المؤمنين الخلص من المهاجرين
والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل
ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون

الله من المصلحة في الإبقاء عليكم هو اذن كائنا ما كان اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه انه اذن فتر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم دمثوه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة فدبيج كلام المبلغ فاذى ومحى نابته فنعته بذلك اليه فسمع عذرنا ايضا فيرضى فعل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرا نافع يخفف الذال بار بلث لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام بلث لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع للمؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين يعني ما انباءنا عن الغيب ونحوه فما آمن لوعيد الآخرة من قومه الا من لك واتبعك الا رذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم بار بلث ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب بلث هي علة معللها محذوف يقدر من ورحمة لكم بأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يكلمون المطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاء وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المجادة مفاعلة من الجد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي لهم ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان يكرر لان في قوله انه نوكيد او يجوز ان يكون ان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ادري انا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شئ يفضحنا والضمير في عليهم وشبتهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يعود اليه ويجوز ان يكون الضمار للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معايبهم هتكت استارهم وعرفت عليهم وعلى قلوبهم كما تقول لهم

ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون

قلوبكم كيت وكيت يعني انها تدبيع اسلافهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها اخبرتهم بها وقيل معنى تحذر الامر بالجد راى ليحذر المنافقون بار بلث الحذر واقع على انزال السورة في قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل منبئ انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي فحذرون اظهاره من نفاقكم بنا رسول الله صلى الله عليه يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شئ من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعتذروا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معتذرون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به بلى حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء دون ان تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاركم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرا ابن عامر وحمزة وحفص وابو بكر ان يعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان يرحم طائفة فاتت لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير ونعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين ونكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاح عن كل خير وكفى بالمسلم زاجرا ان يلم بكبيرة هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا

وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا
والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبؤا الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة و
يطيعون الله ورسوله

كره رسول الله للمسلم ان يقول كبشك لان المنافقين وصفوا بالكبل في قوله كمثل فاطنك بالفتح
خالدين فيها مقدرين الخلود في حبسهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شئ أبلغ منه وانه بحيث
لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله وأعانهم مع التعذيب وجعلهم مقرونين
ملحقين بالشياطين الملاصقين كأعظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم
ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ونحو ان يريد ولهم
عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وموما يفاسونه من تعب النفاق والظاهر
المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على
اسرارهم الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من
قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحو قول النمر كالبوم مطلوبا
ولا طلبا باضعاف لم ار وقوله كانوا أشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل لفعلهم بفعلهم و
الخلاق النصيب وموما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم ونصيب لانه
نصيب اي أثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا
او كالخوض الذي خاضوه مان ملك اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما
استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما أغنى قوله كالذي خاضوا عن أن يقال وخاضوا
خضتم كالذي خاضوا فلت فائدته أن تذم الاولين باستمتاعهم بما أوتوا من حظوظ الدنيا
ورضاهم لها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة
وأن يحسن امر الاستمتاع ويحض امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم
كما شبه أن ثبيطة بعض الظلمة على مساجة فعله فتقول اتمثل فرعون كان يفعل بغير حرم و
تعدث وتعبث وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله
مسند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
لقبض قوله وأتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين واصحاب مدين والمؤ
مدين ومنهم قوم شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قرى بأبواب قوم لوط وهود
وصالح وانقلابها تزلزلها بأهلها عن الخبر الى الشر ما كان الله ليظلمهم فاصحة منه ان
يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان عاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا
به فاستحقوا عقابه بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض يأمرون

أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر
ذلك هو الفوز العظيم يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا

الله البين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي توكد الوعد كما توكد الوعيد فولك سأنتقم منك
يوما تعني أنك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحو سيجعل لهم الرحمن وداً ولسوف يعطيك ربك
سوف توبيخهم أجرهم عزيز غالب على كل شئ قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع
كل امر موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الأحمر
والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء
عن رسول الله صلى الله عليه عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير
ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في
الجنة وقيل نهر جنانه على حافاته ورضوان من الله أكبر رضى من رضوان الله أكبر من ذلك كله
لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم يبالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة
أكبر أصناف الثواب ولان العبد اذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراه من النعيم
وانما تنتهي الرضاة برضاه كما اذا علم بخطبة تغضب عليه ولم يجد لها لذة وان عظم وبعث
بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرتاضة من مشاهدتها يقول لا نطمح عيني ولا يتاوق نفسي
الى شئ مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتتاوق الى رضاه عني وان أحترق في نيران المهددين
المرصدين عنده ذلك اشارة الى ما وعد اولي الرضوان الذي هو الفوز العظيم وحده دون ما
يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا
لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول انا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا واي
شئ أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهاد بين جميعا ولا تحابهم وكل من وقعت منه على فساد
في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه فجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها عن ابن
مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه
بهذا الكراهة والبغضاء والنبرة وسمة وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم
اذا تعاطوا أسبابها أقام رسول الله في غزوة تبوك شهرين تنزل عليه القرآن ويعيب المنافقين
المتخلفين فيسمع من معه منهم فيأتي الحلاس بن سويد فقال الحلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا
الذين خلفناهم ومن سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للحلاس أجل
والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر الحلاس فحلف بالله ما قال فرفع

ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله
عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتيهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون

عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون
بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر
فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام و
هموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على
ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة
السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما
نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله المدينة في ضنك
من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول
الله بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الآية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد
فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله
قبل ان تكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر
فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمن وقرئ لنصدقن ولنكونن
بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل
يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير
لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا
بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد

يعني لما حلف الجلاس كذب عامر لحلفه فقال انزل تصديق في حقيقة الامر وان كنت كاذبا عند الناس لحلفه وانزل تكذيبه في حقيقة الامر وان كان صادقا عند الناس بحلفه يسمى نفسه الكاذب لظاهر حاله عند الناس وخصه الصادق لذلك فبحسب الظاهر الكاذب عامر والصادق الجلاس والمطلوب نزول الامر بالعكس على الحقيقة والظاهر

اي صاروا اغنياء واثرى الرجل كثر عياله

ويعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم
فلن يغفر الله لهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي الفاسقين

ثلث النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد والم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم
ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم
ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين
المتبرعين روي ان رسول الله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من
ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة
لعيالي فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر
امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل
الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت
بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد
الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم
كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سأل عبد الله
بن عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه
ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسأزيد على السبعين فنزلت سواء عليهم
استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر
الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على
لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاصبحن
العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله وهو
افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار
كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص
لي فسأزيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته
ورأفته على من بعث اليه كقول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي
الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استأذنوا
رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على احد منهم

والشيطان يقعدهم بقعودهم عن الغزو وخلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف اخي بمعنى بعده
ظعنوا ومن يظعن معهم وشهد له قراءة ابي خفوف خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه
حيث قعدوا ولهذا انتصابه على انه مفعول له او حال اي تعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم تغريض بالمؤمنين وتهييج لهم الى المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم و
ارواحهم في سبيل الله واباء هم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه
وما فيهم يأبى المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان فل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان
من تصور من مشقة ساعة فوت نصيب ذلك النصيب من مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم
مرة اخطأ تلفت بعدها مائة بوم انها شبه الصاب فكيف ان تلقى مرة ساعة ورأى تقضيها نار
معناه فسيحكمون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب
لا يكون غيره وبرى ان اهل النفاق يكون في النار غم الدنيا لا يزايلهم دمع ولا يكلون
ينوح وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر
صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج
يعني الى غزوة تبوك وكان استظهارهم عرجهم او الغزاة عصبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه
لم يدعهم اليه الا النفاق لخلاف غيرهم من المتخلفين مع المخالفين قدم ذكر نفسهم وقرأ ابو بكر
بضم الخاء وهو رحمه الله مع الخلفين على قصر المخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل
فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هذه
اكبر النساء وهي اكبر من ثم ان قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امراة واول
مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي ان رسول الله كان
يصوم على بعير المنافقين ويدعوهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث الله له بابنه
فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتوبخني
وسأله ان يكفنه في بعض ثيابه الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى
جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما تم بالصلاة
عليه قال له عمر انصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان قلت
كيف جازت له نكرة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له
وذلك ان العباس عم رسول الله لما اخذ اسيرا ببدر لم يجد له قميصا وكان طلا طويلا فكساه

فكأنه عبد الله قميصه وقال لو المشركون يوم الخندق بيعا الا لاذن لحد ولكنا اذن لك فقال له
ان لي في رسول الله اسوة حسنة فكر رسول الله له ذلك واجابه الى مسالته اياه فقد كان
عليه الله لا يرد سائلا وكان يشفع على داعي المروة ويعد بعادات الكرام واكرامنا لابن الرجل
الصالح فقد روي انه قال اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تصوم على قبره لا يتمنى به الاعداء
وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون ابنه على
اباه لطفا الخير فقد روي انه قبل لهم وجهت اليه بقميصك وسوكه فقال ان قميصي لن يغني
عنه من الله شيئا واني اوثر من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من
الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك ترحمه واستغفاره كان الدعاء الى
التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا
المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة
عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك
من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة انما الي اعلم ان رسول الله كان يقوم مقام
لاحد وانما قيل مات ومانوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
لانه كان موجودا في الحال انهم كفروا فاعلم للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول
له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده واراد ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه
وان يعتقد ان العلة بهم تقتضي الى فصل عنايته لا سيما اذا تراخى عن النزول فاشبه الشيء
الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء احديثه ويتخلص اليه واتما اعيد هذا المعنى لفوائده
فيما يجب ان يخدر منه ويحذر ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت
سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد
ان آمنوا اي ايمانا مقدرا روي انه قيل لهم وجهت اليه بقميصك وسوكه فقال ان قميصي لن يغني
عنه من الله شيئا واني اوثر من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من
الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك ترحمه واستغفاره كان الدعاء الى
التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا
المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة
عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك
من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة انما الي اعلم ان رسول الله كان يقوم مقام
لاحد وانما قيل مات ومانوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
لانه كان موجودا في الحال انهم كفروا فاعلم للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول
له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده واراد ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه
وان يعتقد ان العلة بهم تقتضي الى فصل عنايته لا سيما اذا تراخى عن النزول فاشبه الشيء
الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء احديثه ويتخلص اليه واتما اعيد هذا المعنى لفوائده
فيما يجب ان يخدر منه ويحذر ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت
سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد
ان آمنوا اي ايمانا مقدرا روي انه قيل لهم وجهت اليه بقميصك وسوكه فقال ان قميصي لن يغني
عنه من الله شيئا واني اوثر من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من
الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله وكذلك ترحمه واستغفاره كان الدعاء الى
التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا
المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة
عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك
من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلاة انما الي اعلم ان رسول الله كان يقوم مقام
لاحد وانما قيل مات ومانوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
لانه كان موجودا في الحال انهم كفروا فاعلم للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول
له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده واراد ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه
وان يعتقد ان العلة بهم تقتضي الى فصل عنايته لا سيما اذا تراخى عن النزول فاشبه الشيء
الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء احديثه ويتخلص اليه واتما اعيد هذا المعنى لفوائده
فيما يجب ان يخدر منه ويحذر ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت
سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد

ولا تصل ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا يعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم

وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرأ ابي كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب

يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

في استيذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتثيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأويهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم دوائر الزمان دولة وعقبة ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم

والله يجمع عليهم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم في رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز
ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق عليهم

نحو مادعواه بقوله عز وعلا وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقوي السوء بالضم
وسوء العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وسوء ذم اللدائم كقولك رجل سوء في بفيض قولك رجل
صدق لان مرد اثبت عليه دام لها والله سميع لما يقولون اذ انوجهت عليهم الصدقة عليهم
بما يغضون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قوله يأتي مفعول ثان يتخذ والمعنى أن ما
ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين
بالخير والبركة ويستغفرلهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان
ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها شهادة من الله للمتصدق
بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف
ومع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين
من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان
اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه
السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن
الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى
وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو ذر اذ قرأ
مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون
وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان يغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد
انه بالواو فقال ائتني بها في فقال لتصدقن ذلك في اول الجمعة واخرين منهم واوسط الحشر
والذين حاوا من بعدهم واخر الانفال والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرأه بالواو
فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله وانك لتتبع القرظ بالبقيع
قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر
لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون الاولون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم
ومعناه رضي عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية وفي
مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من وممن
حولكم يعني حول بلدكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين
حولها من اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على

المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف
محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة
لما قبله فقوله فصل منها وبنه بمعطوف على خبر مردوا على النفاق تمهر وا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا دأب وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانهم
عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي لخفون عليك مع فطنتك ومهارتك وصدق فراستك
لفرط تنقهم في الخامي ما يشكل في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على
سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ايطانا ويبرزون لك ظاهرا كاظهر المخلصين
من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد
الطولى سنعذبهم مرتين قبل بما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر
وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن
الحسن اخذ الزكاة من اموالهم وقيل بما اقامة الحدود عليهم الى عذاب عظيم الى عذاب النار اعترفوا بذنوبهم
اي لم يعتذروا من خلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئسما
فعلوا منذ قمين بادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة ومرداس بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة
ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين
فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه فرحل
المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين وسأل عنهم فذكروا له
انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا
احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي
خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من
اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم
الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم
وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم

ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم

إلا أن الواجب في سائر الفصل بعد الثاء شاة ودرهما أصله شاة بدراهم أي شاة بي درهم ثم كثر ذلك فنصبوا شاة نصب يدا أن يابعته يدا بيد ثم أبدلوا من الهاء المصاحبة واوا واذا أبدلت الهاء المصاحبة واوا وجب أن يجب بعد ما ياء واو قبلها كقولهم كل يعمل وضيعته وقولهم امرأة وفتاة هذا كلامه في شرح المفصل وقال الجاربردي لعله الله ههنا يجوز أن يكون أصله والله أعلم خلطوا عملا صالحا بآخر سيئا فصبوا الواو ابدلوا من باء المصاحبة واوا فوجب أن يجب ما بعد الواو ياء واو قبلها

الآما للبس واللبس بالآما ويجوز أن يكون من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فإن قلت كيف قيل أن يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت إذا ذكروا عبر أنهم بدؤا توبتهم وتلوها دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للأمر ولم يقرأ وتزكيهم إلا بإثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب أو لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها وعن الشافعي رضي الله عنه أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة أجرك الله فيما أعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما أبقيت وقرئ إن صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ترى ألم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما أن مراد المتوب عليهم يعني لم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم أن الله هو يقبل التوبة إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن الله هو الذي يقبل توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله إنما الله هو الذي يقبل التوبة ويرد الصدقة فاقصدوه بها ووجهوها إليه وقل لهم وقل للتائبين اعملوا فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم ونبئس لكم والثاني أن يراد غير التائبين تغيبا لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هو لاء الذين ما بوا كنا نوالهم من معنا لا نكلمون ولا نجالسون فأنهم فنزلت فإن قلت فما معنى قوله وخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل والمعنى أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فيري وعسى لهم وخذ من عاجبة الإصرار والذهول عن التوبة قرئ مرجون ويرجأون من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم إما يعذبهم إن لم يتوبوا على الإصرار ولم يتوبوا وإما يتوب عليهم إن تابوا ومنهم ثلثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أمر رسول الله أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أولئك بأصحابه من بنذ أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لا ينظر إليهم توجهوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم

والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون

لا تقم فيه أبدا

إلى قوله أبدا

إلى قوله وهو لا يزال يبني

يعني لفظا

وفي قراءة عبد الله غفور رحيم وإما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله أن ائتنا فأنتم فصلى فيه فحسده إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم ونووا الذي نووا ورسول الله الغازي وقال لرسول الله يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم نزل نقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآتي بجنود فأخرج محمدا وأصحابه من المدينة فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحب أن تصلي لنا فيه وندعو لنا بالبركة فقال إني على جناح سفر وحال شغل وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وأمر أن تتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وقال ابن عامر بالشام بقتر بن ضرارا مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيتفرق بهم فأرادوا أن يفرقوا عنه ويختلف كلمتهم وإرصادا وإعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو مال عند طيب هو لاحق بصاحبه الضرار وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني حرام لو صليت فيه بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار أو رياء وسمعة فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الأمصار على عمر رضي الله عنه أمر المسلمين أن ينوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه فإن والذين اتخذوا وأما محله من الإعراب فالنصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة

المعازة المغالبة بالعز ضرارا مفعول له أو مصدر محذوف الفعل

بكسر الفاء وتشديد الواو مفتوحة أو مكسورة

الرصد الاستواء للترقب يقال رصده وترصده وارصده

لأن الجماعة كانوا قد صلوا فيه وتفرقوا فقيل له فلو صليت إلى مسجد بني فلان ونصلي فيه مع جماعتهم فلا تهم ما صلوا بعد فأجاب بهذا الجواب

الآخر

لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين

وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة

قال ملث ثم يتصل قوله من قبل ملث باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل أن نافق هو لا بالتخلف

إن أردنا ما أردنا ببنائنا هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى والإرادة الحسنى هي الصلاة وذكر

الله والتوسعة على المصلين لمسجد أسس على التقوى قيل هو مسجد قبا أسسه رسول الله صلى الله

عليه وصلى فيه أياما مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة

وهو أولى لان المواظبين من مسجدي قبا أوفع وقيل هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن ابى سعيد

الخدري سألت رسول الله عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ حصبا فضرب بها الأرض

وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من أول يوم من أول يوم من أيام وجوده فيه رجال يحبون

أن يتطهروا وقيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه ومعه المهاجرون حتى وقف على باب

مسجد قبا فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول

الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء

قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال

يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط

فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه

رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يتطهروا بالإدغام وقيل هو عام في التطهر من

النجاسات كلها وقيل كانوا لا يستنجون بالماء فنزلت فيهم وعن الحسن

هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالنحي المكفر لذنوبهم فحثوا عن

آخرهم قال ملث ما معنى المحبتين ملث محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه

حرص المحب للشيء المشتهي له على إيثاره ومحبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل

المحب بمحبوبه قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول وأسس بنيانه

مع إسناد على الإضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس بنيانه على أفعال

جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي

هو تقوى الله ورضوانه خير أمن أسس بنيانه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها

بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك ووضع

شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما يبنى في التقوى قال ملث فما معنى قوله

لا يزال بنيانهم ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم

فانهار به في نار جهنم ملث لما جعل الجرف الهاري مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم

على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز بذكر لفظ الأنهيار الذي هو للجرف و

ليتصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف المهوى

في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي تحفر أصله بالماء وجرفه

السيول فبقي واهيا والهار الهاير وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط

ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائب والفه

ليست بالف فاعل إنما هي عينه وأصله هور وشوك وصوب ولا ترى أبلغ من هذا الكلام

ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره وقرئ جرف بسكون الراء ان ملث فما وجه ما

روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين ملث فجعل الألف للإلحاق

لا للتأنيث كتترى فيمن نون ألحقها جعفر في مصحف ابنته فانهارت به قواعده وقيل

حفرت بقعته من مسجد الضرار فروى الدخان خرج منه وروى أن مجمع بن حارثة كان

إمامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب في خلافته

أن يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لولا ثغرة عين البس بإمام مسجد الضرار فقال يا

أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت

ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرأون من القرآن شيئا فعذره

وصدقه وأمره بالصلاة بقومه وربنة شاك في الدين ونفاق وكان القوم منافقين

وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه

رسول الله أرد اد والماغاظهم من ذلك وعظم عليهم تضمنا على النفاق ومنفذا للإسلام

فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق

زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا

وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية

فيها متمكنة فجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها وجوز أن يراد

حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ تقطع بالياء

وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول

أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم

ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقرآن ومن
اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

الشروى اسم من الشراء كالكيل والبيع وارادوا
بالذي اتاهم هو الملك بين البدلين
من القاتل فالمساوي وهو الاول
بدون المضاف ومقدرا الى البدل الثاني

الصفقة عبارة عن ضرب اليد على
اليد عند العقد ثم نقل عن ذلك المعنى
الى العقد ثم نقل من المعنى الثاني
الى المعقود عليه فالمراد بالصفقتين
ههنا المعقود عليهما اي الثمن والمثمن
يعني لا يعود شيء من انفسهم واموالهم
من الجنة الى اليهم ٥٥

يحتمل ان لا يكون في معنى الامر
بل يكون بيانا للشروى والمشار اليه
في قوله تعالى اشترى ٥

وعن طلحة ولو قطعت انملهم على جناب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تقطع
عنها قلوبهم ندما واسفا على ما فرطوا فيه ثم اثابهم الجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في
سبيله بالشروى وروي تاجروهم فاعلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه جعل لهم الصفقتين
جميعا وعن الحسن انفسا موخلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه
على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال
فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ارج البيع لا نقيل ولا نستقيله ومر به رسول الله
اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله
فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله جاهدوا في سبيل الله باموالكم
وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس
وعدا مصدر مؤكد واخبر بان هذا الوعد الذي وعده المجاهدين في سبيله وعد ثابت قد
اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف
الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم مكيف بالغني الذي
لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون رفع على المدح
اي هم التائبون مني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين
بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان
يكون مبتدأ خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا واكفوله
وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ
وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون
لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرأوا من النفاق والعابدون الذين
عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا
بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من الشهوات وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض
يطلبونه في مظانه قيل قال لعبة ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا
فقل كلمة تحت لك بها شفاعتي فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل
لما افتتح فكة سال ابي ربه فاحدث به عهدا فقيل له انك آمنه فزار قبرها بالابواء فقام

ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابرهيم لاواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له
ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

مستغفرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها
فلم ياذن لي ونزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة
وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد
استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله
وحكمه من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك قوا طلحة وما استغفر
ابرهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها
اياه اي وعدها ابرهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد
الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز
حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على
ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لا ان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر
الا ترى الى قوله عليه السلام لعبة لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل لرسول الله ان فلانا
يستغفر لابويه وهما مشركان فقال اليس ورا استغفر ابرهيم فان قلت ما معنى قوله
فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن
وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من الاوه وهو الذي يكثر التاوه ومعناه انه
لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه
وقوله لارجمنك يعني بامر الله بانتهائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغير ذلك
عنه وبين انه محظور لا بد ان اخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يتبعهم ضلالا ولا
تخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد ما ينبه حظره عليهم ويلهمهم بانه واجب الاجتناب
واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولحم الخنزير قبل التحريم وهذا بيان لبعد من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي
عنه وفي هذه الآية شديد لمن ينبغي ان يتعقل عنها وعسى ان المهدي للاسلام اذا اقدم
على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما
ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف تاب الله على

فزلت

قال لعله اراد انها لم تستحق
وانا ضممنا بعض حروفها كما يحصل
والسهل وانا ما وجدان اي
حرفة بدا بدا وطبعه هو الذي
يلقه واداه الى الاستغفار لابيه
السنة الاضلال الى ضلال الله تعالى
خلق الضلالة في العبد وعند
المعتزلة تسميه ضلالا الخذلان

اي خصلة شديدة وقيل
بلية شديدة خذف موصوفها
ليذهب نفس السامع كل مذهب وهو
للاسلام انه اضل بعد الاضلال عام
في بيان وجوب الاتقاء فعلى ان المهدي
وهذا وعيد شديد لمن يتعقل عنها وعسى ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض محظورات
الشرع فقد اضله الله ببعض ما يتقون وضاله
محظورا قبيحا واجب الاتقاء ٥ من

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم
وعلى الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله
هو التواب الرحيم

النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمتن
على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون
والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين اشرف صفة
الانبياء كما وصفهم بالصابرين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذن
للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وفي ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة
في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم غداة طفت علما بكل بر وبال
عشية فارعنا جداء ام وخيرا اذا جاء يوما وارانى مبتغى الغنى والعسرة حالهم في عزوة
تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقبون العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد حتى
اكلوا القرظ المدوّد والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا
فرثها وفي شدة زمان من جمادة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد
تزيغ قلوب فريق منهم عن التباب او عن اتباع الرسول في تلك العزوة والخروج معه
وفي كاد ضمير الشان وشبهه سببيه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة
عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم بزيد المخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وامثاله ثم تاب
عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم ليتوب عليهم
ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعن خلفوا عن الغزو وقبل عن ابي لبابة واصحابه
حبسوا انفسهم على سواري المسجد وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخلاف
وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرا الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين
بما رحبت رحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون
فيه قلقا وجزعا منهم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لاتها
حرجت من شدة الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من عذاب الله الا الى استغفاره ثم تاب
عليهم ليتوبوا اي رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا
او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان شرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله توّاب على من تاب ولو
عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين خلفوا عن رسول الله من بدر الله وكونه مكانه
فلحق به عن الحسن يعني انه كان لاحدهم حائط كان حبسا من ماله فقدر بهم فقال يا حائطاه

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

عن قتادة وابن زيد وكعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
الذين تيب عليهم خلفوا عن قبول توبتهم
فتخلفوا عن الغزو وهموا بالتخلف فنهوا
عن ذلك وامروا بالكون مع الصادقين
فتوبوا من الكذب وصدقوا في الحديث
وقيل كونوا مع محمد وامتثلوا امره
وقيل كونوا مع الصادقين في الجنة
وقيل كونوا مع الذين جمعوا الصدق والخشية
وقيل كونوا مع الذين هاجروا
وقيل كونوا مع الذين لا يتخلفون
عن الجهاد ولا يؤثرون عليه شيئا
من امور الدنيا

ما كان لي ولا ينبغي لي ان اؤثر نفسي عليك ولا ان اضن بها عليك ولا ان ارغب بها عن مواساتك
ما خلفني الا اظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا
اهلاه ما بطأك ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لا كابدن المفاوز حتى الحق برسول
الله فركب وحلق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الجهوة
لك والله لا كابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فناط زاده وحلق به قال الحسن كذلك
والله المؤمن يسوءه من ذنوبه ولا يضرعليها وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطأ به فحمل
متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه ما شيا فقال رسول الله لما رآى سواده
كن اباذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث
وحده وعن ابي خيثمة انه لما بلغ بستانه وكانت له امرأتان حسناوان رشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد
وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح وماهذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فخد رسول الله طرفة الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب فقال كن
اباخيثمة فكانه فعرح به رسول الله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة
قال كعب لما قفل رسول الله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكر لي وقال ايت تشرك
ما خلفك يعبا فقبل له ما خلفه الا حسن ثوبه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد
من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت
خمسون ليلة اذا انا ببشير جاء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني
ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتنابعت البشارة فلبثت
ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن
عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لهنيك توبة الله عليك فلن انسها لطلحة بن
رسول الله وهو بشيرا استبارة القمر اشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك
امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق
على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين
وقرئ من الصادقين ومنهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا
في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قولهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

مولد جعفر الصادق الصواب الصادق
الكسر حال الشيخ السند جعفر بن محمد بن الصادق
تقدم محله مدل على ان جعفرا يعترف ال

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين

وقيل هم الثلاثة اى كونوا مثل هؤلاء في جدهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين والانصار وواسوهم وانتظموا في جملتهم واضدوا مثل ضدهم وقيل لمن خلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرأوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امرا وابان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال رغبة ونشاطا واغتباطا وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه واذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في بلده وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا تكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا ويكون احق شئ عليهم واهونه فضلا ان يسوءوا بانفسهم عن مصاحبتها ومصاحبتها ويصنعوا بها ما يسخ بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفه وحميته ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شئ من عطش ولا نصب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار تحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا ينصرفون في ارضهم نصرة فيغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنمة او من بعد او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب وقيل الرزء في عند الله وذلك مما يوجب المتابعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والايطاء ثم الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطاة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا تعدى بعينه الكفار بعينه وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا او ان يكون بمعنى النيل وقيل نال منه اذا ذراه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويكبتهم ان الله لا يضيع بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وهلم وغير ذلك وكذلك الثمر وبهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطأ دوابهم مما يغيظهم ويكبتهم ولقد اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد مضي عام وقد قد ما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين ابا امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل

يقال رغب بنفسي عن هذا الامر اذا ترفعت عنه فالمعنى لا يصح لهم ان يؤثروا انفسهم بالخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والمشقة ولا يختاروا لانفسهم ان تكون على حال يتلقى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه في كل شديد فالآية تأبى بانفسهم ان تكون للتعدية لانك تقول رغبت عنه فلانك اذا قلت رغبت بنفسي عنه فكانك جعلت نفسي لا غيره عنه

ولا يقطعون واديا اى ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وسمي الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم والا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اى اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه ان يغير الكافة عذرا وطاعتهم الكافة عذر صحيح ولا يمكن وجه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب النفقة على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسئلة فلولا نفر فخير لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليكلفوا الفقاهة فيه وينتحموا المشاق في اخذها وتحصيلها وينذروا قومهم ولينذروا قومهم ليجعلوا عن ضنهم ومرمى همتهم النفقة انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لما ينتجه الفقه من الاغراض الخسيسة ويؤمنه من المقاصد الرديئة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفتور الضراوة بينهم وانقلاب حمائتي احدهم اذا لحي بصره مدرسة لاخرى او شزنة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون التابين كلهم فما بعد هو لائق بهم قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا العلم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استنفر المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والنفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن النفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الحرب اعظم امر الجلاد بالسيف وقوله لينفقهوا الضمير للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم ما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة لينفقه بالوحي بعد نزول الوحي والقتال واجتماع كافة الكفة

ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين

وقيل هم الثلاثة اى كونوا مثل هؤلاء في جدهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين والانصار وواسوهم وانتظموا في جملتهم واضدوا مثل ضدهم وقيل لمن خلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرأوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امرا وابان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال رغبة ونشاطا واغتباطا وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه واذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في بلده وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا تكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا ويكون احق شئ عليهم واهونه فضلا ان يسوءوا بانفسهم عن مصاحبتها ومصاحبتها ويصنعوا بها ما يسخ بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفه وحميته ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شئ من عطش ولا نصب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار تحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا ينصرفون في ارضهم نصرة فيغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنمة او من بعد او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب وقيل الرزء في عند الله وذلك مما يوجب المتابعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والايطاء ثم الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطاة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا تعدى بعينه الكفار بعينه وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا او ان يكون بمعنى النيل وقيل نال منه اذا ذراه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويكبتهم ان الله لا يضيع بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وهلم وغير ذلك وكذلك الثمر وبهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطأ دوابهم مما يغيظهم ويكبتهم ولقد اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد مضي عام وقد قد ما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجرين ابا امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل

ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة

مع حمائتي نفس فلحقوا بعد ما فتحوا اقاسمهم لهم وعند الشافعي رضي الله عنه لا يشارك المدد الغانمين وقراءة عبيد بن عمير ظمأ بالمد يقال ظمئ ظمأ وظمأ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اى ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال واكام يكون منفذا للسيل وسمي الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اى اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء اللام لتاكيد النفي ومعناه ان يغير الكافة عذرا وطاعتهم الكافة عذر صحيح ولا يمكن وجه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب النفقة على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسئلة فلولا نفر فخير لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليكلفوا الفقاهة فيه وينتحموا المشاق في اخذها وتحصيلها وينذروا قومهم ليجعلوا عن ضنهم ومرمى همتهم النفقة انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لما ينتجه الفقه من الاغراض الخسيسة ويؤمنه من المقاصد الرديئة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفتور الضراوة بينهم وانقلاب حمائتي احدهم اذا لحي بصره مدرسة لاخرى او شزنة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون التابين كلهم فما بعد هو لائق بهم قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا العلم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استنفر المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والنفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد وتبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن النفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الحرب اعظم امر الجلاد بالسيف وقوله لينفقهوا الضمير للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم ما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة لينفقه بالوحي بعد نزول الوحي والقتال واجتماع كافة الكفة

يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم

وترهبهم وبعدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب ونظيره وأنذر عشيرتك الأقربين وقد حارب رسول الله هوازن ثم غطفان من عرب الحجاز ثم عرا الشام وقيل بنو قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لأنهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من يليهم ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى وعن عمر أنه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وقوى غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحو واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو تحريض على الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر ومنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله مع المتقين يتصرم من اتقاه فلم يدر أف على عدوه فمنهم من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه السورة إيمانا إنكارا واستهزاء بالمؤمنين واغتباطا بهم زيادة الإيمان زيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وأيكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد عنيتم أيكم بالفتح على إضمار فعل يفسره زادته تقديره أيكم زادت زادته هذه إيمانا فزادتهم إيمانا لأنها أريد لليقين والثبات وانتفاء للصدأ وأو فزادتهم عملا فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا مضموما إلى كفرهم لأنهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفروا به ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وقرئ أولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من الآلام ثم لا يتنبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون أمره وما ينزل الله عليه من نصرته وتأييده أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم ونكل بهم ثم لا يتوبون ولا هم يتعظون وقرئ بالتاء على إنكار الوحي وتخريته به قائلين هل يراكم من أحد من المسلمين لنتصرف فإنا لا نصبر على استماعه وتغلطا للضحك فحاف الافتضاح بينهم أو تراموا بالعيون إشارة وروي غمز بعضهم بعضا بالحرج والانسلال لو أذا يقولون هل يراكم من أحد وقيل معناه وإذا ما أنزلت سورة من عيب المنافقين فصرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من أنفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرئ من سلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من الشاق بقوله عزيز عليه ما عنتم أي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه وهو خاف عليكم سوء العاقبة

بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم

والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج أحد منكم عن إتباعه والاستعداد بدل الحق الذي جاء به المؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وفاطمة وعائشة رضي الله عنهم وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى من أسمائه لا يحلف بغير رسول الله في قوله رؤوف رحيم فإن تولوا فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض إليه فهو كافيك متعزيتهم لا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس رب العرش لا يقدر أحد قدره وعن أبي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نازل على القرآن إلا آية وحرف فاحرص فاما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما نزلتا على ومعهما

سورة يونس

سبعون ألف صف من الملائكة مكية إلا ثلاث آيات منها

بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد الحروف على طريق التحدي وذلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها أو وصف بصفة محدثه فإن الإعنى الملوك حكيمة قد قتلتها لينقال مرادفا لها المهزة لإنكار التعجب وأن أوحينا اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وتكون وأن أوحينا خبرا ومن معرفة كقوله

وما عجبا عيل وما إخوة أن يكون كانا بنة وأن أوحينا بدلا من عجب فإن قلت فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا قلت معناه أنهم جعلوه أعجوبة يتعجبون منها ويضعون عليها الهمز ويقولون نحوه استبعد أنهم وأنكروا أن يكون وحيا لهم وليس ذلك عند الناس هذا المعنى والذي يتعجبون منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أنفسهم دون عظيم من عظمائهم فيقولوا ما يقولون التعجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا طالب وأن يذكرهم التعجب من الإنذار بالنار والتبشير بالجنة وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مسلم وقال الله تعالى قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضا لأن الله إنما اختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما أخبر له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من ذلك الأسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والتعجب للجراء على

الخبير والشهر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء
أن أنذر الناس أن هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله
انه أنذر الناس على معنى ان الشان قولنا أنذر الناس وان لهم السابقة محذوف فلهم صدق عند ربهم
اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم يجئ السابقة قدما قلت لما كان
السعي والسبق للقدم جعلت المساعاة الجميلة والسابقة قدما كما جعلت النعمة يدا لانها تعطى
باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فضل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على
زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق الجنة وقيل مقام صدق الكتاب وما جاء به محمد
لتحز ومن قرأ الساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا
كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر بين يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة
ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها ليلا يلقاه ما يكرهه آخرا
والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة
قلت تدل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه لخلق السموات والارض مع بسطتها و
اتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة
وانه لا يخرج أمر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل
على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وذلكم اشارة الى المخلوق بتلك العظمة اى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم
الذي تستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان
فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ
فيما أنتم عليه اليه مرجعكم جميعا اى لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد
الله مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدأ الخلق
ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب الرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة
ايجاد الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه
او هو منصوب بالفعل الذي بعد وعد الله اى وعد الله وعدا انه يبدأ الخلق ثم يعيده
والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل وبدئ من بدأ ويجوز ان يكون
مرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جانيا ولا ذاهبا
الا على رقبت

وقرئ حق انه يبدأ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق بالفتح بالعدل وهو متعلق بيجزي
والمعنى يجزيهم بقسطه وقرئ بقسطهم اجورهم او بقسطهم وبما قسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين
آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام أنفسهم
وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون آلائي صبا منقلبة عن واو صوو لكسرة ما قبلها
وقرئ صابهم بين منهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عقا والصبا أفوك
من التور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر سيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر
قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى
المذكور اى ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة وقرئ يفصل
بالياء حمل المتفيقن لانهم المنتفعون بالحدود والتدبر لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المتولية عليهم للذهلة بالذات
وحب العاجل عن التفطن للعقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون
سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها واستكنوا فيها سكون
على الكنه الباقي كقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا فيها سكون
من لا يتزعزع عنها فبنوا شديدا وامّلوا بعيدا انهضهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل خبرى من تحتهم الانهار
بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد تهديهم
في الآخرة بنورهم وايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة
حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت
فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والتنوير هو
القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقرن
بالعمل الصالح صاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف أوقع الصلة
محمى عافيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اى
بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بيّن واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم

قال قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته وارادوا
بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي
فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر
اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما
اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه
الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه
على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه امرا عجيبا
خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من
عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على
كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون
ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على
احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب
الناس منه والصقهم به ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادرأتكم به
على لغة من يقول اعطأته وارضأته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن
عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف
همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى
ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته
اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرأونني بالجدال وتكذبونني وعن
ابن كثير ولادريكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم
ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني
لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما
بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا
بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا
جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه ممن افترى على الله
كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا

ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى
عما يشركون وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل
انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين

مما اضافوه اليه من الافتراء ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا
ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون
مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى
ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث
اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم شفعاء
عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع
المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت
كيف انبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام
واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه
كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض
تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم تشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة
او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة
حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل
قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك
وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق
من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار
ثواب وعقاب وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها
وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من
الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة
المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم تنزل عليه آية قط حتى قالوا
لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم
في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني
ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما
اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات سلط الله القحط
سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات

الله ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرة جوابها وهي للمفاجاة
والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مسهم خالطتهم
حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع
مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجاؤا
وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون
غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في
اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله و
هو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة
ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة بها كافرين يقولون مطرنا
بنوء كذا قرا زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون
فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون
في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة
بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت
من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما
جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من
لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى
الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار و
التقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت
قيل هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذي
لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل
وفي قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة
اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة
العدو بالحي مثلا في الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ
غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض
يفسدون فيها ويعيثون مترافين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد

فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو استيلاء المؤمنين
على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة
قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان
المتاع خبرا للمبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم
على امثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها و
اذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحياة الدنيا
في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن
النبي صلى الله عليه انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن
ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي
واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن
عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين في اخيه

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم
على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها
بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين
الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت
الارض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس
اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين
واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت
من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون
عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها
ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما يحصد من الندع في قطعه واستيصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي
لم يلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان

والله يدعوا الى دار السلم ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم

كأن لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر
كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغن والامس مثل في الوقت القريب
كأنه قيل كأن لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة
لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما
سلاما ويهدى ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدى عليهم لان مشيته تابعة لحكمته
ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى المثوبة الحسنى
وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي
رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة
عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون
ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر
الى وجه الله وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة
فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق
وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى ولا يرهقهم
ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله وترهقهم ذلة
فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت
لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد
عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي
هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم
باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من عاصم اي لا يعصمهم
احد من سخط الله وعذابه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين
مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده
قراءة ابي بن كعب كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا
من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان

واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها

وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق
وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار

اضافة الى الموصوف كاضافته الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل مكانكم الزموا
مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله
الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما
في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي
كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن
عبادتهم كقوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا
بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون
الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم ان كنا هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ويعنى الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون
الله من اولى العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت
على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف
كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يتعرف الرجل الشيء ويتعرفه
ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلوا كل نفس بالنون ونصب كل
اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي
سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن
عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر
وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق
النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته
لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل
الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله
الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع
عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة
الآلهة من السماء والارض لئلا يرزقكم منها جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم
نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي

لا يظلم الناس شيئا اى لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم
يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعنى ان ما يلحقهم يوم القيمة
من العذاب ليس جزاء بهم على سبيل العدل والاستحقاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف
ما كان سببا فيه اذ ساعة من النهار يستقلون وقت لبثهم في الدنيا وقبل في القبور لهول
ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم
من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم مان ملت كان لم يلبثوا يتعارفون
كيف موقعها ملت اما الاولى فحال منهم اى يحشرهم مشتبهين من لم يلبث الا ساعة واما
الثانية فاما ان تعلق بالظرف واما ان يكون مبتدئة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف
لا يبقى مع طول العهد وتقلب تناكروا قد جرى على ارادة القول اى يتعارفون بينهم قائلين
ذلك او هى شهادة من الله يعلى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان
بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عار فيها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم
فالتأمر جهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل وامانرينك بعض الذى
نعدهم في الدنيا فذاك ونتوفينك قبل ان نريكه فحن نريكه في الاخرة مان ملت
الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم ملت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها
وتبعتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا ابن ابى عبلة ثم الله بالفتح
اى هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم
والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول بعث اليهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم الى دين الحق فاذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضى بينهم اى بين
النبى ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجى الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به
فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجئ بالنبيين والشهداء قضى
بينهم مني هذا الوعد استعجال لما وعد وامن العذاب استبعاد اله لا املك لنفسى ضرا
من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله
من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل يعنى ان عذابكم له
اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت اتى وعدكم لا محالة

ومنهم من يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون ومنهم من يستمعون
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون

اول وهلة وانما رمتها قبل ان تحس اذ ارادها لحاسة سمعه من غير فكون في صحة او فساد لانه
لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب مان ملت ما معنى التوقع في
قوله ولما يأتهم تأويله ملت معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل
تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء
بكلمة التوقع ليوذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدى واراوا قوارعه
المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اى مثل ذلك التكذيب
كذب الذين من قبلهم يعنى قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم
ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل سوف في الذين كذبوا وسيأتيكم تأويله ولما يأتهم
تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اى عاقبته حتى يبين لهم اهو كذب
ام صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب
فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان نظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان خبروا الاخبارة
بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند
بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اى منهم من سيؤمن به ومنهم
من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان ثموا على تكذيبك
وبخست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل انى بريء
وقيل هي منسوخة بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك بعناد ومنهم ناس يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الرابع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك و
يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال انظن انك تقدر على
اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس وتدلل
اذا وقع في صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وقيل
الخبث انك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى
لقى قلبه بصيرة قد يخدس وينقش واما العمى مع الحمق فحدث لا يرجى ان يتهدى ابدا
ان ان يعقلوا وينصفوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله افانت تهدى
دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل القادر الذى لا يعجزه شيء
رد الابكم والاعمى المستولى العقل جديدى السمع والبصر اجمى العقل الا مولد حده ان الله

ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات وما في الارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا

ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا الرؤيتهم ما لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وفظاعة ما سلبهم فوائدهم وهولهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما مر وقيل اسروا الندامة من ظاعة الحظ وغلبة الهوى حتى لم يبق بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروا وساوسهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حيا منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها الخلصوها اما الان اخفاها اخلاصها واما من قولهم اسر الشيء الخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هنا ما يخلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان لله الملك كله وانه المثيب المعاقب بما وعده من الثواب والعقاب هو حق وهو الفاصل على الاحياء والاماتة لا يقدر

ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات وما في الارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا

فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين فاذا جاء اجلهم بالالف نصبت على الظرف بمعنى وقت بيات او هو قبل الليل او نهارا يقال اتاهم بياتا وبيتا اذا اتاهم ليلا او نهارا وهم بيات وبيتون وقائلون وقيلولة وقت القيلولة وهو نصف النهار عند شدة الحر والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا اي وقت انتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب وعبر بيانا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للانتفاء فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه بوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت ثم تعلق الاستفهام وان جواب الشرط قلت تعلق بما دل عليه الجزاء اي اذا ما يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو يدل عليه ما ذكر من الاستعجال او يعرفوا الخطأ فيه فان قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت ليدل على ان المجرمين انما يستعجلون منه لانه يسوءهم ويضرهم لا لانه مما يستحسن ويستلذ ويحق ان يستعجل منه المجرمون جواب الشرط محذوف كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تعلق الجملة بان رايتم وان يكون اتاهم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى او امن اهل القرى الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا ما وقع بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلآن بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الآن وبستنبئونك وبستخبرونك يقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش احق هو وهو ادخل في الاستهزاء التضمنه معنى التقرير بانه باطل ودلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سمتموه الحق والتصمد للعذاب الموعود واي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وتمتهم تقولون في التصديق ابو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة القسم

Arabic Research and Digital Resources
Princeton University Library

قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين

فعقتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام قل لهم هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون ايتم في للابهام وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرا وحثا بليغا عن التجوز فيما سئل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يتق فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وفخم اعني من عظم وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكان قد

ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وارشدهم بالوحي وعلمهم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكونوا في شان ضمير فيه للشان والخطاب لرسول الله صلى الله عليه والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان تلاوة القرآن شان من شان رسول الله بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل وما تعملون ايها الثقلان من عمل مرائي عمل كان انا كنا عليكم شهودا رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه تخوضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب يغرب ويبعد وما يبعد وما يغيب ومنه الوحش العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتدا ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مبين مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه علم ان ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية او لانها

الا في كتاب مبين

قوله يوم القيامة منصوب بالظن وفي جعل يوم القيمة ظرف الظن اشارة الى انهم لا يظنون ذلك الظن ولا يخطرونه ببالهم وهم يحسبون انهم عاقلون لاسوء ظنهم فيه توبيخ عظيم وتهديد

الله الذين تتولونهم بالطاعة وينولاكم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو تولية اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه سئل من اولياء الله فقال هم الذين ذكر الله برؤيتهم يعني التسمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه الوجاهة والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهدا يغبطهم الانبياء والشهدا يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الآية الذين آمنوا وكانوا يتقون رفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتدا والخبر لهم البشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحمده الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطا لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالروح قال الله تعالى تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة ومايرون من بياض وجوههم واعطائهم الصحايف بايمانهم ومايقرؤن فيها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض وقرئ ولا يحزنك من احزنه قومه تكذيبهم وتهديدهم وقتلوهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسايرها يكلمونه في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل مالي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكه الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لهم ولا غيرهم هو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرا ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم تمانكره فالمنكر هو نحو خبره لا ما انكر من القراءة به هو السميع العليم لسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين

ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض

الاخبات الخضوع يقال اخبت لله وفيه خشية اي تواضع

الغبطة ان تتمنى مثل حال المغبوط من غير ان تريد زوالها عنه وليس بحسد يقال غبطته اغبطه غبطا والاسم الغبطة

فيه لف ونشر في الموضعين اعني ذكر للنصب وجهين المدح والوصف وللرفع ايضا وجهين المدح والابتدا

المدح او على وصف الاولياء

مرفوع على الابتدا

بدل من قوله ان العزة لله جميعا

قال لو قدمت ان بالفتح كان بدلا من قوله ان العزة لله جميعا

حكى المعنى فاسد الاستقيم ان يكون وبدا المعنى فاسد الاستقيم ان يكون

معنى الآية ان حال الذين علم الله منهم انهم يتولون الله ورسوله ويتقونه حالهم كيت وكيت

قرا المصنف كلام قتيبة بن مسلم

قال لو قدمت ان بالفتح كان بدلا من قوله ان العزة لله جميعا

ان العزة لله فان هذا المعنى ليس بشيء

قوله على تقدير الاستئناف

قوله على تقدير لام العلة

قوله على تقدير حذف من

قوله على تقدير حذف من

قوله على تقدير حذف من

ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا

ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به
لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا
العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه
ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار
الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يتخثره مادهمه من فظاعة الخطب ويغلب
حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين
اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها
واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا
الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم اي
بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب
المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر
عليها غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر
به المغترون قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة و
تنبيه على التوحيد وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى
الحق ورحمة لمن آمن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
… اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
… لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه
… فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل
… او يجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله
… فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي
… عنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات
… لك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان
… وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله ال
… ارايتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل
وبارايتم في معنى اخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله

فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت
هلا قيل ليلا أو نهارا قلت لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت بيات فبينكم وأنتم ساهون
نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وكذلك قوله نهارا معناه في وقت أنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم
نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق
موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون
معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن يكون من للبيان في
هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فإن قلت بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط
قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف
وهو يندموا على الاستعجال أو يعرفوا الخطأ فيه فإن قلت فهلا قيل ماذا تستعجلون منه
قلت أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن
يخاف [illegible]

ما في الأرض أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به
لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه وأسروا الندامة لما رأوا
العذاب لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه
ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار
الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب
حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين
أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها
وإما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وبإخطائهم وقت إخلاص الندامة وقيل أسروا
الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هنالك تجلد وقضي بينهم أي
بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب
المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر
عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر
به المغترون قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة و
تنبيه على التوحيد هو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى
الحق ورحمة لمن آمن به منكم أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه
قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل
الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله
وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي
قراءة رسول الله صلى الله عليه فيما روي وعنه لتأخذوا مضاجعكم قالها في بعض الغزوات
وفي قراءة أبي فافرحوا وهو راجع إلى ذلك وقرئ مما يجمعون بالياء والتاء وعن أبي بن كعب أن
رسول الله صلى الله عليه تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله
الإسلام ورحمته ما وعد عليه أرأيتم أخبروني وما أنزل الله ما في موضع النصب بأنزل
وبأرأيتم في معنى أخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا أي أنزله الله رزقا حلالا كله

وما يتبع اكثرهم في عبادة الاصنام الا ظنا بانها شفعاء لهم وما هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون

وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم لئلا يدخل ان هؤلاء اذا كانوا لله وفي ملكه فهم عبيده
كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصح احدهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما
وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا او شريكا ويدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او
انسي ضلالا عن صنم او غيره ذلك هو متبع تابع لما اداه اليه التقليد وترك النظر ومعنى
وما يتبعون شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله
في الربوبية محال ان يتبعوا انها شركاء وانهم الا يخرصون يحزرون ويقدرون
ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان تكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون
وشركاء على هذا نصب يدعون وعلى الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء فاقتصر على احد مما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة
على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقوا على من
الى طالب رضي الله عنه ندعون بالنون ويحتمل ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي
شيء يتبع الذين ندعونهم شركاء من الملئكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما
لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف
الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع
الملئكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق
لها ان يتوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في
نهارهم من تعب التردد في المعايش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم
ليقوم بسمعون سماع معتبر مذكر سبحانه تنزيهه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم
الحمقاء وهو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السيد في
كله الحاجة فمن الحاجة منفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في
الارض هو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان لهذا ما
عندكم من حجة لهذا القول والباء تحتمل ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول
مكان السلطان كقولك ما عندكم بأرضكم مورد كأنه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطانا
اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين مدل على ان كل قول لا برهان
عليه لقائله فوزاك محمل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي غير ذلك

هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يفيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي
صلى الله عليه بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل
ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه
كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وخلان يقيل الظل ولمن جاء مقام ربه بمعنى خاف ربه او
قيامي ومكثي بين اظهركم مدة اطوالها الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لهم
كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم ليعظوهم لتكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما حكي عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم
وشركاءكم من اجمع الامر واجمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدوكم يوما واجمعي جمع
والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وضر الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على
الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول
اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا امركم بوصل الالف من اجمع وشركاءكم بالنصب للعطف على المفعول اولان
الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت كيف جاز
اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله فلا ادعوا شركاءكم ثم كيدوني
فان قلت ما معنى الامر بين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت
اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحشدوا
فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده
ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما
ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم
يعني ثم اهلكوني ليلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم علي غمة اي غما ومنه الغم والغمة
كالكرب والكربة والثاني ان يراد بالامر الاول والغمة الشر من عزمه
اذا ستره ومنها قوله عليه السلام لا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن تجاهر بها يعني
ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرون بي ثم اقضوا
الي ذلك الامر الذي تريدون اي ادوا الي قطعه وتعجيله كقوله وقضينا اليه ذلك
الامر اوادوا الي ما هو حق علي عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون
ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالقاء بعني ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل
الى الرجل اذا اتاه في محله

ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين

اذا خرج الى الفضاء اى اصحر وابرز وفى فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيرى ونصيحتى فما سألتكم من اجر فما كان عندى ما ينقصكم عنى وتتهمونى لاجله من طمع فى اموالكم وطلب اجرى على عظتكم ان اجرى الا على الله وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة اى ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيأ ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذى كل مسلم مامور به والمراد ان تجعل الحجة لازمة لهم ويرضى ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه فى سوق الامر معهم على الطريق الذى يجب ان يسار عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتمموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له فى آخر المدة المنتظرة له كتكذيبهم فى اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف تخلفون الهالكين بالغرق كيف كانت عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذروا رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعنى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الامتناعا كالمحال لشدة شكيمتهم فى الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين الطبع جار مجرى الكناية عن لحاجهم وعنادهم لان الحد لا ترى كيف اسند اليهم الا عند آو وصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين انهماكهم فى الاجرام بعد تبينهم وتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين الآيات التسع العصا واليد والطوفان والجراد والقمل كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجتروا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحتم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شئ من السحر الذى لا يتمولونها وباطلا فان قلت هلا قيل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا قلت فيه وجهان ان يكون معنى قوله اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا وتطعنون فيه وكان عليكم ان تعظموه وتعظموا من جاء به فلان لحاف القالة

قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين

وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه فى عينه والطعن عليه وان لم يحذف مفعول تقولون ومما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعنى قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا

ولا يفلح الساحرون جملة لكلامهم كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لنتلفتنا لنصرفنا والالفات والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانتقال عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام ويكون لكما الكبرياء اى الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والتوثب ولهذا وصف ابن الزبعثرى ناقته فقال

ملكة ملك رائقة ليس فيه جبروت ولا كبرياء ينفى ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصد واذ تمها وانهما ان ملكا ارض مصر فجبرا وتكبرا كما قال القبطى لموسى ان يريد الا ان يكون جبارا فى الارض ولم يكن من الجبابرة ولكن من المصلحين ويكون لكما الكبرياء فى الارض ما موصولة واقعة مبتدأ او السحر خبرا اى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ السحر على الاستفهام على هذه القراءة ما استفهامية ابتدائية اى اى شئ جئتم به امو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابى ما انتم به سحر والمعنى لا ما انبئ به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة ولا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بآياته وامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته فما آمن لموسى الا اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بنى اسرائيل كانه قيل اتراه اول من اسلم من قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه فآمن له الابناء على خوف من فرعون واحابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته على خوف من فرعون ان يفتنهم بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اى على خوف من فرعون وخوف من اشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية ابتدائية اى اى شئ جئتم به امو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابى ما انتم به سحر والمعنى لا ما انبئ به ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين

وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة واموالا
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم

ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول الامر مأمورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثني اولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم

قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق
قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على مثلهم يحرج احد بذلك وادخل كما يقول له الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حرجة على طاعته

الثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن وجوّزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوّزه وليس من جوّز الذي في بيت الاعشى واذا تجوّزها حبال قبيلة * لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوّزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوّز السكّي في الباب فيتبق فاتبعهم فلحقهم يقال تبعه حتى اتبعه وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدل من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات

خلف وقطع تقول اجزت المكان اي خلفته وقطعته قال امرؤ القيس

وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوّءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم

ويدل عليه قوله أن يفتنهم يريد أن يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية إن كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه ثم اراد ان يصلح للتوكل عليه بالتفويض اليه فعلله برفض التخليط الى الاخلاص

وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم

قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين

لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقوله الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حرصا على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حمل اللام في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي آينك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قرى دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي في الباب فيتق فاتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستيناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات

يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات
الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا
أشك ولا أسأل بل أحمد الله الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم
وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب أمته ومعناه فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله
وأنزلنا إليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك
فهن وقيل إن نفي أي فما كنت في شك فسل يعني لا تأمرك بالسؤال لأنك لست شاكا ولكن لتزداد
يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى وقرئ فاسأل الذين يقرأون الكتب
حققت عليهم كلمة ربك عنت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون
كفارا فلا يكون غيره وتلك كناية معلوم لا كناية مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت
فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تائبة عن الكفر وأخلص الإيمان قبل
المعاينة وقت يقبل التكليف ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمختنقه فنفعها إيمانها
بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابن وعبد الله فهلا كانت إلا قوم يونس
استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا
يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي
أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما قدروه
خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس إن أجلكم أربعون
ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك أتتك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود
هائلا يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى غشي مدينتهم وسود سطوحهم فلبسوا المسوح
وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين
الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان
والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم أن تراد وا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس
بناء فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى
فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم

وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل أفعل
بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والإلجاء لآمن من في الأرض
كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الأترى
إلى قوله أفأنت تكره الناس يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت
وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن في المكره
من هو وما هو إلا وحده لا يشاركه فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يقطرون
عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم أنها تؤمن
إلا بإذن الله أي تسهيله وهو منح الألطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون هو المأذون به
على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لأنه سببه
وقرئ الرجز بالزاي وقرئ ونجعل بالنون ما ذا في السموات والأرض من الآيات والعبر
وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون أو الإنذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع
إيمانهم ومنهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية أو استفهامية أيام الذين
خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها ثم نجي رسلنا معطوف على
كلام محذوف يدل عليه قوله إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم نجي
ثم نجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك نجي المؤمنين
مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك
علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني وصحته
وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف
لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو أني لا أعبد الجمادة التي تعبدونها من دون
من هو إلهكم وخالقكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمركم وصفه بالتوفي لبراهين أنه الحقيق
بأن يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت أن أكون من المؤمنين يعني أن الله
أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى إلى في كتابه وقيل معناه إن كنتم في شك من
ديني ومما أنا عليه أبينت عليه أمارته كدا وأوضحكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا
في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار
عبادة الجماد التي لا تضر ولا تنفع بل أعبد الله وحده الذي بيده أن يتوفاكم وأمرت أن
أكون من المؤمنين بالله تعالى بالإخلاص له في العبادة وقيل معناه إن كنتم في شك من
ديني فقد بينت لكم أني لست منكم ولا على دينكم ولكن أنا على دين الإسلام الذي
أمرت أن أكون من أهله وأن أقيم وجهي للدين حنيفا أي وأمرت أن أقيم وجهي
للدين حنيفا أي مستقيما على أن الكاف في كما ركبك في موضع نصب على الحال
وأن أقم عطف على أن أكون أو على أن الثانية وأن الأولى مزيدة للتأكيد
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك إن عبدته ولا يضرك إن تركت عبادته
فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين لنفسك بتعريضها للعقاب

الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وأمرت أن أكون أصله بأن
أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف
الجارة مع أن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر
فإن قلت عطف قوله وأن أقم على أن أكون فيه إشكال لأن أن لا تخلو من أن تكون التي للعبادة
أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبادة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول
لأن عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ
الأمر وهو أقم لأن الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه
أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها
بما تكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال أقم
وجهك استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين أو من الوجه فإن فعلت
معناه فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا فإنك إذا
من الظالمين إذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان
وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك إن الشرك لظلم عظيم أتبع النهي عن عبادة
الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر إن الله عز وجل هو الضار النافع الذي إن أصابك
بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك إن
أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان فهو الحقيق إذن بأن
توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فإن قلت لم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني
قلت كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير
وأنه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو
الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير
في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم
عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه ومن آثر الضلال
فما ضر إلا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضرر وكل إليهم الأمر بعد إبانة الحق
وإزاحة العلل وفيه حث على إيثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما أنا عليكم بوكيل

بحفيظ موكول إلي أمركم وحملكم على ما أريد إنما أنا بشير ونذير واصبر على دعوتهم و
احتمال أذاهم وإعراضهم حتى يحكم الله بالنصر عليهم والغلبة وروي أنها لما نزلت جمع
رسول الله صلى الله عليه الأنصار فقال إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني
يعني أني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على ما تسومكم
الأمراء الجورة قال أنس فلم نصبر وروي أن أبا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية
حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا
دواب قال فأين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال رسول الله
صلى الله عليه يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة قال معاوية فماذا قال فاصبروا
حتى تلقوني قال فاصبر قال إذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب أمير الظالمين نثا كلامي
بأنا صابرون فمنظروكم إلى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من
صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم أحكمت آياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع
فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا
صار حكيما أي جعلت حكيمة كقوله آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم
أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير أبني حنيفة أحكموا
سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا وعن قتادة أحكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل
القلائد بالفوائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا
سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة أو فصل فيها ما يحتاج
إليه العباد أي بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت أي أحكمتها أنا ثم فصلتها وعن عكرمة
والضحاك ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل فإن قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها
التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الأحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل
وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف وأحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير

ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ألا إنهم تثنوني صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون

وجوز أن تكون خبرا بعد خبر وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت أي من عنده وأحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور أن لا تعبدوا مفعول له على معنى لأن لا تعبدوا أو تكون أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله وأن استغفروا أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه أو غيره أمته على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله إنني لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل أي إنني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله أو هي صلة لنذير أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه إن آمنتم فإن قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا إليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة أو استغفروا واسألوا مغفرة ذنوبكم ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم بطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة إلى أجل مسمى إلى أن يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعطف الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا ينحس منه أو فضله في الثواب والدرجات تفاضل الجنة على قدر تفاضل الطاعات وإن تولوا وإن تتولوا أعذاب يوم كبير يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على أشد مما أراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فإن تولوا من ولي يثنون صدورهم وروي عن الحق وينحرفون عنه إن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن أدبر عنه انحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني يريدون أن يستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير إضمار يريدون للوجه المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الآية حين يستغشون ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني أنه لا تفاوت في علمه من أسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوقيتهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم

وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن بيان للحديث فكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ تثنوني صدورهم وتثنوني صدورهم على الخلاف من الثني كأنهم يثنون صدورهم على ما يضمرون من الحقد وعن ابن عباس تثنوني وقرئ تثنون وأصله تثنوني فحذفت النون تخفيفا على من الثني وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعته صدورهم للثني كأنها هشيم لهشاشتها أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئني من اثنأن افعأل من ثنأ إذا همز كما قيل أبأت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فإن قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل قلت هو تفضل لأنه لما ضمن أن يتفضل عليهم رجع التفضل واجبا كقولك للعباد على الله أن يثيبهم والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح بعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الماء أي ما كان تحته ظل قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازداد الإجرام كانت أجوج إليه وإلى إمساكه ليبلوكم متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يخلقها مساكن لعباده ويتعبهم فيها بفنون التعبد ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون فإن قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن صوتا لأن النظر والاستماع من طرق العلم فإن قلت كيف قيل أيكم أحسن عملا وأعمال المؤمنين هي التي تفاوتت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح قلت الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استعدوا إلى الحصول بما هو عرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من سواهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه ولتكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله قرئ وليس ثم ثلث أنكم تبعثون بفتح الهمزة ووجهه

من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن ما يحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه

ان يكون من قولهم ائت السوق عنك تشتري لحما وانك بمعنى علك اي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا الا سحر مبين باتين القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به واشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساله ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغير ما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه

وعلى الاول كان اشارة الى قوله انكم مبعوثون

اوجاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون

ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا

خايره في الخط قال له اكتب لننظر اي خطينا خير

اي وضع الله مثله موضع امثاله ليدل على اعتبار افراد المعدود واحدا واحدا واليه الاشارة بقوله الى مماثلة كل واحد منها له اي للقرآن

وعلى الوجه الاول كان الخطاب في لكم واعلموا للنبي والمؤمنين والضمير في يستجيبوا للمشركين

من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون
افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تكن في مرية

يقينا وثباتا قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى هل انتم مسلمون هل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير نقص في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقارئ ليتهم اريد ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن انس بن مالك منهم اليهود والنصارى ان اعطوا سألا اوصلوا رحما عجل لهم حزاذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله فاسهم لهم في الغنائم ونوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل ونوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفى بالتخفيف واثبات الياء على الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي وحبط ما صنعوا فيها وحبط في الآخرة ما صنعوا او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب ويجوز ان تكون ما الهامية وتنتصب بتعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون وان تكون بمعنى المصدر وعلى وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه أفمن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبهم في المنزلة ولا يقاربهم ان يزهد ان من الكفر بقيض تفاوتا بعدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلوه ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله يشهد بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوه من قبل القرآن التوراة اماما كما كان موسى اماما له في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن من يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية

الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يعلمون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون

بالضم وما الشك منه من القرآن ومن الموعد يعرضون على ربهم ويعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من الملئكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فوا خزياه ووافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالعوج ومن مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد ومن الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا ليعجزوا الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم منه ويمنعونهم عن عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب تضعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اي ما كانوا يستطيعون ان يسمعوا الحق وكراهتهم له كانتهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانتهم لا يستطيعون السمع وقد عثر عليه فتوثب به على اهل العدل كانتهم سمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا امر يتحير منعي وخذلان ان يهدد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولاية الله ليست بشئ فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم نفى كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض يوجب عدم خسروا انفسهم اشتروا الاصنام واعبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم مثل الاخسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وصل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم فسرى في مكان آخر ثم الآخرون لا يرى احد ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشئ الذي الخبيث قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل الثاني فيه بدل من الاول على حذف مضاف من الفريق الكافرين والفريق المؤمنين بالبصر والسمع وهو اللف والطباق وفيه معنيان ان شبه الفريق بشيئين اثنين كاشبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحنظل والعناب وان شبهه بالذي جمع بين العمى والصمم الذي جمع بين البصر والسمع على ان الواو زائدة والاصم وفي التسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصالح فالغانم فالآيب هل يستويان يعني الفريقين مثلا شبههما اي ارسلنا نوحا بانى لكم نذير ومعناه ارسلنا مثلثا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك

إن زيدا كالأسد وقرئ بالكسر على إرادة القول أن لا تعبدوا بدل من إني لكم نذير أي أرسلناه
بأن لا تعبدوا إلا الله أو يكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير وصف اليوم بأليم من
الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه فإن قلت فإذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله
لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملأ الأشراف
من قولهم فلان مليء بكذا إذا كان مطيقا له وقد ملؤوا بالأمر لأنهم ملؤوا بكفايات الأمور واضطلعوا
بها وبتدبيرها أو لأنهم يتماكرون أي يتظاهرون ويتساندون أو لأنهم يملأون القلوب هيبة
والمجالس أبهة أو لأنهم ملأ بالأحلام والآراء الصائبة ما نراك إلا بشرا مثلنا تعريض بأنهم أحق
منه بالنبوة وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد
من الملأ وموازلهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل
أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكا لا بشرا والأراذل جمع الأرذل كقوله تعالى أكابر مجرميها
أحاسنكم أخلاقا وقرئ بادئ الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك أول الرأي أو ظاهر
الرأي وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم
فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك إنما هو شيء عن لهم بديهة
من غير روية ونظر وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية
لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه
ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد
زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحدا من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا
أن يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة
ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم من الاتصاف
بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة
بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه أرأيتم أخبروني إن كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد
منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة
ويجوز أن يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فإن قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الأول
فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا قلت الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة
وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفي

قراءة أبي فعماها عليكم فإن قلت فما حقيقته قلت حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة
ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره ومعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم
كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فإن قلت فما معنى قراءة أبي قلت المعنى
أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه
قوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها ونفسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها
ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون الثاني
منفصلا كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز فسيكفيك إياهم وحكي عن أبي عمرو
إسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والإسكان الصريح
لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في
ضرورة الشعر والضمير في قوله لا أسألكم عليه راجع إلى قوله لهم إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا
إلا الله وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل فإن قلت ما معنى قوله إنهم
ملاقوا ربهم قلت معناه أنهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في
قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما يقرفونهم
به من بناء إيمانهم على بادئ الرأي من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك
منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون
بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل
من قوله ألا لا يجهلن أحد علينا أو تجهلون لقاء ربكم أو تجهلون أنهم خير منكم من ينصرني من الله
من يمنعني من انتقامه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا
معهم على سواء أعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول
أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي
بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى
أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا
ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم إن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم
عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء
افتعال من زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه جادلتنا

جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل بحر وا بدلا من مرا وصفة لملا وقال
جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى
من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه
يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته
الا قليل روي عن النبي صلى الله عليه انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم
وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة
واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم
نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا فالكلام الواحد ان يتصل باسم الله باركبوا حالا من الواو
بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى
والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم
خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكان الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله
من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من
مبتدأ وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري
قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله
ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجراها
ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرأ مجاهد
مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك
جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها
ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع
الحال كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام
الاول وانتصاب هذا الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة مرساة بسم الله بمعنى
التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم
لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها
بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج
كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت

وكلامين صح

ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم الا من رحم وحال
بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر

الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض
وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل
التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء قيل
كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي و
عروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن
قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم
يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل
بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول
الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي و
نادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا
نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في
معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه
من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان
الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور
رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل
ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم
بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء
منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ
التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما
بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان
السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها
عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور
وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون

قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان
انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون واوحي الى نوح انه لن يؤمن من
قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه

فاكثرت معاذيرك وجادلت جدالا فأكثر فيه فاكثرته كقولك خاذ فلان فاكثر واطاب فاشتما
تعدنا من العذاب المعجل انما يأتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الي من كفرتم به
وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وخوا ابن عباس فاكثرت جدلنا فان قلت
ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاء ان ما دل عليه قوله
لا ينفعكم نصحي وهذا الدال مع حكمه دل عليه فوصل الشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان
احسنت الي احسنت اليك ان اكسني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
قلت اذا عرف الله من الكافر اصراره على كفره وعناده ولم يلجئه الى ذلك اغواه واضلا عن
كانه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوى فلطف به الى ارشاده وهدايته وقيل ان يغويكم ان
يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التعصب على الكفر بالمنزلة التي لا
تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي فعلى اجرامي واجرامي لفظ
المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسراركم واسراءكم وخوجرم واجرام قفل واقفال ونصر
اجرامي اي
الجمع ان قرئ الاولون بالفتح والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي
وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني ولا تلوموا علي وانا بريء مما تجرمون مني ولم يثبت ذلك وانا
ن نوحا قنط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الامن قد امن الامن وجد منه
ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس فلا تحزن حزن يائس قانط
قال يا بهيم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما انعم البال والمعنى فلا تحزن
بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم باعيننا في
موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كأن لله معه اعينا تكلأه
ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وآنا
نوحي اليك وتلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان
يصنعها مثل جوجو الطائر وقد خاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع
العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي
به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك
وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية تحرواينه ومن عمله السفينة

وكان يعملها في برية بعيدا عن الماء على موضع من الارض فيه عزة شديدة وكانوا ينحتون
ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون
منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة
وقيل ان تستجهلونا فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه
فانتم اولى بالاستجهال منا وان تستجهلونا فانا نستجهلكم استجهالكم لا يكم لا تستجهلون الا على جهل
بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا
عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها
ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن
الاعلى مما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء
وعن الحسن كان طولها الفا وثماني ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى
عليه السلام لو بعثت لنا رجلا يشهد السفينة نجد ثناءها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب
من تراب فاخذ كفا من ذلك فقال اتذكرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا
كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن
راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها
الساعة ثم بعثت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع
وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس
وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا من يأتيه في محل النصب تعلمون
اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب مخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو
الغرق ويحل عليه جلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب
الآخرة حتى هي التي بمنذا بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء اذا قلت
غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت
فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال
يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت
انث بن امر بن لما ان لجعل سخروا جوابا وقال ابن انباري فاعلى تقدير سؤال سائل او لجعل سخروا

الساج شجر يعظم جدا قالوا لا ينبت الا ببلاد الهند

هو استوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال
يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح

الامتثال له والنزول على هيئته على الفور من غير ريث فكابر عليهم امر كان المأمور به مفعولا
لا محيص ولا ابطأ والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت
الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر والجرما وعد الله نوحا من هلاك قومه
واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال بعد بعدا
وبعدا اذا اراد والبعد البعد من حيث الهلاك والموت وعن ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء
ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان ذلك الامور العظام
لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشاركه في
افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر
عليه الا بتسوية منه واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية
وردت قصور الهاء ووسم لا يخافس الكلمتين وما قوله ابلعي واقلعي وداك وان كان لا يخلي الكلام
من حسن هو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي الاب وما عداها فشوذ وعن قبلة
استقلتهم السفينة لغير خلوق من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم
على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا
وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه
فصاموا شكرا لله تعالى ونداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعد
في نجية اهله ما ذلك فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى
بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ
نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه
او بسببه لانه بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي
لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين
اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب عزيز في المثل
والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر
واستعير وجوز ان يكون من الحكمة على ان ثنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع
الدرع وحابر وطائر على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه
ايذان بان قرابة الدين اعتبر من قرابة النسب وان تشككت في دينك ومعتقدك من
ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله
عز وجل ان علموهن مؤمنات وكما يعلمه الحاكم بشهادة
شاهدين واوار المربد على عليه ونحو ذلك مما يعلم به
العلم الظاهر الذي يسع الحاكم الحكم بالشيء معه

فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن
من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك

الا باعد في المنصب وان كان ربيبا وكنت قرشيا لصقك وخصيصك ومن لم يكن عاديتك
وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه
كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لبنوة ابن على معنى انه ليس ابنك الذي وعدتك
صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم
بكلمة النفي التي يشتق معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من اجل من اهله لصلاحهم لانهم اهلك وافاربك وان هذا المانع عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانا يأكلان الطعام
عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عملا
غير صالح وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بيا وبغير ياء يعني
فلا تلتمس مني علما او انني اراك لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر
المسئلة دليل على ان البداء كان قبل ان تغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي بداءه سؤالا
ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد
بنجاة اهله في وقت مناوفته ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا
وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده
ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر
لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يخل بما علم فعل القبيح وخلف الميعاد
فطلب لماطة الشبهة وطلب اماطة الشبه واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا
قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثنائه من سبق عليه القول منهم
فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا
بناجين وان لا حاجة شبهة حين تارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم
فعوتب على ان اشبه عليه ما كان يجب ان لا يشبه ان سؤالك من اطلب منك في المستقبل
ما لا علم لي بصحته نأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك وان لا تغفر لي ما فرط مني من ذلك
وترحمني بالتوبة علي اكن من المخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا
مسلما محفوظا من جهتنا ومسلما عليك منكورا وبركات عليك وعلى مبارك عليك والبركات
الخيرات النامية وقرئ بوركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان
فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قبل لهم امم لان الامم شعبت منهم
وان يكون للابتداء على الاول يكون السلام جمع السلامة وعلى الثاني بمعنى السلامة
وتكريرها لما قال الوعد الذي وعدك الله ان ينجيك وانجاء اهلك منه وقرئ امم سنمتعهم
اشباعا لضمة الميم او اجراء لها مجرى همزة امم وقرئ امم سنمتعهم بالتخفيف من امتع
الله تعالى وفي السلام والتسليم من الحسن ما لا يخفى ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة
بعد ما يتمتعون في الدنيا

وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم

وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومن عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك قيل استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثيرة الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهينين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر

قيض اي قدر واتيح ما قيض لنوح هو النجاة وما قيض لقومه هو الهلاك قال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا

هو يدل بفلان اي يثق به

ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهلية من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك بثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد علي اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء علي اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله قلت

واشهدكم

من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ

ان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما مواثاتهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لما بين اللفظين من الخلاف فانهما وان جريا على لفظ الامر بالشهادة كما تقول الرجل لمن يهيئ للذي بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تنكر به واستهانة بحاله ما تشركون من دونه من اشراككم الهة من دونه او ما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركا له ولم يجعلها هو شركا ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم ايجدي ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم وهذه احاب معجزتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتهم مني اذا ابتلت منها وصدرت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكه وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فان تتولوا فان بلغ كان قبل التولي كيف وقع جزاء الشرط قلت معناه فان تتولوا تولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكتم مجحوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فانتم الذين تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستأنف يريد وتهلكم الله وتجيء بقوم آخرين تخلفونكم في ديارهم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فيضر المجزوم والمعنى ان تتولوا يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فاحصى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او مكان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم والذين آمنوا معه قبل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير النجية قلت ذكروا انه حين اهلك عدوهم لجأ بهم ثم قال وجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك النجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية النجية من عذاب الآخرة ولعذاب الآخرة اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا

ويلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود وال يوده اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا

يريد سبب الايمان الذي انعمنا عليه بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا وانتم استأنف وصف آلهتهم فقال جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لان كتبهم تتفق بأجمعها على الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وكذلك كل رسول يرسل اليهم لا يخالف غيره في دعوة التوحيد وكذبوا هودا وحده كقولك كذبوا رسلهم لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تبكيتا لهم على رؤوس الخلق في عذاب الله والا ونكارا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم بالبعد تفضيلا لامر هود وتقطيعا له وبعثت على الاغباء بهم والجد من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستأهلين لان يدعى عليهم بالهلاك ألا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا وابدا ويلي والله قد بعدوا فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه لا يعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه لان عادا عاد ان الاولى الفديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هي اشأكم من الارض لم تنشأكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشأتم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الدعايا فسأل نبي من انبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء ارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى يفنى ولا ينقضي به ولا يكون له في الارض آثار وقيل استعمركم من العمر وهو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كهو لك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها بارزاقكم ثم تموتون وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين في داركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكأنما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره توبوا الى الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فيما يبتغيه مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير واما رأت الرشد فكنا نرجوك لينتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس

Transcribed for the Open Islamic Library

قبل هذا انتهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني
منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا
معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا
الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ما

فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رآى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط
وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتى ءالد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا
ان هذا لشيء عجيب

فاصلا خيرا نقدمك على جميعنا وقبل كناية عن ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه بعد
آبائنا حكاية حال ماضية مرجب مراد به اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة
بالنفس او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي
بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة ان خطابه للمجادلين فكانه قال قد رأوا اني على بينة
من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في امره فمن يمنعني من عذاب
الله فما تزيدونني اذن غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او خاسرين ياديني عائدون
الى ضلالتي عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون آية نصب
على الحال تعمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان لكم فيه متعلق لكم لكم
بآية حالا لانها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب على الحال عذابا
قريب عاجل او يأخذكم عن قريب بما يسوءكم الا ترى الى قوله ثم يقع عليكم تمتعوا
استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم ويسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال
ديار بكر لبلادهم ونقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الديار يريدون من عرب
البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عمرا وما يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب
غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجراءه مجرى المفعول به كصوم يوم
مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد تفي بك فاذا وفى به فقد
صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول والمحدوثة
بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله
على حين عاتبت المشيب فان يلبث علام عطف يلبث على حينا ان قدر ره وجنسا هم
من عذاب غليظ على وكانت النجاة من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولاجزى
اعظم من جزى من كان هلاكه بعضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كافرا
العذاب الغليظ بعذاب الاخرة وقوي ان ثمود وثمود كلاهما بالصرف وامتناعه
فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت
يريد الملكة عن ابن عباس جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا
تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر
الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل

سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت فما اكتال بالبر العام اللواخ
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحبل
والحنيذ بلغة اهل البراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل
حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تعطر عرقا وبدل عليه بعجل
ايمن يقال نكره وانكره واستنكره ومنكود قليل في كلامهم وكذلك انا انكرناك ولكن منكرون
ونكرك وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريد به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا
مر من يطرقهم طعامهم امنوه واتاهم فوضع والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه
خوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيهم ارسلوا او وجس واضمر
وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا
ان علة بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا يترزلون الا بعذاب وامراته قائمة قيل

سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح
فما لبث ان جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل
والحبش بلغة اهل السراة وكان مال ابرهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل
حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل
سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر
ومستنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا
قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا
مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه
تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا واوجس واضمر
وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا
ان علمه بانهم ملائكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامراته قائمة قيل
كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف
عبد الله وامراته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث
او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا
ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على
ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب
رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء
ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب
بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب
الالف في يا ويلتا مبدلة من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفى ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء
على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا
بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا او شيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان
وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون سنة ان هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين
وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملائكة تعجبها

قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط
إن إبراهيم لحليم أواه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود

فقالوا أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات
فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة
وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم
رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة و
يخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله
رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن
أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط
من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده
مجيد كريم كثير الإحسان إليهم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لأن أهل
البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن الروع ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه
والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فإن
قلت أين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله يجادلنا
كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت
ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وإنما جيء به مضارعا لحكاية
الحال وقيل إن لما يرد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وقيل معناه
أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل
هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون
قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد
مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله
في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن
قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان إن إبراهيم
لحليم غير عجول على كل من أساء إليه أواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع إلى الله
بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله
على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على
الاستغفار لأبيه يا إبراهيم على إرادة القول أي قالت له الملائكة أعرض عن هذا الجدال وإن كانت الرحمة

الفرق بين هذا الوجه والوجه الأول أن الجواب في الوجه الأول محذوف وما ذكر هو كلام مستأنف وأما في هذا الوجه فالمذكور هو معمول الجواب المحذوف

فلما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد

ديدنك فلا فائدة فيه إنه قد جاء أمر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب
وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة
لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم
ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات
فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال
أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم
يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصوصب إذا كان
شديدا من قولك عصبه إذا شده يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا
يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا
عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه
وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته
وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا
كما زوج رسول الله صلى الله عليه ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي
وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر
لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأهن
أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء
من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي
بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين
جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك
أن تكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر
حالا فاتقوا الله بإيثارهن عليهم ولا تخزوني ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو لا
تخجلون من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره
فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل
واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ ولا تخزون بطرح الياء
ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما

قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم

او ردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوا على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت تقول ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او أويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره وقرئ فاسر بالقطع والوصل الا امرأتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها

ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي
من الظالمين ببعيد والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط

مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما تعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه انه سأل جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم وما هي بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب منه اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس

ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك
ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد

الهضم والنقص ويقال للكيس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ مخلف وفاء وذم
وفي مكيال وزن بخس دراهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع ويشترى كالثياب والدواب
ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء نهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة
وقطع السبل ويجوز ان يحمل التطفيف والبخس عيثا منهم في الارض بقية الله ما يبقي لكم
من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت
بقية الله خير للكفرة لانهم ينالون منها من نتيجة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت
لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده
لا تتهاون صاحبها في عمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه
ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقي لكم عند
الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى
الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا
تسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وموتقواه
ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم
واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان
شعيب عليه الف كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلواتك تامرك الشخوتة والهزؤ والصلاة وان جاز ان يكون امرة على طريق المجاز
كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامر بالجميل
والمعروف كما يقال ندعوه اليه وبعث عليه انهم سافوا الكلام مساق الطنز وجعلوا
الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته واراد وا ان هذا الذي يامر به من ترك عبادة الاوثان
باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا
ان يامرك به امر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلوتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك
وعندهم الهامن بالجنون وما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال
ومعنى تامرك ان تتركنا تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف
لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة او ان نفعل في
اموالنا ما نشاء بنا الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتاع

ان لا تتعلق بقوله يا مرك
بل يجوز ان يتعلق بقوله حذف
فكانه قال حذف لدلالة القرينة
ويجوز ان يقال هو متعلق بقوله
معنى فكانه قيل اريد لان

اعذر اي بالغ في العذر ويقال العذر
من الذنب وهو توبيخ كان الوصي يقول
يقبل الاعذار ويدفع اداكان
قبل السلطان حتى للانسان وهو
لا يحبه الى القاضي فانه رحمه الله
كان بعث الله من قبله رسولا
يناديه على بابه ان القاضي يقول لك
نادى بذلك انا ما كان اجاب والا
جعل ذلك السلطان وكذا فيما هم
بهذا المعنى

قوله تولع يتعدل بنى الوقوع
وهو الاشتهار يقال ولع به
واولع به وتولع به يقال فلان
مشتهر بالشراب اي مولع به
لا يبالي ما قيل

بالحلال الطيب من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها
واراد وا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا لينهكموا
به كما ينهكم بالصحيح الذي لا يشق حجره فيقال له لو ابصرك حائك لسجد لك وقيل معناه انك
لتتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما امرك به لا يطابق حالك وما شهرت به ورزقني
منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا
من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة
نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه وهو
الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة وبصيرة من ربي وكنت نبيا على
الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء يبعثون لذلك
لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مولي عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت
انت قاصده وبلغك الرجل صادرا عن الماء فشاله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء
يريد انه قد ذهب اليه وارده وانا ذاهب عنه صادرا وسمه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه يعني ان سبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لا شيدها دونكم ان
اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن
المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت ممكنا منه لا آلوا فيه
جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف
المضاف على قولك الا الاصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه
اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كون
موفقا لاصابة الحق فيما آتي وادع وفوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى
انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه
تهديد للكفار وحثهم لا طماعهم فيه جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين
تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمه ذنبا وكسبه اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير
بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي
الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه

اصلاح
المفعول به للاصلاح كانه قال
مفعول يريد انا اعمل المصدر باللام

ان المنعت هذا الرجل
طعنة فلعنته لها
كسبت به الطعنة
قبيلة فزارة ان يغضبوا

قال
الشيخ الوقت الشيخ ابا
وقد كان والده عمل ذنبا

ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله

فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادوروهم له اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا ولا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا هم احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله

واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط وما قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب فارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا

ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي واعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني من يأتيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان يكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستيناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت

واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار فبئس الورد المورود

واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا كان لم يغنوا كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت وقرا السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل عن الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط يقدم قومه اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرجل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين

واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود

العطش وتبريد الاكباد والنار ضده واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم آلهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اوقعه في الخسران محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب ما لك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع

ع الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اى يشهد فيه
الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال ع تحفل من نواحى الناس مشهود فان قلت
ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن
شهد منكم الشهر فليصمه قلت العرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين
الايام فان جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن تجعل مشهودا
فيه حتى تحصل المغايرة كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز
ان يكون مشهودا فى نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير
ع فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى فمن كان منكم مقيما حاضرا الوطنه
ع شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا قال المسافر والمقيم كلاهما يشهد ان الشهر
لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها
فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا اجلهم زادا خذ
مدة التاجيل والعدد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل
معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما نؤخره بالياء قرئ يوم
يأت بغير ياء ونحو قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها
بالكسرة كثيرة لغة هذيل فان قلت فاعل ياتى وما نؤخره قلت الله عز وجل كقوله كل ينظرون
الا ان ياتيهم الله او ياتى ربك وجاز ذلك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله
يأذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان يأتيهم الساعة فان قلت ما انتصب
الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالاستهاء المحذوف فى قوله
الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم
فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وجددت التى بنفسه قلت المراد اتيان هوله
وشدائده لا تكلم لا تتكلم ومن نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم يأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون

ولعله علت انا جعلت انا علما فيصير اليوم الخ اشار المصنف بهذا الى ان الاول انما يتم
بيوم يأتى المستقبل الخ فيرد ان كون الان زمانا آخر وسيحال الى ان اليوم انما يضاف الى الفعل
الى الضمير اليوم الذى بان الشرط منبه وسيحال الى ان يقول الاولى ان يقول يأتى او يوم
يأتى لا يخلو من ان يكون اليوم الذى اضيف الى يأتى او اليوم المتقدم وكرر وعلى كون ان يكون فاعل
اليوم الذى اضيف الى يأتى وذلك لكن لو قلت انا ادر اليوم ما انتكل لم يجز لانه لا يجوز ان يضيف
يوم الى ما انتكل لان اليوم سواء على هذا على ان يضاف الى فعل نفسه الا ترى انك لا تقول جئتك يوم
زيد كما تقول اذا قلت جئتك يوم جاء زيد فانا اضفت المصدر الى الفاعل فاذا قال
يوم يأتى فمعناه يوم ياتيهم العذاب ولا يكون اليوم موقتا بفعل مسند الى ما علم جوزت بذلك ان الفاعل
فاذا صار الفعل مسندا الى اليوم فقد كمل امره وعرف اليوم بنفسه لان الفعل صورته بان يقال يأتى اليوم
انتهى الصوت فصار مسندا الى اليوم فيكمل امره حينئذ ويعرف وحده واما كم اليوم فيتكمل بما يضاف اليه
اخبه فتضيفه الى ما هو مضاف اليه الا ترى انا نقول يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد
ويوم يبعثون انما عرفت بالاضافة الى ما يقع فيها من الفعل فان قلت هلا جعلت الفعل علما ليس ان الفعل
اسم وحده بطلت اضافة اليوم اليه لان الاسم والمسمى كالشىء الواحد فلا يضاف احدهما الى الاخر
جعل موجبا لغيره وانما يتأتى ذلك فى الاسماء التى هى غير المسميات كما تقول سمعت اسمك يوم
ولدت وانا اسمع صوتك يوم ولدت وانا اسمع صوتك يوم ولدت فان قلت فما تصنع بقوله يوم
يبدل الله كل واحد منهم اجره يوم القيامة وبقوله يوم يجمع الله الرسل فان اليوم فيهما مضاف الى
ذلك مع انه مجموع الناس وذلك مما لم يوقت قلت هو على حذف مضاف اى وما نؤخره الا لاجل
مدة يوم يأتى وقد ذكر ذلك المضاف فى قوله يوم يجمع الله الرسل وقد يحذف المضاف
الى اليوم المضاف الى ما هو مضاف الى اليوم كقوله ع على حين عاتبت المشيب على الصبا
ولكن يكن ان هذا لما كان الفعل مسندا الى اليوم المضاف الى الفعل وهو الاتيان الذى
كما هو متعين ان يكون الجواب ما ذكره ابو على لوجه ثم قدم وهو قول المصنف ما ان
الزيد بالبوم الكسند اليه مانى الشاهد والواقع فى ذلك اليوم فكلا هما يوم يأتى الشدائد والاهوال
والمعنى اعتصموا بالله الذى هو مولاكم واثقوا به فى كل امركم ولا تثقوا بمولى غيره ولا بناصر سواه
واعتصموا بالله هو ثقوا به وارجعوا اليه فى جميع امورى اطلاق الكل وارادة البعض
وشمل الكثير والقليل

ع الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اى يشهد فيه
الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم
لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال ع تحفل من نواحى الناس مشهود فان قلت
ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن
شهد منكم الشهر فليصمه قلت العرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين
الايام فان جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن تجعل مشهودا
فيه حتى تحصل المغايرة كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز
ان يكون مشهودا فى نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير
ع فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى فمن كان منكم مقيما حاضرا الوطنه
ع شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا قال المسافر والمقيم كلاهما يشهد ان الشهر
لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها
فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا اجلهم زادا خذ
مدة التاجيل والعدد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل
معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء قرئ يوم
يأت بغير ياء ونحو قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها
بالكسرة كثيرة لغة هذيل فان قلت فاعل ياتى وما نؤخره قلت الله عز وجل كقوله كل ينظرون
الا ان ياتيهم الله او ياتى ربك وجاز ذلك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله
يأذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله ان يأتيهم الساعة فان قلت ما انتصب
الظرف قلت اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالاستهاء المحذوف فى قوله
الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم
فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وجددت التى بنفسه قلت المراد اتيان هوله
وشدائده لا تكلم لا تتكلم ومن نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت
كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم يأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون

وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ

اصوات المكروبين المحزونين وحكى

عن اهل اللغة جميعا ان الزفير اول

خروج النفس والشهيق

اول مد الصوت

ابتداء صوت الحمار بالنهيق والشهيق

عن اهل اللغة جميعا ان الزفير اول

خروج النفس والشهيق

اول مد الصوت

ابتداء صوت الحمار بالنهيق والشهيق

عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكر واالان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لشقائه والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى الخطو شيحا زفيرها عويل وفي اعجازها قلق نزق

الخطو مشية الصبي

والشيخ

وخلق الانسان ضعيفا

وقال الحسن

ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اتباعا لما خلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام يعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلامهم التأبيد فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وانواع من العذاب سوى عذاب النار وربما هو اغلظ منها كلها وسوى سخط الله عليهم وخشته لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وسوى رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر وهم ما ينفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا تخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الذي ينادي على نكذبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النواتية عن عبد الله بن عمر بن العاص لياتين على جهنم يوم تصفق

الا ما شاء ربك اعلم ما يعذبهم به من انواع العذاب سوى ما يعذبهم به في النار

سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك

التطرب الصوت

وخشخشة الريش ونحوه

وقال الحسن

قال في الصحاح وقد سعد الرجل بالضم سعادة وسعد بالفتح سعودا ضد شقي واسعده الله وساعده بمعنى وقال الفراء سعد وشقي لا يستعملان الا في الخير والشر وقال ابو عبيدة سعد ضد نحس وشقي ضد سعد

يعني موقعة عندهم اعظم من سائر الاشياء

مناكل الانبياء سوى الثواب بفضل الله بها عليهم حيث ما يا عطاء

فلا تكن في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما تعملون خبير فاستقم كما امرت

فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر
بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان
المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا
عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق
ابوابها واقول اما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه
ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله
لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من
عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص
في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة
بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك
مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فينزلن بهم مثله وهو
استيناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي
من عبادتهم وكعبادتهم اي ومما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم
نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص
حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته
شطر حقه وثلث حقه وحقه كملا وناقصا فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
في القرآن ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا
من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين
فيه ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم
والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف
على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرا ابي وان كل لما ليوفينهم
على ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرا الزهري وسليمن
بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين
كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاستقم كما امرت فاستقم استقامة
مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر

ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت
وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير
عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه في جميع
القرآن آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة و
اخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم
رايت رسول الله في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي
شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله
بصحة العزم قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف
على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرا
فتمسكم النار بكسر التاء وقرا ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله
والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم
ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم
بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا
اي الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرا هذه
الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن
رحمه الله جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب
اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان
يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك
من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا
تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت
سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك
رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك
بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما
اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف
من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من

من لا يحفل ويحفظ عليك من لا يغفل هذا ودينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر
البعيد وما تخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء واللوم وقال سيفين بن جهنم واد لا يسكنه الا
القراء الزاهدون للملوك وعن الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عابدا ولا وعن محمد بن
مسلمة الذباب على العذرة أحسن من فاجر على باب سوء وقال رسول الله صلى الله من دعا لظالم
بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفين عن ظالم أشرف على الهلاك في بر بقية هل
يسقى بقية ما فقال لا يقبل له يموت وقال دعه يموت وما لكم من دونه من أولياء حال من قوله فتمسكم
اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه
لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الانتقام
عليكم قال قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع
استحقاقهم العذاب واقتضاء حكمته له طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات
من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة
الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء
وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك آتيك عنده جميع النهار
وانتصف نصف النهار وأوله وآخره نصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف اليه
ونحو واطراف النهار وقوى وزلفا بضمتين وزلفا بتسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف
جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالتسكون نحو بسرة وبسر والزلفى
بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل
وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اي اقم الصلوة طرفي النهار وستعلق حزا
واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تقربها الى الله عز وجل في بعض الليل ان
الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات في احد
ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن
السيئات بان يكن لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت
في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان
في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه فاخبره بما فعل فقال انطلق فان الله قد غفر لك
ما صنعت فان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم

نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال انه ستر على
نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت فقال عمر اهذا له
خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه قال له توضأ
وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم
فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كرر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو جامعة
للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال
وعليك بما هو انجع مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء
عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مستهل
على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير
ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فعناها
هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية فعن غير الصافات لولا ان ادراكه نفيه
من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان تبتناك لقد كدت تركن اليهم اولوا
بقية او لو افضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل ينتقي ما يخرجه اجوده
وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
وبه فسر بيت الحماسة ان تذبيانم تابني لبقتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي
الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم
ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقوى اولوا بقية بوزن كفية
من بقاه بمعنى اذا راقبه وانتظره ومنه بقيتنا رسول الله والبقية المرة من مصدره
والمعنى فلولا كان منهم اولوا امر ابقية وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم
لاشفائهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد
وسائرهم تاركون النهي وممن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي
للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
قال قلت هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه
ظاهر الكلام كان المعنى فما كان من القرون الا القليل ممن انجينا منهم فانه نهى عن الفساد
من الناجين منهم كما تقول ما قرأ علينا الا زيد الا عمرا وانما قرأ عمرو ثم زيد استثنا الصلحاء من المختصين
ان ينهوا عن الفساد لان بعض الناجين فكون الناجون بعضهم غير مبين كقولك
لهم الا الذين تابوا منهم فاولئك يتوب الله عليهم فان قلت فما معنى قوله
ما كان من القرون الا قليلا ممن انجينا منهم وهلا قيل الا قليلا منهم
قلت لان الكلام مسوق لذم الكافرين فكان ذمهم اهم من مدح الناجين

إن كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه اني رأيت احد عشر كوكبا

فعلا بمعنى مفعول كالنقض والخبط ونحو النبأ والخبر بمعنى المنبأ به والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص بما اوحينا اليك هذا القرآن اي باخبارنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن باخبارنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا للاقتصاصه في القرآن وان اريد بالقصص المقصوص نعتا نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقص في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت ثم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تقرن بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل اخبارنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرفا منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو المقصوص فاذا اقص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فان قلت ما تقول فيمن قرأ ابو يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس ويوبب فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبي صلى الله عليه اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز هو لك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة له

قوله فعلا بمعنى مفعول الخ قال الشيخ ابن حجر في حاشيته على البيضاوي ما نصه الوقت من حيث وقت يحتمل ان يكون المراد المقصص فيه اي وقت مقصص فيه بطريق المجاز وتظهر فائدته في ما اذا قيل ان الفعل اذا كان على وزن المفعول كان بمعنى المفعول بدليل الاتفاق على ان نحو الخلق والصيد مصدر بمعنى المخلوق والمصيد وان قال ان نحو الخلق والصيد مصدر بمعنى المخلوق والمصيد بدليل الاتفاق على ان نحو الخلق والصيد مصدر بمعنى المخلوق والمصيد

قوله والضمير في قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل اخبارنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرفا منه اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو المقصوص فاذا اقص وقته فقد قص

قوله فان قلت ثم اشتقاق القصص قلت من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه آية بعد آية

قوله فان قلت كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز هو لك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة له

فلما ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كلا واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره فان قلت فهذه الكسرة التي كانت قبل الياء في مولاي يا ابي قد رحلت الى التاء لاقتضاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع ذلك لان الاسماء احقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء والواو اصلتها ان تحركا لخفتهما لانهما حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه الجمع بين التاءين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فلا يجوز يا ابتي فلا بجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيآن والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا جمع بين العوض والمعوض منه انما اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فاذا دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة تغني وجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركة الياء المعوض منها في مولاك يا ابي واما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابة كما تقول يا ثبة من غير اعتداد بكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ ابي وابت بتحريك الياء واحد عشر بكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات وبناؤه على حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنا عشر ليلا يلتبس بما كان رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه حلم لان الشمس والقمر لو اجتمع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآها يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه لليهودي ان اخبرتك اتسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكنفين رآها يوسف والشمس والقمر

مولاي نحن حذف الالف من مولى وما عطف عليه بسكون الياء وفتحها على لغة من يقول هذا عصاي ورأيت عصاي ومررت بعصاي بتثليث الياء

هذا وزن واحد صحيح

يعوض من المعوض منه بل هو مستعد الى الياء عوض عن الياء والضمير فيها يعود الى الياء والتاء لانها عادت عن الياء والكسرة قبلها عوض عن الياء ولو كان فيه ضمير لكان عائدا الى الكسرة ولكان الضمير فيها للام والضمير في منها للياء المعوض ولكان الضمير في عليه غير مذكور ولكن يجوز ان يكون ضمير جارية على غير من هي له كقولهم ذهبت جاريتا بني فلان وانطلقتا

الوقف على الفعل المعتل بالياء المحذوفة في الوصل اجراء للوصل مجرى الوقف

ان قال تاء التانيث في الوقف هاء فكيف جاز الحاقها بالمذكر قلت كما جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر في الوقف

وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين

وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبر يأتي كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ اعيد داخل في حكم التشبيه كأنه قيل ومثل ذلك الاجتباء الذي اصطفاك يجتبيك ويتم نعمته عليك والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس للرؤيا واعلمهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن الانبياء وما يخص ويشبه على الناس من اعراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على موجباتها بحكمها وسميت احاديث لانه تحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بالنجاة من الذبح وفداه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوته يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يجدله اخوته حتى يجدله ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتألم بهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مستتب يجمع الله لك بعد دهر طويل وآل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلها وارادة بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة آباء وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يضع نعمته الا على من يستحقها في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته وفي كل شيء السائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة

ع امتناع قوله لم احدوثة النبي عليه فكان الاحدوثة بمعنى الاعجوبة
قال الجوهري الحديث يجمع على احاديث على غير قياس قال الفراء وواحد الاحاديث احدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث وقال ابن الانباري الكثاف واصلاب يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والاعجوبة والاعجوبة وهي ما يحدث به الناس تلهيا وتعجبا وانما قال وليس بجمع الاحدوثة لان افعولة لما يتلهى به ويضحك منه

يجتبيك يختارك ويصطفيك لنبوته

ويعلمك من تاويل الاحاديث تعبير الرؤيا

ويتم نعمته عليك بالنبوة

وعلى آل يعقوب بالرسالة والكرامة

كما اتمها على ابويك من قبل

ابرهيم باتخاذه خليلا وانجائه من النار

واسحق بالنجاة من الذبح

ان ربك عليم بمن يصطفيه

حكيم في افعاله

لقد كان في يوسف واخوته

في قصتهم

ايات

علامات على قدرة الله وحكمته

للسائلين عن خبرهم

وقوله ايات عطف على علامات وانما قال كذلك لانه لا يحصل للسائل بمجرد السؤال الا بعض الآيات واما حصول الآيات كلها فلا

المخايل جمع مخيلة ومن المظنة مفعلة من ظننت بمعنى علمت محمولة على معالم الرشد والبادي المخايل كهي في المعايش يصرح بها والاكثر

قوله سد ذرة اجري مجرى الاسماء وضع موضع لا ان ذرا اسم لا كالاسماء وخبرها محذوف تقديره لا ذرا موجود ونحو ذلك من الاعمال ولا يعمل واحد منها اعمال المصدر وما يتلو في نصاب غيره لظلم المصادر عن كلم الاعمال وخروجها عن احكام المصدر وما يتلو في نصاب غيره لظلم المصادر عن كلم الاعمال وخروجها عن احكام المصدر

ترك من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا اعصا صغيرة تثب عليها حتى اخلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة ان الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون

فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت اخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص ببيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملئكة ثم عطفهما عليهما لذلك ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر

فان قلت ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كما انها عاقلة وهذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بابائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بالتاء كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا ووجه الكسائي رياك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لان الواو وان قدرت الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام في قولهم اثر زاد واجر من الاجر فيكيدوا منصوبا باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك

فان قلت هلا جعل فيكيدوك كالجواب فيكيدون قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ في التخويف وذلك نحو ضحكت له وكلته الا ترى الى تاكيده بالمصدر وتبيين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو محمول على الكيد والمكر وكل شر ينبو اطماس نخيله ولا يومن ان يحملهم على شيء

يجتبيك يختارك

ويعلمك من تاويل الاحاديث تعبير الرؤيا

ويتم نعمته عليك بالنبوة

وعلى آل يعقوب بالرسالة والكرامة

كما اتمها على ابويك من قبل

ابرهيم باتخاذه خليلا وانجائه من النار

واسحق بالنجاة من الذبح

ان ربك عليم بمن يصطفيه

حكيم في افعاله

لقد كان في يوسف واخوته

في قصتهم

ايات

علامات على قدرة الله وحكمته

للسائلين عن خبرهم

اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم
وتكونوا من بعده قوما صالحين

كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله على النبي عليه السلام خبر يوسف
وبغي اخوته عليه لما رآى من بغي قومه عليه ليأتسي بهم وقيل اسماؤهم لهوذا ودوبيل
وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة ودان ويفتالي وجاد وآشر والسبعة
الأول كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة
فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ليوسف اللام لام
الابتداء وفيها تأكيد وتخصيص لمضمون الجملة اراد واان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة
فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل
احب في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه من الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا
كان محلى بمن ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن
عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا ونحن اشداء صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة
ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة
والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة
والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور
ويتكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب
وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما يقول العرب انا العام رجل
عصمته اي تعهد عصمته اقتلوا يوسف من غلبة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على
ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا
راضين فجعلوا آمرين ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها و
اخلاؤها من الوصف وايهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه
ابيكم يقبل عليكم اقباله واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم من شارکهم
فيها وبنار عنهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل
على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم
يفرغ لكم من الشغل بيوسف من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل والتغريب
او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا اي صالحين تائبين الى الله مما جنيتم
عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذره وتمهيده او تصلح دنياكم وتنتظم امورکم بعده يخلو وجه

قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم
فاعلين قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع
ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف
ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون قال لئن اكله الذيب
ونحن عصبة انا اذا لخاسرون

ابيكم وتكونوا انتم مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله ولا
تأكل السمك وتشرب اللبن والمعنى اجمعوا بين الامرين هذا ان لم تقتلوه والا فاقتلوه
قال لهم الفضل عليهم القوه في غيابة الجب وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من
اسفله قال المتخلل ان انا يوما غيبتني غيابتي فسيري واسيري في العشيرة الارذل
اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري
غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض رجبت جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض
القوافل الذين يسيرون والطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا
ما تحصل به غرضكم هذا هو الرأي مالك لا تأمنا قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير
اشمام واشمام بكسر النون مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير وفيه وتضمن
عليه وما وجدنا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والشفقة واراد واده لما عزموا على
كيد يوسف استنزله عن رأيه وعاد به في حفظه منهم وفيه دليل على انه احسن منهم بما اوجب
ان لا يأمنوا منهم عليه مرتع تفتعل من الرتع وهو الاكل الواسع في اكل الفواكه وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ
نرتع من ارتعى يرتعى وقرئ نرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة
يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجازوا لهم يعقوب عليه السلام اللعب
قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضبروا انفسهم بالتصبر يحتاج اليه لقتال العدو ولا يلهيهم
الا ليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحسن نفي اللام لام الابتداء كقوله
ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من نفي المضارع اعني قوله بشس
احدهما انها تدخله بغير ما ومضارعته اياه مما يحسن انه سيأتي بعد ساعة والثاني
قوته عليه من عدم قوة الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم وبعدهم او قلة به اغنامهم ولم تصدق
لحفظه عنا بنهم وقيل رأى في النوم ان الذيب قد شد على يوسف فكان لحذره عليه من ثم قال ذلك
فلقنهم العلة وفي لتسلم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل
استفاقه من ندأ اذا اثقله الدين اذا ان من كل وجه القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب
واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مغن عن جزاء الشرط والواو في ونحن
عصبة واو الحال جلفوا له لئن كان ضاغنة من خطيئة الذيب اخانا من بينهم وحالهم انهم عشرة

فاخذتموه واجمعوا ان تجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاءوا ابا هم عشاء
يبكون

رجال بمثلهم تغصب الامور وتكفى الخطوب انتهم اذا القوم خاسرون اى هالكون ضعفا وعجزا
ومستحقون ان يهلكوا الا نهم لا غنا عندهم ولا حذق في حيلهم او مستحقون لان
يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم بعضهم خاسرون
وقيل ان لم تقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها فارتبت قد اعتدا
اليهم بعد ذلك فلم اجابوا عن احد مما دون الآخر ارتبت هو الذي كان يعظم ويدفهم الامر ويرتبه
فاعادوه آذانا صما ولم يعبأوا به ان يجعل مفعولا اجمعوا امركم فوكد اجمع الامر وانبعه
فاجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل
بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا
به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا
يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال لهوذا اما اعطيتموني
موثقا ان لا تقتلوه فلما اراد والقاءه في الجب تعلق شيا بهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط
البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوته ردوا علي قميصي اتوارى به وانما
نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر
كوكبا تونسك وذلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه
ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فناادوه فظن انها دعوة ادركتهم فاجابهم فاراد وا
ان يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم صلوات الله
عليه حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه
ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجا جبرئيل
فاخرجه والبسه اياه واوحيا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل
كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه
ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه لتخبرنهم بما انت فيه و
لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبريا سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا
عليه ممتارين عرفهم وهم له منكرون فدعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فظن فقال

الرضخ بالضاد والجيم المعجمتين الكسر يقال رضخت الحصى والنوى كسرته ورضخت رأس الحية بالحجارة

لشدة يتعلق بالصدق بمعنى ما انت بمؤمن اى بمصدق كما يقال لشدة ما شئت فلان فضلته اذا غلبته و انتضل القوم وتناضلوا اى رموا للسبق ومنه قيل انتضلوا بالكلام والاشعار

ناضله اى راماه يقال ناضلت

عشوا جمع اعشى فقال عشوا تغيرا لقرانه عشا والحاصل انها جمعا اعشى عشوا وعشا

ان ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا

انه يخبرهم هذا الكلام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به و
القيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب ويعنونه بمن حس ويجوز ان تعلق به لا يشعرون
بقوله واوحينا على انا اتسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك وخطبوه
انه مرهون حتى حش لا انيس له وقرئ لتنبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
معلق باوحينا غير وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا
واصيلانا ورواه ابن جني عشيا بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراته حاكمت
الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما ترى ما بكى قال قد جا اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة
ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع
وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وابن يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالاختصال والتناضل والارتماء والترامي
وغير ذلك والمعنى نسابق في العدو او في الرمي وجا في التفسير ننتضل ونومن لنا بمصدق لنا
ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت
سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب
الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والدم وبدانه ونحو فمن به فوقوا انهم بخلوا
وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرات عائشة رضي الله عنها
كذب بالذال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكذب وهو الفوف
الياس الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها
ودل عليهم ان لم يمزقوه وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال ابن القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال يا الله ما رايت كالبوم ذئبا احلم من
هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات كان دليلا ليعقوب
على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فارتبت
على قميصه ما محله فارتبت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كاذب
جاعلا على حماله باجمال فارتبت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة فارتبت لان حال المجرور لا تتقدم
عليه سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه
من يوسف وهتكتموه في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص

لعله يعني به ما ذكره الشارح بقوله كانه نفس الكذب وعينه الخ

ولو في قميصه يحتمل ان قميصه جنس قميصه لا قميصا معينا لان الذي كان دليلا على كذبهم غير الذي كان دليلا على براءته

كما يجوز في الآية ما ذكر

لا يشعرون ضمير الاخوة بالنون في بعض نسخ الكشاف وفي بعضها بالياء

اصله اوحينا اليه ثم حذف الجار ثم ابدل من ضمير المجرور ضمير المرفوع المستتر ثم ابرز المستتر ثم ابدل من المرفوع المنفصل

قوله ارتبت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة فارتبت لان حال المجرور لا تتقدم عليه الخ قال في المغني ان الحال قد تتقدم على عاملها المعنوي كالابتداء والمبني للمفعول كما هنا وعلى عامل الجر الا ان كان حرفا او مضافا اليه او مضافا اليه مضاف اليه او مضافا اليه مضاف اليه مضاف اليه

قوله ارتبت الارتياب الشك والتهمة وقد ارابني كذا وارابني فيه وارابني منه فهو مريب ومرتاب

قوله وجاءوا على قميصه بدم كذب الخ قال في الصحاح الكذب بالضم الدم الذي ليس بدم حيض ولا دم جرح

قوله ولطخوه بدمها الخ قال في الصحاح لطخه بالسوء يلطخه لطخا وتلطخ بالسوء تلوث به

قوله وقرئ كذبا نصبا على الحال الخ قال في الصحاح كذب الرجل بالتخفيف اذا جاء بالكذب وكذب بالتشديد اذا قال لغيره كذبت

قوله وقرات عائشة رضي الله عنها كذب بالذال غير المعجمة الخ قال في الصحاح الكذب بالذال المعجمة الماء الذي يخرج على اظفار الاحداث

قوله وقيل طري الخ قال في الصحاح طري اي غير مملوح

قوله وقال ابن جني اصله من الكذب وهو الفوف الخ قال في الصحاح الفوف بالضم وبالفاء وزغب القطن

قوله وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته الخ قال في الصحاح الصياح الصوت

قوله وقال ابن القميص فاخذه والقاه على وجهه الخ قال في الصحاح القميص معروف والجمع القمص

قوله ما رايت كالبوم ذئبا احلم من هذا الخ قال في الصحاح البوم طائر

قوله وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات الخ قال في الصحاح الآية العلامة

قوله فارتد بصيرا الخ قال في الصحاح ارتد رجع

قوله ودليلا على براءة يوسف الخ قال في الصحاح البراءة من العيوب والتهم والبراء ايضا

قوله حين قد من دبر الخ قال في الصحاح قد القميص شقه

قوله فارتبت محله النصب على الظرف الخ قال في الصحاح الظرف وعاء كل شيء

قوله وجاءوا فوق قميصه بدم كاذب الخ قال في الصحاح فوق نقيض تحت

قوله جاعلا على حماله باجمال الخ قال في الصحاح الحمالة بالكسر ما يتحمل

قوله فارتبت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة فارتبت لان حال المجرور لا تتقدم عليه الخ قال في المغني ان الحال قد تتقدم على عاملها المعنوي كالابتداء والمبني للمفعول كما هنا وعلى عامل الجر الا ان كان حرفا او مضافا اليه او مضافا اليه مضاف اليه او مضافا اليه مضاف اليه مضاف اليه

قوله ارتبت الارتياب الشك والتهمة وقد ارابني كذا وارابني فيه وارابني منه فهو مريب ومرتاب

قوله وجاءوا على قميصه بدم كذب الخ قال في الصحاح الكذب بالضم الدم الذي ليس بدم حيض ولا دم جرح

قوله ولطخوه بدمها الخ قال في الصحاح لطخه بالسوء يلطخه لطخا وتلطخ بالسوء تلوث به

قوله وقرئ كذبا نصبا على الحال الخ قال في الصحاح كذب الرجل بالتخفيف اذا جاء بالكذب وكذب بالتشديد اذا قال لغيره كذبت

قوله وقرات عائشة رضي الله عنها كذب بالذال غير المعجمة الخ قال في الصحاح الكذب بالذال المعجمة الماء الذي يخرج على اظفار الاحداث

قوله وقيل طري الخ قال في الصحاح طري اي غير مملوح

قوله وقال ابن جني اصله من الكذب وهو الفوف الخ قال في الصحاح الفوف بالضم وبالفاء وزغب القطن

قوله وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته الخ قال في الصحاح الصياح الصوت

قوله وقال ابن القميص فاخذه والقاه على وجهه الخ قال في الصحاح القميص معروف والجمع القمص

قوله ما رايت كالبوم ذئبا احلم من هذا الخ قال في الصحاح البوم طائر

قوله وقيل كان في قميص يوسف ثلث آيات الخ قال في الصحاح الآية العلامة

قوله فارتد بصيرا الخ قال في الصحاح ارتد رجع

قوله ودليلا على براءة يوسف الخ قال في الصحاح البراءة من العيوب والتهم والبراء ايضا

قوله حين قد من دبر الخ قال في الصحاح قد القميص شقه

قوله فارتبت محله النصب على الظرف الخ قال في الصحاح الظرف وعاء كل شيء

قوله وجاءوا فوق قميصه بدم كاذب الخ قال في الصحاح فوق نقيض تحت

قوله جاعلا على حماله باجمال الخ قال في الصحاح الحمالة بالكسر ما يتحمل

فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة

أو أوحي إليه بأنهم سيفعلون ذلك وهم لا يشعرون فصبر جميل مبتدأ وخبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفي قراءة أبي فصبرا جميلا والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه إلى الخلق الآتي في قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وقيل هو أن يعاشكم على حالة الوجه بأن لا يكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكوني فقال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان أي أستعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الوجه الذي هو وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف في الجب فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين ألقي فيه يوسف فأرسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم يا بشرى نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا من أوانك وتوى يا بشراي على إضافتها إلى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشرى بالتأنيث على تأويل الكلمة بالبشارة قلب الياء همزة لانكسار ما قبلها وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل البصرة يقولون في دعائهم يا سيدي ومولئ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده إلا أن يقصد الوقف قبل أن أدلى دلوه أي إرسالها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك ليبشرهم به وأسروه الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة وقيل أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه بمصر وعن ابن عباس أن الضمير لإخوة يوسف وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وبضاعة نصب على الحال أي أخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما يبضع من المال للتجارة أي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه إسرارهم أو مرور عيدهم حيث استبضعوا ما ليس لهم أو والله عليم بما فعل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لأنهم كانوا لا يزنون ما لا يبلغ الأوقية وهي أربعون درهما وكانت عشرين دينارا وقيل للقليل معدود لأن الكثير يستحيا من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كان عشرين درهما وكانوا فيه من الزاهدين وكان الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا

اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن رغب عما في يده فيبيعه بما طرف من الثمن لأنهم التقطوه والملتقط للشيء منتهون به لا سائمون عامدة ولا نه خاف أن يعرض له مستحق فينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن ويجوز أن يكون معنى وشروه واشتروه وهو أن الرفقة من إخوته وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم اعتقدوا أنه آبق لخافوا أن يطلبوا بإباقه فيه ويروى أن إخوته شعوبهم يقولون استوثقوا منه لا يأبق وقوله فيه ليس من صلة الزاهدين لأن الصلة لا تتقدم على الموصول الأتراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وإنما معناه كانوا قبل في أي شيء زهدوا وقال زهدوا فيه الذي اشتراه قبل هو فظهير أو اظهير وهو العريز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة لدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي بعل وثوبين أبيضين وقيل أدخلوه السوق يعرضونه فزايدوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنا وحريرا فاشتراه فطيب ذلك المبلغ أكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما أي حسنا مرضيا يدل عليه قوله إنه ربي أحسن مثواي والمراد تفقده بالإحسان وتعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ما كنه في كنفنا وقال للرجل كيف أبو مشواك وأم مشواك لمن ينزل به من الرجال وامرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائه عندك وهل يراعى حق نزوله به واللام في لامرأته متعلقة بقال لا باشتراه عسى أن ينفعنا لعلة إذا اندرت وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له قد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه وكذلك الإشارة إلى ما تقدم من المجيء وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الإنجاء والعطف

التفسير الجليل

وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه
وعلى وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به

مكناله اى كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها
بامره ونهيه ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان عرضنا ليس الا ما علمناه
عاقبته من علم وعمل والله غالب على امره اى على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا يدافع ما يريد ويقضي
او على امر يوسف يدبره ولا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما اراد اوه ولم يكن الا ما اراد الله
ويدبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون
وثلثون واربعون وقيل اثنتان وستون حكما اي حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل
فيه وقيل حكما بين الناس وفقها ولذلك يجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في علمه متقنا في
عمله وان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن ما اخذ الله عالما عهدا
شبيه آتاه الله الحكمة في اكنافه المراودة مفاعلة من الاد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى
خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده
تحيل ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التحيل لمواقعته اياها وغلقت الابواب قيل
كانت سبعة قوي هيت بفتح الهاء وكسرها امر من فتح اتى وبناه كبنا ان وعيط وهيت كجير وهيت
كحيث وهيت بمعنى هيئت يقال لها هي لك اي اتجي اذا تهيأت وهيئت لك واللام من صلة الفعل
وامالة الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك معاذ الله اعوذ بالله
معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي رد فظير احسن مثواي حين قال لك
اكرمي مثواه فاجر آوه ان احلقه في اهله سوء الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون
الذين يجازون الحسن بالسيئ وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى انه
مسبب الاسباب هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال همت ولم افعل وكدت وليتني تركت
على عثمان تنكي حلالله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا اتما اي ولا اكاد ان افعله
كيدا ولا اتم بفعله تماحكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل
عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطتها ومهم بها لولا ان رأى
برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لمخالطتها يحذف لان قوله ومهم
بها يدل عليه كقولك همت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا اني خفت الله لقتلته فان قلت
كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها قلت المراد ان نفسه
الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وحي به مثلا نفسه الهم به والقصد اليه وكل

وكانفسيه صورة تلك الحال التي كاد يذهب بالعقول والعزائم وهو مكبر لها ومزيد بالنظر في
برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولولم يكن ذلك الميل الشديد المتمكن
هما لشدته لما كان صاحبه مذموما عاتبا عند الله بالامتناع لانا نستعظم الصبر على البلاء على
حسب عظم البلاء وشدته ولولا كراهته لكتمها عن غيره لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين
ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لولم اخف الله يريد
مشارفة القتل ومقاربته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم
في قوله ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جايزان ومن حق القارئ اذا اقدر
في وجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله و
هم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا استعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب
لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب متقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها
جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وموضع كاف جيء به من الجلبس مثل كلمة
واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجايز
فان قلت لم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت
به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجوامد ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون
الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن
الله سبحانه قدم الهما بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله
العامل فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطتها وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين
توصلها الى ما موحظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما موحظه من قضاء شهوته منها
لولا ان رأى برهان ربه فتركه التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لو لحقيقة بان
تعلقهم بها وحده وقد فسر همها بيوسف بانه جلس منها مجلس المجامع وباته
حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع
صوتا اتاك واتاها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعبأ به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم يتجه فيه
حتى مثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل
كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص
من شهوته حين همت وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطاير كانه له ريش فلما زنى فقد لا ريش له

الاستعظام عند الناس عطفا على انا
نستعظم صبر عظيما اذا كان الابتلاء
عظيما
اعلم ان السؤال مبني على ان اللام
في قد لنا كون جواب القسم
حاصل السؤال انه لم جعلت لولا بالجملة
الله نقط وما جعلتها متعلقة بها
فانه يمكن ان يكون متعلقة بها لان
الهم لا يتعلق بالجوامد ولكن بالمعاني
وانما تتعلق بالمعاني كالمخالطة والمجالسة
والمقاربة والضرب الذي ذكرناه وكل واحد كان
بها وهو المخالطة اذ المقصود ذلك
مثلا كيف يكون التقدير ولقد همت
به وهم بمخالطتها والمخالطة لا تكون
الا من اثنين فلا يكون مقدورا الا
لاحدهما فالقصد المتعلق بالمخالطة ايضا
لا يتصور من احدهما واذا ثبت انه
لا يكون هم المخالطة الا من اثنين يكون
قوله ولقد همت به وهم بها في معنى ولقد
همما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما
فتبين انه يمكن تعلق لولا بهما فلم لم يقل
انه متعلق بهما فقول المصنف لانا لم
تعليل الامكان تعلق لولا بهما فيكون
حاصل السؤال انه لم لم يقل ان لولا
متعلق بهما بناء على هذه العلة ثم اجاب
ان المصنف بان ما ذكرته حسن
لكن للذكر الله تعالى الحسن مفصلا ولم
يقل ولقد همما دل على انه لم يكن معنى
المفاعلة مقصودا منه ههنا لان الفعل
فصل واغفل ذكر الفاعل ولم

وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم رآى فيها ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبرئيل ادرك عبدى قبل ان تصيبه الخطيئة
فالحظه جبرئيل وهو يقول يا يوسف افعل فعل الشقها وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقبل راى
تمثال العزيز وقيل فاءت المراة الى صنم كان هناك فستره وقالت استحيى ان يرانا فقال يوسف استحيى
ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيى من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يولده
اهل الحشو والجبر الذين دينهم نصف الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم
ورواياتهم فى شىء ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لتعيب عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما تعيب على آدم صلوات الله عليه زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب
وعلى ذى النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع
انه ثبت فى ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولى القوة والعزم ناظرا الى دليل
التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء بما انزل من مركب الاولين ثم فى القرآن الذى هو حجة
على ما ركبته ومصداق لها فلم يقتصر الا على اتيانا حسنة وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له
لسان صدق فى الآخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم وليقتدى به الصالحون الى آخر الدهر
فى العفة وطيب الازار والثبات فى مواقف العثار فاحرى الله اولئك فى ابراهيم ما تودى
الى ان تكون ان نزال الله التوبة التى هى احسن القصص فى القرآن العزيز المبين لتقتدى بنبى
من انبياء الله فى الفعود بين شعب الزانية وفى حل تكته للوقوع عليها وفى ان بها وريته ثلث
كواكب ويصاح به من عنده ثلث صيحات بفواتح القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد
الشديد وبالتشبيه الطائر الذى سقط ريشه حين سقد غير انشاه وهو جاثم فى مرتبصه
لا يحلحل ولا ينتهى لا ينتبه حتى يتداركه الله بجبرئيل وباجنحته ولوان اوخ الزناة واشطرهم
احدهم حدقة واجلحهم وجها لقى باذنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض
ولا عضو تحرك فيه له من مذهبه ما الحشه ومن ضلاله ما ابنه كذلك الكاف منصوب
المحل لا مثل ذلك التثبيت نثبتك او مرفوعه اى الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من
خيانة السيد والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين
اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر

واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم
قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين

بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اى هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم
ملته من ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب
على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا فانتصب
يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب
وقد جمعه فى قوله وغلقت الابواب قلت اراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص
فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل ينتثر ويسقط حتى خرج من الابواب و
قدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه
والفيا سيدها وصادفا بعلها وهو تفعيل تقول المراة لبعلها سيدى وقيل انما لم يقل سيدنا
لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قبل القياه مقبلا بهدان يدخل وقيل جالسا
مع ابن عم للمراة لما اطلع منها ذو جهما على تلك الهيئة المريبة وهى مغالطة على يوسف اذ لم يوائها
جاءت بحيلة جمعت فيها عز صيتها وما تبرئه ساحتها عند زوجها من الريبة والعصب على يوسف
وتخويفه طمعا فى ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ائست من موالاته طوعا الا ترى
الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اى ليس جزاوه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية
بمعنى اى شىء جزاوه الا السجن كما تقول من فى الدار الا زيد فان قلت كيف لم تصرح فى قولها
بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان
يسجن او يعذب ثم زدن ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط
ولما اعترفت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هى راودتنى عن
نفسى ولولا ذلك لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها قيل كان ابن عم لها وانما انفى الله الشهادة
عما لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل
هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان رجلا حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز
ان يكون بعض اهلها فى الدار فنصرها من حيث لا يشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام
بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه تكلم اربعة وهم صغار ابن
ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فان قلت لم سمى قوله شهادة
وما هو بلفظ الشهادة قلت لما ادى مؤدى الشهادة فى ان ثبت به قول يوسف وبطل
قولها سمى شهادة فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت

هو ابن عم لها وقيل كان ابن خال لها صبيا فى المهد فجاء يدخل فرأى يوسف قائما وهى قاعدة فقال يا يوسف
من ابوك فقال فلان الصديق فاخذ فقال ان كان كما تقول فتكلم فانطق الله يوسف فقال ان كنت
تريد ان تعلم فاسكت وانطق الله الصبى فقال يا يوسف لا تغلبن ولا تحزن وان كادك النساء
فان كيدهن عظيم فسكت وقيل كان ابن عم لها صبيا فى المهد فجاء يدخل فرأى يوسف قائما وهى قاعدة فقال
يا يوسف ما تصنع بامرأة سيدك فقال معاذ الله ان سيدى احسن مثواى فلا اخونه فانطق الله الصبى فقال
يا يوسف امض لما امرت به فانك مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء
وقيل كان صبيا فى حجر امه فقال يا يوسف افعل ما امرت به فانك مكتوب فى ديوان الانبياء وتعمل
عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل كان رجلا حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره

وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ان كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا

[illegible]

وهو قول من الاقوال او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ان كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا

ان دل قد قميصه من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها فلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان فرع خلفها فلحقها فتعثرت فمقادم قميصه فتشققه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التذكير فمعناه من جهة يقال هذا قبل ومن جهة يقال هذا دبر وعن ابي اسحق انه مر اسم من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلها علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بتسكين العين فان زلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان علم انه كان قميصه قد وتحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمن عليك باحسانه تريد ان تمنن عليه فلما رآى يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكيدها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم هو وضع الظاهر موضع المضمر كانه قال ما جزاؤك الا السجن او العذاب الاليم والمراد بالاهل المرأة خاصة لان الخطاب لها ولانها اعظم كيدا من النساء لانه اشد في التهالك على الرجال واقوى في التأتي لما يريد منهم وان كان كيد الرجال ايضا عظيما قال الله تعالى في كيد النساء ان كيدهن عظيم وقال يوسف ان ربي بكيدهن عليم وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مقاطن للحديث وفيه تقريبه وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا وجلا حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كما تأنث الثلة والذود ولذلك لم تلحق فعلة تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها وهي في مصر امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تخاطب زوجها والعزيز الملك بلسان العرب فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي شغفها حبا شغف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل

[illegible]

ابن ص

قوله ان احسنت الآية. يعني اگر احسان كرده باشم من نيز احسان كرده ام باتو وكلمات ميان ان للاستقبال فما معنى الاعلام والاخبار اي ان تعلقن او تخبرني بجنس احسنت الى اعلمك اني احسنت اليك فتكون في اول المستقبل وان كانا ماضيين فلذلك في الآية معناها اگر بر اساس اوان بيش آيد است ذن صادق است شرط ماضي معنوي باول مستقبل يعني اگر معلوم شود يا ثابت شود كه بر اساس اوان بيش آيده است

ان الكيد الرجال كان ضعيفا الآية الكيد الرجال كان ضعيفا الا ترى الى قول يوسف كاد كيد الشيطان كان ضعيفا

قوله يغلبن الرجال يعني ان الرجال يصرفون همهم الى امور الحالية وهن يتفقون الى فاكل الا مر الخمسين كذلك في النساء كان همهن مصروفة اليه فلذلك يغلبن الرجال وهو الاشتهاء تغليبهن

وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك ان كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا

وقيل جلدة دقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة: وقد حال هم دون ذلك واجح مكان الشغاف تبتغيه الاصابع: وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل الطالي: وحقا نصب على التمييز في ضلال مبين في خطأ وبعد عن طريق الصواب بكرهن باغيابهن وسوء قالهن وقولهن امرأة العزيز عشق عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كالمخفي المكوفكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بذلك الهيئة وسمي فعل ذهبت متكات والسكاكين في ايديهن اي هيأت وبتهن عندهن ودونه وبشغلن عن نفوسهن منع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا ابهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان يقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخواجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فيكلمنهن بالحجة وللمهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة محتجبات في ايديهن الخواجر تونبه انهن يتبين عليه وقيل متكا مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان ياكل الرجل متكئا وانهن السكاكين لبعا الجن لها ما ياكل وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند فلان طعما على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له مكانا تبكي عليها فاصل جميل فظلنا بنعمة واتكانا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكا طعاما بخرز حز اكان المعنى تعتمد بالكيف لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكا لمدكانه مفتعال وذلك لاشتقاق فتحة الكاف كقوله المنتراج بمعنى بمنتراج ونحو بتباع بمعنى بتبيع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد فاهدت متكة لبني ابيها تخير لها العمة الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شققت بنصفين فحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكى يتكا اذا اتكا اكبرته عظمته وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعن النبي صلى الله عليه مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف

[illegible]

العصمة من النون الشديدة والذكر عصم والوقاية الناقة الصلبة الخافر

الزماورد وزن الزلال وتشديد الميم وتخفيفها هو الوقاق الملفوف باللحم وغيره كانه يتكاء عليه بالسكين

فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين

تضرع فعلى فيه معنى طلب القرب والدعاء باللطف السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها او لطمعها في ان يذلله السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رايا رآه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما راينا ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء

قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس

فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال بتلك الا من يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله بتلك الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحو كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتاويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت يجوز ان يكون كلاما مبتدا وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما راوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك مما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم

وكن اكثر الناس لا تشكرون يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وابآؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك

اليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتهون وقبل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوآئهم فيشركون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره ويوسف عليه السلم ونحوه قولك لصاحبك يا صاحبي الصدق فتضيفها الى الصدق ولا تريد انهما صاحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وتسميهما صاحبين له نهما صاحباك ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ارباب متفرقون يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول ءانت تكون لكل ارباب شتى يتعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما ام يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ورتبا ركب في التوبيخ بل هو الفها الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون من خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسما يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسما فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سمى سمنه بزيد وسمنه زيدا ما انزل الله بها اى بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين اما احد كما يريد الرآئي فيسقي ربه خمرا وهو ساقي الملك يسقيه خمرا عكرمة فيسقي ربه اى يسقي ما يروى به على البناء للمفعول روى انه قال للاول ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل فقضي الامر قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وتناكا ما ان ملت ما استفتياني امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اشتملا به من تيتم الملك وما يجنيا من اجله وظنا ان ما رآياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اى ما تؤل اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رايا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كان صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان هنا يوسف عليه السلم ان كان تاويله بطريقة الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند

فاكله الطير

ان الحكم الا لله

ان لا تعبدوا الا اياه

ذلك الدين القيم

ولكن اكثر الناس لا يعلمون

يا صاحبي السجن

اما احدكما فيسقي ربه خمرا

واما الآخر فيصلب

قضي الامر الذي فيه تستفتيان

ما ان ملت ما استفتياني امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت المراد بالامر ما اشتملا به من تيتم الملك وما يجنيا من اجله وظنا ان ما رآياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اى ما تؤل اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رايا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كان صدقتما او كذبتما ظن انه ناج الظان هنا يوسف عليه السلم ان كان تاويله بطريقة الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند

فاكله الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك

الملك يصفني وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الوطة فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات

الوطة الحبس

فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين

الضمير للشرابي او للفتى الذي نجا منهما

الملك يصفني وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الوطة فانساه الشيطان ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غير بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت نوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره واما الانسآء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما بين اضافة المصدر الى الفاعل والى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجاز اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على يوسف عليه السلم الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلم من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مومن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي بلاء الا الى ربه ولا يعتضد به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا ليلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يعبئه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها ويقول لحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس لاذنا فرج يوسف رآى ملك مصر رويا ان الوليد رويا عجيبة هالته رآى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورآى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات وقد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سماهن جمع سمين وسمينة وكذلك عجاف ونسوة كرام فان قلت هلا ميز فرق بين ابقاع سماهن صفة للمميز وسوبقرات دون المميز وسوع وان يقال سبع بقرات سمان

الضمير للشرابي

الضمير للفتى الذي نجا منهما

الوطة الحبس

الضمير للشرابي

الضمير للفتى الذي نجا منهما

فعل هذا يكون مضافا الى المفعول لكن بحذف المضاف وسوء الاختيار

هذا الانكار انما يكون ظاهرا اذا فسر قوله تعالى فانساه الشيطان بقوله فانسى يوسف ذكر الله تعالى

نقل ابو اسحق الثعلبي ان الملك كان آمن بيوسف عليه السلم واعلن اسلامه وروى ايضا هذا عن مجاهد لكن ينبغي ان يعلم ان ذلك كان بعد هذه الحالة كما سيجيء

بالله الذي يهوله هولا اوقعه مكان مهيل مخوف

قرا ابن كثير وابو عمرو وحفص عن عاصم بالياء على ان الضمير للشرابي وقرا الباقون بالتاء على ان الضمير للفتى الذي نجا منهما

فرق بين ابقاع سماهن صفة للمميز وسوبقرات دون المميز وسوع وان يقال سبع بقرات سمان

يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم تعبرون

اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن
ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت
المميز بالجنس بالسمن فان قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان
الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب
قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز
فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك تقول عندي ثلثة ضخام واربعة غلاظ فان قلت ذاك مما يشكل
وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد
البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك
سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع
عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل
النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان
والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات
على سنبلات خضر فيكون مجرورا بالمحل قلت يؤدي الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات
خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضي
ان يكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك
ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو
قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملأ كانه اراد الاعيان
من العلماء والحكماء واللام في قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين
واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر
عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل
في القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبر آخر او حال وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا
قطعته آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت

حتى تبلغ

قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا

الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر
وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا
اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل
الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى
من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث
احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا
وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه
اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذا الرؤيا رؤى غيرها وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين اما ان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا
تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم
ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير قرئ وادكر بالدال وهو الفصيح وعن الحسن وادكر
بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة
وذلك انه حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله
رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد
امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور
اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امة بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن
قرأ بسكون الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن
انا آتيكم بتاويله فارسلون فابعثوني اليه لاسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس
لم يكن السجن في المدينة المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق
ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه في تاويل رؤياه
ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال لعلي ارجع الى الناس لعلهم
يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا ومعنى
لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك تزرعون
خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون وانما يخرج الامر في صورة
الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المأمور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه

فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف

في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دأبا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدر دأب في العمل وهو حال من المأمورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي دأب فذروه في سنبله لئلا يتسوس ويأكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن تحصنون تحرزون وتخبأون يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد

فلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم

عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن او هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاشى لله تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال يصف بعيرا فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او هو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا

وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين

البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملئكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اي الا وقت رحمة
ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
اي ولكن رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امراة
العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت
بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته
وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن يريد الاعتذار مما كان
منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف ان
ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت كيف صح ان يجعل من
كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله
قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا
تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن
وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد
لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له
جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك
لتهالكهم على بهت الله ورسله يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا
به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة
ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن
ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار
في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة
الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني
اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها
فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت بقرات فوصف
لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها
الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من

واحدها هري وهو الانبار

اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين

الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك اجعلني على خزائن
الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف
وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل
الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله يبعث الانبياء الى العباد
ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك
والدنيا وعن النبي صلى الله عليه رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر
ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل
على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء
من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم
الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا
يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا
ليوسف في ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون
والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله
تحت ملكته وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له
سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك و
اما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته
اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره
وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما
طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال
والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير
والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم
بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل
ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال
فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان

والاجر الآخر خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني
بأخ لكم من أبيكم ألا ترون اني أوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون

لم يبع من احد من المتاجر اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد
الشام عموما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واخبرني بانيا من رحمتنا بعطائنا
في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء من اقتضت الحكمة ان نناله ذلك ولا
نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم في الدنيا ولاجر الآخرة خير لهم قال سفين بن عيينة الورع
يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق
ولاخوته لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم من سن الحداثة ولاعتقادهم
انه قد هلك او لذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التي بلغها
من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طرحا في البئر مترائيا بدراهم معدودة
حتى لو خيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك قد يتبدل الزي ويلبس صاحبه
من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل رأوه على زي فرعون عليه ثياب
الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل
ما رأوه الا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث طلاب الجواء وانما
عرفهم لانه فارقهم وهم رجال ورأى رؤسهم قريبا من رؤسهم اذ ذاك ولان هيئته كانت معهودة
بهم ومعرفتهم فكان شائل وشفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم
اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما تحتاج اليه المسافرون واوقر كابهم بما
جاؤا له من البضاعة وقرئ جهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لابد من مقدمة سبقت
له معهم حتى اجتزؤا القول هذه المسئلة روي انه لما دخل آخر ركب وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم
وما شانكم فاني اظنكم قالوا لا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم
جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق
نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ها هنا
قالوا عشرة قال فان الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد
لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا اننا بلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى
اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده
وكان هذا حسن ان لهم وضيافتهم ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزا

ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون
فالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما
رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا
وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا امتعتهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا

مجرورا عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون
بمعنى النهي سترا وذعنه ابا ه سنجاذ عه عنه وسنحتال حتى ننتزعه من يده وانا
لفاعلون وانا لقادرون على ذلك لا نتعاياه او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نشرط فيه
ولا نتواني لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكيالين اعلم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها وحق الكريم اعطاء
البدل اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم
الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل نحاسا وقيل دراهم زيوفا
ما يرجعون به وقيل لم يروا من الكرم ان ياخذ من ابيه واخيه ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد
البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها ممتنا
الكيل يزيدون قفيز نوفل قفيز فارلم نانتوني به فلا كيل لكم لا نبعكم اذ لا نذهب وامنع الكيل فقد منع الكيل
نكتل نرفع الممانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ نكتل بمعنى نكتل اخونا فيضمنهم
اكتياله الى اكتيالنا او نكتل سببا للاكتيال فان ابتياعه بسببه هل آمنكم يريد انكم قلتم في
يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه في اخيه ثم خستم بضمانكم فما اوثق مني من مثل ذلك ثم قال
فالله خير حافظا فتوكل على الله فيه ودعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خير منك رجلا
ولله درة فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا
ابو هريرة خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يضم علي حفظه ولا يجمع علي مصيبتين
وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع وحكي طرب
ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الصاد ما نبغي للنفي اي ما نبغي في القول ما نقوله
فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزل لنا واكرمنا
كرامة لو كان خلاصا من آن يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبتغي شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان
او على الاستفهام بمعنى اي شئ نطلب وراء هذا او في قراءة ابن مسعود ما نبغي مالنا على مخاطبة
يعقوب معناه اي شئ نطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد
هذه بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي
والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنشتطر لها ونمير اهلنا
ونرجو عنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شئ مما نخافه ونزداد باستصحابه اخيا وسق بعير

ردت الينا وغيرا اهلنا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله
لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة

زائدا على اوسقا ايا عرنا فاي شيء نبغي وهذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير
ايديهما واتما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتنفيس قال ملك هذا اذا افترقت البغي بالطلب فاما اذا افترقتا بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله
هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا للصدق وانتفاء التزيد عن قبلهم فانتصب بالحمل البواقي قلت
اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما
مبتدأ كقولك ونبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه
ويجب ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما ينبغي وما ينطق الا بالصواب فيما تشير به
عليك من تخيير نا مع اخينا قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع
بانا لا انهم لا يبغون في رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي
ذلك كيل قليل لا يكفينا يعنون ما كال لهم فاراد وا ان يزدادوا اليه ما ينال راحتهم او يكون
ذلك اشارة الى كيل بعيرك ذلك الكيل شيء قليل نحبسنا اليه الملك ويرضا نفسا فيه او
سهل عليه متيسر لا يعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير
لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم ان ارسله معكم ميسار لي وقد رأيت منكم ما رأيت
ارسالة معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتاتنني به الا ان تحاط بكم اي تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا قال ملك اخبرني عن حقيقة
هذا الاستثناء فيه اشكال قلت ان تحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله
لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة
من العلل الا لعلة واحدة وهي ان تحاط بكم وهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء
من اعم العام اما ان يكون في النفي وحده فلا بد من تاويله بالنفي ونظيره من الايجاب المتاول
بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت ترد ما طلب منك الا الفعل على ما تقول
من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا
ذوي بهاء وبادة حسنة وقد اشتهر بينهم اهل مصر بالقوة عند الملك والنكرمة الخاصة التي
لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء

وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله
من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال اني

اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك
وفرقهم وفضلهم على الوافدين عليه فحاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم
وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى
لانهم كانوا مجهولين مغمورين من الناس قال ملك وهل للاصابة بالعين وجه صحيح عليه قلت يجوز
ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه و
يكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليميز المحقون من اهل الحشو فيقول المحق هذا فعل الله
ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى
الله عليه انه كان يعوذ الحسن والحسين ويقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل
شيطان وهامة وما اغنى عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما
اثر به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم رأي يعقوب وذهبهم متفرقين شيئا قط حيث اصابهم العلل
ما اصابهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع
في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس
يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله
وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر اوى اليه اخاه ضم اليه يامين وروي انهم
قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم
واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي
يوسف حيا لجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه على مائدته وجعل
يؤاكله وقال اتم عشرة فليتزل كل اثنين منكم بيتا وهذا اثاني له فيكون معي فبات يوسف بضمه
اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال له عشرة بنين اشتقت اسماءهم من اسم
اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من يجد اخا مثلك ولكن لا يلد لك
يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس
تلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما
اعلمك وعن ابن عباس تعرف اليه وعرفه انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس
بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا تفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل السقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت آنا مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرا ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وقرئ صواع وصاع وصوغ وصوغ بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة وانا به زعيم بقوله المؤذن يهدوا انا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله

فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم يقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم فبدا باوعيتهم قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرا الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرا سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه قلت قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا تحنث وكقول ابرهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد

قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز
إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين

وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا أخ له أرادوا به يوسف روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل كان أخذ في صباه صنما لجده أبي أمه فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت لإبراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت فأسرها إضمار على شريطة التفسير تفسيره أنتم شر مكانا وإنما أنث لأن قوله أنتم شر مكانا جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله أنتم شر مكانا بدل من أسرها وفي قراءة ابن مسعود فأسره على التذكير بهذا القول أو الكلام ومعنى أنتم شر مكانا أنتم شر منزلة في السرق لأنكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم والله أعلم بما تصفون يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة وليس الأمر كما تصفون استعطفوه بذكر أبيهم حق أبيهم يعقوب وأنه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأن بنيامين أحب إليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولدا له قد هلك وهو عليه ثكلان وأنه مستأنس بأخيه فخذ أحدنا مكانه بدلا على وجه الاسترهان أو الاستعباد إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك أو من عادتك الإحسان فأجر على عادتك ولا تغيرها معاذ الله هو كلام موجه ظاهره أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه أن الله أمرني وأوحى إلي بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها في ذلك فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله أن نأخذ نعوذ بالله معاذا

قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم
موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا
إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها

من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من وإذا جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل وإذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الأوصاف ويجوز أن يقال هم نجي كما قيل هم صديق لأنه بزنة المصادر وجمع أنجية قال إني إذا ما القوم كانوا أنجيه ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى أي فوجا نجيا أي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا إلى التشاور وكبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا إما فرطتم في يوسف فيه وجوه أن تكون ما صلة أي ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف والنصب عطفا على مفعول ألم تعلموا وهو أباكم كأنه قيل ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وأن تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه أي قدمتموه في حق يوسف من الخيانة العظيمة ومحله الرفع أو النصب على الوجهين فلن أبرح الأرض فلن أفارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي في الانصراف إليه أو يحكم الله لي بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخي أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب وهو خير الحاكمين لأنه لا يحكم أبدا إلا بالعدل والحق وقرئ سرق أي نسب إلى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه لأن الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمناه أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق أو وما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للأمر الخفي حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع في رحله ولم يشعر القرية التي كنا فيها هي مصر أي أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة والعير

العير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء ﴿قال﴾ بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم

﴿قوله تعالى بل سولت لكم﴾ قال في الوسيط قال ابن الانباري يعني جزمهم باخيهم بنيامين الى مصر رجاء منفعة فاعاد من ذلك شرا وضررا وقال غيره معنى قوله بل سولت لكم انفسكم امرا اخبث لكم انفسكم انه سرق وباسرق واقول بهذا الذي رواه عن غير ابن الانباري خير مما ذكره لان الكلام لا يصح ان يقال منهم من التقوى على سوء فعلهم ولا يصح ان يسمى الافك باطلا فتسويل النفس وحيه ايضا ما نقل عن ابن الانباري لان قوله بل لا يليق به اللهم الا ان يقال بل هنا لترك الاول والاخذ فيما هو الاصح

فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه فصبر جميل انه ربما ادى ذلك الرجل ان النار تؤخذ بمرقبته لولا فتواكم وتعليلكم بهم جميعا بيوسف واخيه ورؤبيل وغيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتليني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به يا اسفى اضاف الاسف وهو اشتداد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والنحاة يرون لفظي الاسف ويوسف ما يقع مطبوعا غير متعمل فيه كيدع ونحو إنا قائم الى الارض ارضيتم وتنهون عنه وتاتون عنه الحسنون انتم الحسنون من سابا نبا وعن النبي صلى الله عليه لم تغط امته من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه بعلم بسترجع وانما قال يا اسفى يا ويلتا كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت مؤد ليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزايا فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسه الرزايا في المصيبات بعده ولان الرزء الذي ليوسف كان فاقرا في مصيباته التي تمكنت عليها الوراثة بالي ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق بهم وابيضت عيناه اذا كثر الاستعبار فحفت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قبل ما حدثت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين الوزة فلقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ناظته بالله ساعة قط قال فما بلغ بنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان هلاك نفسه عند الشدائد من احزن هلاك ولده فضبط نفسه حتى لا تخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجملة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل

﴿قوله ورؤبيل﴾ على قوله وقيل من اهل صنعاء

﴿قوله وتولى عنهم﴾ ذكر في الكشاف ان الاسف الحزن على ما فات وقد يطلق على الغضب على من فعل بك ما يوجب غضبك عليه ولعل المراد هنا المعنى الثاني

﴿قوله يا اسفى﴾ ذكر في الكشاف ان الالف بدل من ياء الاضافة وان الالف اكثر ما تكون في الندبة كقوله يا ابتا علك او عساكا وقد تجيء في غيرها كقوله يا اسفا على يوسف وقد قرئ بها في الشواذ

﴿قوله ورؤبيل﴾ على قوله وقيل من اهل صنعاء

﴿قوله وتولى عنهم﴾ ذكر في الكشاف ان الاسف الحزن على ما فات وقد يطلق على الغضب على من فعل بك ما يوجب غضبك عليه ولعل المراد هنا المعنى الثاني

﴿قوله يا اسفى﴾ ذكر في الكشاف ان الالف بدل من ياء الاضافة وان الالف اكثر ما تكون في الندبة كقوله يا ابتا علك او عساكا وقد تجيء في غيرها كقوله يا اسفا على يوسف وقد قرئ بها في الشواذ

قال الله تعالى وتذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم هو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما بهم وتعلم بفعل يعمل بمفعول يدلك قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بكظامه تغشوا راد لا نفتا فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحو فقلت يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا نفتا لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتور والفتور احون من زال وما فتئ يفعل قال اوس ما فتئت جل ثيوب وتدعى وتلحى منها لاحن وتقطع حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر في الصفة حرض بكسر الراء ومحمد ذئب وذئب وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحو في الصفات رجل جنب وعربت البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثة امره وابثه اياه ومعنى تذكر يوسف تفتؤ تذكره انما اشكو الى الله لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي واعباله وملجئي اليه فلا تلوموني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي عنوني عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جارية له فقال يا يعقوب قد هشمك وفتك وما بلغ من السن ما بلغ اولك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من بثي يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام بابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله منوحتى فاطلبه وقوا الحسن حرفا بفتحتين وحرفي بفتحتين فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقوي بالجيم كما قوي بهما في المحراب ومما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمتاع الانسان اجواسه واجواسه

﴿قوله ومن الحزن الحزن﴾ على قوله من الحزن

﴿قوله ومن الحزن الحزن﴾ على قوله من الحزن

﴿قوله ومن الحزن الحزن﴾ على قوله من الحزن

فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين

من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيا بها العباد الضر الهزال من الشدة والجوع مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا صلى الله عليه وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغي بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب

قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين

اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك واللام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم باخيه قلت تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قرئ ائنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفي قراءة ابي آئنك او انت يوسف على معنى آئنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فان قلت كيف عرفوه قلت رأوا في رؤيائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان قلت قد سألوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما لهم قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سألوه عنه من يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين لقد آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شأننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك لا تثريب عليكم لا تأنيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر

لانه اذا ذهب الى آخره وقوله فضرب عطف على الجملة الشرطية وهو قوله اذا ذهب الى آخره وقوله مثلا يعني شبه التأنيب والعتب الذي يمزق الاعراض بالتثريب الذي يلزم منه غاية الهزال وهو الشرط والضمير للتغير والتألم

واذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا وأتوني بأهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان
تفندون قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله مالا تعلمون

الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم
يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى
ان رسول الله صلى الله عليه اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم وروى ان اباسفيان لما اسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاسأله
عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك وروى ان اخوته لما
عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك
فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من
بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حتى علم الناس انكم
اخوتي وانتي من حفدة ابراهيم اذهبوا فميصي هذا هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ
يوسف وكان من الجنة امر جبريل ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم
الا عوفي بابي بصيرا اي بصيرا كقولك جاءا لبناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او بابي
الي وهو بصير وينصره قوله وائتوني بأهلكم اي بأبي وبأمي لي وبأهلي له جميعا وقيل لهوذا مر
الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف
حافر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا فصلت العير خرجت من عريش مصر
يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير
قال لولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح يوسف او جدده الله ريح القميص حين اقبل
من مسيرة ثمان والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند
ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا ان تفندوني
اي تسفهوني لصدقتموني لعلي صلالك القديم اي ذهابك عن الصواب قديما في افراط محبتك ليوسف
ولهجك بذكره وزجاءك للقائه وكان عندهم انه قد مات القاه طرح البشير القميص على وجهه
يعقوب او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال ردده فارتد وارتده اذا ارجعه لم اقل
لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا يأتيا سوا من روح الله وقوله اني اعلم كلاما مسندا
لم يقع عليه القول ولك ان تقع عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما
لا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال يا اصنع بالملك على اي دين
قبل ذلك انه اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون

تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة سوف استغفر لكم قيل اخر الاستغفار الى وقت
السحر وقيل الى ليلة الجمعة لتتحد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة واخلاصها
وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين
سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي ما جرى علي يوسف
وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
وروي انهم قالوا له وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوك ان لم يعف عنا ربنا فان لم يرحمنا
لبكاك بالعفو فلما قرب لنا عمرا بدا فاستقبل الشيخ القبلة فارفعوا وقام يوسف خلفه
يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل
جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف
في استيناتهم فلما دخلوا على يوسف قبل وجه يوسف الى ابيه جهازا وماتي راحلة لبنيامين
اليه من مكة وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا
يعقوب وسويمشي متوكئا على هوذا فنظر الى الجند والتاج فقال يا هوذا اهذا فرعون مصر
قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له
لما التقيا يا ابه بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان
تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولد مدخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين
رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى وهم ستمائة الف وعسكره وبضعة وسبعون رجلا
سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابوه ضمها اليه
واعتنقها قال ابن ابي اسحق كانت امنه تخبأ وقيل بنا ابن وخالته مائتا امنه فتزوجها وجلها
احد الابوين لان الرابة تدعى امنا لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه
قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق بان بلت ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
بلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا عليه وضم اليه ابويه ثم قال لهم
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فلما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم
ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خر
في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه
بالضم والارعشاني وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر ان بلت بم تعلق المشبة بلت بالدخول

ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا

ان تكون سوء الحال والانكسار من
الحزن وقد كتب الرجل كتابة
وكاتبه مثل راقه وراقبه
اي نفدت طاقتهم

قال ايكاء اذا نصبت له شركا
وقال الكسائي على التي او مثل
المعاض شركا

وقد كتب بدل الاشمال
بين انها بدل من الجزء الاخير

الضمير في له يعود الى يعقوب
وروى انه سجد له يوسف

مكيفا بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل لهم أسلموا وآمنوا في دخولكم إن شاء الله
ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما إن شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا
بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف
الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير أن
قوله إن شاء الله من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله سوف أستغفر لكم ربي في كلام
يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره فإن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله قلت
كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها
مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير
الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل معناه وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا أيضا
فيه نبوة يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة
من البدو من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش يتنقلون في المياه والمناجع نزغ
أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه
لطيف لما يشاء لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي أن يوسف
أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي
وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال أمرني جبريل قال أوما تسأله
قال أنت أبسط إليه مني فسله قال جبريل الله أمرني بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب
قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه
بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلثا وعشرين
سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه
فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا
في دفنه كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقا من
مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا
واحدا وولد له إفرائيم وميشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد
توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف

وآبائه إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه من في من الملك ومن تأويل الأحاديث للتبعيض لأنه لم
يؤت إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل أنت وليي أنت الذي تتولاني بالنعمة
في الدارين وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن
يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ويجوز أن يكون
تمنيا للموت على ما قيل وألحقني بالصالحين من آبائي أو على العموم وعن عمر بن عبد العزيز أن ميمون
بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا
أحييت سنتا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال أفلا أكون كالعبد الصالح
لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفني مسلما وألحقني بالصالحين فإن قلت علام انتصب
فاطر السموات قلت على أنه وصف لقوله رب كقولك أخا زيد حسن الوجه أو على النداء
ذلك إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ومحله الابتداء وقوله من أنباء
الغيب نوحيه إليك خبران ويجوز أن يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن أنباء الغيب صلته
ونوحيه الخبر والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب
حين أجمعوا أمرهم وهو إلقاؤهم أخاهم في البئر لقوله وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب و
هذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من جملة هذا الحديث
وأشباهه ولا لقي فيها أحدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فإذا أخبر به وقصه هذا القصص
العجيب الذي أعجز جملته ورواته لم يقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه
تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما
كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل
وما أكثر الناس يريد العموم كقوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس أراد أهل مكة
أي وما هم بمؤمنين ولو حرصت وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما
تسألهم على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى جملة الأحاديث
والأخبار إن هو إلا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول
من رسله من آية من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده يمرون عليها ويشاهدونها
وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والأرض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها
خبره وقرأ السدي الأرض بالنصب على ويطؤون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله

وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي أدعو إلى الله
على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا

والأرض يمشون عليها يرفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر وما
يؤمن أكثرهم في إقرارهم بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض الا وهم مشركون بعبادة الوثن
وعن الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان وعن ابن عباس هم الذين يشهدون أن الله خالقه غاشية
نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب وتجللهم وقيل الصواعق هذه سبيلي هذه السبيل التي هي
الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله
أدعو إلى الله على بصيرة أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء وأنا تأكيد للمستتر في
أدعو ومن اتبعني عطف عليه يريد أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون أنا مبتدأ
وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على أنا إخبارا مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان
لا على هوى ويجوز أن يكون على بصيرة حالا من أدعو عاملة الرفع في أنا ومن اتبعني وسبحان الله
وأنزهه من الشرك إلا رجالا لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وعن
ابن عباس ما بعث الله نبيا امرأة ولم ينزل نبيا الله ذكرانا وقرئ
نوحي إليهم بالنون من أهل القرى لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة
ولدار الآخرة ولدار الساعة أو الحال الآخرة خير للذين اتقوا الله فلم يشركوا
به ولم يعصوه وقرئ أفلا يعقلون بالياء والتاء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فتأخر نصرهم حتى إذا استيأس الرسل من النصر وظنوا أنهم قد
كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو ظنوا أن قومهم لما طال عليهم البلاء كذبوهم
والمعنى أن مدة التكذيب والعذاب من الكفار وانتظار النصر من الله وتأخيله قد تطاولت
عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا بالجا
من غير احتساب وعن ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من
النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويحدث في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية وأما الظن الذي هو ترجح أحد المجوزين على الآخر فغير جائز
على أحد من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأتقه منعال عن خلف الميعاد
منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أي أخلفوا أو وظن المرسل إليهم
أنهم كذبوا من جهة الرسل أي كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ

وما هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون
ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون إن الله لا يظلم الناس شيئا
ولكن الناس أنفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين

كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم
وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم
من النصر إما على نادبة ابن عباس وإما على أن قومهم إذا لم يروا ولم يعد بهم أثرا قالوا لهم إنكم
قد كذبتمونا فيكون كاذبين عندهم او وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا ولو قوي
هذا مشددا لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم قوي فنجي بالتخفيف
والتشديد من أنجاه ونجاه وفتح على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد
بمن نشاء المؤمنون لأنهم الذين ينشاهلون أن ينجيهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن
القوم المجرمين الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم وقيل هو راجع إلى
يوسف وإخوته فإن قلت فلم لم يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فمن قرأ بالكسر
قلت إلى القرآن لما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه أي
جملة من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج إليه في الدين لأنه الفاذ الذي يستند إليه
السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان
وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه على أرقائكم
سورة يوسف فاتنا أتيتم مسلما علاما وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت

سورة الرعد مختلف واعطاه القوة أن لا يحدث مسلما فنهاه وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك إشارة إلى آيات السورة والمراد بالكتاب
السورة أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها قال والذي أنزل إليك من
القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لأحد هذه السورة وحدها وفي أسلوب هذا الكلام
قول الأمارة بالسوء كأخلفه المقنعة لا يدري أين طرفاها ثم قيل الله مبتدأ والذي خبره
بدليل قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الذي مدا الأرض ويجوز أن يكون صفة وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات جميعا
بعد خبر وبنصره ما تقدمه من ذكر آيات رفع السموات بغير عمد ترونها كذلك شاهدا
استشهادا برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد ويعضده قراءة أبي ترونها وقرئ عمد
يدبر الأمر يدبر أمر ملكوته ويبينه يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم توقنون بالبعث
وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه وقرأ الحسن يدبر بالنون جعل فيها روجين
اثنين خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مد الأرض فتكاثرت بعد ذلك وتنوعت

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات
وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وإن تعجب فعجب قولهم
أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد
الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به
ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها والآصال ولله يسجد ما في السموات والأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم
ويفعلون ما يؤمرون قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي
الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل
زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض
كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم
وبئس المهاد أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل
ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار
جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا
وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك
وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا
أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد
ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض
أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق
مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك
ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم
ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه
وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

٢٤٤

وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا انا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب

وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء وتفضل بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كان الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ائذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه لهم عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر

قوله وان تعجب الجزاء محذوف اي وان تعجب يكن عجبك في المقام غير مستبدع ولا مستغرب لان قولهم شيء يتعجب منه ثم ان العجب في فعجب بمعنى ما يتعجب منه

كانهم قالوا ائذا كنا ترابا نبعث ثم استانفوا الانكار بقولهم ائنا

قوله فلا يستهزئوا جواب النفي لان الاعتبار عدم الاستهزاء كما اذا قلت ما تأتينا فتحدثنا يكون الاتيان سبب الحديث وفي بعض النسخ لم يعتبروا ليستهزئوا وذلك لان عدم الاعتبار سبب الاستهزاء كانه قيل لم تركوا الاعتبار ليكون تركي الاعتبار سبب الاستهزاء فكانهم تركوا الاعتبار ليستهزئوا

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار

بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه عنادا فاقترحوا نحو آيات عيسى وموسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تأخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي رحمه الله والى خمس عند مالك

يعني ان غاض جاء لازما ومتعديا وهذا من المتعدي وان يزداد جاء متعديا بمعنى زاد

هو شريك بن عبد الله

عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وساربٌ بالنهار له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله

وقيل ان الضحاك ولد لستين وهو مع جنان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي ضحاكا
ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم جمل كل انثى ويعلم غيض
الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوفاه واخواله ويجوز ان يراد غيض
ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين
ويعضده قول الحسن الغيض ما نقص لتمامه اشهرا او اقل من ذلك والازدياد ان يلد
على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار
بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان
الذي كل شيء دونه المتعالي المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى
عنها ساربٌ ذاهبٌ في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض ذهب والمعنى
سواء عنده من استخفى لطلب الخفاء مختبئا بالليل في ظلمته ومن هو مضطرب في الطرق ظاهرا
بالنهار ينظره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب
بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستفاد من سواء والساري والمستخفي فقد تناول واحدا منهما مستخف وساربٌ
قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وساربٌ عطف على من هو مستخف عليه على مستخف والثاني
انه عطف على مستخف الا ان من مع معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل
سواء منكم اثنان مستخف بالليل وساربٌ بالنهار والضمير في له لمرددٍ على من كانه قيل لمن اسر
ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملئكة تعتقب في حفظه وكلاءته
والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وما المعذرون من معنى المعتذرون ويجوز
معقبات بكسر العين على ان يقرأ به او من عقبه اذا جاء على عقبه كابقال فعاه لان
بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه لحفظونه من امر الله من صلة
جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله اي لحفظونه من اجل امر
الله اي من اجل ان الله امرهم لحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر
بن محمد وعكرمة لحفظونه بامر الله او لحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له عليه
ومنالهم ان تهمله رجاء ان يتوب ويثيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل
هم عن ذكر ربهم معرضون او لحفظونه من اجل امر الله اي بامره حين امرهم بحفظه
من قضاياه ونوازله او على التمثيل به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والتاء عوض

وقيل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا
وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله
وهو شديد المحال

من حذف احد الفاعلين في الكثير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما
بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من والٍ من تلى امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا او يصح
ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي
ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه
في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف
والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب
فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق وقيل يخاف المطر
من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ويرجى المطر من
لا منفع له الا بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويخافه السحاب اسم الجنس الواحدة
سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء
كرام وسمي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده اي يسبح سامعوه الرعد من العباد والزاجر للمطر
حامدين له اي يقولون سبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه انه كان يقول سبحان من يسبح
الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت
النبي صلى الله عليه عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المنصوفة الرعد صعقات
الملئكة والبرق زفرات اجنحتهم والمطر بكاؤهم والملئكة من خيفته ويسبح الملئكة من
هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستوى الظاهر والخفي عنده ومادل على قدرته
الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون
في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم
من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام
المتولدة بقولهم الملئكة بنات الله فيداحدهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن
ربيعة العامري قال للرسول الله حين وفد عليه عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فمن الله عامرا
بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتله اخبرني عن ربنا

لدعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين
إلا في ضلال ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والأرض قل الله

أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا

أو أنهم لا يقدرون أن يمنعوا عليه وتنفاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد
والتقلص والفيء والزوال وتؤي بالغدوة والآصال من أصلوا إذا دخلوا في الأصيل لله الله حكاية
لإعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا ثبت أن الله هو منزل السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله
كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه
هذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي إقراره عليه ويسكتانه منه ثم يقول
له فلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي أن لكم أن تجاوبوا عن الجواب فلقنهم فإنهم
يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه أفاتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب
التوحيد من عليكم وإقراركم سبب الإشراك لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون
لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وفداؤتموهم على
الخالق الرازق المثيب المعاقب أم أين صلا لتكم أم جعلوا بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار
وجعلوا صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم
خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قد رهو لاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذوه
له شركاء أو نعبدهم كما يعبد الله لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق
كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة
وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب مقهور هذا مثل ضربه
الله للحق وأهله وللباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما
مثل الحق وأهله بالماء الذي نزله من السماء تسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع
المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة
ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء
ظاهر أثبت إلى الآفي منافعه وتبقى آثاره في العيون والبيار والحبوب والثمار التي نبتت
به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة مطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله
ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو
فوقه إذا أذيب فإن قلت لم ذكرت الأودية قلت لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المنافع
من البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض فإن قلت فما معنى قوله بقدرها قلت

أبعد أن علموه رب السموات
والأرض اتخذتم من دونه أولياء لم

أم جعلوا لله شركاء قل أفلا ضر فلا نفع دلا أفلا يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله

أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا

أو أنهم لا يقدرون أن يمنعوا عليه وتنفاد له ظلالهم أيضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد
والتقلص والفيء والزوال وتؤي بالغدوة والآصال من أصلوا إذا دخلوا في الأصيل لله الله حكاية
لإعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا ثبت أن الله هو منزل السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله
كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه
هذا قولك فإذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي إقراره عليه واستبقاءه منه ثم يقول
له فلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز أن يكون تلقينا أي أن لكم أن تجاوبوا عن الجواب فلقنهم فإنهم
يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه أفاتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب
التوحيد من عليكم وإقراركم سبب الإشراك لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون
لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعونه لغيرهم وفداؤتموهم على
الخالق الرازق المثيب المعاقب أم أين صلا لتكم أم جعلوا بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار
وجعلوا صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم
خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قد رهو لاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فتخذوه
له شركاء أو نعبدهم كما يعبد الله لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين
لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق
كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة
وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب مقهور هذا مثل ضربه
الله للحق وأهله وللباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما
مثل الحق وأهله بالماء الذي نزله من السماء تسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع
المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة
ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء
ظاهر أثبت إلى الآفي منافعه وتبقى آثاره في العيون والبيار والحبوب والثمار التي نبتت
به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة مطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله
ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو
فوقه إذا أذيب فإن قلت لم ذكرت الأودية قلت لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المنافع
من البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض فإن قلت فما معنى قوله بقدرها قلت

أبعد أن علموه رب السموات
والأرض اتخذتم من دونه أولياء لم

ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك
يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب وما ولهم
وبئس المهاد افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق

بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس
لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض
الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت
الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع
الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب
وهو الحلية والمتاع وقوله ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة
لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء
في ذكر الآجر اوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اي يرمي به
وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي
حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان ياكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين
استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا و
للكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا
الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام
عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين
استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في
حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه
شيء دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان يقع شبهة بعد ما ضرب من المثل
في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر
فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين
عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم
عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي
الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه
من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ما امر الله به ان

والذين يصلون ما امر الله ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار

يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب
الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم
والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود
جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب
حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم
قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان
كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله
ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا صبروا مطلق فيما يصبر
عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكاليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره
واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا ليلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله
وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت
ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به
كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعله كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان
الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل
والفرائض لوجوب المجاهرة نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس
يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا
ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا
امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة
الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل
نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها
على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا
تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم
سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله
بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم
من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله

الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك

بما قد ارى فيها او انس بدنا وعن النبي صلى الله عليه انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان تعلق بسلام اي يسلم عليكم وتذكركم بصبركم من بعد ميثاقه من بعد ما او ثقوه به من الاعتراف والقبول سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبئسها عذابها الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس الا شيئا مزريا يتمتع به كتمتع الراكب وسي ما يتحلله من تمرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق جوابهم لو لا انزل عليه آية من ربه قولهم قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى النتيجة من قولهم وذلك ان آيات البينة المنكثرة التي ادنيها رسول الله لم يوتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية ورأوا كل آية فاذا اجحدوها ولم يعدوا بها وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة التكبة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان نزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير والذين آمنوا بدل من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكوره رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكره دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطبت لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالنصب والرفع تدل على محلتها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الزعراني طيبى لهم فكر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شان وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امتك قد تقدمتها امم كثيرة مضى آخرها الامم وانت خاتم الانبياء

هم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا

لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون وحالهم هو كذا انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اتى فلان اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا بعض ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القرآن وتجليله وقد يجاء ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان اباجهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فتتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست بأهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لركبها وتجر الى الشام ميرتنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا احدا من موتانا من مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعلى القرآن متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا انه علم بانه لا مصلحة في اظهارها مفسدة بصرفه والثاني لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه نفى امر التكليف على الاخيار وبعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليأس عن الشيء علم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال يجمز بن زبال الباهلي

اقول لهم بالشعب اذ يسفرونني الم ييأسوا اني ابن فارس زهدم

وبذل عليه ان عليا وابن عباس

ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من
قبلك فاميلت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبئونه بما لا يعلم

وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو
ناعس مستوى السنات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ناعسا بين كفتي الامام وكان منقلبا في يديه
اولئك الاعلام المحاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه حضوصا
ان يغفلوا ان لو يشاء الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا ولهذا ايهم تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما تحل
الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة
قريبا منهم فيقرعون ويضطربون وتطاير اليهم شرارها وتتعدى اليهم شرورها حتى يأتي
وعد الله وموعوده بهم او القيمة وقيل لا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من
العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتخطف
منهم وتصيب منهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى
يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك اجمالا لا امحالة وان تتركك ملاوة
من الدهر في خفض وامن كالبهيمة تلهى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات
على رسول الله استهزاء به وتسلية له امن هو قايم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله
الذي هو قايم ورقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه
كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا ومثله افمن
هو لهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم
اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم وبينوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه على ام المنقطعة
كقولك الرجل هل عندك من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل انبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض
وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي
ان يكون له شركاء ونحوه قل انبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من القول
بل زين لهم شركاؤهم باطل من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا احتجاج واسالبه العجيبة التي ورد عليها
مناد على نفسه بلسان طلق وابى انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله

احسن الخالقين وقرئ ينبئونه بالتخفيف مكرهم كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا وقرئ بالحركات
الثلث وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله لعلمه انه لا تهدي فماله من
هاد فماله من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا وهو ما ينالهم من القتل والاسر
وسايرها المحن ولعذاب الآخرة اشق لتخلدهم الابد وعقوبتهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم
من حافظ من عذابه او ما لهم من جهنم واق من الحمة مثل الحمة صفتها التي هي في غرابة المثل
وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال
غيره الخبر تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة
جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف ثم لما غاب عنا بما شاهدنا وقرأ علي رضي
الله عنه امثال الجنة على الجمع اي صفاتها اكلها دايم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها
دايم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن
سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان
وثلثون بارض الحبشة هو لا يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن الاحزاب اخراجهم وهم
كفرتهم الذين حزبوا على رسول الله بالعداوة كحيي بن اخطب وكعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب
اسقفي نجران واشياعهما من يهود بعضه لانهم كانوا ينكرون الا قاصيص وبعض الاحكام
والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول
الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان
اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت بما انزل الي بان اعبد
الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا لانفسكم ونبه ان انكارهم
وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا وقرأ نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف
كانه قال وانا لا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال والحال انا لا اشرك به ويجوز ان يكون
في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا اليه ادعو الى
غيره واليه لا الى غيره مرجعي واليه تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه
ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه حكما عربيا
والانذار بدأ بالحكم اي حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون

ان الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فماله من هاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة
اشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دايم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين
آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب وكذلك انزلناه حكما عربيا

ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من ولي ولا واق ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما كان لرسول ان يأتي
الا باذن الله لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب
اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

رسول الله الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن
تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة
خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج
والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد
استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان كانوا يعيبونه بالزواج
والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات
وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا
بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال و
الاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم
يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه
غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة
كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم
وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار
وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب
وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما نرينك وكيف ما دارت
الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك
فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا
يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفر ننقصها من
اطرافها بما يفتح على المسلمين من بلادهم فتنقص دار الحرب وتزيد في دار الاسلام وذلك من
آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون
سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن
نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي
لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد
لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي
يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب

انما يفيد الحصر في المذكور اخرا فيكون المعنى عليك تبليغ الرسالة لا غير التبليغ واما قوله تعالى وعلينا الحساب فهو عطف على قوله انما عليك البلاغ لا على قوله عليك البلاغ فلذلك افاد الحصر في علينا فتأمل

وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد

قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى
الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا
فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله
يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من
قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك
بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل نفس واعد
لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار
والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش
وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده
علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر
وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله
عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق
العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم ويعضده قراءة من قرأ
ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه
وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب
فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر
في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة او غل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول
فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في
الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة

سورة ابراهيم مكية وبعث يوم القيمة من المؤمنين بعهد الله وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ لتخرج الناس
والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن
الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله
الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف

حمل المظلوم على محل المعقب لانه فاعل اضيف اليه المصدر وقوله طلب نصب على المصدر من تهجر او هاج

قوله لما اظهر تعليل لقوله كفى الى آخره من حيث المعنى فكانه قيل شهد الله على نبوتي لما اظهر اي لاظهاره وما مصدرية

قوله والمعنى الى آخره اشار الى فائدة ذكره تعالى ذاته بكلمتين اعني قوله بالله وقوله وقوله ومن عنده

الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشآء وهو العزيز الحكيم

كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه
جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا
وقرئ بالرفع على هو الله الويل نقيض الوآل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يتفوه منه
فعلا تقول ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل
له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين
بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون
من عذاب شديد ويقولون ياويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون
مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم
او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار
وهو استفعال من الحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها و
افضل عندها من الآخر وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا
واصده قال اناس اصد واالناس السيف عنهم والمعنى فيه داخلة على صد صدودا
لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة
كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده وقوفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا
ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير
مستوية والاصل وبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل فخرج ضلال بعيدا اى ضلوا عن طريق
الحق وتعوادوه بمراحل فان قلت ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من
الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوصف به
فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد ذو ضلال بعيد اى بعد فيه بعدا لان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا الا بلسان قومه ليبين لهم اى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه
فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا
لولا فصلت آياته فان قلت لم بعث رسول الله صلى الله عليه الى العرب وحدهم وانما
بعث الى الثقلين جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الى الثقلين وهم على السنة
مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمة لم تكن
للعرب حجة ايضا قلت لا خلو اما ان تهتدي بجمع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله

صدود الشواني عن لوم الحليم
الشواني الرياح والحزم انف
الجبل يقول هم اناس صدوا
الاعداء عن انفسهم كما يصد
الريح عن انوف الجبال

قوله ليبين هو الظاهر اشارة الى انه كناية
عن الفقد اى الفهم من لوازم
التبيين ثم اشار الى ان مفعوله
محذوف وهو ما يدعوهم اليه

وارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور

بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي المطول فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان افلى
الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه بينوه وبثوه وتقل عنهم وانتشر
فامت الحجة ببيانه وتفهمه كما ترى الحال وتشاهدها من بناية البراجم في كل امة من امم
العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار المتناوحة والامم المختلفة والاجيال
المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك
من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية
الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو
نزل بالسنة التفليس كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها
وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها كلاما تعرفه بنلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا
فيها من الالتجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالرشن
والرشاء بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان
كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وروي عن الضحاك
ان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم
ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء العربية ليبين للعرب و
هذا معنى ظاهر فيضل الله من يشآء ويهدي من يشآء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا
يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد باضلال التخلية ومنع
الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب
على مشيئته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ان اخرج بمعنى اى
اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان
الناصبة للفعل وانما صح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تاويل المصدر
وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون ان الناصبة للفعل
قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم
بايام الله وانذرهم بوقايعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وسماها ايام العرب
لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الكلاب ويوم فيفاء وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس
نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر

الحكم الوقف العظيم يريد موضع الكر
الفعل عليهم اى اشتغلوا واهتموا
الجر اى الجر بالكسرة

قيل حق الكلام ان اخرج
قومك وذكرهم فان الانذار
يعدى الى المفعول الثاني بنفسه
وقيل حذف الجار وافضى الفعل
وقعت من تقدمهم

وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد

وأتانا بآذوه فإهلاك القرون الكفار تكون بصبر على بلا الله وشكر نعماه فاذا سمع بما أنزل الله من البلا على الأمم او أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل أراد لكل مؤمن لأن الشكر والصبر من سجايا المؤمن نبههما عليهم إذ أنجاكم ظرف للنعمة بمعنى الإنعام اى أنعامه عليكم ذلك الوقت قال لك لم جوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام او غير صلة اذا أردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل عليكم فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اى اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال قال لك في سورة البقرة يذبحون وفي الأعراف يقتلون وهاهنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان الذبح حيث طرح الواو وجعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل الذبح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر قال لك كيف كان فعل آل فرعون لأمرهم قلت تركبهم وإبهامهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير

فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو وإذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه بالعطف على قوله نعمة الله عليكم كأنه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم و اذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم ونظير تأذن وآذن توعد واوعد وتفعل وافعل لا يدع تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل واذ آذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ نادى ربكم فقال لئن شكرتم او اوجوكم تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربك لئن شكرتم اى لئن شكرتم يا معشر اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح لأزيدنكم نعمة الى نعمة ولأصاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وعظتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكنه انعمه وايادية وان لم تحمده الحامدون والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدإ وخبر

ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين

ونعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلثمائة اب لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يكذبون على الانساب وقد نفى علمها عن العباد فردوا ايديهم في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء ممن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اى هذا جوابكم ليس عندنا غير افحاطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للأنبياء اطبقوا افواهكم وانكفوا او ردوها في افواه الأنبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم تسكتونهم ولا يدرون انهم يتكلمون وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي اى ردوا النعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي اليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم وجعلوها في حيث جاءت منه على طريق المثل ما تدعونا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وسمي الشك النفساني ان لا تطمئن الى الأمر اعني الله شك أدخلت همزة الانكار على التقرب لأن الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وتناصرها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اى يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لأجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته لباكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل أدلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يتفق عليه الأستقرا وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولأن لا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ويؤخركم بتأخير آجالكم الى أجل مسمى الى وقت قدرناه وبين مقداره يبقيكم ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لنا عليكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون

فلبى مسور ان المعنى دعوته فاجاب فكان مجابا دعاءه بان يكون مجابا كان مجيبا وذكر الله بن على سبيل الالهام حذفا والتقدير دعوته فاجاب

قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ان لا نتوكل على الله ولقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد

بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ان نحن الا بشر مثلكم تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشية الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا ان لا نتوكل على الله ومعناه واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم لنخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون

فاستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ

فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان يستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه لا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وامهم وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم

ضل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد الم تر
ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء

مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد مبتدأ للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة
مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل
اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك
صفة زيد عرضه مصون ومالة مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير
مثل اعمالهم وكرماد الحمر وقوى الرياح في يوم عاصف جعل العصف للريح وهو لما فيه
وهو الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكنة واتى بالنكرة وانما التنكير لوصفها وقرئ في يوم عاصف
بالاضافة واعمال الكفرة المكاييل التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفك الاسارى
وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها
وذهابها هباء منثورا بالسماء على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجه برماد
طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا
من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطيرة في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد
ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب بالحق لحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها
عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم اي موفاد على ان يعدم الناس
ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلانا منه بانفراده على اعدام الموجود
وايجاد المعدوم بقدرة على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز ممتنع بل هو هين
عليه يسير لانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا اخلص له الداعي
الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كخبر بكل اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم
يعترض دونه صارف وهذه آية بينة لاعادتهم في الضلال وعظيم خطائهم في الكفر بالله
لو ضموا آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان
نعبده ونخاف عقابه ونرجي ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله ويبرزون يوم القيمة وانما
جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحو ونادى
اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائره له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه
شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف
على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او
خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه فان قلت لم كتب الضعفاء بالواو وقبل انهم قلت

كتب على لفظ من يجيء الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علموا بنى اسرائيل والضعفاء
الاتباع والعوام والذين استكبروا اسادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم
وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا بمعنى جمع تابع على تبع كغوي وغوي وخادم
وغائب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان قلت اي شيء مغنون من
من عذاب الله وبعده في من شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم
مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا
بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدانا الله
لهديناكم قلت الذي قالوا لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم
وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التهكم لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم
فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هدانا الى الايمان لهديناكم ولم يضلوهم
انما مورد كيد الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا آباؤنا ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه
في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون
لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا
لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاعتنينا
عنكم ولكنا بكم طريق النجاة كما سلكتم بنا سبل الهلكة سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان
علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحو اصبروا او لا تصبروا واسواء عليكم وقرئ
انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر
فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت
اتصاله به من حيث ان عنا بمعنى لنا كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا ما لنا مدفوع انفسهم واياهم لاجناعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون
ما هذا الجزع والنوح ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اطم والم قالوا
لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم والجأناكم ان نبعوه الاشاط من النجاة فقالوا اما لنا من محيص
اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل قالوا
جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت

ان الذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص

وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم

وقال حاضر عنه وحاض بمعنى واحد لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر
الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا
في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال
ووعدتكم ووعدكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر
فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي
وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما جئتهم الا الضرب فلا تلوموني ولوموا
انفسكم حيث اغررتموني واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على
ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين
ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى
عليكم الكفر واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لم يصح التعلق به قلت
لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل
في ذلك المقام الا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق
والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي انكر ابوسي ضعيفة واستشهدوا
لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تافي قالت لها مالت بالمرضى وكانه قدر بالاضافة
ساكنة وقبلها تاء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان تاء الاضافة
لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي وما لها وقبلها با فان قلت حركت الياء الاولى
مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر
على الاصل قلت هذا فيما ثبت وكثر الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر
تضمحل اليه القياسات ما ترى بما اشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم
باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعنى كفرهم
باشراكهم اياه تبرؤهم منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وقيل من قبل تتعلق بكفرت وما هو صلته اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتموني به
وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا انكرت قلت اشركني فلان اي جعلني له شريكا
ونحو ما هنا قولهم سحر حلالنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان

[illegible] ولقد وعدت الزناد من نوائل ما قال اعلمك كوذك صدقت الله اللاعق
[illegible] الكثرة التي كانت على الله على ما كانت عليه من الكثرة فكانت
[illegible] الانبياء وكذلك الله تعالى وقد سمعت الله تعالى يقول في الشاعر ومنه قوله تعالى
[illegible] وما انشد من قول الشاعر وما انشد من قول الشاعر وما انشد من قول الشاعر
[illegible] وما انشد من قول الشاعر وما انشد من قول الشاعر وما انشد من قول الشاعر
[illegible] وما انشد من قول الشاعر وما انشد من قول الشاعر وما انشد من قول الشاعر

وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله
مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء

بزينته لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين قول الله عز وعلا
ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا
للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم
ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ
فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقرأ الحسن
وعمرو بن عبيد رحمت الله ورضوانه عليهما وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم يعني واذ اخل
انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلهم الملائكة
الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك واذ خلهم انا باذن
ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم
فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم ترى الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق
وفيه ضعف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة نصب بضمير اي جعل كلمة طيبة
كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا اكساه جلة وحمله على
فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة
على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضاربة بعروقه
فيها وفرعها واعلاها واسماها في السماء ويجوز ان يرتفع فرعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ
انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة
اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى
معنى من مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب في رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد
وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس
شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين
والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه قال
ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا
فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمضى مكان
عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكان احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله
صلى الله عليه هي النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء بعناه في جهة العلو

[illegible] يعني ان قوله ثابت متعلق
[illegible] من حيث المعنى بقوله اصلها
[illegible] لا بقوله شجرة لان المحكوم عليه
[illegible] بالثبوت انما هو اصلها لا شجرة
[illegible] واذا كان متعلقا به من حيث المعنى
[illegible] تعليقه به من حيث اللفظ ان يجعل
[illegible] مرفوعا لكون ضمير اول من
[illegible] تعليقه بشجرة وجملة محمول
[illegible] بها او بنبت وجملة متعلقة
[illegible] بالبلاغة

تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء

والسعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتى اكلها كل حين تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اى صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة و الكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اى استقرار يقال قر الشئ قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذى لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذى لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها القيمة القول الثابت الذى ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شئ وهم في الآخرة اضل واذل ويفعل الله ما يشاء اى ما توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم الم تر الى

الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار
قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلال

نعمة الله اى شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله حرمه و جعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجئ دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا و لينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر وعلانية او على المصدر اى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله

الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا
البلد آمنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس

وفى المكارم ومهاداة الاصدقاء فاليستحوا بالهدايا بينهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه
الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون
المخلص صنعوا عليه ليأخذ وا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا محالة
ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله
وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله مبتدأ والذى خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اى اخرج
به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على
المصدر من اخرج لانه فى معنى رزق امره بقوله كن فيكون دائبين بذلا بان فى سيرهما وانارتهما ودرورهما
الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
خلفة لمعاشكم وبسائكم وآتاكم من كل ما سالتموه من للتبعيض اى آتاكم بعض جميع ما سالتموه نظرا
فى مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سالتموه نفى ومحله النصب على الحال اى آتاكم من جميع ذلك غير
سائليه ويجوز ان يكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم
ومعائشكم الا به فكأنكم سالتموه واطلبتموه بلسان الحال لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا
عدها وبلوغ آخرها هذا اذا اريد وان تعدوها على ارادة الاتصال واما التفصيل فلا يقدر عليه
ولا يعلمه الا الله لظلوم كفار يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل
ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم
والكفران من يوجد منه هذا البلد يعنى البلد الحرام زاده الله اسما وكفاه كل باغ ظالم واجاب
فيه دعوة خليله ابرهيم اماذا امن عام ملت اى فرق من قوله اجعل هذا بلدا اما وارزق
قوله اجعل هذا البلد آمنا ملت قد سال فى الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يامن اهلها ولا
يخافون وفى الثانى ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف
فاجعله آمنا واجنبنى وقرئ اجتنبنى وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز
يقولون جنبنى شره بالتشديد واهل نجد جنبنى شره واجنبنى والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب
عبادتها وبنى اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد
احد من ولد اسمعيل صنما واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام انما كانت انصابا حجارة
لكل قوم قالوا البيت حجر خيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه
الدوار فاستجيب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك

من يعصنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل
افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون

ان تغفر لمن تاب منهم ان ذلك واتما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول
فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها واغتروا بسببها ومن تبعنى على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى فانه
منى اى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله ومن عصانى فانك غفور رحيم تغفر له فاسلف
المؤمنين على ان العفو ليس من انعالهم واوصافهم ومن عصانى فانك عفور رحيم تغفر له فاسلف
منه من عصيانى اذ ابد الله فيه واستحدث الطاعة لى وقيل معناه ومن عصانى فما دون الشرك
من ذرية بعضى او ولادى ومنهم اسمعيل ومن ولده بواد منو وادى مكة غير ذى زرع لا يكون فيه
شئ من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذى عوج يعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا استقامة
لا غير وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والنهاوند فيه وجعل ما حوله حرما لمكانه او
لانه لم يزل ممتنعا عزيزا بها بد كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه ان يحتنب او لانه محرم عظيم
الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما يمنع العتيق لانه اعتق منه فلم يستول
عليه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة باسكنت اى بما اسكنتهم لهذا الواد الخالى البلقع من كل
مرتفق ومترتفق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تقربهم
مساجدك ومتعبداتك ومتبرك البقعة التى ترحمها على البقاع مستعدين بجوارك الكريم
متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مشتركين فى الرحمة
التى آثرت لها سكان حرمك افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه
ما روى عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا
عليها حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من الابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد
قلبى فكانه قيل افئدة ناس واتما نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها الا تهوى الا
نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون
من القلب كفوهم آدرت اذا رت والثانى ان يكون اسم فاعلة من افدت الرجلة اذا عجلتها اى عاجلة
او جماعات يعجلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف
وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوى اليهم تزعج اليهم وتطير نحوهم شوقا
وزاعا من قوله تهوى محارمها مهوى الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى
اليه واهوى غيره وتهوى اليهم من هوى هوى اذا احب ومن معنى تزعج فعدى تعديته او اوتر تهم
من الثمرات مع سكانهم وادبا فيه شئ منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة فى ان رزقوا

النجاج الطرق بين الجبال جمع نجح
والمحارم افواه الفجاج جمع محرم
بكسر الراء وهو منقطع انف
الجبل

فى نظر لان الامر المتروك لا يكون
ما قبلها الا مكونا مثلها
كما فى مثله ولا يمكن فيها بين بين
للمشهور ولا غير لان بين بين
انما يكون فى ما يوقف عليه
للمتعبين فلو جعلت هذه الهمزة بين بين
لم التقاء الساكنين او ما يجرى مجراه

عاقدة لا معنى له ولم يسمع من
هذا التركيب الا اعتقاد الاعراب
تقول عقدت الاعرابى اذا اعقل
على نسيه حتى ثبت جوعا انتهى
من التسهيل بتغير

سكون ذرية ياء ذرية
ان يكون ذرية بعض
ذرية ابرهيم
ان يكون ذرية بعض
ذرية اسمعيل
لا يجوز العطف بل البدل
سكون دعاء ابرهيم مقتداه وجوز
ان يكون الراد الشرك كان
على ذبنا الصاد كذلك

ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء

انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وانت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم عليه السلم كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث يؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا

اي اعلم اتيان الامور من حيث يؤتى انا مجرب لان المجرب يأخذ الكتف من اعلاه ليجذب اللحم عنه ويروى ترون

رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعائي ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون

ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعائي اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من دون الله في قراءة ابي ولابوي وقرا سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولد بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد واسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل وسل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه

اي تعبدون

يعني ان ذلك كان قبل ان يعلمه بالوحي

وعلى هذا لا يكون مجازا في الاسناد ولا من باب المجاز اصلا بل ملحقا بالمجاز كما اشار اليه صاحب المفتاح في باب المجاز الحكمي الراجع الى حكم الكلمة

انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرجنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم

غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرئ نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اي ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان ولا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير

من الظلمان جؤجؤه هواء

لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان

فانت مجوف نخب هواء

وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكي لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنتم من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم

فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار

وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على ان المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مهيأ لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها خطيئة احد وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من

وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب
هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله وليذكر اولوا الالباب

من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم تبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار قلت
هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يغار
فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة مقرنين قرن بعضهم
مع بعض ومع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين
اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود
وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق
القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو
ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجرباء فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد
قد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون
منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع
لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين
القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد
من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع
نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطران والقطر النحاس او
الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن و
اشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى
تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة
ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا
بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى
قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على محذوف اي ليتنصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ
وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد
لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد
لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة ابرهيم
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات
والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في
كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان قرئ ربما وربتما
بالتشديد وربما وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا
دخولها الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به
في تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت او يوم
القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا
باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك
ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعلت ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون
تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا
الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه
كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا
اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة ولو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ
الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين
لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة
في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم
عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم
وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا
في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان
وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين
لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل
بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام
للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي
اليه طول الامل وهذه هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا

وما يلحقها من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون
لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

من اخلاق الهاء لكبن لها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا تتوسط الواو بينهما كما
فى قوله تعلى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
كما يقال فى الحال جانى زيد عليه ثوب وجانى وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم وهو
اجلها الذى كتب فى اللوح وبين الاترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها فى موضع كما لها وانث
الامة او لانه ذكرها اخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال الباقون يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم
قرا الاعمش يا ايها الذى القى عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء اذ قال فرعون
ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وكيف يقولون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون
والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء اذ التهكم مذهب واسع وقد جاء فى كتاب الله فى مواضع منها فبشرهم
بعذاب اليم لانه الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا فى كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين
حين تدعى ان الله نزل عليك الذكر لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين فى دعواك
ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبكما بعض ما فيكما اذ عبتما عورى والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون
بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا القى اليه كنز
او هلا تكون له جنة ياكل منها وقرى تنزل الملائكة على البناء للمفعول من نزل وتنزل الملائكة بالنون ونصب الملئكة اى
بالحق الامر لا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والحكمة فى ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم وتشهدون
لكم بصدق النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحى او العذاب واذن جواب
وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملئكة ما كانوا منظرين
وما انزل عذابهم انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم فى قولهم يا ايها الذى نزل
عليه الذكر ولذلك قال انا نحن نزلنا الذكر تاكيد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذكر حيث
بعثه جبريل الى محمد وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين
وهو حافظه فى كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة
فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاضافوا فيها وبدلوا وغيروا بعضها بالتحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه مان قلت فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر رد

وما ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين
وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شىء موزون
وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين

لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون علت قد جعل ذلك دليلا
على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان
كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير فى له لرسول الله صلى الله عليه كقوله والله يعصمك
فى شيع الاولين فى فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى
ارسلناه فيهم نبانا فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا بد دخل
على مضارع الا ومعنى الحال ولا على ما ض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط فى
الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرى نسلكه والضمير للذكر اى مثل ذلك السلك
ونحو نسلك الذكر فى قلوب المجرمين على معنى انه نلقيه فى قلوبهم مكذبا مستهزا به غير مقبول
كما لو انزلت بليم حاجة فلم يجنك اليها فقلت كذلك انزلها بالئام تعنى مثل هذا الانزال انزلها
بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اى غير مؤمن به او هو
بيان لقوله كذلك نسلكه سنة الاولين طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين كذبوا بالذكر المنزل عليهم وهو عبرة لمكة على تكذيبهم قرى يعرجون بالضم والكسر وشكرت
وشكرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرى سكرت بالتخفيف اى حبست كما يحبس
النهر من الجرى وقرى سكرت من السكر اى حارت كما يحار السكران والمعنى انهم لو
بلغ من غلوهم فى العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء وتمرنهم عروجا يصعدون فيه الينا
ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شىء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا انما سحرنا محمد بذلك
وقيل الضمير للملئكة اى لو ارتناهم الملئكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر
الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليتكونوا مستوضحين للابصار وقال انما لتدل على انهم يقولون
القول بان ذلك ليس لتوسكير الابصار من استرق فى محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس
انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد منعوا
من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار
تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان اوله وزن وقدر فى ابواب النعمة والمنفعة وقيل
ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش ما تعاشون به فى الاكل
والحبائب ونحوها فان تصريح الاتيان بها خطا والصواب الهمزة او اخراج الياءين بين وقد قرئ
معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم

فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين
واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله
هو الرازق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله
رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور
في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا
ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة
له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا
جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح
كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على تاويل
الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في
قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على
خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم
ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث
الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه في دعائه واجعله الوارث منا ولقد
علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب
الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل
المستقدمين في صفوف الجماعة والمستاخرين وروي ان امراة حسناء كانت في المصليات
خلف رسول الله فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت
هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد
اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة
والصواب وقد احاط علما بكل شيء الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ
واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا
فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون
المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور
من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي

يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمأ صفة لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ
وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر والجان للجن كآدم
للناس وقيل هو ابليس وقرا الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجان بالهمز من نار السموم
جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك واذكر وقت قوله سويته
عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي واحييته و
ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واستثنى ابليس من الملائكة لانه
كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رايتهم الا هندا
وابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل
معناه ولكن ابليس ابى حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين
بمعنى اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه
لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب
او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد
من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة وضرب
يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات
والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة في السموات والارض
الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم الدين
ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا
بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت
لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف بما اغويتني
الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه
وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار
الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضى به ونحو قوله بما اغويتني
لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام

بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى
بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين
لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سببا لهلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاضلال لاغوي والتزيين
له الاكل من الشجرة وسعيه في السعي فانا على التزيين لاوليائه في الارض اقدر او اراد لاجعلن
مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازينها في اعينهم ولاحدثنهم
بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها ونحوه
لاخرج في عرافيها اصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه
اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار
اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي ومعناه من علو الشرف والفضل لموعدهم الصير للغاوين
وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن
ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام
وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقرئ جزء
بالتخفيف والتثقيل وقرا الزهري جزء بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على
الزاي كقولك خبت في خبث ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى
الوقف المبقى على الاطلاق من بقي ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه
اتقوا الكفر والفواحش وما ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها على ارادة
القول وقرا الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم تسلم عليكم الملائكة الغل احقد
الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان احدهم في الدنيا غل على آخر نزع
الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له
علي رضي الله عنه مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله
تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل من ان يجمعك وطلحة
في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا

قال يوسف البال
اصاب خصاصة فبدا كليلا
كلا وانقل سايره انقلا لا
الى اصحاب القرفة من العيم
فظلوا ظهورا كليلا كلا ظهورا
ودخل سايره ن العيم

ولم يجز ان يراد اقبلها اصلي اذ لم يكن اصلي وسوان المشمول بالنظر الالهي
يجوز ان يراد اقبلها فضلي هذا مبني على ان اصلي وسوان المشمول بالنظر الالهي
الى جوده الاختصاص بنيابته وقرئ الاحوال عن وكره بحذف احدى اللامين
اذ وقد تشبه ان الاذى لمن يشاء ويقدر الرزق لمن يشاء ويقدر للصلة شيء
يمدهم بها اليه ايا ما التخصيص التعميم مع الاختصار كقولك لبعلي وعلى فلان
يعطي شيئا دون شيء من المفعولين المحذوفين كقولك واذ نسبت فلانا الى الجهل
فضلني الى نفسك العمل متقبل المتعدي منزلة اللازم ولا عمل ثم اصلي اي في قربتي
الاعمال وسوالاعطاء الباء الفرد والدليل عليها قبول الصلاح الى قربتي وكذا
الاذن على بني فلان بعدي الاذن بالحلق في نسب بريد ومعناه واجعل الصلاح لي قربتي
في البعث يجمعون متعلق بيوم ينفخ او بمحذوف تقديره اذكر لهم
والباء في بالحق للاداة كالظرف والمراد بما خلق به ما اقتضته الحكمة
من الجزاء بالعدل والفضل للاجل الضيف

انتهم عنها نصب وما هم عنها بمخرجين نبئ عبادي انى انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من
القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون

على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التواد والتحاب واخوانا نصب
على الحال وعلى سرر وحال من المستكن في متقابلين كذلك وعن مجاهد تدوم لهم الاسرة حيثما داروا فيكونون
في جمع اخوانهم متقابلين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر
وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على
نبئ عبادي ليتخذوا اما اجل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبر وون بها سخط الله وانتقامه
من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم سلاما اي نسلم عليك سلاما او
سلمت سلاما وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير
اذن وبغير وقت وقرا الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله بوجله اذا اخافه وقرى لا تاجل
ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرى نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك ايناسا
في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد وانك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس
الكبر بان تولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشروني
ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم
تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شئ تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة
بشئ لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شئ ويجوز ان لا يكون صلة لتبشرون ويكون سؤالا عن
الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة
وقوله بشرناك بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او
بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله وعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير
ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرى تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع
والاصل تبشرونني وتبشرونني بادغام نون الجمع في نون العماد وقرى من القنطين من قنط
يقنط وقرى ومن يقنط بالكسر كات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا
المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله قال فما خطبكم
قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم
فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء
من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال

Princeton University Library

قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء
آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك بالحق وانا لصادقون

فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين
قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى
القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال
الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين
ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا
اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب
كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا
انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون
واذا اتصل كان كلاما مستأنفا كان ابرهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال آل لوط
فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء
قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء
لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا
امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان
علي عشرة دراهم الا ثلثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط
متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ
لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها
لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم
ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت فلم اسند الملائكة فعل
التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب
والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا
والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه
وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر
بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه
فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله
فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم

فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين

وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير
والقطع في آخر الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم
عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم
وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر
بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم
التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال الهولة المحذورة ولئلا يتخلف
منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه
ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم ويوطنوا
نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير متلفتين الى ما وراءهم كالذي
يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال تلفت نحو الحي حتى
وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة
السير وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون
قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة
وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحيناه
اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره
تفخيم للامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك
الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني
يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها
المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره
فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلون باذلال
ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان
تجيروا منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان
يقوم صلى الله عليه بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن
لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف

... يا قوم ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لايات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لاية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين
فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين واتيناهم ايتنا فكانوا عنها معرضين

احدا قط هو لا بناتي اشارة الى النساء لان كل امة او لاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم
بناته فكانه قال لهم هو لا بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شكك
في قولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون
قضاء الشهوة فبنات امتي احل الله دون ما حرم لعمرك قسم اقسم به على ارادة القول اي قال
عليه اللعم لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء
الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون
فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله
اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم
المفتوح لاشتمال الاحف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر
وتقديره لعمرك وما اقسم به كاحدفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرتهم وفي سكرهم
الصيحة صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس من حاجبل قيل من
طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب
للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسم الناظر المتثبت في نظره حتى
يعرف حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في
عاليها وسافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت
يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم ينصرون ذلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون
عليهم مصبحين اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير
للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين
فجاء بضميرهما لامام مبين لطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق والسطر
الذي يكتب فيه لانهما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين
المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكما تكذبهم جميعا او
اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الحجنون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا
مع رسول الله صلى الله عليه على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان
تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم زجر رسول الله راحلته فاسرع حتى
خلفها آمنين لوثاقة البنيان واستحكامها من ان تهدم وبنادعي بنيانها ومن نقب اللصوص

... وما يعتون من الجبال بيوتا امنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لاتمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم

ومن الاعداد او جوادث الدهر او امنين من عذاب الله تحسبون ان الجبال نجتهم منه ما كانوا
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق و
الحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة
لاتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما
خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا
لحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري
بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للتقليل
والتكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع
آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة
لانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم
او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر
قراءتها في الصلاة وغيرها او من الثناء لما فيها من الثناء على الله الواحد المتعال
مثاني صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ
والوعد والوعيد وغير ذلك مما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته
الحسنى واما للبيان او التبعيض اذا اريد بالسبع الفاتحة الطول وللبيان اذا اريد
الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثنى عليه ولما فيها من المواعظ
المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع
وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عنى بالسبع الفاتحة او الطول فواو اظهر
لانطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله تعالى انا
اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال
له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم اي
لا تطح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار
فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي

وقرئ لا تمدن على البناء للمفعول من مد عينيه الى كذا اذا طمح نحوه ناظرا اليه متعديا بنفسه ومنه قول الاعشى
ولا تمدن عينيك الى ما متع به الاغنياء من زينة الدنيا وزهرتها فانه فتنة لك ومحنة لاختبارك فيه وابتلاء لصبرك عليه
وقرئ ازواجا منهم اصنافا منهم وهو حال من المفعول في به والضمير للكفار وقيل هو بدل من الضمير في منهم
وقرئ ازواجا منهم اصنافا منهم وهو حال من المفعول في به والضمير للكفار وقيل هو بدل من الضمير في منهم
وقرئ ازواجا منهم اصنافا منهم وهو حال من المفعول في به والضمير للكفار وقيل هو بدل من الضمير في منهم
وقرئ ازواجا منهم اصنافا منهم وهو حال من المفعول في به والضمير للكفار وقيل هو بدل من الضمير في منهم

ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين

كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا
تمد عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رضي الله عنه
من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز
والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها و
لانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل
السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام
وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان
الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل
بكم فان قلت بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد
آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن
عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم
سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤونه من
كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى
اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم
وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني
ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين
يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز
لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير
اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على
المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل
متفرقين ليتفروا الناس عن الايمان برسول الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر
ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على

لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر
يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا
بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول
الله عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم
والتأسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها
عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل
هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقولون للساحرة
عاضهة ولعن رسول الله العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء
لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد
عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره
يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع
في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من
الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية
اي بامرك مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين وهم خمسة نفر
ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل
عليه السلام لرسول الله امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم
فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى
ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط
قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة
ويضرب وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن
فسبح فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك
ويكشف عنك الغمم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا
فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول
الله صلى الله عليه من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا
انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين

سورة النحل مكية عشرون ومائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ١ كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او
نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اى هو بمنزلة الآتى
الواقع وان كان منتظرا لقربه ووقوعه فلا تستعجلوه روى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال
الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو
كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا فترلها
فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله
ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى
عما يشركون تنزه وتعال عن ان يكون له شريك وان يكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما
موصولة او مصدرية قال قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لما استعجالهم
استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد
قرئ تنزل الملائكة اى تنزل بالروح من امره بما يحيى القلوب الميتة بما يحمل من وجيه او
بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وان انذروا بدل من الروح اى بأن انذروا
وتقديره بانه انذروا اى بان الشأن اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملئكة
بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من انذرت بكذا
اذا علمته والمعنى تقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته و
انه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان
وما يصلحه ولا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق
ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله مستعمل عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالياء والتاء
فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكاشح للحق
مبين للحجة بعد ما كان نطفة من منى جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني
فاذا هو خصيم لربه مشكوك على خالقه قائل من يحيى العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط
في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي جيء اليه بالعظم
الرميم الى رسول الله صلى الله عليه فقال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم والانعام
للملوا خ التي تنتفع بها وأكثر ما تقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه

حاشية على قوله ان انذروا ... الخ ... ان انذروا ... الخ ... ان انذروا ... الخ ... ان انذروا ... الخ ...

والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق
الانفس ان ربكم لرءوف رحيم والخيل والبغال والحمير

ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لكم
ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء
من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع
هى نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف فى قوله ومنها تأكلون مؤذن
بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس
فى معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به
وكالجارى مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تأكلونها
منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما
من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشى بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها
بالعشى وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء
آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة
عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة
على التسريح قلت لان الجمال فى الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع
ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون وصف
للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزى وقرئ بشق الانفس بكسر
الشين وفتحها وقيل هما لغتان فى معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر
عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب
نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا
يتحملون المشاق فى بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه فى التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم تكونوا بالغيه فى الحقيقة
فان قلت فكيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا
حامليها اليه قلت طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم
لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى
لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة لرءوف رحيم
حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام

لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون تنبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون

وخلق هو لا لتركبوه والزينة وقد اجيز على حرمة اكل لحوم الخيل بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام هاذ بلت لم انتصب وزينة بلت لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها ان بلت فلما ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد بلت ان الركوب فعل الخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او لجعل زينة حالا من ها اي مخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما خلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمكن ان يكون كالمتمم للاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليريد ما دل على اقتداره بالرجاء بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه ونم احد ولا خطر على قلب المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجهة التي يؤمها السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى هاذ بلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر بلت ليعلم بما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره والله يوفي منه ولو شاء لهداكم اجمعين قرا والحجاج لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لما اكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها ومنه السومة وهي العلامة لانها توثر بالرعي علامات في الارض قرئ ينبت بالياء والنون هاذ بلت ثم قيل ومن كل الثمرات بلت لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للمتذكرين يتفكرون بنظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرا الحسن والاعمش ننبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالنون فيهن كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث تكون

وقرا علي وصل الليل بالنهار ونصب الثلاثة على تسخر دل عليه سخر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما بينهما بالنصب

معنى حديث عكرمة رضي الله عنه هو انه لو حنث شخص بان في مواد اذا خرج فاذا وجب عليه بدل ما فضل من حاجته للمواشي والابجوز لمن معه ذلك ان يصالح المواشيه كما لو باع وذلك لانه يكون كالوباع كلا وذلك لان الناس انما يحتاجون الى ذلك لانه لا يكاد يوجد الكلا، لا ذلك الكلا، ولا يرعوا منه ٥

والآخرة منه وتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى فى الأرض رواسى ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون

بالليل ويشتقون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ولهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها فى حال كونها مسخرات لما خلق له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع ومقابله بالنصب وقال ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون مع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرأ لكم معطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر لحما طريا من السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فبادر الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحما فاكل سمكا حنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكروا اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر لهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان خلافا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هى اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من حليهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها من عندهم ولباسهم المحتسن الآنى بخبرهم وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح وابتغاء الفضل التجارة ان لم يسلبكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب والمائد الذى يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا ان التى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وعلامات هى معالم الطرق كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى ايدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجم تخفيفا فان قلت قوله وبالنجم يهتدون خروج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم فهلا قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت كانه اراد قوما كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان منهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصوا

المزن السنة الاولى وجمعه جداوه وهى العاشرة من البروج وقال للكوكب القطبى جدى الفرقد وعند قول ابن المبارك فى تحرى القبلة اهل الكوفة يعدون الجدى خلف القفا والمغربون يجعلونه الجدى على لفظ المصغر وما بينه وبين البرج والاوداء يكونان قريبان من القطب

قوله حذف الواو من النجوم تخفيفا اى النجم اصله النجوم فحذف الواو كالكتف من الكتوف

اكد الكاسر كثره وقد رصدوا بها الغاربة من الكواكب صورة منها انا عشر وابواب طلوع البروج وطريق حصرهم فيها انهم نظروا الى جملة من الكواكب فقدروا على صورة الدب الاصغر وصورة دب النعش الاكبر وسموا بهما بعد كواكب مرئية على شكل مربع مخروف على يدنبه والبنات هى الثلثة التى فى ذنبه مخروف وضائع الصيد كواكب على طرف الذنب لسبق جدى وهو من دلائل القبلة وسواقب الكواكب الى القطب الشمالى من الكواكب التى رصدوها والكوكبان المضيئان من النعش لتمتان الفرقدين

أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من
دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء

قال قلت من لا يخلق أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم قلت فيه أوجه
أحدها أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم الآتي في قوله على أثره
والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق
والثالث أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم
أرجل يمشون بها يعني أن الآلهة حالهم محطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن
هو لا حياة وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة لأنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا
قال قلت هو الزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق
مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا غير الله مثل
الله في تسميته بالاسم والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات و
شبهوها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق ثم قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها
ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر الذي هو مقابل ما عدد من نعمه
تنبيها على أن ما وراءها مما لا يحصر ولا ينعد إن الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم
في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما
تسرون وما تعلنون من أعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والآلهة الذين يدعوهم الكفار
من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي
كونهم خالقين وأحياء لا عموما في وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون
وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة
لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وأنتم على العكس
من ذلك والضمير في يشعرون للآلهة أي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين
وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة
على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الناس
خلقوا بهم بالنحت والنصوبهم وهم لا يقدرون على ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات
جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أن من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها
الله حيوانا وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها وأما الجمادة فأموات لا يعقب موتها حياة
وذلك أعرق في موتها وما يشعرون أيان يبعثون أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء منكم

وما تعلنون إنه لا يحب المستكبرين وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم
ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم

ويوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمال سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون وله ما في السماوات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السماوات والأرض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السماوات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيما وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم به علينا تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا

ألا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم

يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم

تخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم الجزاء
في الآخرة شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء الذين
كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون
بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم يعني الانبياء والعلماء
من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم
يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة
قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا
ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا اي انزل خيرا فان قلت
لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا
لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل
خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي
ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه فاذا جاء الوافد كفه
المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت
الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله فيخبرونه بصدقه وانه
نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول
الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة
للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم
في الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين
دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان
يكون المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله
يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة تاتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان تاتيهم لقبض الارواح
او امر ربك العذاب المستاصل او القيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل

الاول قوله اساطير الاولين والثاني ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين

وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون

الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير
سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد
من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث
واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا
بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل
وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا
على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي
بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها
بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن
قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد
بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذي هو طاعة
الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا
فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث
افعل ما افعل باهل الشر ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من
حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال
عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا يقدر انت ولا احد على
هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو
نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله
لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدى على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله
لا يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص بفتح الراء
وهي لغية واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان
موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين
عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا عليه مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان
يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون

ليبين لهم الذين يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والذين هاجروا في الله
من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون

انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شئ لا ثواب عامل ولا غيره من
مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت ومن عام
للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه من امر الحق وليعلم الذين كفروا انهم كذبوا في قولهم لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شئ وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله
ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة فعلة
مقدرين على الله الكذب قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى
الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شئ فليس امرا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب
ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف
كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع المثل ولا قول ثم والمعنى
ان ايجاد كل مقدور لله عز وعلا بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من جنس
المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل
مكة فخرجوا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم
من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين بمكة بعد خروجه رسول الله وكلما خرجوا
يعوقهم فرد ومنهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير
ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال له
ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ومبوئنهم يرجع الى
لم خلق الله نارا لا طاعة فكيف بالله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم
حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه اثوآه حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا
منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى العطاء للمهاجرين عطاه قال خذ بارك الله لك فيه هذا
ما وعدك في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث
آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى لهؤلاء المستضعفين
في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا
يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا هم الذين صبروا او اعني الذين
صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب

وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم ولعلهم يتفكرون افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم
فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون

في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأيهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح في سبيل الله
قالت قريش الله اعظم من ان يكون محمد رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
على ألسنة الملائكة فسلوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الأمم السالفة
الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما
ارسلنا دخلا تحت حكم الاستثناء رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت
الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات
واما بارسلنا مضمرا كأنه قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام
واحد واما بنوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى النفي والزبر الكتب والزبر كقول
الراجز ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فسلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة
واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافل فليس ما نزل اليهم يعني
ما نزل الله اليهم في الذكر مما امر وا به ونهوا عنه ووعدوا اوعدوا ولعلهم يتفكرون
واراد ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا مكروا السيئات اي المكرات السيئات
وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب
دنياهم على تخوف متخوفين وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفه وتخونه اذا
تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن
اي ياخذهم على ان تنقصهم شيئا بعد شئ في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه
انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص
قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس
عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان
ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ اولم تروا وتقيا بالتاء والياء
وما موصولة بخلق الله وسوغ مبينا انه من شئ تفيأ ظلاله واليمين بمعنى اليمن والجمع ايمان ويجوز ان يكون
من الظلال ومن ذا خبر ون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وسوغا خلق الله من كل شئ له
ظل وجمع بالواو والنون لان الذكور من اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا
الى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال مستقبلة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه

ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو الله واحد فاياي فارهبون

استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشئ او ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما يحدثه من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع من ذلك ويجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدبت الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملئكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت يجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام بخلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين تجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جئ بما دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جئ بما لم يكن فيه دليل على التغليب فكان منافيا للعقلاء خاصة فجئ بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم وخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيد له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بربهم خافوا ربهم معنا فخافوه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه خافوا ربهم عاليا امرهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملئكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما ورآء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان للمعدود عارية عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين قلت الاسم الجامد لمعنى الافراد او التثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم توكده بواحد لم تحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم

وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسالن عما كنتم تفترون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون

وجاز ان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبون ومعنى ان يجعل ما قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا من قولهم الاجر واصب يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة واي شئ حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فاليه تجارون فما تضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات الملیك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم وقرئ تجارون بقلب الالف ياء كراهة الياء بعد الكسرة وقراءة ابي جعفر كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كاشف لان ما المغايبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة من الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال اذا فريق كافر منهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر منهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا عرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون خلية ووعيد وقرئ فتمتعوا بالتاء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فتمتعوا امر الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر لما لا يعلمون الى آلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها الهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للالهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم امرا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لنسالن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملئكة بنات الله سبحانه تنزيها لذاته من نسبة الولد اليه او تجعلون من قولهم وهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما استعمل بات واضحى وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان تجئ ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربدا الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر امسك ما بشر به على هون

لم يدسه في التراب الاساءة ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم
الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب
اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

لعل الكذب مفعول تصف
وان لهم الحسنى بدل من الكذب
فلذلك لم يذكر المصنف منا
اشارة الى انه المقصود فتبره
بترك ذكره

على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يدده وقرئ اعنكما على هون ام يدسها على الثابت وقرئ
على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذه محلته عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو
على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث
وواد هن خسية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالبخل البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغني عن
العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك
عليها على الارض من دابة قط ولا اهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول
ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن
مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس
من دابة من مشرك يدبت عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون
لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون
له ارذل اموالهم واصنامهم اكومها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي البصائر كيف تكون يوم القيمة
اذ قال الله تعالى هاتوا ما ادخر الى السلاطين واعوانهم فنوتى بالدواب والثياب وانواع الاموال
الفاخرة واذا قال هاتوا ما ادخر الى فنوتى بالكبر والخرق وما لا يوبه له اما تستحيي
من ذلك الموقف وفر اهذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قولهم لنا البنون وان
لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ مفتوح
الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطته
فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا
خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات
وما يلزمهم فهو وليتهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان زين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو
وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن امان الدنيا ومعنى وليتهم قرينهم ويلي القرين او فجعل فهو
وليتهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر عنهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش
واتى زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لنبين انها انتصبا مفعولا لهما
على انهما

كما قيل للاريحيان
لصبها الدنان
والثقل القنة

ذكر المصنف الاستثناء وهو
الكذب على سبيل التسليم

والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث
ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لقوم يعقلون

لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب
مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به
ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف
وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء
المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في
بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون
تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر
نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير
نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم
من بين فرث ودم اي يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما
برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل
اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في
الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر
وتامل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم
سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا
بالتخفيف كميت وليت فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض
لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان
بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدئ فهو صلة لنسقيكم كقوله سقيته من
الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث
ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة
فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك
البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين
فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت
بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم

من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اى ابنى البيوت ثم كلى
كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكى سبل ربك اى الطرق التى الهمك واتهمك فى عمل
العسل او فاسلكى ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التى تحيل فيها بقدرته النور المر
عسلا من اجوافك ومنا فذ مآكلك او اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى
الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها هذا بلغنى انها اذا جذب عليها
ما جوها فسافرت الى البلد البعيد فى طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدى اكل الثمرات
فاسلكى فى طلبها فى مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل لان اضافتها لفظية
وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير فى فاسلكى اى وانت ذلل منقادة
لما امرت به غير ممتنعة شراب يريد العسل لانه ما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر
واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشربة والادوية المشهورة النافعة دخل
معجون من المعاجين لم يذكروا الا طبا فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كان كل
دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن
النبى صلى الله عليه ان رجلا جاء اليه فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود
العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل
ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدى
انما المراد بالنحل بنوها ثم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك
مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وجدث به المنصور فاحذوه اضحوكة من اضاحيكهم
الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن على رضى الله عنه خمس
وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا
ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة فى النسيان وان يعلم شيئا ثم يشرع فى نسيانه فلا
يعلمه ان سئل عنه وقيل ليلا يعقل من بعد عقلة الاول شيئا وقيل ليلا يعلم زيادة علم على علمه
اى جعلكم متفاوتين فى الرزق فورزقكم افضل مما رزق مما ليكم وهم بشر مثلكم واخوانكم
فكان ينبغى ان ترد وا افضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى المأكل والملبس والمطعم كما يجلى عن

واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون

قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون منه
من ثمرات الطرف للتوكيد فى قولك زيد فى الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف
محذوف كقوله بكفى كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب شيئا تتخذون منه
سكرا ورزقا حسنا انهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالاولى ان يرجع
الضمير فى منه اذا جعلته ظرفا مكررا الى المضاف المحذوف الذى هو العصير
كما رجع فى قوله تعالى ام هم فاثلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر
سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال وجاؤنا بهم سكرى علينا فاجلى اليوم والسكران
صاحى وفيه وجهان احدهما ان يكون منسوخة ومن قال بتحريمها الشعبى والنخعى والثانى
ان تجمع بين العناب والمنقة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى
يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية
وبقوله عليه اللهم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار رجمة ولقد صنف شيخنا
ابو على الجبائى قدس الله روحه عركا ب فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن
العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت فى تحليله فقال تناولته
الدعارة فنبح فى المروة وقيل السكر الطعم واشد جعلت اعراض الكرام سكرا اى
ثقلت باعراضهم وقيل منه من الخمر وانه اذا اتبرك فى اعراض الناس فكانه حرمها والرزق
الحسن الخل والربّ والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل
تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ان فى ايجاد النحل الهامها والقذف فى قلوبها وتعليمها
على وجه هو اعلم به واسبل له واحد الى الوقوف عليه والاهتداء فى صنعتها ولطفها فى تدبير
امرها واصابتها فيما يصلحها دليل بينة شاهدة على ان الله اودع عجما علما بذلك وفطنها كما اودى
اولى العقول عقولهم وقرا بجمعين وتانيث النحل لقبحين ومذكرها كالنحل وتانيثه على المعنى
ان الحذى من ان المقبرة لان الجماعة فيه معنى القول خرى بيوتا بكسر الباء اجل الياء ويعرشون
بضم الراء وضمها يعرشون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل من الجبال والشجر والبيوت
من الاماكن التى تعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس فان قلت ما معنى من فى قوله ان
الحذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل فى الجبال وفى الشجر قلت
اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها
ثم اشاره الى ان تقدير براوى فضل رزقهم على ما هو المعتاد
كذلك مقال الرسول وكان قاضيا
منتيا اربعين سنة فتقدم دار الخلافة
يراد استعفى وقال رحمت نسيا فلم اصلح
لمقتضاه كما ذكر

فالذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا
ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا
وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يات بخير هل يستوي هو
ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض

ومثل بما الاشي واحد **قلت** ليس شيء لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون

ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون
واطعموهم مما تطعمون فما روي عنه بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير
تفاوت افبنعمة الله يجحدون لجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا
لله شركا قال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلون لهم فيه شركا ولا
ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان جعلوا عبيدي لي شركا وقيل المعنى ان الموالي والمماليك
اذا رأيتهم جميعا فيم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مما اليكم من عندهم شيئا
من الرزق فما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ يجحدون بالياء والتاء من انفسكم من جنسكم
وقيل هو خلق حوا من ضلع آدم والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة و
الخدمة ومنه قول الفائد واليك نسعى ونحفد وقال جعفد الولد بنهن واسلمت
باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد
وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما تحفدون في مصالحكم
ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل
لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون لك جامعون بين الامرين من الطيبات يريد بعضها كالتمر
كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وما يعتقدون
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما منوا به وهم باطل لم ينوصلوا اليه بدليل ولا امارة
فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن وبنعمة الله المشاهدة المحاسة التي لا شبهة
فيها الذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كاينكر المحال الذي لا تتصوره العقول
وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما وبنعمة الله ما
احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا
كقوله او اطعام مسكينا على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه
بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض
صلة للرزق فان اريد به المطر كان من السموات خاصة وان اريد النبات كان من الارض خاصة او صفة
كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون للاصنام لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ
ويجوز ان يكون للكفار بمعنى ولا يستطيع هؤلاء ايهم احياء منتصرون او لواء الباب من ذلك
شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك
الفصل او الوصل قلت هو من باب قوله لا يملك ضرا ولا نفعا كانه قيل لا يملك ولا يستطيع
اخترت لفظ ما في الاستطيعون ليوافق ما في قوله لا يملك ليكون كالتتميم له
بعد ما قابل ما في قوله لا يملك الذي هو للاصنام بما في الاستطيعون الذي هو للكفار
الضمير في الاستطيعون لما في ما يملك
باعتبار معنى ما كما ان الضمير في يملك باعتبار لفظها

ومن رزقناه ما هي **قلت** الظاهر انها موصوفة كانه قيل ورزقا رزقناه ليطابق
عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة **فان قلت** لم قيل يستوون على الجمع **قلت** معناه
هل يستوي الاحرار والعبيد الا ترى الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على
مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه
في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينجح ولم يات بخير هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس
نقاح ذو كفايات مع رشد ودراية فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على
صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ان ضربه لنفسه ولما يفيض على
عباده وينالهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي
اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجهه بمعنى اينما يوجهه من قولهم ابنما اوجهه الفي
سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص
به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اذا ذهب السموات والارض يوم القيمة

الغيب بمعنى الغائب
على التفسيرين

وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شئ قدير والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
لعلكم تشكرون الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم
من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم

على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احدا منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو
عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشئ الذي تستقربونه سوكلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في
استقرابه ونحو قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء
واحياء الاموات من الاولين والاخرين كامر واحد في اقرب وقت وارجاه ان الله على كل شئ قدير فهو
يقدر على ان يقيم الساعة وبعث الخلق لا تبعد بعض المقدورات ثم ذكر على قدرته مما بعده فقال
امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في اناث كما زيدت في اراق مثل اهراق وشذت
زيادتها في مفرد الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال اي
غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم من البطون وسوى لكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق
الى السعة وقوله وجعل لكم معناه ويا ركب ربكم هذه الاشياء الا الابوات لازالة العمل الذي
والدم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى
ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاعنة في عراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع
الكثرة والقلة اذا لم يرد السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لغير الجزء ذلك المجرى
قرئ الم يروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب الجوانية
لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله بالمكنة
في قبضهن وبسطهن وقوهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية
وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما سكن اليه وانقطع اليه من بيت او الف بيوتا من القباب
والادمة من الادم والانطاع تستخفونها تأخذونها خفيفة الحمل في الضرب والنقض والنقل يوم
ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها وثقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم
يثقل عليكم ضربها او سي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت
وجعل لكم منها اوسى ما تنتفعون به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان تبلى وتفنى او الى ان تموتوا
وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به على ان من
من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقد ما يهمهم البرد
لكونه نادرا مجتملا وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فاذا ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم

ان تتولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم
يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من
دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

يريد الدرع والجواشن والنبال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تظفرون في
نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تسلمون من الجراح
من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا
منك فقد تممت عذرك بعد ما ادیت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب الحذر وهو البلاغ
ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي مدرنا ها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم سمينا من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها
من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبنا كذا البعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بهذا اذا علم انها
انما من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون
غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
واكثرهم الجاحدون المنكرون يقولونهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها ليشهد
لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار
والمعنى لا حجة لهم فدل ترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله ولا
هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل
فان قلت ما معنى ثم هذه قلت معناه انهم يمنعون بعد شهادة الانبياء عليهم اللام ما هو
اظلم منها وسوأ منهم يمنعون الكلام ولا يؤذن لهم في القاء معذرة ولا ادنى حجة وانتصاب اليوم
بمحذوف وتقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقع ما وقع فيه ولذلك واذا راى اوا

بعثة فتنتهم آياته
ذوا والشياطين فلانهم
فالوا انكم لكاذبون
ان عبادتهم لم تكن
وا راضين بعبادتهم
من الشريك وان الايد
الى كفرت بما اشركتموني
الاباء والاستكبار في

لوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم
يستعتبون واذا راى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من
دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

يريد الدرع والجواشن والتربال عام يقع على ما كان من جديد وغيره لعلكم تسلمون اى تظفرون فى
نعمته الفائضة عليكم وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون تسلمون
من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا
منك فقد تممت عذرك بعد ما ادیت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب الحذر وهو البلاغ
ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التى مدنا ما حيث يعترفون لها وانها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها
من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبنا كذا البعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد
انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا فى نيلها واكثرهم الكافرون اى الجاحدون
غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم
امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيدا نبيها لتشهد
لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار
والمعنى لا حجة لهم فدل ترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن رحمه الله و
لا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل
فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناه انهم يمنعون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام عليهم
اطم فيها وسوائهم يمنعون الكلام ولا يؤذن لهم فى القاء معذرة وذكر الاذن للحجة وانتصاب اليوم
بمحذوف وتقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك واذا راى
العذاب بعدهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله بل اتيهم بغتة فتبهتهم الآية
ان اراد وا بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التى دعوناك شركاء وان اراد وا الشياطين فانهم
شركاؤهم فى الكفر وقرناؤهم فى الغى وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون
وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن
عبادة والدليل عليه قول الملئكة كانوا يعبدون الجن بل كانوا راضين بعبادتهم
لان الجن هم المعبودون دونا او كذبوهم فى تسميتهم شركاء آلهة تنزيها لله من الشريك وان اريد
بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين فى قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما اشركتمونى
من قبل والقوا يعنى الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار وضل
عنهم ما كانوا يفترون من ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم

صوابه يعنى الذين اشركوا لان
الذين ظلموا الآية المتقدمة وانما
ذكرت هنا ليرتب عليها قوله

الى جعلوها شركاء لله تعالى
وانما اضافوها الى انفسهم لهذه الملابسة
وسمى انهم دعوها شركاء لله تعالى و
كذا الاضافة فى قوله تعالى شركاءهم
لهذه الملابسة

مولد جاز ان يكونوا هؤلاء الذين يعتقدون انهم شركاء وانما
ذكرهم بهذا الاسم لما لحقهم من الخجل والفضيحة اليوم الآخر
الذين اشركت لهم الشياطين وقولهم ما كنا مشركين يقولهم هذا لعلمهم ان الله
الشياطين يعبدونها وليس كذلك الا انا نعبد شياطين انفسنا والصاب
ان معاصيهم ما كانت بامر الله لانه لا يامر بالفحشاء لكنه لما شاء
ان لا يحول بينهم وبين ما اختاروه من الكفر والمعاصى ولم يقسرهم
على الايمان كما فعل بالملجئة صح ان يضاف الكفر والمعاصى
الى مشيته تعالى على معنى انه لو شاء لمنعهم منها وقسرهم
على الايمان كما فعل بالملجئة

* قوله ان الكفر والمعاصى بمشيته تعالى الخ
يعنى انه تعالى لو شاء لمنعهم عن الكفر والمعاصى
ولكنه لم يشأ ذلك لحكمة اقتضت ذلك

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون

الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حيث
كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر فضاعف الله عذابهم لهم
ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات انياب النحت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن
اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فينادون
شهيدا من شدة برده الى النار وما كانوا يفسدون بكونهم مضلين الناس بصدهم عن سبيل الله شهيدا
عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان بعث انبيا الزم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء على
امتك شهيدا نبيانا بليغا ونظير تبيانا تلقاء في كبر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن
مار بلث كيف كان القرآن تبيانا لكل شئ بلث المعنى انه بين كل شئ من امور الدين حيث
كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وقبل ما ينطق
عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله لامته اتباع
اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا
وقاسوا ووطأوا وطرق القياس والاجتهاد في كتاب السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستنده
الى تبيان الكتاب فثبت ان كل شئ العدل سوا الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده
فجعل ما فرضه عليهم واقعا لحظا فيهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض
لا بد من ان يقع فيه تفريط فيخبره الندب وبذلك قال رسول الله صلى الله عليه لمن علمه الفرائض
فقال والله لا ازيد فيها ولا انقصت اخ ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط
وقال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا اخ ينبغي ان تتركوا ما يجر كثير التفريط من النوافل والفواحش
ماجا وزحد وذا لله والمنكر ما انكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت
مر الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين رضوان الله عليه اقتضت هذه الآية مقامها والعرك
انها كانت ناجشة ومنكرا وبغايا عفا الله عن سلفها عفا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه
وعادى عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون عهد الله هي البيعة لرسول الله على الاسلام
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها
باسم الله واكد وكدت ايمانا وصحان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا ان
الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا اي نقض الايمان كالمراة التي اخذ على غزلها
بعد ان احكمته وابرمته فحللته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت حجر بن

ذكره صاحب الكامل في ذكر ولاية يزيد بن ابي سفيان امير المؤمنين على بن
ابي طالب كرم الله وجهه الى ان ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فتركل ذكر كتب
الى العمال بذلك الا ان ولي بركة وكان سبب محبته عليا انه قال كنت بالمدينة
اتعلم العلم وكنت الزم ابا سلمة بن عبد الله بن عبد بن عوف فبلغه عني شئ من
ذلك فاغلظ لي وقال حتى علمت ان ابا سلمة اغضب على الجهل بدرد
وصية الرضوان بعد ان نفى عنهم علة الجهل قال فاذا الذي بلغني
عنك ان علي فعلت معذرة الى الله وانك وتركت ما كنت عليه وكان
ابو اذا غضب وثاب من علي تلعة في كلام فعلت مالا يعنيني فظننت
فاذا انت الى ذكر علي وقد فرغت منك بقصيرا قال فوطنت نفسي
نعم قال يا بني ان الذين يحبون ان يعلموا من علي ما نعلم لتتوق الى اولاد
فاطمة فوالله لو علمت ان احدا من الخلق يبلغ ذلك لبلغته فاما
العلم الذي تركل ذكر كتب به عمر الى عماله وقرأ على الناس ان الله
يامر بالعدل والاحسان الآية

ط

الى تفرقت

قبل انكاثا نصب على المصدر او على الحال اي ذات انكاث

تتخذون دخلا بينكم اي فسادا بينكم

ولا تكونوا كالذي نقضت غزلها بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله وليبين لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن

وكانت حرفا اتخذت مغزلا قدر ذراع وصارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل شيئا وجوارها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذة دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من امتة هي ازيد عددا او اوفر مالا من امتة من جماعة المؤمنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما الخبر بكونهم اربى ليظهر واتمسكون لحبل الوفا بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغدرون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذارا وتحذيرا من مخالفة ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وسوقكم اليه على ذلك ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء ويهدي من يشاء وسوف تجزون ما كنتم تعملون من اختيار الكفر والايمان وسوف نجزل لكل بمن علم انه يختار الكفر ونصمم عليه ونهدي من يشاء وسوف نلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يكتف على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال والمهتدي لما اثبتهم عملا يسئلون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم ما ارتكبوا منه فتزل قدم بعد ثبوتها على طريق الاسلام وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله وخوفكم من الدين او صدكم غيركم بارتدادهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا او اخذ وا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ايذاءهم لهم ولما كانوا بعدوهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله فقيل لهم لا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا ومهما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتمكينكم ومن ثواب الآخرة خير لكم مما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ بالتحتانية والنون والذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وجدت القدم ونكرت قلت لاستظهار ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من مسائل في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت مؤمنهم صالح على الاطلاق والتنويع

فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم احسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون

الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر وانثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه ووصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا اكلت فسم الله

فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يأمرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة

قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم

مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة وروح القدس جبريل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين آمنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده وملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان عجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب

هو غلام حويطب او الآخر وهو جبر

فقوله لا يؤمنون بمعنى الاستقبال لا بمعنى الحال

انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر
صدرا فعليهم غضب من الله وله عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وابصارهم واولئك هم الغافلون

رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افترا الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك
اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون
اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب
او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك
هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان تجعل واولئك
هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه
واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافترا ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به
نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر
بالله بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه
ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب
من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا
فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من
اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب و
بلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك
اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما
ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى
قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم
مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت اي الامرين افضل افعل عمار ام فعل ابويه
قلت بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه
وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد
جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم
الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين

اي اظهر الحق وكشفه وجهر به قال تعالى
فاصدع بما تؤمر من الصدع وهو كسر الزجاجة
بقوة بحيث يسمع صوته

لا يوم انهم في الآخرة هم الآخرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا وان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل
عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت لهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها غدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك
دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا
غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل
اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة
والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر فان قلت ما معنى النفس
المضافة الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة
كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل
عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز
ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها
فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع
الامن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه
بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها
عليه قلت [illegible] عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا و
[illegible] اذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه
[illegible] من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به
[illegible] تلبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة
[illegible] عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما
[illegible] طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا
[illegible] الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير
[illegible] عمه الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت ضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لانه يصون

الجوع انهم لا الاخرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم يأتي كل نفس تجادل
عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون

لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم ان ربك
دخلة على ما بعد حال هو لا من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للداخل لا عليه فيكون محبا منفوعا
غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل
اى بعد ما عذبوا المؤمنين كحضرمي واشباهه من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة
والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر ثان ملت ما معنى النفس
المضافة الى النفس ملت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نفيضه غيره والنفس الجملة
كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل
عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ومحوذلك وضرب الله مثلا قرية اى جعل القرية التي هذه حالها
مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز
ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون قرى الاولين قرية كانت هذه حالها
نصرها الله مثلا لمكة اذا رامن مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع
الامن والامن عاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والانعم جمع نعمة على ترك الاعداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس وفي الحديث نادى المنادي صلى الله عليه
بالمؤنيم يعني انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا انا ملت الاذاقة واللباس استعارتان
فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها
عليه ملت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا و
الشدائد وما يحس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبهة
ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به
لاشتماله على اللابس ما يغشى الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة
على اللباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما وتلابس فكانه قيل فاذاقهم ما
غشيهم من الجوع والخوف وبهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاشكال
يقع اما لمن قصدها احدهما ان ينظر وا فيه الى المستعار له كانظر اليه هاهنا في نحو قول كثير
عمم الورد اذا ابتسم ضاحكا علقت لضحكته رقاب المال استعار الورد للمعروف لانه يتصوف

هو من كلام الكشاف وذكر طرفا منه في الصافي
كتبه العبد الفقير الى الله الغني محمد محسن عفي عنه
وعلى نسخته وعلى نسخة منه بلغ مقابلة وصحيح

ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل

لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك

والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الانعام بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جمع صفات الخير كقوله وليس لله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابرهيم صلى الله عليه فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيمة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلموا الخير والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على آل ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه واجلال

ان اسع ملة ابيكم حنيفا وما كان من المشركين انا جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به

بجلله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه اللهم من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل انها ذلك على بناء هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعدما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغيرها ذكر وهو الانذار من يحظ الله على العصاة والمخالفين لاوامره والحاقهم بتلك القرية طاعنة فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى وجه آخر وهو ان موسى عليه اللهم امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا ثرة منهم فرضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعفاهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وسيحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انما امرنا السبت الى سبيل ربك الاسلام باحكامه المحكمة الصحيحة وهي الادلة الموضحة للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا خفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد بها ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن الطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك اعلم بهم فمن كان فيه جزء كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد يعني الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانثى فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن

الراهب فوقف رسول الله على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقورا البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراد ولا خلاف في تحريم المثلة وقد ورد الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ايسا ان يرجع الضمير في لهو الى صبرتم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير تنبيها على ان الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر ويتدخل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وعلا ثم عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه اللهم واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما يفعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي مولى الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يومه او ليلته كان له من الاجر كالذي مات وراء الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة واحد عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسدده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وطرفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه

ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير

وقرأ طلحة فجاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلال الديار بمان قلت ما معنى وعدا ولا بد ان يفعل معناه وعد عقاب او لا بد وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بغتوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو فان قلت قتل بخت نصر واستفاد بنو اسرائيل اموالهم ورجوع الملك اليهم وقتل داود جالوت اكثر تفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه ولا اسأت اليه ولا اسأت اليه فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها باديةً آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء وجوهكم والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث وللسوء بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن ولنسوءن وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو بعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وان زجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الملوك سيرة وضرب الاناوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة حصيرا محبسا يقال للسجن حصير ومحصر وعن الحسن بساطا كأنه بسط الحصير المرمول للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة وانما قدرت لم اجد مع الاثبات ذوق اللاغة التي تجدها مع الحذف لما في الابهام الموصوف بحذفه من فخامة تقدر مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف فان قلت كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الثلاثة حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين بشارتين اثبت بتوابهم وبعقاب اعدائهم وجوز ان يراد ونخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون اي ويدعوا الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير

وكان الانسان عجولا يسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فلما قبل بها بالليل فقالت له مالك تس فشكا الم القد فاوجعت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه دعا به فاغلم بثابه فقال عليه السلام اللهم اقطع يدها فرفعت سودة يدها توقع الاجابة وان يقطع الله يدها فقال النبي صلى الله عليه اني سألت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحي من اهل بيتي اغضب كما يغضب البشر فلم ترد سودة يدها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجيب له فضربت عنقه صبرا فيه وجهان احدهما ان سوادا الليل والنهار آيتان في انفسهما فيكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود واي نحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيرَي الليل والنهار آيتين يدل الشمس والقمر نحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحوّ الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او نحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا بابتغاء الفضل الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات والعطلات الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيانا غير ملتبس فاردنا علمكم وما تركنا لكم حجة عليا طامسة عفاة وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او العنق لا ينفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذه رقبة في رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذ انعت قللها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون وقرئ نخرج بالنون ونخرج بالياء والضمير لله عز وجل ونخرج على البناء للمفعول ونخرج من خرج

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا

والضمير للطائر اى يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما يقال ثلثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك اى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين وما صح مناصحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعث الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اى امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مأمورون بذلك لتسبب آلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فان قلت هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المأمور به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قوله امرته فعصاني

قوله هو لما ذكر ان المأمور به حذف في هذا الكلام لدلالة فسقوا عليه قال وهو اى الكلام الذي حذف منه المأمور به للدلالة كلام مستفيض

كم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا

او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمورا به وكانه يقول كان مني امر فلم يكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول فان قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشية انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب المشية لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه اني ارى امرك هذا حقيرا فقال عليه السلام انه سيأمر اى سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وآمره غيره وامرنا بمعنى آمرنا او من امر امارة وامره الله اى جعلناهم امراء وسلطناهم كم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد احتاز مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذن بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي

السواد الاعظم

ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا
انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ان
لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما

والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال عليه السلام من نوى هجرته الى الله ورسوله فهجرته
الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مذموما
مطرودا امر برحمة الله سعيها حقها من السعي وكفاه من الاعمال الصالحة اشترط تلك شرائط في
كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعتقد بها ما يجب ويتحامى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من
الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلث لم ينفعه عمله ايمان
ثابت ونية صادقة وعمل مصيب ويلاحظه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة كلا كلا واحد
من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه ثم زيدهم من عطائنا ونجعل الآيف منه
مدا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء
ربك وفضله محظورا اي ممنوعا لا تمنعه من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف
جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل
وكلها متفاوتة وروي ان نفرا من الاشراف منهم اجتمعوا اياب عمر رضي الله عنه فخرج
الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا
ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن
حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرى واكثر تفضيلا وعن بعضهم ايتها المتأ
بالرفع ممسكة في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل فتقعد
من قولهم نجد السفرة حتى تعقد كانها حرية بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم
وما يتبعه من الهلاك من الخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك
وامر امرا مقطوعا به ان تعبدوا ان مفسرة ولا تعبدوا وانهى او بان لا تعبدوا وبالوالدين
احسانا واحسنوا الوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرى واوصى وعن ابن
عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت
النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لانك تقول ان تكرمن زيدا اكرمك ولكن
اما تكرمن منه واحدهما فاعل يبلغان وهو فيص قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين
وكلاهما عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا
لا بدلا فما لك زعمت انه بدل قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون توكيد الاثنين فانتظم

قال سهيل اتينا اي اصبنا
بالاصبا يعني من الدخول و
تاخير الاذن تعال اي عليهم
العير اي ابلهم واقتاسهم و
اصله من اتان العدو وقوله
من قبلنا اي من جهتنا ومن
اجل فعلنا وهو انا اخرنا
وبنا طاف فاته ثم من هذا اللعن
يقول انتم دعوا الى الكفر

له تلك لها اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا

في حكمه فوجب ان يكون مثله قال ولت ما منزلة لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا
وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او
كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول اف صوت يبدل على التضجر وقرى اف بالحركات
الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل التباء والفتح لخفة الفتحة والتشديد لتكثير والضم اتباع
كمنذ قال ولت ما معنى عندك قلت سواء كان بكبر او بصغر وكانا كلا على ولدهما كما قال لها
غرلها عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا
يتولیان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وظاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال
حتى لا يقول لهما اذا اضجرة ما يستفذ منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه و
لقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده وتظلمها
في سلك القضايا بهما معانم ضبط الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تسقط من المنضج
مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يخل صبر الانسان معها في الاستطاعة
ولا نهرهما ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما يرغبك والنهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل
التافيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الادب والتذلل على المروءة وقيل هو ان يقول
يا ابتاه يا امتاه كما قال ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت مع كثرة ويا يدعوهما بايهما فانه من الجفاء
وسوء الادب وعادة البدو قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها
فخلعني ابو بكر كذا وقرى جناح الذل والذل بالضم والكسر ما معنى قوله جناح
الذل قلت فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك
للمؤمنين فاضافة الى الذل او الذل كما اضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الزليل
او الذلول والثاني ان يجعل للذل او للذ له اولادة لهما جناحا خافضا كما جعل لليد الشمال يدا وللقرة زفاة
مبالغة في التذلل والتواضع منهما من التوحة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما
اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله
بان يرحمهما رحمة الباقية واجعل ذلك حزا لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت
الم يستحرام منهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان
وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل
ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه والذي انفع له من الاستغفار ولكان

Bibliotheca Alexandrina

ربكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا

ولو كان شئ افضل منه لامركم به فى الوصية ولقد كرر الله سبحانه فى كتابه الوصية بالوالدين وعن النبى صلى الله عليه رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى يفعل النار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان النار لا يموت اهلها سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه ان ابوى بلغا من الكبر انى آتى الى منهما ما اوليتهما فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وانتما تحبان بقاك وانت تفعل ذلك وانت ترجو موتهما وشكا رجل الى رسول الله اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوى وفقيرا وانا غنى فكنت لا امنعه شيئا من مالى واليوم انا ضعيف وهو قوى وانا فقير وهو غنى ويبخل على بماله فبكى عليه السلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لا يبك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملت تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقى قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه رأى رجلا فى الطواف يحمل امه ويقول انى لها مطية لا تذعر اذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وارضعتنى اكثره الله ربى ذو الجلال الاكبر تطئنى حين بتها يا ابن عمر قال له ولو زفرة واحدة وعنه عليه السلم ايا كم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب باليه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الا آمنه اذا نزلها وعن ابى يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير او قد وعن حذيفة انه استأذن رسول الله فى قتل ابيه وهو فى صف المشركين فقال دعه لله عز وجل وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى جنازتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر نظرا اليهما ولا بر بابنك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وان ترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم عند موتهما او دفنهما من بعد بما نعز النبى صلى الله عليه ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه بما تقوم به ما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند جيشان الصدر

الذعر مصدر قولك ذعر الفعل يذعر ذعرا اى حمله

وبه نظر الغضبان يتوجر العين من

وما لا يخلو منه البشر او لجبة الاسلام هنة تؤدى الى اذا انتم اليتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور للاوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير فى البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الزلات الرجل كلها اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على ابويه التائب من جنايته لو زود على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابى حنيفه والشافعى رضى الله عنهما لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا موسرين اذا لم يكونوا محارم كالابناء الخ حقهم صلتهم بالمواساة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على البر او الصبر او المعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعنى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتى ذوى القرابة من الحق ليس تعديدهم بالمال وقيل اراد ذا القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه النبذ تفريق المال فيما يبعى النفقة على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تحمد اليها وتثنى عليها وتبذر اموالها فى الخمر والسمعة وتذكر ذلك فى اشعارها فامر الله بالنفقة فى وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله سوء انفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا فى باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة فى خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير وعن عبد الله بن عمر ومر رسول الله صلى الله عليه بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال او فى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اخوان الشياطين امثالهم فى التزاره وفى غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او منهم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف او منهم قرناؤهم فى النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما معنى ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن اخوان الشيطان وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تنهرهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبى صلى الله عليه اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان تعلق بجواب الشرط مقدما عليه اى فقل لهم قولا سهلا ليسا وعدهم وعدا جميلا رحمة منك تعينهم بها وتطيبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اى ابتغ رحمة الله التى ترجوها ارزاقا رحمك عليهم واما ان تعلق بالشرط اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجوا ان يفتح لك فنهى الرزق رحمة فى تتميم

ولد ابن السبيل ان قول المصنف الخ

هذا اشارة الى حاصل المعنى بعد حل اللفظ وذكر التعلق

ولد كالابوين متعلق بقوله محارم فكانه قال اذا كان غير الابوين من المحارم كالابوين وحق غير الوالدين ان يتفق عليهم بالشرائط المذكورة فلذلك قال عند ابى حنيفه ثم قال والشافعى الى آخره

الميسرة تقارب الوجوب بالازلام الياسر اللاعب بالقداح

ولد لا يدعو الا الى مثل فعله اى لا يدعو الا الى الاسراف

ولد ابن السبيل الخ

ولد لفقد رزق من ربك ترجوه الخ

ولد ابن السبيل

ولد ابن السبيل

ولد ابن السبيل

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا
بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا

ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء
مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز أن يكون معنى وإما تعرضن عنهم وإن لم تنفعهم ولم
ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن
من أبى أن يعطي أعرض بوجهه يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل
معناه فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقربهم كأن معناه قولا ذا
ميسور وهو اليسر أي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذي
هو بين الإسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لأن المسرف غير مرضي عنده
وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير أمر المعيشة
وعند نفسك إذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك من حسره
السفر إذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه أتاه صبي فقال
إن أمي تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له
قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا
وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن
حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع ∴ وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل فنزلت ثم سلى رسول الله صلى الله عليه عما كان
يرهقه من الإضاقة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن مشيته في بسط
الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر الله
الذي الخزائن في يده فأما العبيد فعليهم أن يقتصدوا ويحتمل أنه عز وعلا بسط لعباده
أو قبض فإنه يراعي أوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى
مكروهه فاستنوا بسنته قتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة
وهي الإملاق فنهاهم الله وضمن لهم أرزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الإثم
يقال خطئ خطأ كأثم إثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر
والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن خطا بالفتح
وحذف الهمزة كالخب وعن أبي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء سبيلا

ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل
إنه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس
المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا

وبئس طريقا طريقه وهو أن تغصب على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب
ممكن وهو الضمد الذي حرمه الله إلا بالحق إلا بإحدى ثلاث إلا بأن تكفر أو تقتل مؤمنا
عمدا أو تزني بعد إحصان مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه
قرابة توجب المطالبة بدمه فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل
في الاقتصاص منه أو حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي أي فلا يقتل غير القاتل
ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال
مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة
حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن بواء وقيل الإسراف المثلة
وقرأ أبو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على أنه خبر في معنى الأمر وفيه مبالغة ليست في
الأمر وعن مجاهد أن الضمير للقاتل الأول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي أو قاتل المظلوم
وفي قراءة أبي فلا تسرفوا ردة على ولا تقتلوا إنه كان منصورا الضمير إما للولي يعني حسبه
أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبأن الله نصره بمعونة السلطان
وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه وإما للمظلوم لأن الله ناصره حيث
أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب وإما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف
في قتله فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف بالتي هي أحسن بالخصلة أو الطريقة التي هي
أحسن وهي حفظه عليه وتثميره إن العهد كان مسؤلا أي مطلوبا يطلب من العاهد أن لا
يضيعه ويفي به ويجوز أن يكون تخييلا كأنه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث
كما يقال للموءودة بأي ذنب قتلت ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤلا وقرئ بالقسطاس
بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر أو كبر من موازين الدراهم وغيرها
وأحسن تأويلا وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول إليه ولا تقف
ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا أثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك
به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن أن
يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لأنه اتباع
لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف أخاك المسلم إذا مر بك
فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث

ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة
ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا

من قال منا بما ليس فيه جبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثل الذي
ثم القرابين يأكل بعض الحي بعضا فيا اي النفاذ في قتال الكميت ولا ارمي البريء
بغير ذنب وقد افقوا الجواب ان قيل وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك
نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به اولئك اشارة الى السمع والبصر
والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد
منها كان مسؤولا عنه مسؤول يسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم
يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى عالم جعل لك النظر اليه ولم عزمت على ما
لم يحل لك العزم عليه وقرئ الفؤاد بفتح الفاء والواو وقلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد
ثم استصحب القلب مع الفتح مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الخفض المصدر
على اسم الفاعل لما فيه من التاكيد لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك
وقرئ لن تخرق بضم الواو ولن تبلغ الجبال طولا بنطاولك وموتهكم بالمختال قرئ سيئه وسيئة
على اضافة سيئ الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي
الله عنه كان شانه بان ولبئس كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت السيئة
في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين
من قرا سيئة ومن قرا سيئا اذا ترك تقول الزلة سيئة كما تقول البرقة سيئة فلا فرق من
اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت فما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن
فكيف قرا من قرا سيئة بالاضافة فما وجهه من قرا سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي
عنه لان جميع الخصال المعدودة ذلك اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر
الى هذه الغاية وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنه
هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى عليه السلم اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وعلا
فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه
حكمة وعلوجه وان بدت فيها الحكم وجاءت بافوجه الشمس وما اغنت عن الفلاسفة استفار الحكم وهم
عرض لله اصل من النبع افاصفيكم خطاب للذين قالوا الملئكة بنات الله والهمزة للانكار يعني
اختصكم ربكم على وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ لنفسه صبيا لنفسه

واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا وزادهم نفورا تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

واتخذ اذونهم وسمى البنات وسما خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعاداتكم فان العبيد لا يؤثرون
باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكونون اردا لها واداونها للسادات انكم لتقولون قولا
عظيما باضافتكم اليه الاولاد وسمى خاصة بالرجال ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون
له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم اذونا خلق الله وهم الاناث ولقد
صرفنا في هذا القرآن يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرف وكوره
ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او وعظنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير
ويجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل ويريد ولقد صرفنا معنى هذا المعنى في مواضع من التنزيل
فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف ولذلك ليذكروا قرئ مشددا او مخففا اي
كررناه ليتعظوا ويعتبروا او وطئنوا الى ما فتح به عليهم فما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وقلة طاعة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا
قرئ كما تقولون بالتاء والياء اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا اليه ما يقربهم من رضاه
وجزاه ومعنى ابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة
كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه
كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة
من ذلك والتنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد تماما وصفوه
به المراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق
بذلك وكانها تنزهه الله تنزيها تحق عليه من التركاء وغيرها فان قلت فما فصح بقوله ولكن
لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا
اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم كانهم
لم ينظروا ولم يقروا لان بنيحة النظر الصحيح والاقرار الثابت بخلاف ما كانوا عليه فلذلك
لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون
على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت
التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب ان يحمل عليه واذا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة
محمولة على الحقيقة والمجاز انه كان حليما غفورا حيث لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء
نظركم وجعلكم بالتسبيح وبتركم حجابا مستورا اذا اريد كفرهم سبل منعهم ذو انعام وفضل

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك
واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا
انا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم
ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده

هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور
بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن
جعلنا على زعمهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى
المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا
وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد
الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد
وقعود اي يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا بما يستمعون
به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان
منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول
يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون
واذ هم نجوى اذ يقول بدل من اذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اي هو بشر
مثلكم ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب
في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع لما قالوا ءاذا
كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا
حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان
يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما
يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع
ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحيوة ورطوبة الحي
من جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة
والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحيوة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا
مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر
في صدورهم الموت وقيل السموات والارض فسينغضون فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء
والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا
تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره

وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم وان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا

٣٩٣

بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع ستركبه وانت حامد شاكر تعني انك تحمل عليه وتفسر
فسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب
عن رؤوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين
عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا
يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم
او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل العقاب وانكم
معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض
يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم
وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا
فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف
وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين
فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله
وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم
واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال
وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن
في السموات والارض وباحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا
دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في
زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وهم محمد وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد
كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان
يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه من
الزبور فسمي ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى
بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا تملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك
في الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس

فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد
الى آخر او يبدلوه واولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان الهتهم
اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل وايهم بدل من واو يبتغون وايّ
موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم واقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن
يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة
وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم الهة
ان عذاب ربك كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم
ممن تملكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقبل الهلاك
للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها
اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك و
الجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها صرود ثم ذكرها بلدا بلدا في
الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان
الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين
والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك
وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال
فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذبت بها الذين من امثالهم من
المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود واتيناهم الناقة مبصرة اولئك كذبوا بها فكذبوا
بآيتنا فاستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نوخر امر
من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما
ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من
حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها
فكفروا بها وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل كالطليعة المقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى
وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة واذ قلنا
لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر

ولا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم اسوة حسنة
وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر بل للذين كفروا واستغلظن واستكبروا
وغير ذلك مما لا يحصى كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس علما وقدرة في اخباره وحين زاحف
يوم بدر والفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو
ويقول اللهم اني اناشدك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع فحرض الناس ويقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فكان يقول حين ورد ماء بدر
والله لكاني انظر الى مصارع القوم وسوبني الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فما بعث قريش ما اوحي الى رسول الله من امر بدر وما اراه في منامه من مصارعهم
فكانوا يضحكون ويستخبرون ويستهجنون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان عجز الزقوم طعام
الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر
وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله النجرة من جنس لا تاكله النار
فهذا ورد السمندل وهو دويبة بلاد الترك تخدم منه مناديل اذا اتسخت طرحت في
النار فذهبه الوسخ ويبقى المنديل سالما لم تعمل فيه النار وترى النعامة تبلع الجمر وتقطع
الحديد بحر كالجمر يحيا بالنار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها
انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وسوقا
قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان رسانا ارسالك منه في منامك بعد الوحي
اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما زادهم
ثم قال ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا
فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وقيل
من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة صير الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها
رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رآيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم
كما سمى اشياء اخر بما يهجم عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم ابن تركاي ذق انك انت العزيز الكريم
وقيل رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رآى في المنام ان ولد الحكم ينداولون منبره كما يتداول
الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت لعنت حيث لعنت طاعموها
من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز
وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في البعد مكان من الرحمة وقيل

تقول العرب لكل طعام مكروه صار ملعونا وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون الفستق
المحرق وعن ابن عباس هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر فجعل في التراب وقيل هي الشيطان وقيل
ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في
القرآن كذلك طيبا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على ان اسجد له وموطين اي اصله طين
او من الراجع اليه من الصلة على ان اسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ارأيتك الكاف للخطاب وهذا
مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر
الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته
لاستأصلنهم بائر عوامر احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ومنه من الحنك ومنه ما
ذكره سيبويه من قولهم احتنك الشاتين اي اكلها فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل له حتى
الغيب قلت اما ان سمعه من الملئكة صلوات الله عليهم وقد اخبرهم الله به او حزر ذلك من
قولهم الجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهوانيا وقيل قال ذلك
لما علمت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب
الذي هو نقيض المجيء وانما معناه امض لشانك الذي اخترته جذلا بالجيم وغلبة وعقبه بذكر ما جرة
سوء اختياره في قوله من تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى صلى الله عليه للسامري فاذهب
فان لك في الحياة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ
الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب
المخاطب على الغائب فصل جزاؤكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريقة التفات وانتصب
جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف
بالموفور والموفور الموفى يقال فر لصاحبك عرضه فرة استفزه استخفه والفز
الخفيف واجلب من الجلبة وهي الصياح والحيل الخيالة ومنه قول رسول الله اللهم اركبي
والراجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل كحوذ بمعنى حاذ
وناعب ومعناه وصوتك الراجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وبدس وندس
واخواتها يقال رجل اجل وقرئ ورجالك فان قلت ما معنى استفزاز ابليس
بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت سؤكلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه
على من يغويه بحال من اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم

واجلب عليهم بخيله ورجالة حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله
ورجله كل راكب وماش من اهل الغي وقيل يجوز ان يكون له بليس خيل ورجال واما المشاركة في
الاموال والاولاد فكل معصية تحملهم عليها في باب كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة
والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى
ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة
والاعمال المحظورة وغير ذلك وعدتهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله
بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول
في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصير حمما وانبات الحاجل على الراجل ان تعادي بوليد الصالحين
ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى بربك وكيلا هم يتوكلون به في الاستعاذة منك
ونحو قوله الا عبادك منهم المخلصين فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان تسلط على
عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت من الامر الوارد على
سبيل الخذلان والتخلية كقال للعصاة اعملوا ما شئتم يرجى خيري وبشري والصرخوف الغرق
ضل من تدعون الا اياه ذهب عنكم او هابكم وخواطركم كل من تدعونه في جوادثكم الا اياه وحده
فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون بالكم
ان غيره يقدر على اغاثتكم او لم تهتد لا نقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز ان يراد
ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع
افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان قلت ثم انصب جانب البر قلت بخسف مفعولا به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض ويكون حالا والمعنى ان يخسف جانب البر اي بقلبه وانتم عليه فان قلت فما معنى
ذكر الجانب قلت معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله في كل جانب برا كان
او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق
في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف به تغيبت تحت التراب كما ان الغرق تغيبت
تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل
ان يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب
اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم برمي يرسلها

ام امنتم ان نعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

عليكم فيها الحصائر جمع حاصر لها فيكون اشد عليكم من الغرق في البحر وكيلا من يتوكل يصرف ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم تارة اخرى ويرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

ولقد كرمنا بني آدم بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء اكرم بنيه آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا من سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسبني آدم تفضيلا ان رفع عليهم الملائكة ومنهم من لهم عند الله منزلة والعجب من المجبرة كيف يعكسون في كل شيء وكابروا حتى جبرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا ان اشكلهم واني فترهم وكيف ترتلهم من انبيائه منزلة انبيائه من امتهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقته بيدي كمن قلت له كن فكان وروي عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ادلتهم انهم فسروا اكثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وحدوا حتى بلغوا الدوق فلم يخصوا بشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشتمى الجمع الذي لا يشذ عنه احد من المخلوقين ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تجهلهم وتشتيتهم بالتاء وبلات البعيدة في العلق عداوة الملأ الاعلى كان جبريل عاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السجية لا تجل عن قلوبهم قرئ يدعوا بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعوا كل اناس على قلب

يوم يدعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا

الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكروا ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كالتي واسرّوا النجوى الذين ظلموا والرفع بمقدر كالذي يدعى ولم يوت بالنون قبله مبالغة لها بانها غير ضمير ليست الا علامة بأمامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل كتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم وعن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية جنب عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت شعري انها ابدع امة لفظه ام بما حكمه فمن اوتي صورة المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم قيل اولئك ان من اوتي في معنى الجمع فاولئك لهم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن اصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم احدثهم ما ياخذ المطالب بالدعاء على حياله والاعمى في الاصل من يسامحه والانسان منه من الحياء والخجل والاخرة الوحشة اللسان والشفة والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن سنن القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤون كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يفتعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لم لم تحضر هاؤم اقرؤا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا تنقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا خاف ظلما ولا هضما معناه ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو والاول مما لا والثاني مدغما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعماكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلوتنا وكل ربا لنا هو لنا وكل ربا علينا هو موضوع عنا وان نمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان نمتع من تصدع وادي بناوح فعصد بحرة فاذا سالتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني به وجاؤا بكتاب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون

وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا واذن لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
ثم لاتجد لك علينا نصيرا

فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب
فسل سيفه وقال اشعرتم قلب نبيتنا يامعشر ثقيف اشعر الله فلويكم نارا فقالوا لسنا نكلم
اباك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب
اية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية والمعنى ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاثنيس عن الذي اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتقول علينا مالم نقل يعني كادوا
اداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما قربته ثقيف من ان يضيف
الى الله مالم ينزل له عليه واذن لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم
وليا وحرجت من ولاية ربي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم
لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين
اذن لو قاربت تركن اليهم اذني ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي لاذقناك
عذاب الاخرة وعذاب القبر مضاعفين ان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت
اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب
القبر وعذاب في حياة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله فاتهم عذابا
ضعفا من النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا
في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة
الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز
ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب
النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للحياة في الحيوة الدنيا وما تؤخره لما بعد الموت في ذكر
الكيفية وتقليلها مع انباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على
ان القبيح بعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشائخ العدل
والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة
للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا
هذه الاية ان يجتهد عندها ويتدبرها حق تدبرها وبان يستشعر الناظر فيها الخشية
وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه انها لما نزلت كان يقول اللهم لاتكلني الى نفسي

وان كادوا ليستفزونك من الارض لخرجوك منها واذن لايلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا
تحويلا اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا

طرفة عين وان كادوا ليستخفونك من ارض مكة ليخرجوك بعداوتهم ومكرهم من ارض
مكة واذن لايلبثون بعدك الا يسيرا وقد فعل فانه لم يبق بعد اخراجه الا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما
قال فقد اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستوصلوا عن كرة
اليهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان
رسول الله لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء
انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لامنا بك
واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك
منهم فعسكر رسول الله على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى جمع الله اصحابه ويراه
الناس عازما على الخروج الى الشام فرجه على دخول الناس في دين الله فنزلت فتوكل
ولا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما وجه القراءتين قلت
اما الثانية فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في
حيز كاد واقع موقع الرسم واما قراءة ابي فيها الجملة برأسها التي هي اذن لا يلبثوا
عطف على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك وقوي خلافك قال عفت الديار خلافهم
فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعد منهم سنة من قد ارسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا
رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم وانصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله
ذلك سنة ذلك الشمس عن بنت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه انا في جبريل لدلوك
الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر
اليها فان كان الدلوك الزوال فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خص منها
الظهر والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت
قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا ومن حجة على ابن علية والاصم
في زعمهما ان القراءة ليست بركن مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء
مشهودا اجر ديوان الليل واجل ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين العادة او من حقه
ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة
الفجر لكونها مكتوبا عليها يسمع الناس قرآن فكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول
الصلوات قراءة ومن الليل فتهجد به نافلة لك عبادة زائدة لك على الفرائض لان صلوات
النبي نوافل لهم كفارات لامتك نوافل لك لانك مغفور لك وهم مؤاخذون بذنوبهم
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قيل يقعده على عرشه وقيل هو الشفاعة
وعن كعب ان الناس يلجمون يوم القيامة الا قدر ذراع فيقول كل نبي نفسي نفسي الا محمد
يقول امتي امتي فيعطى لواء الحمد وينادي مناد محمد امامك فمن تبعك فاذهب به الى الجنة
وقل لمن كذبك فاذهب به الى النار وعن ابن عباس يجلسه معه على العرش
وقل رب ادخلني مدخل صدق وقل رب اخرجني مخرج صدق
وعن ابن عباس ادخلني القبر مدخل صدق واخرجني منه مخرج صدق
وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
وعن ابن عباس جاء الاسلام وذهب الشرك وقيل جاء القرآن وذهب الشيطان
وقيل جاء الجهاد وذهب الشرك وقيل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
وقيل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد وقيل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد

الناس التحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع
نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد
زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم مقاما محمودا نصب
على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان
يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه
وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد
مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق
تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس فاول مدعو
محمد صلى الله عليه فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى
الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة
وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط
يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه
مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من
امر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر
مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره
على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه
انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على
المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه
فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب
بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد

الصدق بمعنى الصلاح والجودة ونقيض السوء بمعنى الرداءة والفساد

وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا انعمنا
على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا

اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به
الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير كان حول البيت ثلثمائة
وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لقبائل العرب يحجون
اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك
فاوحى الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة جديدة فاملأك خدودا سجدا يدفون اليك
دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت
هذه الآية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله خذ مخصرتك ثم القها فجعل يأتي صنما صنما
وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها
جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول
الله حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد
وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب وهلك من قولهم
زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير
ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان
او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون
به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه من لم يستشف بالقرآن
فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم وكفرهم كقوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله
كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيدا للاعراض لان الاعراض عن الشيء
ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد
الاستكبار لان ذاك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من
النوازل كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وقرئ ونأى بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم رأى في رأى ويجوز ان يكون من نأى بمعنى نهض
قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم
طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اي اسد مذهبا وطريقة الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه

ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا

من امر الله اي مما استأثر بعلمه عن ابن بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبرئيل وقيل القرآن ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعضهم وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان رسول الله لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليل وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فتصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فابى اكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا

يقول لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان راس مالهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى وهو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متأول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى تفجر تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وعلا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه

وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما ماويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا

هل كنت الا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون كلما خبت كلما اكلت جلودهم او لحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت متلهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها ثم تفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فان قلت علام عطف قوله وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض

قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقال فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا

فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال آنتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابوا مع وضوح الدلائل الا جحودا لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها قتورا ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني اسرائيل فقلنا له سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم ولكن ليطمئن قلبي فان قلت

فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا

بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره

ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا

ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للاذقان قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير بمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في اياما عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته

وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان
لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا

ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه ولا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت
بصلاة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا
ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولي من الذل
ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته
فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من
هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه
اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه من قرا سورة بني
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه
ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه
من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط
والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه
وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت
الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل
فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة
وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة
فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن
الآخر قلت فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من
ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها
وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى
مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا
باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة
من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل

قوله ببعض الصلة فيلزم ايراد صلة قبل تمام صلة قبله فيكون كايراد كلمة
قبل تمام كلمة قبله

قال الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا

فان قلت لم اقتصر على احد مفعولى انذر قلت لان المنذر به هو العرض الاول اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مطلقا بالمنذر به من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا تقديم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لصدوره عن غير علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد استمكنت آباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم استحالته وانتفاء العلم بالشيء اما لجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به قوى كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وخروج من افواههم صفة للكلمة فيه استعظام ما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوس به الشيطان في قلوب الناس ويحدثونه انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان ينفثوه بافواههم ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشوزا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقوى كبرت بشكون الباقي اشمام الضمة فان قلت الام رجع الضمير في كبرت قلت الى قولهم اتخذ الله ولدا وتمييز كلمة كما يقال عظم قولا قصيدة بها شيبة وايامهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على تولهم رجل فارقته احبته واعزته فهو يتأسف حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اى قاتلها وممثلها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا او للمضى فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اى لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل آسف وآسيف ما على الارض بعني ما ينبغي ان يكون زينة لها وانما جعلناها من اطايب الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض ليس فيها نبات بعد ان كانت خضرا معشبة فالآية تحتمل وجهين ازالة بهجتها واماطة حسنها وابطال ما به كان زينة من ايانة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك مما ذكر من آيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حيوتهم مدة طويلة والكهف المتسع في الجبل

Ahmet III 3406

إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم
لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى

الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاورا
وصيدهم والقوم في الكهف رقد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على
باب الكهف وقيل إن الناس رقموا حديثهم نفرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين عجلون وأيلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا
وصفا بالمصدر أو على ذات عجب من آياتنا رحمة أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق
والأمن من الأعداء وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى يكون
بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك أسدا فضربنا على
آذانهم أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات
كما ترى المشتغل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه بحذف المفعول الذي هو الحجاب
كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة
وأن يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وقال الزجاج إذا قل
تهم بمقدار عدده فلم يحتج إلى أن يعد وإذا كثر احتاج إلى أن يعد أي تضمن معنى الإحصاء
فعلق عنه العلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لأن لام الدفاعة بالإسناد إلى
يعلم إليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كأنه مفعول يعلم أي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم
لما التبسوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض
يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول
أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم وأحصى فعل ماض أي أيهم ضبط أمدا لأوقات لبثهم

فإن قلت فالقول فيمن جعله من أفعل التفضيل قلت ليس الوجه السديد وذلك أن سنا
من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ والقياس
على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولأن أمدا لا يخلو إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا
يعمل وإما أن ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فإن زعمت أني أضمر له فعلا يدل عليه
أحصى كأنه قيل وأضرب مثلا للسنوف الفوائت على نضرب الفوائت فقد أبعدت
المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلا تم رحمت مضطرا إلى تقديره وإضماره

فإن قلت كيف جعل الله تعالى العلم بإحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت
الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهوره للأمر لهم ليزدادوا إيمانا

وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة
لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ
لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله
من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن له وليا مرشدا

وربطنا على قلوبهم أي ألهمناهم الصبر على هجر الأوطان والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران وحرمناهم
على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام إذ قاموا بين يدي الجبار دقيانوس من غير
مبالاة به حين دعاهم إلى ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والأرض شططا قولا
ذا شطط وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد ومنه أشطت الدار وفي غيره
هو لا يمتد أو قرئ عطف بيان واتخذ واخبر وهو إخبار في معنى الإنكار لولا يأتون عليهم هلا
يأتون على عبادتهم بحذف المضاف بسلطان بين وهو بكتيتهم على أن الإتيان بالسلطان على عبادة
الأوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت افترى
على الله كذبا بنسبة الشريك إليه وإذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صمموا عزمهم على
الفرار بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني وإذ اعتزلتموهم وأعتزلكم معبودهم
إلا الله جوز أن يكون استثناء متصلا على ما روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كأهل
مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض أخبر الله تعالى عن الفتية أنهم لما عزموا واعتزموا
الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهما يرتفق به أي ينتفع إما أن يهولوا ذلك ثقة بفضل الله
وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه وتصوح بقينهم وإما أن يخبر بهم به نبي في عصرهم وإما أن يكون
بعضهم نبيا أسلمه قومه أو خفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها وقد قرئ بهما وقرئ يزور
وتزاور بوزن تحمر وتحمار وكلاهما من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال إليه والزور
الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين لقوتهم تقطعهم
لتقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة إلى ظعن يقرض أقواز مشرف شمالا
وعن أيمانهم القوارس وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى أنهم في ظل نهارهم
كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح متعرض لإصابة الشمس
لولا أن الله تعالى يحجبها عنهم وقيل في منفتح من غارهم بالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم والحكمة
كرب الغار ذلك من آيات الله أي ما صنعه الله بهم من إزوراره الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من
آياته يعني أن ما كان في ذلك الوقت يصيبه الشمس ولا يصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب
الكهف شمالي مستقبل بنات نعش فهم في مقنأة أبدا ومعنى ذلك من آيات الله أن شأنهم وحديثهم
من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم

ربطت الشيء شددته وطلا رابط الجأش شديد القلب كأنه
يربط نفسه عن الفرار وقال ربط الدابة
يربط والمربط موضع الربط قال زياد
يربط من خيل أوغر ذكر عن الحالة
ومنه المثل ان ذئب عرف المربط
ضرب في الرضا بالحاضر دون الغائب

ليعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا كان صاحبه
يجوز أن يكون اسما لها كانت لجهة صاحبه
هذا الاسم فيقال لملك الجهة
صاحبة اليمين أي صاحبة
اليمين أيضا كما يقال ذو يزن
الملك الحميري وذو جدن
الصاحب تفعل ذو مال وتفعل
ذات مال للمونث
ذوات مال وللجماعة ذوات مال
قال تعالى والله عليم بذات الصدور
أي الأمور المستقرة في الصدور
سميت ذات الصدور أي صاحبة
الصدور لاستقرارها في الصدور
وفلان مثل ذات اليد أي الإملاك
والأموال المصاحبة لليد

الظعينة المرأة الظاعنة والناقة
ظعينة حتى تكون في الهودج وفي
ظعائن وظعن والأظاعن القوم
وهي أصوات الجبل ومشرف أي
أقواز جبل مشرف وعن أيمانهم
القوارس يعني الإنسان ويكون ان
يريد مصطفا بعينه تقول نظرت
أو لترفت إلى الظعن تقطعون
للأرض في السير حتى كانت
الأقواز عن شمائلهم وعن
أيمانهم القوارس طلائعهم

علم رجل معروفة
والقوارس علم رجال
معروفة بالاستئناس

قول كرب الغار الكرب
على وزن الضرب الغم الذي يأخذ
بالنفس وكذا الكربة بالضم تقول
كربه الغم إذا اشتد عليه

المقنأة المكان
الذي لا يقع فيه الشمس
شأنهم أي حالهم
وخبرهم

قول وكذلك لأن المعنى
على تحقيق العلم والضبط عليهم
ليعلم الطائفتين أي المختلفتين
أي أيهما ضبط أعلم الحزبين
كون حال الفوات

وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة

واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهديين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر كذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وقرأ جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يشد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم

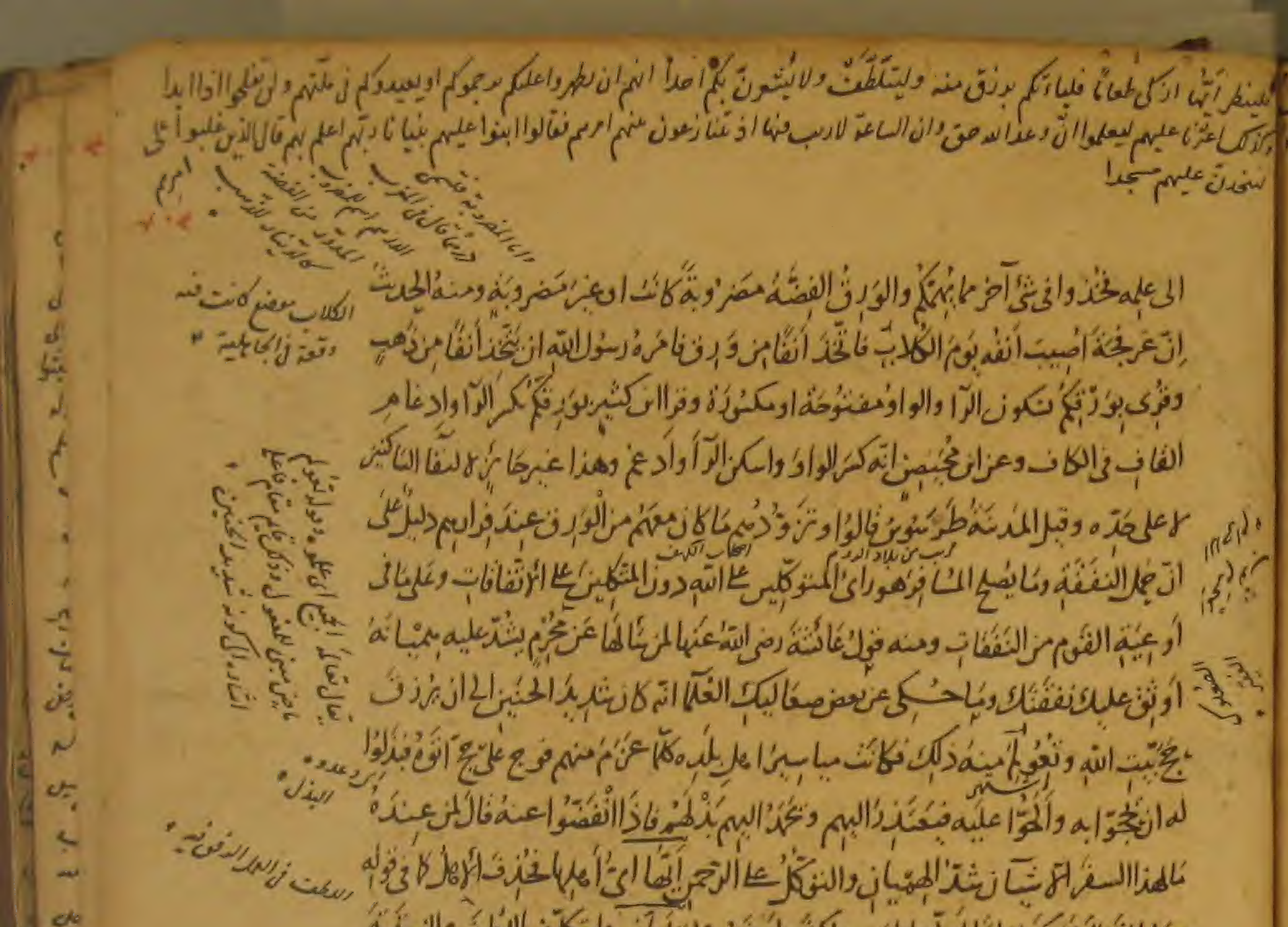

الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فامره رسول الله ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وتعولم منه ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله وسل القرية ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذن ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه بالحظيرة قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم

سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم

لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم
امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم
او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا
ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا
الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه
على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف
ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا
وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله
فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف
اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس
على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به
فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج
الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه
القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث
ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم
وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في
المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام
المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم
يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين
في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله من اهل الكتاب
سيقولون الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه من اهل الكتاب والمؤمنين
سالوا رسول الله عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من
اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنه
انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه
فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا

رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مرا ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا

خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا
ذلك باخبار رسول الله عن لسان جبرئيل وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر اسماؤهم تمليخا
ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش
وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس
واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول
دون الآخرين قلت فيه وجهان ان يدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم
تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما
بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي يأتون به او وضع الرجم موضع
الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم
فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ
ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث وثلثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة
وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم
كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين
قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن
المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة
على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم
كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه
اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس
رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها
وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير
في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك
الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب
الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب
ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت

مستقرا هذا اذا قلنا الواو لتاكيد
الصاق الصفة بالموصوف واما من يقول
الواو للحال فيؤول المعنى الى انهم يقولون ذلك
في هذا الحال وهو ان ثامنهم كلبهم واقعا
لا محالة ويلزم منه ان يكونوا سبعة

ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا

ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا فترد عليه وتزيف ما عنده لا تردا لك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك الشيء غدا اى فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بأن يشاء الله اي الا بمشيئته ومعنى موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان يشاء الله في معنى كلمة تأبيد كانه قيل ولا تقولن لشيء ابدا وبنحو قوله وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله وهذا انما ناداب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فاحتبس عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا وحكي انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره ليشكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيقولوا فحرجوا عليك فاستحثه كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يوتيني من البينات والحجج على امر نبوتي مثل ما آتى اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك واذل والظاهر ان كون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك واذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهدين لشيء آخر بدل هذا المنسي

هذا الى قوله لاقرب من هذا اسدادا الى خبر اصحاب الكهف

ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم

اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرا لكونه اوثنتها ثلثمائة سنين ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين بعد البعثة فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وبيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا انه من الوحي اختلفوا فيهم بعد البعثة واحق ما اخبرك به عن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال ابي في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد وفي التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفي قراءة ابي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لان ما قبله بدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به حثا بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك الناظرين والمبصرات لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها احجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من ولي من متولي امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرا الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانهم قالوا له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له وائل ما اوحي اليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا لم نجد لنا آية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا تعدل اليه ان تمنعت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ هو لاء الموالي الذين كان ينحيهم رح الصناب وبلال وصهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح اونؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها معهم وثبتها قال ابو وائل فصبرت عامة لذلك حتى سروا اذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء كل وقت وقيل المراد صلوة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود من غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على اوابل التنكير كما قال والتبديد يذهب المعارك ونحو قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاني القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عيني وعلت عنه عيشه اذا قمحته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين هلا قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذا الكمال

وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره . أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل

بمملك من المال دونه فإن ملت لم أفرد الجنة بعد التثنية ملت معناه ودخل ما هو جنته ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه ومن عجب عما أولى مفجر به كافرا لنعمة ربه معترض ذلك نفسه لسخط الله وهو أخس الظلم إخباره عن نفسه بالشك في بلادة جنته لطول أمله وإسبيلا الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وإطراحه النظر في عواقب أشباهه وترى أكثر الأغبياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به مناديه عليه ولئن رددت إلى ربي أقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكابر عن صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا نظما ومتانا على الله وادعاء الكرامة عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستنهاله وإن معه هذا الاستحقاق أين توجه كقوله إن لي عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا أو قوى خيرا منها ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز أي منقلبك خير من منقلب هذه لا تبقى فانية وتلك باقية خلقك من تراب أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له سواك عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا للموصوفين لا نعمة لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا وهو الكاهو الله ربي أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فثلاثت النونان فكان الإدغام ونحو قول القائل فرائي فيستبيني الطرف أي أنت مذنب وتقليني لكن أنا لا أقلي أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر بإثبات الألف أنا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة وعينه لا بنيتها الآن الوقف وعن أبي عمرو أنه وقف بالها هكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبي بن كعب لكن أنا على الأصل وفي قراءة عبد الله لكن لا إله إلا هو ربي بإن ملت هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله أعتبر أفانا بها وكل خير فيها هو استدراك لما إذا ملت لقوله أكفرت قال لأخيه أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز أن يكون ما موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى أي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولئن أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى فهلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله أعتبر أفانا بها وكل خير فيها

عسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا

إنما حصل بمشيئة الله وفضله وإن أمرها بيده وإن شاء كما عامره وإن شاء آخرها وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما نالني به على عماره بها وتدبير أمرها من بعونه وتأييده إذ لا يقوى أحد في بلده ولا في ملكه بيده إلا بالله وعن عروة بن الزبير أنه كان يتلو جائطة أيام الرطب فيدخل من شاء وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ قل بالنصب فعلى جعل أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وقل خبره والجملة مفعولا ثانيا للترى وفي قوله وولدا نصرة لمن قرأ النفر بالواو في قوله وأعز نفرا والمعنى أن ترني أفقر منك فإنا نرجو من صنع الله أن يقلب ما بي وبك من الفقر والغنى فيرزقني بإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخربها نسائك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بخرابها وقال الزجاج عذاب حساب وذلك الحساب حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا أرضا بيضاء ترلق عليها الأقدام زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر وأحيط به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم ومثله قوله أني عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد وهو في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فأكلتها يا ليتني ذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة تركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان قرئ ولم يكن بالياء والتاء وجمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يا ليتني ما معنى قوله ينصرونه من دون الله ملت معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف ومنه استجابه أن يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه نصب على المصدر كقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله

واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا

اوهنالك السلطان والملك لله يتبرء ممنع منه او في مثل تلك الاحوال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها حين رأى ما دهاه من شؤم كفره ولو لا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيها فعل بالكافر اضاءة المؤمنين وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السما ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية والله وقرا عمرو بن عبيد رحمة الله عليه وارضوانه بالنصب على التاكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وفي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل لم يخرج في النبات الا فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه والهشيم ما تهشم ولحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبهه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفنا بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن وكان الله على كل شئ من الانشاء والافنا مقتدرا الباقيات الصالحات اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان ويفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الاخرة وقرئ تسير من سيرت وتسير من سيرنا وتسير من سارت اي تسيرة الجواري وتذهب بها بان يجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والبا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفا والغدير لما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين ظاهر بن ترى كما عنهم كانهم كل واحد يحجب صاحبه او الفذ جئتمونا اي قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار واذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشأناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شئ معكم

ولقد جئتمونا على ربكم صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا

كما خلقناكم اول مرة كقوله ولقد جئتمونا فرادى فان قلت لم جعل حشرهم ماضيا بعد تسيير وترى قلت للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظام كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا ووقتنا لا مجازفا وعدتم على ألسنة الانبيا من البعث والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال يا ويلتنا نادوا على هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لم يترك شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا الا شيئا اما صغارا واما كبارا ويجوز ان يريد واما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يختموا الكبائر فكتب عليهم الصغائر وهي المسافقة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنى وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضحكوا والله من الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او حاضرا عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كان منه من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفا للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من يتخذه آدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعجب من الله عز وعلا لصيانة الملكية عن وقوع شبهة في عصمتهم مما ابعد البون بين ما تعدّه الله وبين قول من ضادّه فزعم انه كان ملكا وربيا على الملكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وكله على ابن عباس ومعنى ففسق عن امر ربه خرج عما امره به من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائر او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اتسجدون وآدم افتتخذونه وهمزة الانكار والتعجيب كانه قيل أعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى شركاءهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لعضدهم بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا

عن قريب سيأتيك ما تنكره

ربهم بقتل ما دوا اثر كانى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها
مصرفا ولقد صرفنا فى هذا القران للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا
ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا ايانى
وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا

معنى وما كنت متخذهم عضدا اى اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير دمّا لهم بالاضلال فاذا
لم يكونوا عضدا لى فى اخلق تما لكم تتخذونهم شركاء لى فى العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب
لرسول الله والمعنى وما صح لك الا عتضادهم وما ينبغى لك ان تعتز بهم وقرا على رضى الله عنه متخذ
المضلين بالنون على الاصل وقرا الحسن عضدا بكسر العين ونقل ضمتها الى العين وقرئ
عضدا بالفتح وسكون العين وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم
وراصد ورصد من عضده اذا اقواه واعانه تقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على
زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك
او وبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالموعد يعنى وجعلنا بينهم وادیا من اودية جهنم
موبقا لهلاكهم والعذاب الشديد مشتركا لهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة
والمعنى عداوة شديدة تهاهلاكهم كقوله لا يكن حبك كلفا وبغضك تلفا وقال الفراء البين
الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملئكة وعزير وعيسى
ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده
لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان فظنوا ايقنوا مواقعوها فخى لطوها واقعون فيها مصرفا
معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شئ جدلا اكثر الاشياء التى تاتى
منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على
التمييز يعنى ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شئ وخوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب
والثانية رفع وقلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار
ان ياتيهم سنة الاولين وهى الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعنى عذاب الاخرة قبلا
عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بضمتين مستثقلا ليدحضوا ليزيلوا ويبطلوا
من ادحاض القدم وهو ازلاقها واذلالها عن موطنها وما انذروا يجوز ان يكون ما موصولة
ويكون الراجع من الصلة محذوفا اى وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم
وقرئ هزا بالسكون اى اتخذوها موضع استهزاء او جد الهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا
ولوشاء الله لانزل ملئكة وما اشبه ذلك بايات ربه بالقران ولذلك رجع اليها الضمير بذكروا
فى قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر بها حين ذكر وتنبه وتنبه عاقبة ما قدمت
يداه من الكفر والمعاصى غير متفكر فيها ولا ناظر فى ان للشئ والمحسن لابد لهما من جزائهم فعلل

اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه فلن يهتدوا
فلا يكون منهم اهتداء البتة كاية محال منهم لشدة تصميمهم ابدا امتدة التكليف كلها واذن جزاء
وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول يعنى انهم جعلوا لما يجب ان يكون سبب وجود
الهتدى سببا فى انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله مالى لا ادعوهم حرصا على اسلامهم
فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة
استشهد على ذلك بترك مواخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال ايا طلبهم فى عداوة رسول الله بل لهم
موعد وهو يوم بدر او لن يجدوا من دونه موئلا ملجا ولا منجا يقال وأل اذا لجا ووأل اليه اذا
لجا اليه وتلك القرى يعنى قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا وانتلك
مبتدا والقرى صفة وقوله اهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك
القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل
ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل
مكة يوم بدر والمهلك الهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة
اى لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر لفناه لعبده وفى الحديث ليقل احدكم
فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى وقيل يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه
ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان
فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال
وقد حذف الخبر لان الحال والكلام سايدان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما
الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروب به تستدعى ما هو غاية له فلا بد ان يكون
المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان يكون المعنى لا ابرح مسيرى
حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم
فانقلب الفعل عن لفظ الغايب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح
ما انا عليه بمعنى التيمم المسير والطلب ولا اثر كده ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان
ومجمع البحرين المكان الذى وعد فيه موسى لقاء الخضر عليه السلام وهو ملتقى بحرى فارس والروم
مما يلى المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما
كانا بحرين فى العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو فى الشذوذ كمن يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل

فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا

أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة روي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني
إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا
فذكر نعمة الله وقال إنه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب
الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحي إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر
وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام
موسى وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي
عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس
إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من هو أعلم مني
فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال
تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان
فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه
في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه
فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة
جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما
أخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على
الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة
وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى
فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين
فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل
الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر فلما جاوزا فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة
لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حيوته ووقوعه
في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع
حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا
إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة فإن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة
لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها

إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا
فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا

وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف
استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت
قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك
أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس بأخواته فأعان الألف على قلة الاهتمام
أرأيت بمعنى أخبرني فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا
فإني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه
من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني إذ
أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وأن أذكره
بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه وعجبا
ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا
في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه
إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل إن عجبا حكاية لتعجب
موسى وليس بذاك ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر
بالطلبة من لقاء الخضر قرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي عمرو وأما الوقف
فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما قصصا يقصان قصصا
أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما
يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون أي علما ذا
رشد أرشد به في ديني فإن قلت أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل
موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه
في أبواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما يغض منه أن يأخذ
ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس
بصاحب موسى وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه
على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير
والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ
في الإنكار وخبرا تمييز أي لم تحط به خبرك أو لأن لم تحط بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر

قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله

ولا اخبي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص اوفي لا محل عطفا على ستجدني لها موسى عليه اللام حرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد ايضاح الخضر عليه اللام عن حقيقة الامر فوعده الصبر معلقا بمشية الله علما منه بشدة الامر وصعوبه وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة المفاسد مما لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباسه العلم منه برئ من ان يباشر ما فيه غضاضة في الدين وانه لا يلتمس باطنا مستهجنا لما يستشيع ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قرى فلانا التي بالنون الثقيلة يعني من شرط ابتاعك اني انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته تحتشم وانكرته في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها انا من اللصوص وامروا بما الخروج فقال صاحب السفينة اراى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لجوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة اراى وجوه الانبياء وقيل الواحها ما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها وقرى ليغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق وامثلها مرفوع جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهيا اذا امرا تما نسيت بالذي تنسيه او بشئ تنسيه او بنسياني اذا اتاه شئ وحيثه ولا مؤاخذة على الناسي اذا حرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان نبه به انه قد بقي لبسط عذره مع الانكار وسومح من معاريض الكلام التي يتفصى بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه اللام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري ومتابعتك اياه يعني لا تعسر علي امتابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرى عسرا بضمتين فثقله فيل كان قتله قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء حتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء الشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء اقل افتلت فان قلت فلم خولف بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرى زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عند، لانه لم يرها قد اذنب قط واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث

قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قالا ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا

بغير نفس يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه موسى فلك ان تقتل نكرا وقرى بضمتين وهو المنكر قيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه فان قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكاشحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية بعد ها بعد هذه الكرة او المسئلة فلا تصاحبني فلا تقارني وان طلبت صحبتك فلا تثابرني على ذلك وقرى فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك من لدني عذرا قد اعذرت وقرى لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكثرة النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب الا عاجيب اهل قريه انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء ان يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الزور وزار واصافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه يريد ان بعض استعيرت الارادة للاماءة وللمشارفة كالتعبير الهم والعزم لذلك قال الراعي في ضيعة فلفت به هما بها فلن الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يهم الرخ صدر ابي براء ويعدل عن دماء عقيل وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم الشراح ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يفعل فما بال الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن الحق تقول يعني للهواه طني لا يطن الله موحى يطن العود وشكا الى بعيرة وتجم ان كلا صادقا وموصوفا بتي ولما سكت عن موسى الغضب تمرد ومارد وعتا الا ترى الى قوله ولبعضهم يابى على اجفانه اغفاءها ثم اذا انقاد الهمهم تمردا ابن الرواديف والندى لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا فالنا انبناطا بعير والقد القضى ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر ان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه على الكلام طبقة ادناه منزلة فيحمل ارادة الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده

قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان
اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا

أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز وأنقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو
أفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وأن
ينقاض من انقاضت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاض ومنكتب بالصاد
غير معجمة فأقامه قيل أقامه بيده قيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعود عمده
به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار ثمانية أذرع كانت الحال حال اضطرار و
افتقار الى المطعم وقد لزمتهما الحاجة الى أخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما
أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن قال لو أخذت عليه أجرا
وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش به ونسد به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في لتخذ أصل
كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء قال هذا إشارة الى ما
قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن
شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار اليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا
إشارة الى غير الخ ويجوز أن يكون إشارة الى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب
الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن أبي عبلة فأضيف المصدر الى الظرف
كما يضاف الى المفعول به لما كان قيل كانت لعشرة إخوة محنة منهم رمتني ومحنة يعملون في
البحر ورآئهم أمامهم كقوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل خلفهم وكان ظرفا لهم في رجوعهم عليه وما كان
عند منهم خبره فأعلم الله به الخضر وهو جلندى فارادت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه ثلث النية به
التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين
فكان خبرا لقوله كقولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة قرا الحمد لك
فكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فخفنا أن
يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا النعمة بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا
وبلاء ويقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يبعد بهما بداية
ويضلهما بضلاله فيرتد بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإنما خشي الخضر من ذلك لأن
الله عز وجل أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره وأمره إياه بقتله كأخبار عما هو مقدر في
جبلته وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره

فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا وسألوك عن ذي القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكرا

ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لأهب لك وقرئ
يبدلهما بالتشديد والزكاة الطهارة والتقى من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي
أنه ولدت لهما جارية ولدت بيتا هدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت
سبعين بيتا وقيل أبدلهما أبا مؤمنا مثلهما قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول
الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لا طلاقه أنه مال
وعن قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة علينا وأحلت لنا أراد قوله تعالى
والذين يكنزون الآية وكان أبوهما صالحا اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ حقه فيهما وعن جعفر بن
محمد كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما
أنه قال ببعض الخوارج في كلام جرى بينهما حفظ الله الغلامين قال لصلاح أبيهما قال
فأي وجه جرى منه فقال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون رحمة مفعول له أو مصدر منصوب
بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن أمري عن اجتهادي وأني
وأتيا فعلته بأمر الله ذو القرنين هو الإسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين
وسليمان وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا
ملكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة ألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى
يهدي به النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر
رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء
الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الأسباب
وبسط له النور وسئل عنه فقال أحب الله فأحبه وسأله أن الكوا أباذ ذو القرنين
أملك أم نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الأيمن فغاب
الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله
قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا
القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان

انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا
يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا
فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا

اختلفوا في ذي القرنين هل كان نبيا ام لا منهم من قال انه كان نبيا واحتجوا عليه بوجوه الاول قوله تعالى انا مكنا له في الارض والتمكين الكامل في الدين هو النبوة والثاني قوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة الثالث قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب الآية والذي يتكلم الله معه لا بد وان يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا صالحا وما كان نبيا كبير

وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروي الروم
والترك وعنه كان صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه
القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم
ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله ابو
جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من
اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود
من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد
المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع قرئ حمئة من حمئت البئر اذا
صارت فيها الحمأة وحامئة بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه كنت رديف رسول الله صلى
الله عليه على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله و
رسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو
والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معوية حامية فقال ابن عباس
حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار
كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق قول ابن
عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط
حرمد اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون
العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى
الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على
الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما يقتضيه
الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله
جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ
فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو
العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل
المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين
وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها

حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين
وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا

يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم
لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى
معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة
يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم
فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي
علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت
فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في
الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع
الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره قد احطنا
بما لديه من الجنود والآلات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها
سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس
والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم
مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي
منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم بين السدين من الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين
ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو
مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر
حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا
فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسما وظرفا
وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون
قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون
اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ياجوج وماجوج
اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد
يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا
ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا
احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه في صفتهم لا يموت

قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا
قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا

أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر قرئ خرجا وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي إليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالإدغام وبفكه فأعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وقرئ سوى وسووي وعن رسول الله صلى الله عليه أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني أي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير حده أن يظهروه أن يعلوه أي لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا إشارة إلى السد أي هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته فإذا جاء وعد ربي يعني فإذا دنا مجيء يوم القيمة وشارف أن يأتي جعل السد دكا أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الأدك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون زمان السد مزدحمين في البلاد وروي يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا
عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا

من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون وعرضنا جهنم وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا لتعاميهم وكانوا صما عنه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع عبادي من دوني أولياءهم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود أفظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه أن ابن الكواء سأله عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فإن قلت الذين ضل سعيهم في أي محل هو قلت الأوجه أن يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن السؤال ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عاد في حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الأرض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل أن تنفد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرأ الأعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن أخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرأون وما

415
x Hamid, 251, 312, 325
Mikkeren
419

قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

او يتهم من العلم الا قليلا فقرأت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يامل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فترنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لم يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم كتب هذا الكلمة وصححت بنسخة صحيحة والله اعلم

قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اعوذ اصله اعوذ بسكون العين وضم الواو ثقل الفعل فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت الى العين قبلها فسكنت العين وانفتح ما قبل الواو فانقلبت الواو الفا ساكنة ومصدره عوذ وعياذ ومعاذ وهو التعليم والاستجارة فمعنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اتحصن بالله واستجير به من شر الشيطان المضروب على الارض او الرجيم المرجوم بالكواكب